منهج الإصلاح

(دراسة في رسائل الإمام الشهيد)

إعداد

د. محمد عبدالرحمن المرسي رمضان

تقديم

م. محمد خيرت الشاطر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية للناشر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢١٨٢١

الترقيم الدولي: I.SB.N

977-265-683-3

التقديم

بقلم المهندس / **محمد خيرت الشاطر**

إن دعوة الإمام الشهيد تعتبر هي الدعوة الكاملة الشاملة لكل معانى الإسلام والمكافئة للواقع من حولها.

لقد كان كشعاع الفجر الذي يبدد الظلام الحالك الذي أحاط بأمتنا الإسلامية، وهو بحق مجدد الإسلام في القرن العشرين.

فقد جمع بين الفهم الشامل الصحيح للقرآن ولهدى رسول الله ﷺ وبين الدراسة العميقة للتاريخ وتجاربه ولسنن الله في التمكين، وكذلك البصيرة النافذة لواقع الأمة الإسلامية وتشخيص دائها ومعرفة وسائل العلاج وأولوياته.

لقد سبقت الإمام الشهيد عدة محاولات للإصلاح ولكنها كانت قاصرة أو محدودة، فلم يتوفر لبعضها الفهم الشامل للإسلام، أو المعرفة العميقة بالواقع من حولها، أو أنها لم تراع سنن الله في التمكين، أو حدث لها انحراف عن مبادئها مع طول الزمن، أو تحولت إلى وراثة بعد مؤسسها وتقوقعت على نفسها، أو كانت ردود أفعال محدودة أو كلاما نظريا وشعارات دون بناء وتأسيس لدعوة ثابتة وحركة مستمرة.

لقد تميز الإمام الشهيد بالأسلوب العملى الذي يحوّل النظرات والأحلام إلى واقع مستمر مع قدرة عالية على التنظيم والإدارة تمكن بها - بفضل الله - من إرساء أساس الدعوة وإقامة جماعة تحمل لواء الإسلام، أساسها راسخ، استعصت على التصفية والإبادة.

وهذا البناء القوى المستمر يدل دلالة قاطعة على عبقرية البنا، وقد أجاب يوما من سأله: لماذا لا تكتب هذا العلم الغزير وتؤلف الكتب ؟ أجابه قائلا: إننى أربى وأؤلف رجالا يحملون الحق.

لقد كان الإمام الشهيد أول من تنبه إلى حقيقة حال الأمة، وأبعاد الخلل القائم، ومدى

التراجع الذي وصلت إليه، فلم يكن الخلل مقتصرا على إلغاء الخلافة أو فقدان وحدة الأمة، ولم يقف عند مجرد احتلال عسكرى أجنبي لبلاد الإسلام أو تخلف تكنولوجى في كل المجالات، إنما لأول مرة وصل التراجع في حال الأمة إلى درجة خطيرة، أصبحت فيها الأمة بمقوماتها الإسلامية خارج دائرة التمكين والسلطة، وامتد الأمر إلى الركائز والأسس التي يقوم عليها المجتمع والدولة.

ولم يكن يجدى مجرد إصلاح جزئى، أو تعديل في بعض النواحى، أو إصلاح بعض المجالات والأخذ بالتقنيات المتطورة؛فالخلل أعمق من هذا بكثير... لقد وصل الحال بالأمة إلى الخندق الأول في البناء والدفاع عن مقوماتها، وأصبح بنيان الدولة الإسلامية مفتقدا، وسلطانها الحقيقي غائبا لأول مرة منذ قيام دولة الإسلام في المدينة، ولهذا أصبح مشروع النهضة والإحياء يبدأ من نفس الخطوات التي بدأ بها رسول الله ﷺ.. يبدأ من بناء الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع.. حتى يصل إلى مرحلة التمكين وإقامة الدولة، ثم يستمر حتى يحقق أستاذية العالم.

كان إدراك الإمام الشهيد لهذه الحقيقة وذلك الحال عميقا واضحا محددا، وقد حوله – بفضل الله – إلى برنامج عملى، متعدد المراحل، ومتصل الأهداف، مستهديا بنفس خطوات الرسول ﷺ عندما بدأ دعوة الإسلام الأولى وأسس الدولة القدوة والنموذج.

وكان له براعه سياسية ومرونة فائقة في مواجهة الأزمات والخطط المعادية، ولهذا لم يكن لهم حلٌ إلا بقتله والتخلص منه، ونسوا أن الدعوة التي أرسى كيانها ستستمر، فهي دعوة الله وستتقدم حتى تنتصر بإذن الله.

كان ﷺ حريصا على سلفية الدعوة، وعلى الاتباع لا الابتداع، مع الفقه العميق الصحيح للإسلام ولسنة رسول الله ﷺ.

وكرَّرَ في رسائله على هذه النقطة وأولاها كل أهمية، فيقول في رسالة (إلى أى شيء ندعو الناس): (يا قومنا إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام).

ومن أشد ما حرص عليه الإمام البنا في بناء الجماعة وتكوين الأخ المسلم هو تحقق ركن التجرد وعدم التعلق بالأشخاص والهيئات، بل أن يكون ارتباط الأخ الحقيقي وبيعته الأصيلة مع الله عز وجل.

يحضر ﷺ حفلا حاشدا، فيقوم أحد الحاضرين ويهتف بحياة حسن البنا - هذا أمر شائع معتاد مع كل الزعماء السياسيين - لكن حسن البنا رفض هذا ولم يسكت عنه وقال: إن اليوم الذي يُهتف فيه بحياة حسن البنا لن يأتى، وليكن هتافنا: الله غايتنا.. الرسول زعيمنا.. القرآن دستورنا.. الجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.. والله أكبر ولله الحمد.

ويؤكد في رسالة التعاليم: (وكل أحد يؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه).

وكان ﷺ في حياته مثالا لذلك، فكان الإخوان يناقشونه ويراجعونه وبعضهم كان يختلف معه أو يعاتبه.

ويقول أيضا: (إن الإخلاص أساس النجاح وإن الله بيده الأمر كله، وإن أسلافكم الكرام لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم، وطهارة أرواحهم، وذكاء نفوسهم، وإخلاص قلوبهم وعملهم عن عقيدة واقتناع، جعلوا كل شيء وقفا عليها حتى اختلطت نفوسهم بعقيدتهم، وعقيدتهم بنفوسهم، فكانوا هم الفكرة وكانت الفكرة إياهم، فإن كنتم كذلك ففكروا، والله يلهمكم الرشد والسداد، واعملوا والله يؤيدكم بالمقدرة والنجاح، وإن كان فيكم مريض القلب.. معلول الغاية.. مستور المطامع.. مجروح الماضى فأخرجوه من بينكم، فإنه حاجز للرحمة.. حائل دون التوفيق).

إن الإخوان - كما رباهم حسن البنا على الإسلام - لا يقدسون الأشخاص ولا يعبدونهم وإنما هم يعرفون أقدار الرجال وينزلونهم منازلهم، ويحرصون على آداب الإسلام وهدى الرسول ﷺ في التعامل مع قياداتهم وإمامهم.

كان ﷺ واثقا بيقين في صحة الطريق، وصواب المنهج، وفى تأييد الله عز وجل، ونصره

لدعوته.. جاب القطر كله داعيا لله، وأيقظ الملايين من غفلتها، وتحركت وراءه الجماهير، وسأله بعض من التقى بهم: هل سترى ثمار النصر ؟ فأجاب بقول الواثق المطمئن: ليس في جيلى أو جيلك، وإنما في الأجيال التي ستأتى بعد ذلك.

حدد الإمام في وضوح مهمة المسلم وعدته فيقول:

(**مهمتنا**: سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية كلها إلى نظم الإسلام الصالحة وتعاليمه التي لا يمكن بغيرها أن يسعد الناس.

ودعوتنا: أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده:

* بالله ونصره وتأييده..

* بالقائد ﷺ وصدقه وأمانته..

* بالمنهاج ومزيته وصلاحيته..

* بالإخاء وحقوقه وقدسيته..

* بالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته..

* وبأنفسهم.. فهم الجماعة التي وقع عليها القدر لإنقاذ العالمين).

واهتم بالشباب، ونجح أن يجعل منهم دما جديدا يسرى في جسد الأمة الإسلامية فيوقظها ويحركها.

وفى أواخر حياة الإمام وقبل استشهاده بنحو أسبوعين – والظروف يومئذ على أشدها – قال قائل: يا أستاذ، الإشاعات عنك كثيرة وعما سيكون معك. قال الإمام: ماذا سيكون؟ أهو القتل؟! إننا نعرف أنه شهادة، وهى أمنيتنا. قال السائل: والدعوة ؟!. قال الإمام: لقد أديت مهمتى وتركت رجالا ورأيت بعينى أنهم رجال، وسأموت الآن مطمئنا، والذي أريده هو أن أموت شهيدا. وتحققت الأمنية وكانت الشهادة.

إن المتأمل والدارس لفكر الإمام حسن البنا يجده يتسم بالواقعية التي تضبطها الأصول الفقهية بعيدا عن الإفراط أو التفريط، فكرٌ يخاطب العقول ولا يُكره النفوس، فكرٌ مسالم

لا يعرف عنفا ولا إرهابا، استمد أصوله من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعمل السلف الصالح.

لقد كان الإمام البنا في جيله ومرحلته، الرجل الذي جدد، مع من سبقه من رجال أفذاذ، لهذه الأمة أمر دينها، ونادى في الناس أن آمنوا بربكم وعودوا إلى منهاج رسولكم، فنهج نهج السلف الصالح ودعا بدعوته وأعاد للعقول منهاجا في التفكير الإسلامي السليم يقوم على:

أولا: تحرير العقيدة من زيف الجمود وما داخلها من أوهام وشبهات، مصححا التصور السليم لنظرة المسلم للكون والإنسان والحياة، ليتحقق التوازن والاعتدال وليكون للعقيدة أثرها في صناعة الرجال لتستعيد الشخصية الإسلامية الأخلاقية التي بناها رسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبى الأرقم، يبنى من هذه الشخصيات – رجلا كان أو امرأة – لبنات تكوِّن الأسرة التي تخرج الرجال، يصنعون أمة تقوم على الأخلاق قبل أن تقوم على النظام.

ثانيا: تخليص العقل المسلم من التركيز على النظرة الجزئية للإسلام ؛ لأن ذلك سوف يؤدى إلى تضخيم دور بعض الفرعيات والجزئيات، مما يخلّ بالنظرة الشمولية للإسلام.

ثالثا: كسر الجمود الذي أصاب العقل المسلم من غلق باب الاجتهاد الذي قتل الإبداع والعطاء عند الإنسان وأوقعه في التقليد المذموم، وحرم المسلمين من الحلول الإسلامية لمشاكل العصر بتفكير إسلامي يستفيد من تقدم الغرب المادي، بعيدا عن عالم الأفكار التي تصطدم بثوابتنا وأصولنا.

فكان لابد من نظرة شمولية للإسلام – وهكذا كانت نظرة الإمام البنا – ليستعيد المسلم تصوره السليم وتفكيره المنضبط، والذي سبقه به من قبل رجال نهلوا من نبع المصطفى ﷺ ونهجه، فبنوا به حضارة، وأقاموا نظاما، وأرسوا قيما خالدة في الأرض كلها.

وإنه منهج متكامل يدفع صاحبه للتلاحم مع أخيه ليصنع جماعة تبذل المُهج والأرواح لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وكذلك فعل الإمام البنا، **فكانت**

جماعة الإخوان المسلمين التي حملت هذا الفهم، ودعت إليه، وتحملت ما تحملت في سبيل تثبيته في المجتمع، فكم شهيد سقط في سبيله؟ وفى مقدمتهم مرشدها ومؤسسها حسن البنا – جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء – وكم من دماء سفكت ؟ وكم من أطفال يُتمت ؟ وكم من نساء ثكلت؟ – وندخر ذلك عند الله – حتى ثبت هذا الفهم وأصبح أمرا بدهيا لا يختلف عليه مسلم، بالرغم من كثرة الفتن وانتشار الشبهات والدعاوى الباطلة والجدل العقيم، وما أتى الإمام بجديد، ولكن جدد قديما كاد الناس أن ينسوه.

ولم تكن المشكلة سهلة كما يظن البعض، فإن ما أصاب العقل المسلم من صدوع ورضوخ وتشويه وغزو فكرى صدّه عن المضى إلى غايته، وحال بينه وبين رسالته، لا يمكن أن يُعالج في يوم وليلة، بمحاضرة عابرة من فرد، أو من درس هنا ودرس هناك من مفكر إسلامي، أو موعظة وقتية من عالم من العلماء الأجلاء، ثم يمضى إلى حال سبيله يبحث عن أخرى، أو مقال منشور سرعان ما ينتهي أثره بانتهاء قراءته، أو مؤلف مكتوب يُحفظ متنه، إنما هي معاناة طويلة وتربية تحتاج إلى جهد مضن؛ كي نترك رجالا، لا نترك كتابا وكفى؛ لأننا نريد أن نقيم دينا تقوم عليه حضارة ودولة، وأن نوقظ أمة تقود العالم.

إنه منهج يصنع الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهو يحتاج إلى: الفهم الصحيح.. والتكوين الدقيق.. والإيمان العميق.. والحب الوثيق.. والتنظيم المتقن، لنصنع نسيج جماعة يخاطبها ربها بـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يحسنون الصلة بالله أولا ليكونوا عبادا قبل أن يكونوا قوادا، فتصل بهم العبادة إلى أحسن قيادة، وذلك بـ: المنهج السديد.. والعمل الدؤوب.. والخُلق القويم.. والنَّفَسْ الطويل.. والصبر الجميل.. والموعظة الحسنة.. والمجادلة الحكيمة.. والوعى المستنير.. والمتابعة المتأنية ؛ لأن أى منهج إصلاحى للحياة وأى دعوة صادقة لا يتأصل فهمها على هذا الأساس، ولا تستمد ثوابتها وطريقها من الكتاب والسنة، هي دعوة مبتوتة اجتثت من فوق الأرض، فإذا ما اتصلت بمعينها ومصدر غذائها وحياتها أصبح أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

لقد بين الإمام البنا ذلك كله بيانا لا غموض فيه ولا اضطراب، من حيث: وضوح الفكرة، ووحدة التصور والسلوك، ووحدة الهدف والمصير، ووحدة الغاية، ووسائل تحقيق ذلك كله. لقد شعر الإمام البنا أن المسلمين في أمسِّ الحاجة إلى ضبط المفاهيم لتنضبط الحركة، وتحديد التصورات ليستوى الصف، وتوضيح الرؤى ليصح المسير إلى الغاية المنشودة.

ونحن نعتمد الحوار والإقناع ومقارعة الحجة بالحجة..

فنقول للمخالفين: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]..

وللمجادلين: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١]..

وللمعاندين: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]..

لأن شعار كل داعٍ إلى الله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]..

فمن خالفهم من المسلمين بعد ذلك أو العاملين في حقل الدعوة الإسلامية نقول له: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه..

فإن أبى، قلنا: سلام عليكم لا نبتغى إلا الحب في الله..

وهذه الدراسة تشكل رؤية شاملة وواضحة لمنهج التغيير وتحقيق الأهداف، وفيها إجابة على كثير من التساؤلات، وتوضيح لقضايا اختلفت فيها الرؤى، وتضاربت فيها الأفكار، وهى خطوة جادة على طريق وضوح الرؤية وبيان منهج دعوة الإخوان وأهدافها، وهى إضافة لرصيد الكتابات التي ينشرها ويكتبها دعاة الإخوان ؛ لتوضيح دعوتهم، وإزالة الشبهات عنها، وكاتبها ممن تربوا في صفوف الجماعة وحمل دعوتها وثبت على مبادئها، ولا نزكى على الله أحدا.

القاهرة في **المهندس**

رمضان ١٤٢٦هـ **محمد خيرت الشاطر**

أكتوبر ٢٠٠٥ **نائب المرشد العام للإخوان المسلمين**

المقدمة

مقدمة الطبعة الأولى

عبر مسار التاريخ الحديث، برزت دعوات إصلاحية كثيرة، توهجت فترة، ثم لم تلبث أن انطفأت أو انحرفت عن منشئها ومبدئها بعد فترة، أو تحول تيارها واستوعبتها الأحداث والتطورات، وأصبحت في ذاكرة التاريخ.

وهذا التحول أو الضعف كنا نشاهده بعد جيل أو اثنين لهذه الدعوات أو بعد أحداث شديدة ألمت بها.

لكننا أمام **دعوة الإخوان المسلمين**، والتي أسسها **الإمام الشهيد** حسن البنا – **نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحداً** – في شهر ذي القعدة عام ١٣٤٧هـ، مارس ١٩٢٨ ميلادية، وعمره يناهز وقتها اثنين وعشرين عاماً، واستشهد في ريعان شبابه عام ١٩٤٩م.. نرى أمراً مختلفاً.. نرى دعوة قوية شامخة مضى عليها أكثر من سبع وسبعين عاماً وهى ماضية في طريقها على نفس المبادئ لم تنحرف أو تتبدل أو تنطفئ شعلتها أو تنكس رايتها، برغم كل المحن والمؤامرات وكل المعوقات والتضييق والإيذاء.

وتتوالى الأجيال وتتلاحم في هذه الدعوة وهى على نفس الدرب والمبادئ والأهداف التي تجاهد من أجلها، حتى أصبحت هي الطليعة الرائدة في ميدان المعركة بين الإسلام والباطل، وأصبحت – بفضل الله – أمل الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها لتقودها لاستعادة مجدها بإذن الله.

نرى ذلك بعين اليقين، فندرك أن ذلك بفضل الله وبركته ورعايته لهذه الدعوة، وندرك أيضاً مدى قوة التأسيس.. والتربية.. وإعداد الرجال في هذه الجماعة على يد الإمام الشهيد والرعيل الأول.

وبعد:

فهذه دراسة تجميعية في رسائل الإمام الشهيد وبعض مقالاته، تمثل جهدا فرديا يقبل الصواب والخطأ، نستشف من خلالها رؤيته لمنهج الإصلاح والتغيير، ونحيط بالأهداف العليا التي تسعى الدعوة لتحقيقها.

ومع تركيز هذه الدراسة على ما كتبه الإمام الشهيد، فقد استعنا قليلا ببعض ما كتبه تلاميذه ؛ وذلك لمزيد من الإيضاح أو التفصيل.

وكذلك هناك قدر من تكرار أقوال الإمام الشهيد في بعض الأبواب والفصول، وقد فضلنا إعادة ذكرها بدلا من الإشارة للرجوع إليها ؛ وذلك تسهيلا للقارئ وإيضاحا للمعنى في ذلك المكان.

كما أكثرنا من ذكر كلمات الإمام الشهيد، واجتهدنا في جمع ما قاله متفرقا في الموضوع الواحد؛ لنقترب أكثر من رؤيته الشاملة، ولا يكون العرض من زاوية ضيقة أو رؤية مبتورة.

وهذا الرصيد الثمين الذي تركه لنا الإمام الشهيد بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل، حيث كتبه الإمام وخاطب فيه دعاة الإسلام من خلال فهمه العميق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنن الكون في التغيير، وأحداث التاريخ وتجارب الدعوات السابقة.

فجزاه الله عنا وعن الإسلام وأهله خير الجزاء.

كما أرجو أن يتسع صدر القارئ العزيز لهذه الصفحات إذا وجد فيها اختلافا أو خطأ أو قصورا، وألا ينسانا من دعائه الكريم.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

المنصورة في: رمضان ١٤٢٦هـ

أكتوبر ٢٠٠٥م

المؤلف

د.محمد عبدالرحمن المرسي رمضان

مقدمة الطبعة الثانية

يتناول هذا الكتاب ثلاثة محاور رئيسية:

- **المحور الأول**: يشير إلى أصل الدعوة وغايتها وآلية التغيير والتمكين.
- **والمحور الثاني**: يتناول ركن العمل بما يشمله من توضيح للأهداف والمراتب.
- **والمحور الثالث**: يوضح بعض السياسات ويجيب على بعض التساؤلات المثارة.

وتقوم هذه الرؤية التي نقدمها في هذه الصفحات، على الاسترشاد بأقوال وتوجيهات الإمام الشهيد، وبذلك تكون أقرب إلى الشرح والتوضيح انطلاقاً من الفهم الذي تربينا عليه ومن واقع العمل الميدانى الذي نعيشه كفرد وجندى في صف جماعة الإخوان المسلمين.

ولم تزدنا الأيام والأحداث إلا يقيناً بصحة المنهج الذي حدده الإمام الشهيد والطريق الذي رسم معالمه ومراحله.

تأتى هذه **الطبعة الثانية** وقد اشتدت الهجمة على الجماعة في مصر وفى فلسطين الحبيبة.

والجماعة تسير على طريقها بثبات وتواجه هذه العواصف بصمود وإصرار على العمل مهما كانت التضحيات.

تأتى وقادتها ورموزها في السجون يدفعون ضريبة الدعوة والجهاد في سبيل الله وعلى رأسهم المهندس محمد خيرت الشاطر فك الله أسره وحفظه من كل سوء هو وإخوانه الكرام.

وهناك بعض الزيادات في باب التساؤلات وتوضيح مواقف الدعوة ظهرت أثناء الحوارات المختلفة منذ صدور الطبعة الأولى.

والله الموفق وله الفضل والمنة أولاً وأخيراً

المؤلف

الباب الأول

وضوح الرؤية
حول دعوة الإخوان

أولاً: المنطلق

ثانياً: الواقع.

ثالثاً: المعوقات وعوامل النجاح.

رابعاً: الخصائص

وضوح الرؤية حول دعوة الإخوان

أولا : المنطلق

■ **الدعوة مشروع إسلامي للنهضة:**

يقول الإمام الشهيد[1] في رسالة « دعوتنا »:

« نحب أن نصارح الناس بغايتنا ونجلى أمامهم منهاجنا وأن نوجه إليهم دعوتنا في غير لبس ولا غموض، أضوأ من الشمس، وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار..والفرق بيننا وبين قومنا – بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ – أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم، على حين أنه إيمان مشتعل قوى يقظ في نفوس الإخوان المسلمين... نحن نفهم الإسلام فهماً فسيحاً واسعاً ينتظم شؤون الدنيا والآخرة، وليس مقصوراً على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية...»[2].

فالدعوة وأهدافها ووسائلها ومنهاجها وشعاراتها واضحة محددة، معلنة لا سرية فيها ولا إخفاء، ولا مداراة فيها أو مجاملة، ولا حرج فيها أو شك، منطلقها ومرجعيتها الإسلام، وصبغتها الإسلام، وغايتها الله عز وجل.

كما تحقق الدعوة شمولها وإحاطتها بكل المظاهر العملية والصفات الدعوية للإسلام، ولكل نواحى الإصلاح المنشود، لا تنحصر في جانب دون آخر، أو تكتسب صفة دون أخرى، حريصة على الرجوع إلى الإسلام الصافى النقى كما جاء به رسول الله ﷺ متبعة منهج الصحابة والسلف رضوان الله عليهم، مدركة بعمق وشمول في الرؤى لواقع الأمة وما تتعرض له من أخطار وعقبات، والعلل والأسباب، تعرف بوضوح طريقها ومراحله

(١) نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدًا .

(٢) مقتطفات مختصرة من رسالة : دعوتنا،ص١٣،١٦،١٨ .

ووسائل العلاج ومنهاجه: « فهي دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية[1]، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية.. إلخ »[2].

أى أننا نحمل: « مشروعاً إسلامياً على منهاج النبوة » لنهضة الأمة، وهذا يعنى أننا لسنا مجرد حزب سياسى من المسلمين له توجهات إصلاحية إسلامية، لكن لنا مشروعنا الإصلاحى الإسلامي الذي هو جزء نابع من الصبغة الإسلامية الكاملة التي نصطبغ بها والهوية الإسلامية التي نتصف بها، وهو مشروع مرتبط بمهمة المسلمين في الحياة التي لخصتها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٧، ٧٨][3].

يقول الإمام الشهيد: « أيها الإخوان المسلمون..بل أيها الناس أجمعون.. لسنا حزباً سياسياً، وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا، ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا، ولسنا فرقاً رياضية وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا، لسنا شيئاً من هذه التشكيلات، فإنها جميعا تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة ولكننا أيها الناس فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج لا يحدده موضع، ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافى، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين»[4].

ومع وضوح أن الدعوة لا تنحصر في حزب سياسى أو جمعية خيرية أو مجال محدود

(١) لاحظ دقة لفظ الإمام حيث قال : « حقيقة صوفية »،ولم يقل : « طريقة صوفية » .

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٣ .

(٣) رسالة وضوح الرؤية للأستاذ / مصطفى مشهور،ص٤ .

(٤) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص ١٩٧.

المقاصد، إلا أن الدعوة تستفيد من هذه المنافذ وتلك الواجهات وهذه الوسائل الفعالة لنشر الدعوة وتحقيق أهدافها الإسلامية الواضحة وممارسة وجودها الاجتماعى، فلها أن تشكل الجمعيات الخيرية والهيئات الرياضية وكذلك الحزب السياسي المدنى (ذو المرجعية الإسلامية في برنامجه أو المنهج الإصلاحى الجزئى، أو حزبا سياسيا يعبر عن رؤية الجماعة ووجهة نظرها السياسية) وأن تتعاون مع الآخرين في ذلك ؛ فكلها واجهات تخدم الدعوة وتعبر عن جزء منها ولا تتعارض مع شمولية الدعوة وأصلها الثابت، ولا تشكل بديلا عن الجماعة وشمول منهجها وتكوينها، أو تنحصر فيها.

ولا يهم في هذه الواجهات الأسماء والعناوين مادام الهدف منها واضحا محددا، والضوابط الصحيحة متحققة، ولا يوجد منها خروج على مبادئ الإسلام وعقيدته، كما أنها تكون ملتزمة بالضوابط القانونية التي يضعها المجتمع في ذلك المجال ولا تخرج عليه، كما أنها تسلك في أدائها والمطالبة بحقوقها مسار النضال الدستورى والمجاهدة القانونية.

«هذه منزلتكم فلا تصغروا في أنفسكم فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا في دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التي تبررها الضرورات وتذهب بها الحوادث والأيام»[1].

■ **الباعث والرسالة والهدف:**

فالباعث الحقيقي لنشأة الدعوة يتمثل في « الاعتقاد الجازم بأن رضا الله سبحانه وتعالى وبراءة ذمتنا يوم العرض عليه، توجب علينا العمل الجماعى لأداء تكاليف الشريعة عامة ولإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى خاصة وفق الفهم الصحيح للإسلام الذي عبرت عنه رسالة التعاليم عموماً وركن الفهم منها على وجه الخصوص. وينبنى على هذا الباعث أن تكون كافة ممارساتنا الجماعية نابعة من المنطلق التعبدى، وأن يكون العمل الجماعى

(١) المرجع السابق،ص ١٩٨.

- وكذلك الجماعة - ليست غاية ولا وسيلة ولكنها فريضة. وأن الحاجة إلى الجماعة تظل قائمة مادام التكليف الشرعى الباعث على إنشائها لم ينتف ».

ويشير الإمام الشهيد إلى طبيعة المرحلة التي تواجهها الأمة وتفرض هذا التكليف عليها: « وشاءت الظروف أن نواجه أغاليط الماضى، وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر.. وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا.. واسترداد عزتنا ومجدنا.. وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا.. وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها »[1].

وبهذا يمكن تلخيص الرسالة التي تسعى الجماعة لتحقيقها في:

« العمل على أن تكون كلمة الله هي العليا، بأن تسود قيم وأحكام الإسلام وشرائعه في ربوع العالم ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وذلك بالنهوض بالأمة الإسلامية لتتبوأ مكانة أستاذية العالم وتقوم بواجب الشهادة على العالمين ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وبالتعاون فيما بيننا على القيام بالتكاليف والواجبات الشرعية المناطة بنا ».

وتمثل هذا في الأهداف التالية:

١- تكوين الفرد المسلم.

٢- والبيت المسلم.

٣- والمجتمع المسلم.

٤- تحرير الوطن من كل سلطان أجنبي.

٥- إقامة الحكومة المسلمة وإصلاحها.

٦- إعادة الكيان الدولى العالمى للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها، وتحقيق الوحدة المنشودة، وإقامة الخلافة المفقودة، واسترداد الديار السليبة.

٧- أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه.

---

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟،ص٦٩ باختصار .

ويشرح الإمام الشهيد أهداف الدعوة وتحويلها إلى منهج عملى يوضح مقاصدها، فيقول في ذلك: « فكانت أغراضكم وأهدافكم هي أغراض الإسلام الحنيف ومقاصده:

١- تصحيح فهم المسلمين لدينهم، وشرح دعوة القرآن الكريم شرحا واضحا، وعرضها عرضا كريما يوافق روح العصر، ويكشف عما فيها من روعة وجمال، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

٢- ثم جمع المسلمين عمليا على مبادئ كتابهم الكريم بتجديد أثره البالغ القوى في النفوس.

٣- ثم خدمة المجتمعات وتنقيتها بمحاربة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع البر والنفع العام في أى صورة.

٤- ولن يستشعر أحد العزة والكرامة ويتذوق طعم الحياة الكريمة إلا إذا شبع بطنه، واستغنى عن غيره، وتوفرت له ضروريات حياته، وإلى ذلك نظر الإسلام، فلم يهمل المعانى الاقتصادية، ولم يتغافل عن الإصلاح المالى.. بل إنه وضع لذلك أفضل القواعد التي تنمى وحدة الأمة أفرادا وجماعات، وترفع مستوى المعيشة، وتقرب بين الطبقات، وتؤمّن الجميع على أنفسهم وذراريهم وأولادهم، وتضمن لهم العدالة الاجتماعية الصحيحة، وتوفر الفرص المتكافئة للجميع على السواء... إلخ.

٥- وإذا كانت هذه الأهداف جميعا لا تتحقق إلا في ظل الدولة الصالحة.. فكان لا بد أن تطالبوا بحق الإسلام في إقامة الحكومة التي ترتكز على أصوله وأحكامه وتعاليمه.

٦- وشرط ذلك الحرية والاستقلال الكامل، فكان طبيعيا أن يكون من أهدافكم -كدعوة إسلامية صحيحة كاملة - تحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي.

٧- ودعوة الإسلام الحنيف ليست قاصرة على شعب دون شعب أو قطر دون قطر، فإن الله يقول لنبيه ﷺ:

- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]

- ويقول: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]

- ويقول: ﴿ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١].

وذلك أول أساس روحي وعملي وضع في هذه الأرض للوحدة العالمية.. فمن دعوتكم أيها الأخوة الأحبة أن تساهموا في السلام العالمى وفى بناء الحياة الجديدة للناس؛ بإظهارهم على محاسن دينكم وتجلية مبادئه وتعاليمه لهم وتقديمها إليهم.

تلك هي مقاصد دعوتكم، وأغراض هيئتكم، كلها من الإسلام الحنيف، لا تخرج عنه قيد شعرة، و ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] »[1].

(١) اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٤٩ .

ثانيا : الواقع

■ **طبيعة المرحلة وحقيقة المعركة:**

إن وضوح الرؤية في الغاية والأهداف لا يكتمل إلا بوضوح الرؤية لطبيعة المرحلة، وحقيقة المعركة، وإدراك حجم التحديات لتسير الدعوة على هدى وعلى بصيرة.

والدعوة الإسلامية في العصر الحديث، كشأن دعوات الإصلاح عبر التاريخ والتي قادها الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لا تجد بيئة مساعدة تسهل عملها وتوفر عليها الجهد، وإنما تواجه بمعوقات وصعوبات، وعلى أصحاب الدعوة أن يدركوا أن الطريق طويل وشاق يقوم على العزيمة والتضحية، مفروش بالأشواك والأشلاء والدماء، يتطلب الصبر والثبات والتجرد الكامل لله.

ودعوة الإخوان كذلك - وهى تواجه واقعا صعبا للأمة الإسلامية ؛ نتيجة تراكمات مئات السنين من: التدهور، والبعد عن منهج الله، والتطبيق الصحيح الشامل له، والتشرذم، والتفرق، وغلبة الأعداء عليها - تدرك جيدا هذا الواقع، ومقدار العبء الذي تتحمله، والمعوقات التي تعترض طريقها، وطبيعة الأعداء الذين يتربصون بها، ويشمل ذلك:

أ- **انحراف وجمود الأفكار والمفاهيم**، والمتمثلة في:

١- قصور فهم الناس للإسلام، وجهلهم بدعوة الإخوان.

٢- استغراب العلماء التقليديين وغيرهم الفهم الشامل للإسلام، وحصره في مجرد الطقوس والعبادات وبعض الأخلاقيات الشخصية.

٣- الانشغال بالفرعيات وبما يفرق الأمة، وجمود الاجتهاد ومواكبة العصر.

٤- وجود تيارات وأفكار منحرفة عن مفاهيم الإسلام وعقيدته، تهاجم قيمه، وتطرح بدائل خارج قيم المجتمع المسلم، وتتلقى الدعم والتأييد من الداخل والخارج.

٥- تعدد مناهج ورؤى العاملين في ميدان الدعوة الإسلامية وقصورها والعداوة والتنابز فيما بينهم.

ب - **تدهور حال المجتمع ومؤسساته**، ويتمثل ذلك فى:

١- انفصال أثر العبادة عن السلوك والأخلاق، فنجد الحرص على أداء الصلوات والصيام والذهاب للمساجد... إلى غيره من العبادات الشخصية دون أن يمتد أثر ذلك بوضوح في سلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم.

٢- رسوخ عادات وأخلاق سيئة توارثتها الأجيال، وهى تخالف قيم ومبادئ الإسلام.

٣- ضياع الهوية والأهداف القومية وهبوط الروح المعنوية.

٤- انهيار معدن الشخصية المسلمة في المجتمع، وضعف رصيدها الإنسانى من مؤهلات النجاح، من: الجدية، والرجولة، والإقدام، والطموح إلى غلبة الأنانية، والفرقة، والتنابز، والاستكانة، وضعف الشخصية السوية المنتجة والمفكرة.

٥- انتشار الفساد والمفسدين واللصوص الذين ينتهبون أموال الشعب دون رقيب أو حسيب.

٦- تدهور مؤسسات المجتمع: التعليمية، والاقتصادية، والقضائية، والإعلامية... إلخ، والتخلف العلمى والحضارى حتى أصبحنا تابعين لا نعرف استقلالا حقيقيا.

جـ - **فساد الحكم وتخبط السياسات، ومن مظاهره**، بالإضافة إلى ما سبق:

١- تدهور الحرية السياسية، وفقدان الإحساس بها والمطالبة بها من جموع الشعب، وانتشار الاستبداد السياسي في أنظمة الحكم.

٢- الانخداع بالنصابين والدجالين من الزعماء والقادة، وقد أعطاهم الشعب ثقته وبذل لهم من نفسه، فاستبدوا به، وكان رد فعل ذلك عندهم التشكيك في أصحاب الدعوات أو الانصراف عنهم.

٣- خلل القوانين، وقصورها، وتضاربها، والالتفاف حولها، وعدم احترامها.

٤- سيطرة أنظمة مستبدة على مقدرات الحكم، تتواصل مع قوى الخارج، وتعمل في إطار هذه القوى وتستقوى بها على شعوبها، مما يجعلها وسائل وأدوات لضرب الصحوة الإسلامية ونهضة الأمة، وضرب أى قوة أو تيار يستشعر أنه خطر على كرسى الحكم.

٥- حالة التفرق والصراعات بين دول العالم الإسلامي، وداخل كل دولة، وغير ذلك من مشاكل صنعها الاستعمار بينهم.

٦- غياب التطبيق الصحيح والشامل لشريعة الإسلام، ومحاولة إبعاده عن التأثير الفعال في حياة الناس والمجتمع.

د - **التآمر الداخلى والخارجى على الدعوة وعلى الأمة**، والمتمثل في:

١- وجود الحاقدين والطامعين والمنافقين من شتى الأنواع؛لمواجهة الدعوة، وبسط يد الإيذاء لها، والتقرب بذلك لذوى النفوذ والسلطان.

٢- قوى الإلحاد والتآمر على الإسلام من فئات داخل الوطن والمجتمع، تعمل على تخريبه وإبعاده عن الإسلام.

٣- التآمر الخارجي من شتى أصناف الأعداء من الدول الأجنبية والاستعمارية، ضد الإسلام والمسلمين، وكذلك لتحقيق أطماعهم ومصالحهم الخاصة على حساب شعوب ودول العالم الإسلامي، وإن قيام إسرائيل في قلب الوطن العربى يشكل حلقة من حلقات هذا التآمر.

٤- لقد وصل الأمر إلى فقدان الركائز والمقومات الأساسية للمجتمع والأمة وغياب

التمكين الحقيقي لدين الله في الأرض، وأصبح الخلل عميقا مما لا يجدى معه إصلاح جزئى، وإنما يتطلب تغييرا شاملا وعودة إلى نفس الخطوات التي بدأ بها رسول الله ﷺ.

والناظر إلى المعركة الدائرة بين أمة الإسلام وبين عدوها الخارجي قد يظن لأول وهلة أنها صارت معركة غير متكافئة ؛ إذ يرى التفوق المادي الساحق لأعداء الإسلام على المسلمين:

- فهناك الفجوة الهائلة في امتلاك أسباب القوة العسكرية بين المسلمين وأعدائهم.
- وعلى الصعيد السياسي، فإن الكيانات السياسية التي تضم المسلمين - على اتساع الكرة الأرضية - لا تملك استقلال الإرادة السياسية وحرية القرار.
- وعلى الصعيد الاقتصادي، مع أن المسلمين يتمتعون في بلادهم بثروات هائلة، لكنهم لا يملكون على أرض الواقع استقلالاً اقتصادياً ولا هم مسيطرون على ثرواتهم سيطرة حقيقية، فإننا نعانى من التبعية الاقتصادية.
- وعلى المستوى العلمى والتطبيقى فإن إدراك الفجوة الهائلة بيننا وبين أعدائنا لا يحتاج إلى جهد.

ورغم هذا ما زال هذا الطرف المتفوق يكيل لنا الضربات ويحتاط منا ويعدنا العدو الأول الذي يخشى جانبه ؛ لأنه يعلم جيداً أنه لم يكسب حقيقة المعركة والصراع حتى الآن وأنها لم تحسم بعد، فهو مستمر في حربه.

لقد نجح عدونا إلى حد ما في تفريغ عموم الإنسان المسلم والمجتمع من مظاهر الإسلام، لكنه صدم أيما صدمة حين وجد كيان الفرد المسلم يمتلئ إسلاماً مرة أخرى بمجرد أن سنحت له فرصة.

لقد أدرك العدو أن كيان الإنسان المسلم مازال سليماً يصلح أن يحمل إسلامه الكامل يوماً ما.

لذلك فإن ميدان المعركة الحقيقية الذي يحارب فيه عدونا الآن هو ميدان كيان الإنسان المسلم في الأساس، كفرد وكأسرة وكمجتمع بقيمه وعاداته.

إنه يسعى لإفساد هذا الكيان وأن يفرغه تماما من أركان الإسلام ليمتلئ بغيره، فلما أحس بالفشل في إخراجه من دينه قرر أن يثقب هذا الإناء حتى لا يصلح أن يحتفظ بالإسلام ويتحرك به مستقبلاً. إن عدونا لا يكتفى بتلك الفجوة الحضارية في المجالات العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية وغيرها، وإنما يملؤه الرعب من المارد المسلم النائم... ومن ثم كان جوهر المعركة وميدانها الحقيقي: تكوين الإنسان المسلم والمجتمع المسلم.

إن ميدان المعركة بيننا وبينهم الآن هو الهوية والخصائص والتكوين والصبغة الإسلامية.

يقول الإمام الشهيد موضحا حال الأمة والمجتمع: «.. ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب الحياة المصرية: فأسماؤها إسلامية، ولغتها عربية، وهذه المساجد العظيمة يُذكر فيها اسم الله، ويعلو منها نداء الحق صباح مساء، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام، كل ذلك حق، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزوا قويا عنيفا بالعلم والمال وبالسياسة والترف والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التي لم نكن نعرفها من قبل، فأعجبنا بها وركنا إليها، وأثّر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر، وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية في كثير من شؤونها الهامة، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب، وفصلنا عنه شؤون الحياة العملية، وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة، وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة.

وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقى لنا من شؤوننا الحيوية»[1].

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص ٢٣٨ .

ويصف الإمام هذا الداء الذي استفحل في المجتمع فيقول: «.. ضعف الأخلاق وفقدان المُثل العُليا، وإيار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والجبن عن مواجهة الحقائق، والهروب من تبعات العلاج، والفرقة.. قاتلها الله. هذا هو الداء »[1].

- إن عداء الغرب والصهيونية مع العالم الإسلامي - أو مع المشروع الإسلامي للنهضة - ليس مجرد مطامع اقتصادية أو تجارية - وإن كان ذلك جزء من مشروعهم - إنما الاستهداف قائم أساسا على مقاومة قيم الإسلام المتكامله وحضارته الشاملة.

يقول « مورو بيرجر » في كتابه: (قوى الشر المتحالفة): « إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام ؛ للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدى إلى قوة العرب ؛ لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره »[2].

لكن هذا الخطر الخارجي لا يشكل النقطة الحاسمة والخطر الداهم على الإسلام، فالأساس هو في مدى تمسكنا بمنهج الإسلام وأهدافه، ومدى وحدة صفنا وثباته على أهدافه وغايته.

فلا نجعل هذا العداء الخارجي شماعة لأخطائنا وتقصيرنا، أو نلجأ إليه عندما نفشل في مهمة، مع اليقين بوجود هذا العداء ودوره ؛ فإننا دعوة ربانية تستمد انطلاقها وتأييدها من الله رب العالمين، وتحكمها موازين الله وسننه في التغيير والتمكين.

ونأخذ بالوسطية، فلا نبالغ في هذا التأثير أو الخطر الخارجي أو نُبَسِّط أمره.

واستعان الأعداء في معركتهم هذه بالمخدوعين والسفهاء من بلاد المسلمين كأدوات وحكام باعوا آخرتهم بدنياهم ؛ لطمس الهوية الإسلامية وإفساد تكوين الإنسان المسلم، ويسلكون في سبيل باطلهم كل وسائل التربية النظرية والعملية من خلال الإعلام والتعليم والإفساد الاقتصادي والاجتماعي .

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥٢ .

(٢) نقلا عن جريدة (آفاق عربية) الصادرة في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٥م،ص١٦.

هم يستخدمون أذناباً محلية وإقليمية لمحاربتنا.. هذه الأذناب ما هي إلا حبالهم وعصيهم يُخيّل إلينا أنها تسعى. أما أذرع البطش الممتدة ضدنا من أجهزة هؤلاء فقد بلغ من حمقها أن باعت آخرتها بدنيا غيرها دنيا السفهاء والحكام.

من أجل ذلك كانت الرؤية عندنا واضحة حين أصررنا على أن نجاهد في الميدان الفعلي للصراع، ميدان التربية والتكوين والحفاظ على الهوية الإسلامية.

وكانت الرؤية واضحة حين تعالينا على التورط - مثلما تورط غيرنا - في اتخاذ الأدوات السفيهة والأجهزة الحمقاء أعداءً أو أهدافاً لنا من دون العدو الحقيقي رأس الأفعى.

ومن هذه الرؤية الواضحة نبع منهجنا في التغيير بكل خصائصه، ومنها نبذ العنف حتى وإن مارسته ضدنا أدوات سفيهة أو أجهزة حمقاء تدرك - أو لا تدرك - أنها باعت آخرتها بدنيا غيرها.

وهكذا لا تستدرجنا المناوشات والهجمات التي تشنها الأدوات والأجهزة عن إدارة المعركة الحقيقية..ولا يخدعنا تصدير هذه الأدوات والأجهزة بالإيذاء والتضييق، فتلهينا بعداواتها عن العدو الحقيقي الذي يستخدمها ويغريها - سواء كانت مدركة أو غير مدركة لذلك - حتى يصرفنا عن المعركة الحقيقية التي يريد حسمها لصالحه.

■ **حول وجوب الدعوة:**

ومهما أحاط بنا من تضييق أو اتسع الفارق بين الواقع والأهداف، فلا يجب أن يتطرق اليأس أبدا أو أن يكون ذلك مبررا لترك الدعوة، فيقول الإمام في وجوبها مهما كانت النتائج: « وصفوة القول:

١- أن الدعوة واجبة علينا مُعلقة بأعناقنا، فإن ظفرنا منها بما نحب من خير هذه الأمة وهدايتها فذاك، وهو المأمول بحول الله وعونه.

٢- وإلا فحسبنا أن نكون قنطرة تعبر عليها فكرة الدعوة والإرشاد إلى من هم أقدر منا على التنفيذ، أو بعبارة أخرى حسبنا أن نكون حلقة اتصال بين من تقدمنا ومن سيأتون من بعدنا.

٣- وإلا فحسبنا أن نعذر إلى الله، وأن نؤدى الأمانة، ونقوم بالواجب. غرض يُقصد لذاته أولا، ثم لفائدته ثانيا، وتأمل قول الله تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]

- تلك ثلاث مراتب من أغراض الدعوة، أعلاها أولها ؛ ليتضح لنا كيف أن الدعوة إلى الله فريضة لا يخلصنا منها إلا الأداء، ولا يُقبل فيها عذر ولا هوادة »[١].

ويقول أيضا للإخوان: « اذكروا نعمة الله عليكم، واقدروا أنفسكم، واقدروا دعوتكم، وأبشروا ؛ فالمستقبل لكم، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم »[٢].

ويقول: « إن العامل يعمل لأداء الواجب أولا ثم للأجر الأخروى ثانيا ثم للإفادة ثالثا، وهو إن عمل فقد أدى الواجب وفاز بثواب الله ما في ذلك من شك متى توفرت شروطه، وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله، فقد تأتى فرصة لم تكن في حسابه تجعل عمله يأتى بأبرك الثمرات، على حين أنه إذا قعد عن العمل فقد لزمه إثم التقصير وضاع منه أجر الجهاد وحرم الإفادة قطعا »[٣].

ويقول أيضا: « قد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته، وأن يحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية، أما تلك الغفلة السادرة، والخطرات اللاهية، والقلوب الساهية، والانصياع الأعمى، واتباع كل ناعق، فما هو من سبيل المؤمنين في شيء »[٤].

(١) من مقالة: (الدعوة إلى الله) للإمام الشهيد،مجلة الدعوة،العدد (٨٢) فبراير١٩٩٩م،نقلا عن كتاب : (الإمام الشهيد حسن البنا) للأستاذ / فؤاد الهجرسي .

(٢) اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٤٦.

(٣) رسالة : إلى أي شيء ندعو الناس،ص٥٤ .

(٤) رسالة : دعوتنا،ص١٥ .

ثالثا : المعوقات وعوامل النجاح

■ **تحديات وعقبات تواجه الدعوة:**

إن الواقع الموجود، وطبيعة المرحلة، وحقيقة المعركة - التي أشرنا إليها سابقا - ليمثل ذلك التحدى الأكبر الذي نواجهه.

وفى هذه المرحلة الحالية تواجه الدعوة التحديات في كل المجالات في تكوين الفرد والمجتمع المسلم وتظهر هذه التحديات في محاولات ثلاث[1]:

١- محاولات تمرير المشروعين الغربي والصهيونى بالتطبيع والهيمنة على مقدرات الأمة، ويوظف في هذا المشروع كافة المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

٢- محاولات إضعاف دورنا القيادى للحركة الإسلامية العالمية وريادتنا لها، هذه الريادة التي آلت إلينا عبر المسار التاريخى والواقع التطبيقى والثبات الدعوى في الأحداث، والفهم الشامل للدعوة الإسلامية وطبيعة المعركة.

٣- محاولات إخراجنا من ساحة التأثير في المجتمع وإقصائنا عن كافة الواجهات العامة إقليمياً ومحلياً.

وهو الإخراج المناظر لما قرره ورقة بن نوفل في قانونه: « قال ورقة للنبي ﷺ: إنه الناموس الذي نزل على موسى، وليتنى أكون معك جذعاً حين يخرجك قومك، قال النبي ﷺ: « أو مخرجّى هم ؟ »، قال ورقة: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا وأخرجه قومه »[2].

ويوضح الإمام الشهيد العقبات التي تنتظرهم، وأن هذا طريق أصحاب الدعوات:

« العقبات في طريقنا: أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير

(١) رسالة: وضوح الرؤية،للأستاذ/ مصطفى مشهور،ص١٩،٢٠ باختصار .

(٢) نقلا عن السيرة النبوية لابن هشام.

من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم: خصومة شديدة، وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات ».

« لازلتم مجهولين، ولازلتم تمهدون للدعوة، وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد ».

« سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم..

وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر جهادكم في سبيله..

وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان..

وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء..

وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم..

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم..

وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة، والأخلاق الضعيفة، والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان..

وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظُلَم الاتهامات..

وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم.. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[التوبة: ٣٢]

وستدخلون بذلك ولاشك في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم..

وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين..».

«... فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟ »[1].

ويوضح فضيلته أنها طريقٌ طويلة مملوءة بالكفاح والتضحية والصبر والمصابرة لكن ليس هناك غيرها:

« قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها.. » .

« فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات »[2].

■ **عدتنا في مواجهة المعوقات:**

- والإخوان يواجهون ذلك بنظرة شاملة ومنهج متكامل للإصلاح، يسير متوازنا في جميع محاوره، ولا يتعسف الخطوات والمراحل، وينهج أسلوب البناء وليس الهدم، ويتواصل مع الآخرين المخلصين العاملين لمصلحة الأمة ويدعم ائتلاف الكلمة ووحدة الصف والمجتمع.

- وقد رسَّخ الإمام الشهيد الأساس الذي به تواجه الدعوة المعوقات، وتتحصن به ضد الأعداء، وتستند إليه في تحقيق الأهداف، من: الإيمان العميق، والتكوين الدقيق، والعمل المتواصل، مع ترسيخ أركان البيعة في جميع أفراد الصف، وحسن التوكل على الله، واليقين والأمل في تأييده سبحانه ونصره للدعوة.

- ويركز منهج الإخوان وبرنامجهم في إصلاح المجتمع على إيقاظ الفرد وتربيته وإحياء الأمة وتفعيلها.

ونقطة الانطلاق التي تحقق هذا هي: الإيمان بالله، والارتباط بكتابه الكريم، وأن يتربى الإخوان التربية الصحيحة العملية، وتتحقق وحدة الصف والمنهج.

---

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٩.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٧.

يقول الإمام: « إذا وُجد المسلم الصحيح، وجدت معه أسباب النجاح ».

ويقول: « وليس للأمة عدة في هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة، والعزيمة القوية الصادقة، والسخاء بالتضحيات، والإقدام عند الملمات. وبغير ذلك تُغلب على أمرها، ويكون الفشل حليف أبنائها »[1].

وأشار الإمام إلى جانب من عوامل النجاح والصمود أمام هذه العقبات:

« ١- أننا بحمد الله برآء من المطامع الشخصية، بعيدون عن المنافع الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس، ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته.

٢- قوة اليقين والأمل، فإننا نترقب تأييد الله ونصرته، ومن نصره الله فلا غالب له.

٣- قوة دعوتنا، وحاجة الناس إليها، ونبالة مقصدنا، وتأييد الله إيانا، هي عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق.

٤- آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

٥- وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات، وكونوا أقوياء بأخلاقكم أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء.

٦- وأقبلوا على القرآن تتدراسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها.

٧- وكونوا عمليين لا جدليين، فإذا هدى الله قوما ألهمهم العمل، وما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.

٨- وتحابوا فيما بينكم، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سرّ قوتكم وعماد نجاحكم.

٩- واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق، وهو خير الفاتحين.

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٦٩.

١٠- واسمعوا واطيعوا لقيادتكم، في العسر واليسر، والمنشط والمكره ؛ فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم.

١١- وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده، والفرصة آتية لا ريب فيها»[١].

ويقول: « وقد أعددنا لذلك: إيمانا لا يتزعزع، وعملا لا يتوقف، وثقة بالله لا تضعف، وأرواحا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة في سبيله »[٢].

ويقول: «... وأن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بـ: الجهاد، والتضحية، والبذل، وتقديم النفس والمال، فقدموا النفوس، وابذلوا الأرواح، وجاهدوا في الله حق جهاده... »[٣].

ويقول: «... فالجهاد من عدتنا كذلك... »[٤].

ويقول الإمام الشهيد أيضا في ذلك: « ولقد كنت وما زلت أقول للإخوان في كل مناسبة أنكم لن تُغلبوا أبدا من قلة عددكم، ولا من ضعف وسائلكم، ولا من كثرة خصومكم، ولا من تآلب الأعداء عليكم، ولو تجمع أهل الأرض جميعا ما استطاعوا أن ينالوا منكم إلا ما كتب الله عليكم.

ولكنكم تُغلبون أشنع الغلب وتفقدون كل ما يتصل بالنصر بسبب إذا: فسدت قلوبكم، ولم يصلح الله أعمالكم، أو إذا تفرقت كلمتكم، واختلفت آراؤكم.

أما ما دمتم على قلب رجل واحد متجه إلى الله تبارك وتعالى آخذ في سبيل طاعته، سائر على نهج مرضاته ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] ».

ونواجه الأهوال والأحداث والمستجدات بـ: « إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل،

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٩ ـ ١١١.

(٢) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٩.

(٣) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن ،ص١٩٤.

(٤) المرجع السابق .

ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره »[1].

وكذلك في قضية الوطن ونيل استقلاله وتخلصه من الاحتلال والحصول على حريات الشعب وحقوقه، يقول الإمام الشهيد: « لابد من جهاد طويل مرير شاق متواصل، ولن يكون هذا إلا بوحدة كاملة، وأخوة شاملة، وشعور جامع يضم القلوب إلى القلوب، والجهود إلى الجهود، واستقامة مع ذلك على منهاج الحق، واتجاه سليم صحيح إلى معلم الخير، ويوم يكون هذا فلن تقف عقبة واحدة في طريقنا، ولابد أن نصل في أقرب وقت - بإذن الله - إلى حقنا.. إيمان وحب يتألف منهما وحدة حقيقية، هي أشد ما نحتاج إليه الآن، فهل إليهما من سبيل.. ».

ويقول أيضاً: « إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ »[2].

« ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول...».

«.. ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض ».

« وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد »[3].

ويوضح أيضاً: « إن الإخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يوماً من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم فضلاً عن كمالياتهم، والفائض من نفقاتهم... ».

«.. إنهم يوم أن حملوا هذا العبء عرفوا جيداً أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال، فخرجوا عن ذلك كله لله، وفقهوا معنى قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٥.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٨.

(٣) المرجع السابق،١٨٧،ط.دار الدعوة.

فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس معتقدين أن الفضل كله لله ».

« فاستغنوا بما في أيديهم عما في أيدى الناس ومنحهم الله البركة في القليل، فأنتج الكثير »[1].

ويقول في مواجهة ما نلقاه من عقبات: « ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعاً أننا ندعو بدعوة الله، وهى أسمى الدعوات، وننادى بفكرة الإسلام، وهى أقوى الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن، وهى أعدل الشرائع: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وأن العالم كله في حاجة إلى هذه الدعوة، وكل ما فيه يمهد لها، ويهيئ سبيلها»[2].

■ **من عوامل نجاح الدعوات:**

يتحدث الإمام الشهيد - في استفاضة - عن عوامل النجاح ودعائم الدعوات الصالحة التي لا تنجح بغيرها، ويشير إلى واجبات الطريق وإلى أسلحتنا وعدتنا، بالإضافة إلى ما ذكره الإمام في خصائص الدعوة، هو منهاج نتربى عليه ونتمسك به فيقودنا إلى الفلاح والنجاح بإذن الله، ويوجه الإمام الإخوان إلى هذه الأركان واستيعابها والحرص عليها فيطلب منهم:

أ - الحرص عليها كاملة شاملة غير منقوصة.

ب - أنها لا تتوقف عند مرحلة، بل تستمر وتنمو معهم، وتزداد قوة وتأثيرا.

جـ - أن تتربى عليها النفوس في كل المستويات ؛ حتى ترسخ وتثبت، وتُختبر وتُمحص فتزداد ثباتا عندهم.

د - أن تكون قوية التأثير في نفوسهم وفى آثارها العملية والروحية.

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،١٨٧،ط.دار الدعوة.

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٩.

هـ - التواضع في ذلك، وتجنب الكبر والعجب، ورد الأمر والفضل والمنة بذلك لله في كل أمر وكل نجاح، ولا يتنافى هذا مع الاعتزاز بها ودوام تذكرها.

- ويشير الإمام إلى ذلك وإلى تلك الدعائم فيقول: « اذكروا هذا جيدا أيها الإخوان، لا للفخر، ولا للمباهاة، ولكن لتعلموا أن الله قد كتب لدعوتكم من: الإيمان.. والإخلاص.. والفهم.. والوحدة.. والتأييد..والتضحية، ما لم يكتبه لكثير من الدعوات الرائجة في السوق، العالية البوق، الفخمة المظاهر..

وتلك الصفات هي دعائم الدعوات الصالحة، فاجتهدوا أن تحرصوا عليها كاملة، وأن تُزيدوها في أنفسكم ثباتا وقوة، واعلموا أنه ليس لكم في ذلك فضل ولا منة ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] »[1]. ونستطيع أن نوجز تلك العوامل الأساسية والعدة المطلوبة في النقاط الآتية:

١- الإخلاص والتجرد لله والركون إليه والأمل فيه.

٢- بناء القوة الإيمانية والنفسية العظيمة.

٣- صحة الفهم وشموله، ووضوح الرؤية والغاية.

٤- حُسن بناء الفرد وتكوينه.

٥- قوة الرابطة والتنظيم ومتانة البناء الداخلى.

٦- العمل المتواصل والجهاد الطويل وما يتطلبه من تضحيات وصبر.

٧- الاستيعاب العملى لسنن الله في التمكين وقوانين التغيير ونواميس الكون وحسن الاستفادة منها.

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٤.

رابعا : خصائص الدعوة وسماتها

■ **دعوتنا إسلامية صميمة:**

إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة إسلامية صميمة في كل شيء، في شعاراتها.. ومبادئها.. ومنهاجها.. وأهدافها.. لا ترتضى بغير الإسلام بديلا، فخطابها وبرنامجها يقوم على الإسلام بالفهم الشامل الصحيح له « ولا يصطبغون بلون غير الإسلام »[1].

ولا يمكن أن يكون خطابها كدعوة جامعة مجرد خطاب سياسى عام يركز على قضايا العدل والمساواة ومواجهة الفساد إلى غير ذلك من المبادئ السامية التي هي جزء من الإسلام، ولكنه خطاب إسلامي يشمل الدين والدنيا ويهدف إلى تطبيق شريعة الإسلام تطبيقا شاملا حقيقيا وإلى تحقيق مبادئ الإسلام وأهدافه كلها - ولا بأس أن تتبنى هذه البرامج الإصلاحية ولكن كجزء من برنامجها الإسلامي وأهدافها الإسلامية التي تعلنها وتدعو إليها ولا تتراجع عنها بحجة عدم تأليب القوى عليها أو عدم مناسبة الجو حولها.

وإذا كانت للدعوة واجهات مختلفة وأوعية ووسائل ومنافذ تتحرك بها في المجتمع (كالجمعيات بمختلف أنواعها والأحزاب والنوادى والنقابات... إلخ) فلكل فرع خطابه الخاص به ومجاله الذي يعمل فيه مع وجود مرجعيته القائمة على الإسلام، لكن لابد أن يكون خطاب الجماعة المرتبط باسمها ووجودها خطابا إسلاميا شاملا في أهدافه ومقاصده واهتماماته وضوابطه.

يقول الإمام الشهيد كتوضيح لذلك:

- « فاعلم - فقهك الله - أولا أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة ولا تنحاز إلى رأى عُرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة، وهى تتوجه إلى صميم الدين ولبه »[2].

---

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٣.

(٢) رسالة : دعوتنا،ص٢٥ .

- « اسمع يا أخي: دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها (إسلامية) ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس، فإننا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شؤون الحياة جميعا، ويفتى في كل شأن منها، ويضع له نظاما محكما دقيقا، ولا يقف مكتوفا أمام المشكلات الحيوية والنظم التي لا بد منها لإصلاح الناس » [1].

- « ولكننا نفهم الإسلام فهما فسيحا واسعا ينتظم شؤون الدنيا والآخرة، ولسنا ندعى هذا ادعاء، أو نتوسع فيه من أنفسنا، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله وسيرة المسلمين الأولين » [2].

- « أجل دعوتنا (إسلامية) بكل ما تحتمل الكلمة من معان، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك، وأنت في فهمك هذا مُقيد بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين من المسلمين » [3].

- « إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مبدأ » [4].

- « إن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته » [5].

- « فهذه الدعوة لا تقبل الشركة ؛ إذ أن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به » [6].

- « يا قومنا، إننا ناديكم والقرآن في يميننا.. والسنة في شمالنا.. وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام.. وتعاليم الإسلام.. وأحكام الإسلام.. وهدى الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا »[7].

---

(١) رسالة : دعوتنا،ص١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق،ص ١٧.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق،ص١٦.

(٧) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٣٧.

- « أيها المسلمون.. عبادة ربكم والجهاد في سبيل التمكين لدينكم وإعـزاز شريعـتكم هي مهمتكم في الحياة » [1].

- « وإذا كان الإخوان المسلمون يعتقدون ذلك، فهم يطالبون الناس بأن يعملـوا عـلى أن تكون قواعد الإسلام، الأصول التي تُبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كـل شـأن مـن شؤون الحياة، ويعتقدون أن كـل مظهـر مـن مظـاهر النهضـة يتنـافى مـع قواعـد الإسـلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة » [2].

- « والإخـوان المسـلمون لا يختصـون بهـذه الـدعوة قطـرا دون قطـر مـن الأقطـار الإسلامية، ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون أن تصل إلى آذان القادة والزعماء في كـل قطـر يدين أبناؤه بدين الإسلام » [3].

- « لقد أعلنتم من أول يوم أن دعوتكم (إسلامية صميمة) على الإسلام تعتمـد ومنـه تستمد..

فهمتم الإسلام فهما شاملا، فآمنتم به نظاما اجتماعيـا كـاملا يصـحح للنـاس أوضـاع مجتمعهم في كل شيء..

وآمنتم كذلك بأن من واجب المسلم الحق أن يجاهد في سبيل هذا الإسلام؛ حتى يهيمن على المجتمع كله ويحتل مكانه الذي هيأه الله له في دنيا البشر..

وآمنتم كذلك بأن ذلـك أمـر ممكـن ميسـور، لـو أراده المسـلمون، واجتمعـوا عليـه، وعملوا له » [4].

- « وقد تكون هذه الأمور الثلاث محل خلاف بينكم وبين فريق من المسلمين أنفسهم، فـلا زال كثـيرون لا يـرون الإسـلام إلا في صـور مـن العقائـد الصـحيحة، أو الفاسـدة،

(١) المرجع السابق،ص٤٣.

(٢) المرجع السابق،ص٤٧.

(٣) المرجع السابق .

(٤) اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٤٧.

والعبادات الكاملة، أو الناقصة، ولا يزال الكثيرون يرون أن الجهاد في سبيل هذا الإسلام أمر قد انقضى ومضى زمنه، ولا يزال الكثيرون يرون أن العقبات أمام المجاهدين في سبيل هذه الغاية أكبر من أن يزيلها شيء..

ولهذا القصور في الفهم والصغر في الهمم واليأس في النفوس استسلم كثير من الناس للأمر الواقع، وظنوا أن ذلك يرفع عنهم اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة.

فقمتم أنتم أيها الإخوان المسلمون تنفضون عنكم وعن الناس أوضار القصور والضعف واليأس، وتنتظرون موعود الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] »[1].

■ **من أنتم ؟ وما صفتكم ؟:**

« وسيقول الناس: ما معنى هذا ومن أنتم أيها الإخوان ؟

هل أنتم طريقة صوفية ؟ أم جمعية خيرية ؟ أم مؤسسة اجتماعية ؟ أم حزب سياسى ؟

فنقول لهؤلاء المتسائلين: نحن دعوة القرآن والحق الشاملة الجامعة:

طريقة صوفية نقية: لإصلاح النفوس وتطهير الأرواح وجمع القلوب على الله العلى الكبير..

وجمعية خيرية نافعة: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتواسى المكروب، وتبر بالسائل والمحروم، وتصلح بين المتخاصمين..

ومؤسسة اجتماعية قائمة: تحارب الجهل والفقر والمرض والرذيلة في أية صورة من الصور..

وحزب سياسى نظيف: يجمع الكلمة، ويبرأ من الغرض، ويحدد الغاية، ويحسن القيادة والتوجيه..

---

(١) المرجع السابق .

نحن الإسلام أيها الناس، فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا» [1].

ومن تعريف جماعة الإخوان المسلمين أنها: « دعوة تربوية جهادية بكل المعانى الشاملة لهذه العناصر الثلاث » [2].

ويقول أيضا: « إن للإخوان المسلمين منهاجاً محدداً يتابعون السير عليه ويزنون أنفسهم بميزانه ويعرفون بين الفينة والفينة أين هم منه » [3].

« فإذا سألتهم عن أصول هذا المنهاج النظرية ما هي ؟ فإنى أجيبك في صراحة تامة: هي الأصول والقواعد التي جاء بها القرآن الكريم. فإذا قلت: وما وسائلهم وخطواتهم العملية ؟ أقول لك في صراحة كذلك: هي الوسائل والخطوات التي أثرت عن الرسول العظيم ﷺ، ولايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها »[4].

- والإخوان لا ينحصرون في الفرعيات، ولا بأس عندهم من التحقيق العلمى النزيه في مسائل الخلاف الفرعية، دون الانحصار في ذلك أو تحويل القضية إلى معارك لإرغام الآخرين على الاقتناع بالرأى.

- ولا يتوجهون بالإساءة لمن خالفهم ولا يشغلون أنفسهم بالرد على من تطاول عليهم أو من انتقدهم إذا كان الحوار مظهره الجدال واللدد في الخصومة.. فما يشغلهم أكبر من هذه الخلافات.

- ولا تستهويهم سطحية الأعمال، ويغوصون وراء الأشياء والأحداث، ليعرفوا أهدافها وإلام ترمى. لا يتسرعون في رد الفعل ولا يندفعون وراء الإثارة، لا يستفزون ولا يُستفزون، خطواتهم متزنة تستعصى بفضل الله على محاولات الاستدراج أو الاحتواء.

- لا يتعلقون بأشخاص أو هيئات أو بمناصب ومطامع، وإنما هم متجردون لدعوتهم حريصون عليها.

---

(١) اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥٢ .

(٢) انظر : اللائحة العالمية للإخوان المسلمين .

(٣) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٣٨٨،ط.دار الدعوة .

(٤) نفس المرجع السابق .

- يتميزون بالثبات على مبادئهم، والتواصل والتلاحم بين الأجيال، مما لم يتحقق في أى جماعة في عصرنا الحاضر مضى عليها مثل هذا القدر من الزمن.

- الجماعة داخلها يكون لأفرادها وجهات نظر واقترحات وآراء تثرى الجماعة وتساعد في صنع القرار، لكن ليس داخلها اتجاهات ومدارس وتيارات تتصارع.. يمين ويسار إلى غير ذلك من طبيعة الأحزاب والتجمعات الأرضية والدعوات الأخرى، والنصيحة والشورى أمر مستمر لا ينقطع، وهو جزء من تكوينها وتربيتها.

- وهم لا يؤمنون بالطفرة أو بالقفز فوق الحقائق، أو بالنظرة الضيقة المحدودة وإنما حريصون على البناء العملى والتكوين الدقيق، والتأكد من حقائق الأشياء، واستيفاء النتائج وعدم التعجل في قطف الثمرة.

- يدركون بوعى وبصيرة مدى طبيعة الطريق ومشقته، وسمو الأهداف وشمولها، مستوعبين للواقع المحيط بهم وللمعوقات في طريقهم، متمسكين بمبادئ دعوتهم في ثبات وصبر وجهاد، لم يطرأ عليه تغير أو ضعف أو فتور، على يقين من أن النتائج والأهداف لا يمكن أن تتحقق في جيل واحد، وإنما عمل متواصل وراية تنتقل من جيل إلى جيل، حتى تصل إلى أهدافها كاملة بإذن الله.

يقول الإمام الشهيد: « والإخوان المسلمون ليسوا إلا أبناء دعوة آمنوا بها وأخلصوا لها وتربوا في أحضانها، فهان عليهم أن يبذلوا من قوت أولادهم ومن ضروريات حياتهم في سبيل دعوتهم وميادين جهادهم »[1].

فهم يعتبرون أن الدعوة كلها واجبات وكلها تضحيات وفداء، لا ينتظرون منصبا أو جاها أو مغنما، وإنما الأجر والثواب من الله وعند الله في الآخرة، ولا تجد أحدا منهم يسأل أين نصيبى ؟ وأين حقى ؟

- وفى بعض الأحيان يتخلف عن الركب البعض أو يخرج عليهم لقصر النفس أو نفاد الصبر أو لانحراف في الفهم أو لضعف في الالتزام، فما أثر ذلك عليهم وما اهتز لهم بنيان.

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٧٢.

- لم ينتابهم يأس أو ملل أو إحباط وإنما أمل مشرق في نصر الله، وما أحدثوه من تأثير وإيقاظ للأمة الإسلامية بفضل الله، أصبح منارة على جهدهم ودورهم يدركه العدو قبل الصديق.

- ويعتمدون في حركتهم فقه الواقع والبصيرة به، على ضوء قواعد الشرع وأهدافه، وليس بمجرد توفر الجواز الشرعى في أمر من الأمور الحركية يقتضى ذلك الأخذ به دون البصيرة بالواقع والإمكانيات والمرحلة التي تمر بها الدعوة وما يترتب على ذلك من مصلحة أو مفسدة، وتقييم كامل للنتائج.

فلابد من توفر الجواز الشرعى والجواز الحركى الذي هو أيضاً من موازين الشرع في التعامل مع الواقع. فكم من مواقف وحركات باسم الشرع أضرّت بالدعوة دون فقه أو بصيرة بالواقع والأعداء.

- وتتوالى الأحداث والعواصف على الأمة الإسلامية، لتثبت صحة منهجهم وقوة ومتانة بنيانهم، وأنهم - بفضل الله - أمل الأمة الإسلامية لعودة مجدها وعزتها.

- « فالإخوان حركة إسلامية شاملة، تطرح رؤيتها في الإصلاح والتقويم[1]:

١- المرجعية لها: الشرعية الإسلامية.

٢- وهى ترى ضرورة التوحد بين أبناء الأمة، وترك الاختلاف من أجل الصالح العام.

٣- وهى تعلن التأييد لمن يحسن، والنصح بأدب الإسلام لمن يسيء.

٤- السعى للسلطة ليس هدفاً في حد ذاته.

٥- ولكن المطلوب التعاون على إقامة الدولة الإسلامية، التي ترد أمرها إلى الله، وإصلاح الفرد، والأسرة، والمجتمع؛ لتكون - كما قال الحق تبارك وتعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

(١) من مقالة للأستاذ / مصطفى مشهور في ذكرى استشهاد الإمام البنا.

ويقول الإمام الشهيد في مذكراته: « يا أبناء أمتنا العزيزة علينا.. المحببة إلينا: نحن مسلمون وكفى، ومنهاجنا منهج رسول الله ﷺ وكفى، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وكفى »[1].

■ **من خصائص دعوة الإخوان:**

ومن خصائص دعوة الإخوان، والتي تميزت فيها عن كثير من الدعوات:

١ - البعد عن مواطن الخلاف الفقهى:

فالإخوان يعتقدون بجواز الخلاف في الفرعيات، بل هو أمر ضرورى لابد منه فلا يقفون عند هذا الخلاف ولا يجعلونه نقطة مفاصلة وافتراق.

يقول الإمام الشهيد: « وليس العيب في الخلاف ولكن العيب في التعصب للرأى والحجر على عقول الناس وآرائهم».

ويقول: « وحَسْبُ الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلماً كما قال زيد».

ويقول: «.. وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة تريد أن تنشر فكرة في بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها»[2].

٢- البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء:

وهذا كان أساسياً في بداية نشأة الدعوة، يقول الإمام الشهيد: « تعمدنا هذا، لأول عهد الدعوة بالظهور، حتى لا يطمس لونها الصافى لون آخر من الدعوات التي يروج لها هؤلاء الكبراء، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها في غير الغاية التي تقصد إليها »[3].

لكن بعد أن قويت الدعوة وثبتت مبادئها وتعاليمها، أصبحت تستوعب هذه الفئة وتستهدفهم بالدعوة، تؤثر فيهم وتوجههم، وتجعلهم يعملون لخدمة الإسلام.

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٩٩.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٤.

(٣) المرجع السابق.

٣- البعد عن الاتصال بالهيئات والأحزاب:

وكان هذا أيضاً في بداية نشأتها حتى تتجنب الأغراض الطامعة والصراعات الحزبية.. يقول الإمام: «.. لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم، فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة.. ».

ويقول: « ونحن الآن وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها، وأصبحت تستطيع أن تُوجِّه ولا تُوجَّه، وأن تُؤثر ولا تتأثر، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا.. ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويستظلوا براية النبي الكريم ومنهاج الإسلام القويم ».

ويقول: « وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ويسقط في أيديهم ويضطرون إلى العمل للدعوة أذناباً وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء »[1].

٤- العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات:

فالتدرج والاعتماد على التربية، ووضوح الخطوات، وتحديد مراحل الدعوة من التعريف والتكوين والتنفيذ، كل هذا من سمات الدعوة الأساسية التي تميزت بها[2].

٥- إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات.

٦- شدة الإقبال من الشباب.

٧- سرعة الانتشار في القرى والبلاد:

يقول الإمام: « كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا إلى البلاد والقرى وتضطرنا إلى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان في ذلك من عنت ومن إرهاق»[3].

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٥.

(٢) راجع المرجع السابق،ص١٢٦،١٢٥.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٣.

٨ - أنها ربانية، إنسانية، عالمية:

ومن خصائص دعوة الإخوان أنها: ربانية، إنسانية، عالمية، تجمع بين الجانب الروحى والعقلى، فيقول الإمام الشهيد: « إن من أخص خصائص دعوتنا أنها: ربانية.. عالمية »[١].

« ولهذا كانت دعوة الإخوان المسلمين ربانية..إنسانية، يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣]، ويقول نبيه ﷺ: « ليس منا من دعا إلى عصبية..وليس منا من مات على عصبية» [رواه أحمد] »[٢].

ويقول أيضا: « إن هذا المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث في النفوس مراقبة الله والتعزى بمعرفته، ومن هنا كان لزاما على الناس أن يعودوا إلى: الإيمان بالله، وبالنبوات، وبالروح، وبالحياة الآخرة، وبالجزاء فيها على الأعمال ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة: ٧، ٨]

كل هذا في الوقت الذي يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان؛لتعلم.. وتعرف.. وتخترع.. وتكتشف.. وتُسخّر هذه المادة الصماء.. وتنتفع بما في الوجود من خيرات وميزات ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[طه: ١١٤].

وإلى هذا اللون من التفكير الذي يجمع بين العقليتين: الغيبية والعلمية ندعو الناس»[٣].

٩- ومما يميز الدعوه أيضاً: شمول الفهم للإسلام، وشمول العمل، والإحاطة به.

يقول الإمام الشهيد: « نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحى الإصلاح ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى، وهم - في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها - يتجهون إليها جميعاً ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً »[٤].

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٢٦.

(٢) المرجع السابق،ص٢٢٧.

(٣) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٢٨.

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٣.

« ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحى من المآخذ ومواطن النقص والتقصير »[1].

١٠- « كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو: [**الإخوان المسلمون**] »[2].

« فهي دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية...»[3].

١١- خصائص أخرى إيجابية للدعوة:

قول الإمام الشهيد: « لكل دعوة خصائص »[4]، ومن خصائص دعوة الإخوان فيما أعتقد أمور.. من هذه الخصائص الإيجابية: البناء: فدعوتنا تبنى ولا تهدم، وتأخذ بالإيجاب دائما، فعلينا أنفسنا قبل كل شيء.

ويقول أيضا في اتباع منهج البناء قبل الهدم: « ما دمتم قد أعددتم أنفسكم للعمل للإسلام في ميدان أخذتموه، فأوصيكم أن تكونوا بنائين لا هادمين، وحينئذ عليكم أن تفكروا في ابتكار ميادين تعملون فيها وتخدمون الإسلام بها، دعوا الخصومة جانبا؛فإن الانصراف إلى البناء خير ألف مرة وأجدى من الانصراف إلى الهدم » [5].

ومن خصائصها: مطابقة العمل للقول: فعلينا أن ندرس قانوننا [6]، وفيها الكفاية ونقتدى بما نقول.

ومن خصائصها: الربانية: فعلينا أن نديم صلتنا بالله ما استطعنا لذلك سبيلا، بدوام الذكر والدعاء بالمأثور ـ وفى رسالة المأثورات غناء.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) مذكرات الدعوة والداعية.

(٥) حسن البنا .. مواقف في الدعوة والتربية،عباس السيسى،ص١٤٧.

(٦) يشير بذلك إلى « القرآن دستورنا ».

ومن خصائصها: التجمع: فعلينا أن نتجمع دائما وأن نتشوق إلى اللقاء وأن نشعر بحقوق الأخوة.

١٢- ومن خصائصها: الاحتمال والكفاح: فلنرهن أنفسنا على ذلك، ولتتسع صدورنا لكل شيء.

ويقول الإمام: « أيها الإخوان المسلمون لا تيأسوا ؛ فليس اليأس من أخلاق المسلمين » [١].

هذه مجملات تفصيلها تعلمونه جميعا، ويجمعها جميعا: البناء والعمل، فاعملوا »[٢].

١٣- فهي دعوة نستطيع أن نقول في وصفها أنها [٣]:

- ربانية المصدر فهي وحى من عند الله.
- وسطية في اختيار الله لها.
- إيجابية في نظرتها للكون والإنسان والحياة.
- واقعية حين تتعامل مع الفرد والمجتمع والغير بوجه عام.
- أخلاقية في غاياتها وأهدافها ووسائلها.
- شمولية في منهاجها.
- عالمية في الدعوة إليها.
- شورية في الحكم بها.
- جهادية لمن يعتدى عليها ويصدها ويحارب انتشارها.
- سلفية الفكر والتصور والاعتقاد.
- إقناعية وسلمية في الدعوة إليها، لا تكره أحدا في الدخول فيها.

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٥.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٢،(من مقال فضيلته في مجلة الإخوان المسلمين،فاتحة السنة الخامسة).

(٣) منهج الإمام البنا .. الثوابت والمتغيرات،للأستاذ/ جمعة أمين،ص١٢٤.

والجماعة ليست مؤسسة حزبية وسائلها حزبية تتجاذبها مدارس وتيارات فكرية، وإنما هي بوتقة من التفاعل والتفاهم تسمح بطرح كل الأفكار بحرية ضمن الإطار العام لـدعوة الإسلام ومبادئ الإخوان وثوابتها ويترك الأمر لمؤسساتها وفـق نظامهـا ولوائحهـا ووفـق الشورى الملزمة في التعديل والتطوير.

وبذلك تصبح تلـك المرجعيـة هـي الحاسـمة لتحقيـق وحـدة الفهـم ووحـدة القـيم والموازين، أما آراء الأشخاص فطالما لم تصطدم مع الثوابت وما استقرت عليه الجماعـة فلـه رأيه الخاص به لكن لا تتبناه الجماعة أو أجنحة فيها، والجماعة في غالب أحوالها لا تتبنى رأيا فقهيا في الفرعيات مختلفا عليه بين الفقهاء.

والجماعة تتحرك وفق مبادئ وثوابت الدعوة، وليس وفق مصـالح متغـيرة ومكاسـب زائلة أو نظرة ضيقة.

■ **خصائص منهج تربية الجماهير:**

ومما يتميز به منهج الإخوان في تربية الجماهير وتوجيهها وكذلك في خطابهـا الـدعوى، أنه ينتقل من:

١- الشكل إلى الجوهر.

٢- ومن الكلام والجدال إلى العطاء والعمل.

٣- ومن العاطفية والارتجال إلى العلمية والتخطيط (من الأحلام إلى أرض الواقع).

٤- ومن الفروع والجزيئات إلى الأصول والكليـات (مـن النوافـل إلى الفـرائض مـع الحرص عليهما معاً).

٥- ومن المختلف فيه إلى المتفق عليه.

٦- من التفرق والتشاحن إلى التضامن والتعاون.

٧- من الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال.

٨- من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.

٩- من التعصب والانغلاق إلى التسامح والانفتاح.

١٠- ومن الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد »[١].

ويقول الإمام الشهيد حول الدعائم التي يقوم عليها إقرار هذا الدين في الأرض: « أيها الإخوان المسلمون: لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من:

- الإيمان بالله.

- والزهادة في متعة الحياة الفانية، وإيثار دار الخلود.

- والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق.

- وحب الموت في سبيل الله.

- والسير في ذلك كله على هدى القرآن الكريم »[٢].

ويقول أيضاً: « إن الإخلاص أساس النجاح، وإن الله بيده الأمر كله، وإن أسلافكم الكرام لم ينصروا إلا بقوة إيمانهم.. وطهارة أرواحهم.. وزكاء نفوسهم.. وإخلاص قلوبهم، وعملهم عن عقيدة واقتناع، جعلوا كل شيء وقفاً عليها، حتى اختلطت نفوسهم بعقيدتهم، وعقيدتهم بنفوسهم، فكانوا هم الفكرة، وكانت الفكرة إياهم.. فإن كنتم كذلك ففكروا: والله يلهمكم الرشد والسداد، واعملوا، والله يؤيدكم بالمقدرة والنجاح. وإن كان فيكم مريض القلب.. معلول الغاية.. مستور المطامع.. مجروح الماضى، فأخرجوه من بينكم، فإنه حاجز للرحمة، حائل دون التوفيق »[٣].

ويوضح الإمام الشهيد أهمية القوة النفسية لبناء الأمم وأصحاب الدعوات وارتكاز هذه القوة على الإيمان الكامل، والتضحية في سبيل المبدأ:

(١) مقالة الصحوة الإسلامية،د. يوسف القرضاوى،مجلة الرسالة رمضان ١٤٢٢هـ ـ ديسمبر ٢٠٠١م ـ العدد الأول .

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥٢ .

(٣) راجع كتاب الإمام الشهيد أ/ فؤاد الهجرسى،ص١٣٦،ط٢ .

فيقول: « إن تكوين الأمم وتربية الشعوب يحتاج من الأمة إلى: قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور:

- إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف..

- ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر..

- وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل..

- ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره..

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربع، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق أملا»[1].

ويقول: « بهذه المشاعر الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها، أحياها الراعى الأول ﷺ في قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله »[2].

ولضمان الحق والصواب في تطبيق الأفراد لمنهج الإسلام، تهتم الدعوة بتطوير النفوس وتزكيتها وبناء الرقابة الذاتية والضمير الحى والتقوى والورع والخشية من الله.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: « ولضمان الحق والصواب في هذا التطبيق أو تحريها على الأقل، عنى الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية، فقد تطبق تطبيقا جائرا لا عادلا.. ومن هنا كانت العناية الكبرى بتربية النفوس وإصلاحها وتطهيرها من الهوى وزجرها عن الجور والقصور والعدوان، والحرص على استقامتها.. »[3].

ويقول: « إن لنا سلاحا لا يُفل ولا تنال منه الليالى والأيام هو (الحق).. ولنا سلاح بعد ذلك هو(الإيمان)..و(الأمل) بعد ذلك سلاح ثالث، فنحن لا نيأس، ولا نتعجل، ولا نسبق الحوادث، ولا يضعف من همتنا طول الجهاد»[4].

---

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٥.

(٢) رسالة: دعوتنا في طور جديد،ص ٢٣٤،٢٣٥ .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢١،باختصار.

(٤) رسالة : مؤتمر رؤساء المناطق،ص٢٦٩.

«.. وسنعمل على ضوء هذه المشاعر، سنعمل بالحق، يدفعنا الإيمان، ويحدونا الأمل »[1].

ويقول الإمام أيضا: «.. فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج؟! ».

يذكر في ذلك: الإيمان – الجهاد وما فيه من تضحية، والثقة بنصر الله.

أ – الإيمان:

– « لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده بالله ونصره وتأييده..

– وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته..

– وبالإخاء وحقوقه وقدسيته..

– وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته..

– وبأنفسهم، فهم الجماعة التي وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ».

ب – الجهاد:

« ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد والتضحية والبذل، كذلك كانوا (أى صحابة رسول الله ﷺ): صدق جهاد، وعظيم تضحية، وكبير بذل.. وكذلك نحاول أن نكون.

جـ – ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله مطمئنون إلى تأييده »[2].

ويركز الإمام هذه المعانى الإيمانية وأنها هي أساس العمل والجهاد، وأهمية البذل والتضحية، وما يتطلبه ذلك من صفات وواجبات، فيقول:

« إنما تنجح الفكرة إذا:

(١) المرجع السابق،ص٢٧٠.

(٢) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١٩٣،١٩٤،بتصرف.

١- قوى الإيمان بها.

٢- وتوفر الإخلاص في سبيلها.

٣- وازدادت الحماسة لها.

٤- ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية.

٥- والعمل لتحقيقها » [١].

« وليست للأمة في هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة والعزيمة القوية الصادقة والسخاء بالتضحيات والإقدام عند الملمات.. وبغير ذلك تُغلب على أمرها، ويكون الفشل حليف أبنائها » [٢].

« وبغير هذه التقوية الروحية والتجديد النفسى لا يمكن أن نخطو للأمام خطوة » [٣].

وحول هذه الوسائل الأساسية التي تقوم عليها الدعوة يقول: « الوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة:

١- الإيمان العميق.

٢- التكوين الدقيق.

٣- العمل المتواصل » [٤].

«.. ولكن الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات، وخلاصة ذلك جملتان: إيمان وعمل، ومحبة وإخاء»[٥].

ويؤكد أيضا على أهمية تركيز الدعوة في الأفراد وإحاطتها بكل جوانبها: « إن هذه

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٣.

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟ ص٦٩.

(٣) المصدر السابق،ص٧٠.

(٤) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨.

(٥) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٤٠.

الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته... فهي دعوة لا تقبل الشركة ؛ إذ إن طبيعتها الوحدة » (١).

ويقول: « لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الإيمان بالله، والزهادة في متعة الحياة الفانية، وإيثار دار الخلود، والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق، وحب الموت في سبيل الله، والسير في ذلك كله على هدى القرآن الكريم. فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم وأصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير » (٢).

ويقول أيضا: « لا يصلح لحمل هذه الأعباء إلا من رصدوا حياتهم لهذه الدعوة، وراضوا أنفسهم على تحمل مشاق الطريق، يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون، يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، يتقنون عملهم رجاء القبول.. ».

ويقول: « ولقد أعددنا لذلك إيمانا لا يتزعزع، وعملا لا يتوقف، وثقة بالله لا تضعف، وأرواحا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة في سبيله » (٣).

ويوجز ذلك كله في جملة واحدة فيقول:

«.. وإذا وُجد المؤمن الصحيح وُجِدت معه وسائل النجاح جميعا » (٤).

ويقول في مصدر هذا المنهج ومرجعيته:

« وعمادنا في ذلك كله كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة، لا نبغى من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب وهداية البشر وإرشاد الناس » (٥).

(١) رسالة : دعوتنا،ص١٦.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥٢.

(٣) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٩.

(٤) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٣٧.

(٥) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٦.

وعن مدى تمسك الإخوان بدعوتهم وشعارهم الذي يعملون تحته يقول الإمام الشهيد: « وسنجاهد في سبيل تحقيق فكرتنا، وسنكافح لها ما حيينا، وسندعوا الناس جميعا إليها، وسنبذل كل شيء في سبيلها، فنحيا بها كراما أو نموت كراما، وسيكون شعارنا الدائم: الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا »[1].

(١) المرجع السابق نفسه .

الباب الثاني

آلية التغيير

آلية التغيير

■ **مقدمة:**

إن الدين الإسلامي كمنهج يختلف جذرياً عن المناهج الوضعية، فهو منهج أنزله الله من السماء لترتفع إلى مستواه وتأخذ نفسها بتطبيقه لتنعم بفضل الدنيا ونعيم الآخرة. فهو ليس مرتبطاً بزمان معين أو بقعة معينة أو جنس معين، بل هو الرسالة الخاتمة للبشرية كلها. وهو شامل صالح لكل زمان ومكان مهيمن على كل الشرائع التي قبله، شامل لكل أوجه الحياة ومجالاتها المختلفة..

دينٌ يسلم الناس فيه وجههم لله استسلاماً وعبودية له سبحانه رهبة منه وحباً في ذاته وطمعاً في ثوابه.

أما المنهج الوضعى، فهو منهج وضعه قوم معينون في بيئة معينة ؛ لحل مشاكلهم وضبط أمورهم، حسب رؤيتهم وحالهم وزمانهم وطبيعتهم الخاصة. فهو قاصر مرتبط بزمن معين وجنس معين ومكان معين وطبيعة معينة، يظهر فيه الهوى البشرى والميل البشرى والنقص والضعف البشرى.

والدين الإسلامي فيه من الكليات والقواعد ما يجعله مرناً يواجه كل المتغيرات ومتسعاً لكل الاجتهادات بالضوابط التي وضعها لذلك. دافعاً أتباعه إلى الاستفادة من التجارب والاجتهادات البشرية في جوانب الحياة وفق المنظور الإسلامي والرؤية الإسلامية.

■ **الواقع ومنهج التغيير:**

وعند الحديث عن منهج التغيير للحال والواقع في أى أمة أو أى منهج، لابد من تحديد الواقع والداء بدقة[1]، وتحديد الغايات والأهداف، ثم تحديد ضوابط السير ومراحله ووسائله للوصول إلى تلك الأهداف.

(١) يراجع الباب السابق لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع .

– ومع وضوح الدعوة وشموليتها منذ أول يوم، إلا أنه في التنفيذ لها مراحل تمر بها، يقول الإمام: « ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل، نرجو أن تتحقق تباعا، وأن نقطعها جميعا، وأن نصل بعدها إلى الغاية » [1].

ويسبق هذا: المنطلق والصبغة التي تحكم هذه الرؤية وذلك المنهج [2].

– وقد حدد الإمام الشهيد مظاهر الضعف وأسباب الخلل الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في أكثر من موضع في رسائله بوضوح تام وبصيرة نافذة [3].

يقول الإمام الشهيد عن الخلل الذي انتشر في الأمة: «.. فهي مُصابة فى:

ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها..

وفى ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها..

وهى مصابة من ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق، والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا في نفوس أبنائها..

وفى ناحيتها الاجتماعية بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الإنسانية التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها، وبالتقليد الغربي يسرى في مناحى حياتها سريان لعاب الأفعى فيسمم دماءها ويعكر صفو هنائها، وبالقوانين الوضعية التي لا تزجر مجرما ولا تؤدب معتديا ولا ترد ظالما..

وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها..

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٢ .

(٢) راجع خصائص الدعوة في الباب السابق .

(٣) راجع رسائل : (دعوتنا ـ إلى أى شيء ندعو الناس ـ بين الأمس واليوم ـ المؤتمر السادس ـ نحو النور ـ رسالته في مؤتمر رؤساء المناطق ـ ورسالته في مؤتمر طلبة الإخوان).

وفى ناحيتها النفسية بيأس قاتل، وخمول مميت، وجبن فاضح، وذلة حقيرة، وخنوثة فاشية، وشح وأنانية تكف الأيدى عن البذل وتقف حجابا دون التضحية، وتُخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين » [1].

– وقد حدد منطلق دعوته وغاياتها بأنها الإسلام.. منطلقاً.. وغايةً.. وأهدافاً.. ومنهاجاً.. والتزاماً، فيقول: « ومنهاجنا هو: الإسلام والقواعد التي جاء بها القرآن الكريم، ووسائلنا وخطواتنا هي: الوسائل والخطوات التي أثرت عن الرسول ﷺ » [2].

« ونعتقد أن في المنهج الإسلامي كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها..».

«.. ولهذا لابد أن تبنى نهضة الشرق الحديث على قواعد الإسلام وأصوله في كل شؤون الحياة » [3].

« ونعتقد أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن هو تجربة فاسدة فاشلة » [4].

« يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا وعمل السلف الصالح من أبناء هذه الأمة قدوتنا. وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام » [5].

– « ومصدر تحديد هذه الغاية هو الإسلام: فهي تتجلى في كتاب الله وسنة رسوله »[6].

« ففكرتنا إسلامية بحتة.. على الإسلام ترتكز.. ومنه تستمد.. وله تجاهد.. وفى سبيل إعلاء كلمته تعمل، لا تعدل بالإسلام نظاماً، ولا ترتضى سواه إماماً، ولا تطيع لغيره أحكاماً.. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] »[7].

---

(١) رسالة : دعوتنا،ص٨٢ .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون؟،ص٩٠.

(٣) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٧.

(٤) المرجع السابق نفسه .

(٥) المرجع السابق نفسه .

(٦) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٧.

(٧) رسالة : إلى الشباب،ص٩٩.

« إن غاية الإخوان تنحصر ـ في تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح، يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها »[1].

وقد لخص الإمام الشهيد خطوات الرسول ﷺ في السير بالدعوة، فقال:

« ذلك واضح جلى في الخطوات التي سلكتها دعوة الإسلام الأولى، فقد وضع الله لها منهجا محدودا يسير بالمسلمين الأولين – رضوان الله عليهم – إليه:

١ – دعوة في السر.

٢ – ثم إعلان بهذه الدعوة ونضال في سبيلها لا يملّ.

٣ – ثم هجرة إلى حيث القلوب الخصبة والنفوس المستعدة، فإخاء بين هذه النفوس وتمكين عُرى الإيمان في قلوبها.

٤ – ثم نضال جدى وانتصاف من الباطل للحق.. وبذلك تمت الخطوات في القسم الأول من منهاج الدعوة، وهى التي أنيطت بالرسول ﷺ تشريعا وتطبيقا.

٥ – ثم جاء بعد رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين من نقلوا هذا النموذج الكامل من جزيرة العرب إلى غيرها من بلدان العالم »[2].

– وعن مدى عمق التغيير الذي نهدف إليه، والمهمة التي نسعى لتحقيقها يقول الإمام الشهيد: « إنكم دعاة تربية، وعماد انتصاركم: إفهام هذا الشعب.. وإقناعه وإيقاظ شعوره من كل نواحيه على قواعد الإسلام وتعاليم الإسلام ومبادئ الإسلام، وهذه غاية لا تُدرك في أيام ولا تُنال بأعوام قليلة، ولكنه الجهاد الدائب، والعمل المتواصل، ومقارعة جيوش الجهالة والأمية والمرض والفقر والأحقاد والضغائن وخفة الأحلام وتقطيع الأرحام، وتنظيف رواسب قرون عدة سرى الفساد فيها إلى كل مكان.أفترون أو يرى الناس أن هذا أمر يسير ؟

(١) رسالة : المؤتمر الخامس ،ص٨٨.

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون؟،ص٨٨،٨٩،باختصار.

بل إن غايتكم أوسع من هذا ؛ فإنكم تريدون من هذا الشعب أمة نموذجية لتنسج على منوالها الأمم الشرقية جميعا، وتريدون من هذه الأمم وحدة إسلامية تأخذ بيد الإنسانية جميعا إلى تعاليم الإسلام.

هذه حدود مهمتكم التي يراها الناس بعيدة وترونها أنتم الإسلام الذي فرضه الله على عباده قريبا أم بعيدا ؟ ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] (١).

ويقول الإمام – في وصف علل الأمم كمثال علل الأفراد: «..حتى تتداركه رحمة الله تبارك وتعالى بطبيب ماهر ونطاسى بارع يعلم موطن العلة ويحسن تشخيصها ويتعرف موضع الداء ويخلص في علاجه ».

« وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاث: معرفة موطن الداء، والصبر على آلام العلاج، والنطاسى الذي يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه الغاية ويتم الشفاء والظفر» (٢).

وعن وسيلتنا في العلاج، فلها أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان:

أولها: المنهاج الصحيح: وقد وجده الإخوان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وثانيها: العاملون المؤمنون: ولهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقاً لا هوادة فيه ولا لين.

وثالثها: القيادة الحازمة الموثوق بها: وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك، فهم لها مطيعون وتحت لوائها يعملون »(٣).

ويشير الإمام إلى أن قوة الدعوات تقوم على:

«.. قوة الدعوات في ذاتها، ثم في قلوب المؤمنين بها، ثم في حاجة العالم إليها، ثم في تأييد الله لها متى شاء أن تكون مظهر إرادته وأثر قدرته » (٤).

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٧،٢٦٨.

(٢) رسالة : دعوتنا،ص٣٤.

(٣) رسالة : دعوتنا،ص٣٧.

(٤) المرجع السابق نفسه .

■ **طبيعة التغيير وخصائصه:**

قبل الحديث عن طبيعة التغيير وخصائصه ومواصفاته، لابد أن يتوفر أولاً:

أ - وضوح منهج التغيير.

ب - القناعة واليقين بصلاحية المنهج المختار.

جـ - تقيده بالضوابط والالتزامات الشرعية التي جاء بها الإسلام.

فهو:

١- تغيير شامل عميق للفرد والمجتمع، فسيادة قيم الإسلام وشريعته ينبغى أن تكون حقيقة وجوهراً وليست فقط مظهراً أو شعاراً. وحراسة ذلك لن تكون فقط مهمة أفراد من المجتمع ولا حتى مؤسسة حاكمة من مؤسساته لكنها تحتاج لجهود المؤسسات الخاصة والعامة الموجودة فيه.

٢- أن هذا التغيير أمر «دينى» لذلك فلا ينبغى أن يتم جبراً ولا قسراً بل يجب أن يكون عن إرادة واختيار وإيمان. فلا يعتبر مجرد تبديل حكومة بأخرى ترفع شعارات أو توقع - قرارات تغييراً ولا تمكيناً - ولكن يكون ذلك مستنداً إلى قناعة وإيمان الناس ومطالبتهم به.

٣- الجذرية: وهذا أمر يفرض الجذرية على منهج التغيير المختار، والتغيير الجذرى يختلف عن التغيير الفوقى ؛ لأنه يحدث عن طريق إيجاد قناعة لدى وحدات المجتمع بالتمسك بشرائع الإسلام. وهو جذرى لا فوقى ؛ لأنه يبدأ من أفراد المجتمع ومؤسساته فينطلق من داخل مؤسسات المجتمع وبها وليس على أنقاضها، وهو يبدأ بالأفراد للنفاذ إلى المؤسسات، ولا يبدأ بامتلاك السلطة لفرض التغيير. يقول الإمام الهضيبى: « أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم ؛ تقم على أرضكم » إنه تغيير جذرى ذو مدخل شعبى وآخر مؤسسى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٤- وهو التغيير المتدرج، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، فهو يعتمد التدرج

في التطور والانتقال من مرحلة إلى مرحلة، ومن دور إلى دور، على أساس النضج والتكامل والقدرة على الضبط في مواجهة الأمور والأحداث والأزمات.

يقول الإمام الشهيد: « فمن أراد أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها فخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها..».

«.. لذلك نحن نلجم نزوات العواطف بنظرات العقول، ونلزم الخيال صدق الحقيقة والواقع ».

« ولا نصادم نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن نغالبها ونستخدمها ونحول تيارها ونستعين ببعضها على بعض ».

ولأنه تغيير متدرج لا فورى، فليست الوسيلة إليه القوة والعنف ؛ فالدعوة الحقة إنما تخاطب الروح أولاً وتطرق مغاليق النفوس ومحال أن تثبت بالعصا أو أن تصل إليها على شبا الأسنة والسهام.

٥- وهو تغيير عالمي تحددت ملامحه منذ فجر هذه الدعوة.. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

فهي دعوة عالمية منذ نشأتها لا تحدها الأقطار ولا تحاصرها التخوم ؛ لهذا نريد «أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية؛ ولهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ».

٦- نريد التغيير المنشود مستقراً مستمراً، لا مهتزاً ولا وقتياً ؛ لذلك يجب علينا تربية وقيادة وتوظيف قوى التغيير كلها وتنسيق تعاونها ليتحقق لها الاقتناع وقبول أعباء التغيير.

٧- فللتغيير طلائع رائدة قائدة، وله قواه الأساسية الفاعلة وهى شعبنا، وله قواه المساندة الداعمة وهى مؤسسات المجتمع، وله قواه المؤيدة المناصرة وهم الإسلاميون في العالم كله.

« فهو تغيير: عميق لا سطحى، جذرى لا فوقى، متدرج لا فورى، عالمى لا قطرى، مستقر لا وقتى، نقود الأمة إليه ولا ننوب عنها فيه »[1].

- إن تطبيق المنهج الإسلامي الكامل وإقامته في المجتمع لا يقتصر على مجرد الرؤية الصحيحة أو الفهم الشامل وإنما لابد من تربية وإعداد لمن يتولى تطبيقه وقيادة أفراد الشعب عليه، وهذا الإعداد لهذه المجموعات الرائدة يقوم على التربية الإسلامية المتكاملة لتتمثل الإسلام في شخصيتها وفى فهمها وفى سلوكها وفى عملها وحركتها، وهذه التربية لا تتم في مدة قصيرة أو بمجرد دراسة عابرة، إنما هي تكوين عميق وإصلاح شامل للأفراد، ثم يأتى المحك والاختبار والمحنة والابتلاء لتصهر وتمحص وتظهر قدرتها على تحمل الضغوط وعلى الثبات وعدم الانحراف.

وغياب هذه الركائز أو ضعفها في أى مكان أو أى شريحة بالمجتمع يؤدى إلى إضعاف تربية الجماهير والتطبيق الصحيح لمنهج الإسلام فيها.

- إن الإخوان لا يهدفون إلى هدم نظام أو مجرد تغيير باطل، ليستبدل بعد ذلك بنظام آخر أو باطل من نوع آخر أقل منه في الانحراف.

إنما هم يستهدفون إقامة البناء الإسلامي المتكامل في المجتمع والأمة بأركانها كلها، بناء راسخا قويا يتحمل كل الضغوط ويواجه كل التحديات.

- وهذا البناء القوى أركانه وأعباؤه ليست خاصة بساحة محدودة أو قطر واحد، إنما هو بناء مؤهل لمسئوليته العربية والإسلامية والعالمية، فإننا نستهدف إقامة وإحياء أمة الإسلام ودولته العالمية.

وهذا الهدف الضخم أكبر وأوسع من مجرد تغيير نظام حكم.

- وهذا البناء يشمل الشعب والجماهير، فهي قاعدته ولبناته، ولابد لها من: تربية وتهيئة وإيقاظ ؛ لتصطبغ بالإسلام: فهما.. وخلقا.. وسلوكا.. وقيما.. وتقاليد، ولابد لها

(١) رسالة وضوح الرؤية للأستاذ / مصطفى مشهور،ص٣١.

من معرفة بحقوقها، وكيفية التمسك بها ، والتضحية في سبيل الحفاظ عليها، وأن تكون على وعى كامل وبصيرة جيدة، فلا تخدع من متاجرى الشعارات وأدعياء الإصلاح، أو تساوم على منهجها ودعوتها، أو تنحرف عنها.

– وبغير هذه التهيئة وتلك التربية للشعب، يصبح البناء هشا ضعيفا متصارعا فيما بين أفراده وداخل مجتمعه.

بل ويصبح بحاله تلك غير مهيئ لتكاليف تلك المرحلة – أى إقامة الدولة الإسلامية – حيث سيتطلب ذلك منه مواجهة التحديات والضغوط الداخلية والخارجية وتقديم التضحيات، وأن يزداد التفافا حول الجماعة وثقة فيها.

يقول الشهيد سيد قطب: «.. ولابد إذن أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة، وهى إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة تربية إسلامية صحيحة.. وعدم محاولة فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي ؛ لأنها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم به »[1].

– إن البناء الذي ينشده الإخوان ليس بناء عاديا مثل أى دولة، إنما هو بناء عقدى إسلامي منذ أول أساس فيه، ومنذ أول يوم في إقامته، يستمد جذوره وصبغته من منهج الله وسنة رسوله ﷺ، فهو ليس مجرد إعلان عن قيم أو أخلاق أو سلوكيات عامة، أو مجرد مناهج للإصلاح ينشدها الجميع، فهذا جزء بسيط من البناء، وإنما هو بناء واضح المعالم متكامل الأركان، هو الإسلام كله أمة وشعبا.. دولة وحكومة.. رسالة وحضارة.

– كما أن هناك بعدا عالميا يتمثل في رصيد شعوب العالم الإسلامي، وهى ميدان للدعوة والحركة أيضا وهى قوى مساندة.

– ثم تأتى الساحة العالمية بتياراتها وصراعاتها وخططها التي تستهدف بها المنطقة العربية والإسلامية.

---

(١) راجع جريدة: المسلمون،كلمات الشهيد سيد قطب،نشرت بالصحيفة،تحت عنوان: «لماذا أعدمونى؟ »،كتبها في أكتوبر ١٩٦٥م،وهو في السجن قبل إعدامه فجر الاثنين ٢٩/ ٨/ ١٩٦٦.

إن هناك سننا كونية في التغيير وأحداثا تحتاج إلى اليقظة والترقب وحسن الاستفادة منها، وكيفية المغالبة وتهيئة الظروف المواتية.

كل ذلك لابد أن يوضع في الحسبان.

– إن دولة الإسلام يوم أن تقوم – بإذن الله – ستواجه بالتحدى على كل المستويات: الاجتماعية والعلمية والحضارية والعسكرية.. إنها ستولد وسط العواصف والرياح، وسيتطلب هذا منها قوة في التأسيس ومتانة في البناء لتصمد وتحقق باقى الأهداف الضخمة في رسالة الإسلام.

– في هذا التغيير نحن لسنا بدلاء عن هذا المجتمع، أو أننا نستهدف أن نحتكر كل قوى الإصلاح ومساراته، بل دورنا منطلقه أننا أصحاب دعوة وإيقاظ للأمة وتعاون ومشاركة مع كل محب للوطن مخلص له، لنصل في النهاية إلى وحدة المنهج والطريق والهدف.

– إن تربية الشعب ومعرفته لحقوقه والتمسك بها هو الضمان الأساسى والرقابة الفعالة لأى جهة تحكم المجتمع، فلا ينحرف عن المنهج أو تخدعها بشعارات لا تطبقها، أو تقلب لها ظهر المجن.

فهذا الشعب الذي تمت تربيته وتهيئته هو الحارس والضامن لهذا البناء، قادر على المحاسبة والرقابة والتغيير إذا انحرف المسار، وبذلك تتضح أكثر مدى أهمية إعداد المجتمع وتربيته في منهج الإخوان.

– إن الانتخابات السياسية والبرلمانية والمهنية والنقابية وغيرها هي من ضمن مسارات النضال الدستورى، وهى عامل مساعد لتحقيق منهج الجماعة وتأسيس أركان المجتمع المسلم.

لكن الصندوق الانتخابى هو مجرد تعبير عن رأى المجتمع والتفافه حول الدعوة ووسيلة لوصولها وإبلاغها في المؤسسات والهيئات، لكنه لا يربى مجتمعا ولا يكوّن قاعدة صلبة وهو الأمر الأساسى في التغيير والإصلاح، بل إن التقدم في هذه التربية الشاملة يعطى ثمرة ونتيجة في الصندوق الانتخابى.

إن بناء القاعدة الصلبة والركائز القوية المنتشرة في كل مكان هي المحققة لقوة العقيدة والوحدة، وتربية المجتمع وتهيئته وصبغه بالصبغة الإسلامية هي الأساس الذي لا بديل عنه، وتأتى بعد ذلك كل المسارات والعوامل الأخرى مساعدة مكملة ومعينة على تحقيق ذلك.

- وهناك دور آخر يتلخص في العمل على امتلاك الأمة أسباب القوة في جميع المجالات التي تمكنها من تحقيق رسالتها، وذلك بتغيير واقع مؤسسات المجتمع وأفراده (رجالا ونساء)، وفق رؤية تنموية شاملة تتبنى حلولا لمشاكل الحاضر، وتعد للمستقبل، مجسدة شعار: « **الإسلام هو الحل** » على هيئة برامج تفصيلية تعالج مشاكل وهموم الناس.. نريد أن يتم ذلك العلاج بوضوح واقتناع بأنه لابديل للحل الإسلامي، وأنه الحل الحتمى ؛ لأنه من عند الله خالق البشر الخبير بما فيه خيرهم ومنفعتهم [1].

والحد الأدنى في ذلك أن يكون لدينا الرؤية الواضحة الشاملة في هذه الأمور، وأن نقوّم الخلل ونعالج أسباب الضعف، وأن نصل بالإصلاح في جميع المؤسسات والمجالات إلى نقطة الانطلاق الحقيقية، وامتلاك أسباب القوة ليتم استكمال ذلك في ظل الحكومة المسلمة التي تنطلق لاستكمال الإصلاح وتقوية البنيان وتحقيق الأهداف كاملة غير منقوصة، فالحكومة المسلمة تقوم بعد توفر قاعدة أساسية من الإصلاح والبناء في المجتمع وقناعة راسخة عند الجماهير بأهمية الحل الإسلامي والمنهج الإسلامي لحياتها وتقدمها.

- إن طول الطريق ومقدار الجهد والتضحيات المطلوبة لا يثنينا عن منهاجنا ؛ لأن البناء المنشود عظيم وضخم، والنجاح الحقيقي والنصر الفعلي هو في الثبات على هذا المنهج وتحقيق هذا البناء بعون الله وفضله.

■ **القيادة الحكيمة وضبط الحماس:**

هذا التغيير، تقوده قيادة حكيمة لا تصادم نواميس الكون في التغيير، ولا تستدرج بحماس زائف ؛ لأنها تعلم أن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً قد يكونون هم أشدّ

(١) رسالة : وضوح الرؤية للأستاذ / مصطفى مشهور،ص٣٨.

الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد وتقع الواقعة. فالاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة من:

أ - عدم التقدير لحقيقة التكاليف، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار.

ب - كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة، فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأى شكل دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار، حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا وأشق مما تصوروا، فكانوا أول الصف جزعاً ونكولاً وانهياراً: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [النساء:٧٧] (١).

ويقول الإمام الشهيد: «أحب أن تحكموا خطتكم، وأن تسوسوا طريقكم بالعقل والعاطفة معا، فلا تتركوا للحماسة وحدها أن تقودكم في مسالك لا تفيد فيها الدعوة »(٢).

ويقول أيضا في هذا المجال: « فهم - أى الإخوان - يؤثرون البطء الحكيم لإحراز النجاح الكامل» (٣).

أما إذا واجهوا في دفع الأخطار أو التمسك بالدعوة فإن: «..البطء والهدوء سيوقف تقدمهم أو يأخذ من انتصارهم، فسيعلمون حينئذ كيف يذودون عن دعوتهم.. » (٤).

■ **موجز آلية التغيير:**

إن آلية التغيير في منهج الإخوان ترتكز أساساً على أركان ثلاث:

١ - الالتزام بالإسلام فهماً صحيحاً وفقهاً وعملاً وجهاداً.

---

(١) رسالة : وضوح الرؤية للأستاذ / مصطفى مشهور،ص٣٣.

(٢) حسن البنا .. مواقف في الدعوة والتربية،عباس السيسى،ص١٤٧.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٦.

(٤) المرجع السابق نفسه .

٢- ضرورة الجماعة، وفرضية وجود الصف الإسلامي المنظم تحت قيادة واحدة.

٣- التربية والتكوين في إعداد الأفراد وبناء الجيل المسلم والاهتمام بالشعب والمجتمع وتفعيل دوره وصبغه بالصبغة الإسلامية.

وهى تتلخص في:

١- بناء وتكوين «جيل جديد »:

يسرى وينتشر في نسيج المجتمع وجسد الأمة، ويكون مؤثراً في إيقاظ الأمة وتغيير حالها. وهذا الجيل يشكل القاعدة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي والدولة الإسلامية.

يقول الإمام الشهيد: « إن غاية الإخوان تنحصر في تكوين جيل من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح، يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها »[١].

فهذا الجيل هو القاعدة الصلبة والركائز المؤمنة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي وتتحمل تبعاته وتقود الأمة على منهاجه.

يقول الإمام: « ولكنها مهمة هذا النشء الجديد فأحسنوا دعوته وجدّوا في تكوينه وعلموه استقلال النفس والقلب واستقلال الفكر والعقل واستقلال الجهاد والعمل. واملؤوا روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجندوه تحت لواء محمد ورايته »[٢].

٢- وهذه الركائز المؤمنة يجب أن يكون:

أ - عددها مكافئاً ومناسباً لحجم الأهداف والأعباء التي ستتحملها عند قيام الدولة ومواجهة التحديات، وهذا أمر متغير حسب الواقع وظروفه.. ففى عام ١٩٣٥م وقت أن كان عدد سكان مصر حوالى ١٦ مليوناً قال الإمام الشهيد: «وفى الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة (أى اثنى عشر ألفاً) قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة..

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٨٨.

(٢) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن ص ١٩٧.

في هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار.. فإنى فاعل إن شاء الله »[1].

ب – وأن تنتشر هذه الركائز في كل بقعة وكل حيّ وكل قرية وكل مؤسسة وكل شريحة اجتماعية، بالعدد الذي يؤهلها أن تؤثر في هذا المكان وتقوده على شرع الله.

وإن المكان – أو الشريحة – التي تخلو من هذه الركائز، أو كانت بمستوى ضعيف، فإنه سيصبح مكاناً ضعيفاً به خلل في استوائه وارتباطه بقيادة الأمة الإسلامية وبكيفية تطبيق الإسلام فيها وتربية الجماهير عليه.وإن الحماس والتهليل والإقبال عند انتصار الإسلام ليس مقياساً أو بديلاً عن التكوين العميق المطلوب لهذه الركائز.

جـ – وأن تصل هذه الركائز إلى المستوى الإيمانى والتربوى المناسب لهذا العبء، وأن يُختبر ويُمحص هذا التكوين، ويمر بمحن وابتلاءات متنوعة حتى يخلص وينقى من اللبنات الهشة ويزداد قوة وثباتاً.

د – وأن تكون هذه الركائز صفاً قوياً واحداً تحت قيادة واحدة، تتوفر فيه كل أسباب النصر الإيمانية وتنتفى عنه كل أسباب الفشل والخذلان.

وأساس قوة الصف يكون في قوة العقيدة وقوة الوحدة والرابطة قبل قوة الساعد والسلاح.

هـ – وتجميع أو تكوين هذه الركائز لا يقوم على الضم العشوائى أو الاكتفاء بالحشد العام والعواطف الملتهبة أو الحركة الزائدة والانتشار السريع، وإنما يقوم أساسا على حسن انتقاء العناصر الصالحة المناسبة « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة..» وتربيتها وتكوينها وترسيخ أركان البيعة عندها وتعميق إيمانها بدينها ودعوتها.

٣ – نشر الدعوة والتعريف بها وتربية المجتمع:

وفى خط متواز مع الانتقاء والتكوين للركائز، يسير العمل أيضاً بنشر الدعوة

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٨١ .

والتعريف بها وتربية المجتمع على مفاهيم الإسلام، وصبغه بالصبغة الإسلامية، ومواجهة جوانب الخلل والفساد فيه.وتحقيق الصفات المطلوبة منه من الإيجابية والوعى والبذل..إلخ.فيكثر الأنصار والمتعاطفون في كل مكان، وينحاز الرأى العام بالمجتمع إلى الدعوة ومبادئها ويلتف حول الجماعة ورموزها يؤيدها ويساندها.

يقول الإمام الشهيد: « إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدى نفعاً ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعية إلى هدف من الأهداف.. »[1].

ويقول: «لا أيها الإخوان ليس هذا كل ما نريد، هو بعض ما نريد ابتغاء مرضاة الله..أما غاية الإخوان الأساسية، أما هدف الإخوان الأسمى، أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم فهو إصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً، وتتجه نحوه الأمة جميعاً ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل »[2].

فالأمر يحتاج إلى:

«١- الإيمان العميق. ٢- التكوين الدقيق. ٣- العمل المتواصل.

فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها »[3].

ويقول أيضاً: « فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة »[4].

وحول انتشار الدعوة في كل مكان وكل مؤسسة وكل شريحة من المجتمع، يقول الإمام في تأكيده على هذا الهدف لتحقيقه: « ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت وأن يُسمع صوتنا في كل مكان »[5]، مما يتطلب: التطوير والتنويع في وسائل الدعوة

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨.

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص ٢٠٥.

(٣) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨.

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧.

(٥) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧.

العامة، والانفتاح على المجتمع، والتواجد والحوار مع الآخرين، وإعلان الدعوة وأفكارها وموقفها في كل نشاط ومؤتمر وكل حدث أو أزمة.

وتستخدم الجماعة كل وسائل الدعوة العامة بالإضافة إلى التأثير الإيجابى لأفراد الجماعة في المجتمع، ولا تنحصر الدعوة في وسيلة واحدة بل تشكل الهيئات والمؤسسات والواجهات التي تعبر عن أوجه الدعوة المختلفة وتتفاعل مع المجتمع في كل جوانبه، وتعمل على إيقاظ الأمة وحشدها وراء الإسلام.

٤- وتسلك الجماعة أسلوب النضال الدستورى كمسار للإصلاح والحركة في المجتمع، لكنها قد تواجه ظروفا من التضييق عليها ومنعها من وسائلها السلمية للدعوة، ومن النضال الدستورى كحق أساسى لها، فتواجه هذا بالصبر الإيجابى ومزيد من التماسك والتربية للصف الداخلى، والاهتمام بالدعوة الفردية والتأثير في المجتمع بالقدوة العملية، واتخاذ الوسائل المناسبة لإبلاغ الدعوة وتربية الأفراد، ولا تتخلى عن منهاجها وطريقها ومبادئ دعوتها، ولا تلجأ للعنف وتتحمل كل ذلك التضييق وتواجهه حتى تزول المحنة.

٥- وأن تصل الجماعة إلى مرحلة قيادة المجتمع وريادته، وتصبح الدعوة والجماعة أمل الأمة حقيقة لا كلاما، فتتبنى الدعوة مطالب الجماهير، وترسّخ فيها مبادئ الإسلام وأهدافه، فتنادى بها الأمة وتتمسك بها، وتبرز في المجتمع رموز وكوادر الجماعة في كل موقع، فتلتف حولها الجماهير وترتبط بها وتتفاعل معها تفاعلا إيجابيا.

ويتم التعاون مع كل من يدعو للإصلاح، والتنسيق بين المخلصين والمصلحين - أفرادا أو جماعات - مع توجيه الدعوة إليهم جميعا ليناصروها عن فهم واقتناع، وننتظر دورة الزمن ليدرك هؤلاء أنها الدعوة الأشمل والأعمق فيلحقون بها وينضوون تحت لوائها إن شاؤوا، وتصبح دعوة الإخوان هي قلب الأمة وعقلها وأملها.

٦- عندما يتحقق هذا بالدرجة المطلوبة المقدر لها، ومع تحقق البعد العالمى للدعوة من المساندة المعنوية من شعوب الأمة الإسلامية وقوى الإصلاح فيها.. عندها تقدم الجماعة على الخطوة الأساسية، فتنحاز إليها السلطة التنفيذية[1] فى ظل هذا الواقع الجماهيرى

(١) لمزيد من التوضيح راجع : الباب التاسع (الحكومة المسلمة) من هذا الكتاب،تحت عنوان : كيفية انحياز السلطة التنفيذية.

والمؤسسى المطالب بالإسلام والمساند للجماعة.. وهذا الانحياز للسلطة إلى منهج الإسلام وإلى رغبة الشعب الذي تقوده الدعوة سوف يتم بإذن الله، سواء باختيارها أو بالانحياز العملى الواقعى لآليات السلطة دون عنف.

إن العمل السياسي والثقافى والاجتماعي والخدمى والتربوى والدعوى لكل شرائح المجتمع ومؤسساته يؤدى إلى انحياز الرأى العام للجماعة ولدعوتها، وأن تحوز الجماعة على ثقته وأغلبيته، وبالتالى ينحاز إليها عمليا الشارع والحى والقرية والمؤسسة والهيئات النقابية والمهنية والسياسية، ويصبح على الحكومة القائمة أن تنحاز هي أيضا للرأى العام فتسلم الأمر للجماعة التي انحاز لها المجتمع، فأصبحت هي الموجهة والمؤثرة والفاعلة فيه، متآلفة ومتعاونة مع كل الفئات والشرائح.

فإذا أصرت البقايا الموجودة في سلطة التنفيذ على الرفض والإذعان لمطلب الجماهير وأخذت في الإيذاء والاعتداء والمقاومة، تكون بذلك هي المعتدية الخارجة على المجتمع ورأيه العام. وأصبح لزاماً على الجماعة أن ترد هذا الاعتداء - الذي لم تكن البادئة فيه بل ستصبر وتحتسب - وستدافع عن المجتمع واختياره للمنهج الإسلامي.

يقول الإمام: « أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة. وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويتحملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح »[1].

ويقول أيضا: « نحن دعاة حق وسلام، نعتقده ونعتز به، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا، فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا، وكنتم الثائرين الظالمين »[2].

ويقول الإمام: «.. ولن نيأس أبداً ولنا في الله أعظم الأمل ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] »[3].

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٦.

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١١٠.

(٣) رسالة : التعاليم،ص١٣٦.

■ **من آليات التكوين والتربية للفرد والمجتمع:**

١ – وهذا الإعداد لهذا الصف وتلك الركائز لا يتم بين يوم وليلة بل هو يحتاج إلى تربية عميقة، فلابد له من التربية العميقة، والتكوين الدقيق ليصل إلى المستوى الإيمانى الذي يستحق نصر الله بالتمكين له، وأن يكون قادراً على تحمل الأعباء والضغوط بعد التمكين.

٢– وهذا التكوين ليس بمعزل عن الواقع والحركة – حتى يدعى أحد أنه يتم بانعزال الأفراد – بل إن الحركة بالدعوة والتفاعل الإيجابى مع الواقع هو جزء أساسى منها، ومن خلال هذا الواقع وتلك الحركة يتم نضوج الأفراد واستواء سلوكها واختباره، « فحركتنا منضبطة بعقيدتنا وعقيدتنا تنمو بحركتنا »[1].

٣– وهذا الانتقاء والتكوين للركائز عملية مستمرة، لا تقف عند مرحلة معينة أو حتى عند قيام الدولة – بل هي مستمرة استمرار الجماعة لتحقيق الأهداف الكبرى حتى أستاذية العالم وهى ضرورية للحفاظ عليها.

٤– ولابد من التفاعل والتواصل بين الركائز الوليدة الجديدة والركائز القديمة ليتم التواصل والتلاحم والوحدة، وبهذا تتواصل الأجيال ويتم توريث الدعوة باستمرار وباستقامة على المنهج دون انحراف، فهذا النمو للصف والتفاعل بين ركائزه عملية مستمرة لا تنقطع سواء قبل التمكين أو بعده.

٥– إنه لا بديل عن منهج التربية والتكوين لهذا الصف، وتلك الركائز، حتى يصل إلى المستوى الإيمانى المطلوب والمؤهل للتمكين، ويتم معه تهيئة الأمة وإعدادها لهذه المرحلة، فعندها يهيئ الله من الأسباب ما يبارك في خطوات هذا الصف فتقوم الدولة.

يقول الأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله: «وقد أثبتت الأحداث والأيام أنه بقدر الاهتمام بالتربية تتحقق الأصالة للحركة الإسلامية واستمراريتها ونموها، ويكون التلاحم بين الأفراد ووحدة الصف، والتعاون والإنتاج المبارك.. فالتربية دور أساسى مطلوب منا ولنا »[2].

---

(١) من أقوال الشهيد سيد قطب،نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدا .

(٢) رسالة : الرؤية الواضحة،للأستاذ مصطفى مشهور،ص٣٩.

٦- ولا يقف الأمر عند مجرد التكوين الفردى للركائز، بل لابد من التربية لهذا المجتمع وصبغه بالصبغة الإسلامية العامة وكسبه لصالح الفكرة الإسلامية، ومناصرته للدعوة وإعداده ليكون مؤهلاً لقيام الحكم الإسلامي، والتجاوب والتفاعل معه وحمايته والدفاع عنه.. وبدون هذه التهيئة للمجتمع وشرائحه المختلفة وبدون انتشار الدعوة وركائزها في كل مؤسسة وكل شريحة وكل شارع وكل قرية لا يكون الأمر قد تهيأ.

« فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة »[١].

« أيها الإخوان لا تستعجلوا، فلا يزال الوقت أمامكم فسيحا » [٢].

« الإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان »[٣].

«انشروا الفكرة في كل محيط يتصل بكم: فى الحوانيت والشوارع والبيوت والمساجد والمقاهى والمجالس العامة والخاصة وفى القرى والريف وفى المدن والعواصم وفى المصانع والمعامل والحقول والمدارس... إلخ »[٤].

« اجعلوا في كل شارع جماعة إخوانية، وفى كل قرية كتيبة قرآنية، وفى كل مدينة راية محمدية، وفى كل فج من الفجاج أخاً يهتف بمبادئكم وينادى بتعاليمكم ويعطى كلمتكم ويبايع بيعتكم »[٥].

٧- ولابد لهذا الشعب من تحقيق وحدته وتآلفه، والحفاظ على مصادر قوته وأن يناصر الدعوة عن فهم واقتناع، وأن يلتف حول أفرادها ورموزها بحب ووفاء، وأن تعالج

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٣.

(٣) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٢.

(٤) مقالة: نصيحة من البنا إلى الإخوان،من كتاب الإمام الشهيد،الأستاذ / فؤاد الهجرسى،ص١١١،ط٢.

(٥) المرجع السابق نفسه .

فيه مظاهر السلبية والضعف، وأن تبنى فيه الإرادة القوية، والوفاء الثابت، والتضحية العزيزة، والمعرفة الصحيحة بالمبدأ والإيمان به والتمسك والثبات عليه، وأن يصطبغ بالأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة [1].

٨ - وبهذا يسير التكوين للركائز متوازياً مع العمل والنشاط العام وتربية الشعب والمجتمع وإيصال الدعوة، وكسب الأنصار في كل المؤسسات.. فتسير هذه المراحل أو المحاور من التعريف والدعاية، والتكوين والإعداد، والعمل والتنفيذ.. متساندة واضحة الخطوط والمعالم.

يقول الإمام الشهيد: « إن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث:

مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب..

ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين..

ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج.

وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنبا إلى جنب ؛ نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً: فالداعى يدعو وهو في الوقت نفسه يتخير ويربى، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك »[2].

٩- « ولكن لاشك في أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين ».

« ولازلنا ندعو وسنظل كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الإخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح »[3].

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٥.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٦.

(٣) المرجع السابق نفسه.

١٠ - وألا يشغلنا الآخرون عن أنفسنا والعناية بها - سواء كانوا يمدحون أو ينتقدون- يقول الإمام: «وستسمعون أن هيئة من الهيئات تتحدث عنكم، فإن كان الحديث خيرا فاشكروا لها في أنفسكم ولا يخدعنكم ذلك عن حقيقتكم، وإن كان غير ذلك فالتمسوا لها المعاذير، وانتظروا حتى يكشف الزمن الحقائق، ولا تقابلوا هذا الذنب بذنب مثله، ولا يشغلنكم الرد عليهم عن الجد فيما أخذتم أنفسكم بسبيله » [١].

« وثقوا أن ذلك لن يصرف عنكم أحدا ولن يضركم أن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » [٢].

« وإن خير طريق نسلكها ألا يشغلنا الالتفات إلى غيرنا إلى الالتفات إلى أنفسنا، إننا في حاجة إلى عدة وإلى تعبئة وإن أمتنا والميادين الخالية فيها محتاجة إلى جنود وإلى جهاد، والوقت لا يتسع لنتطلع إلى غيرنا ونشتغل به» [٣].

ويقول أيضا: « إن هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها في بناء النهضات بناء صحيحا وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرية » [٤].

ويقول الإمام الشهيد: « لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان، وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وإلى الأمام دائما » [٥].

ويقول المرشد العام الأستاذ محمد مهدى عاكف لتلك الأنظمة والحكومات التي تضيق على الدعوة: « ولن يستطيع أحد - بإذن الله - أن يحتوى دعوة الإخوان المسلمين، ونحن على مصالح بلادنا حريصون، وبالحكمة وبالمنهج السلمى إلى آخر الدرب سائرون، نرعى الله في أمتنا وفيكم، فهلا كففتم أيديكم وتنازلتم لإرادة أمتكم ونزلتم

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٥٤.

(٥) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥٣.

على رغبتها في الإصلاح، فإن أبيتم فإن الله فوق الجميع يسمع ويرى، وإنا على دربنا لسائرون، وعليكم لصابرون، حتى يفتح الله بيننا وبينكم بالحق وهو خير الفاتحين، واحذروا الفتن، ووالله إنكم بين يدى الله لمسئولون، نسأل الله لنا ولكم الهداية، اللهم هذا بلاغنا، اللهم فاشهد »[1].

وينصح الإخوان في مواجهة ذلك: «.. أن تصبروا على درب الجهاد والتضحية، وأن تتحمل مسئوليتها أمام ربها، وحيال أمتها، فلا تكاسل ولا خور ولا تهور ولا صدام، ولكن وعى وهمة وتفاعل ومطالبة دائما بالحق المشروع، وبالحكم الصالح الراشد وبالإصلاح المنشود »[2].

■ **مستهدفات تربية المجتمع في آلية إقامة الدولة:**

نعيد تأكيد القول وترتيبه في هذا الشأن في تلك النقاط:

- إن التهيئة والتربية المطلوبة لابد أن تشتمل على:

١- تربيته وتعليمه ما هي حقوقه، وكيف يطالب بها وينالها ويحافظ عليها.

٢- أن يستطيع أن يميز بين: الرموز والكوادر المخلصة، وبين رموز الفساد وأصحاب المطامع الشخصية، فلا تخدعه العبارات والشعارات المزيفة.

٣- أن يصبغ في عمومه بصبغة الإسلام في أخلاقه وعباداته وقيمه ومعاملاته وأن يزداد ارتباطا بالقرآن والمسجد.

٤- أن ينحاز رأيه العام لشريعة الإسلام والمطالبة بها.

٥- أن يتعلم كيف يضحى ويصبر في سبيل مبادئه التي يؤمن بها.

٦- أن يلتف حول الجماعة ورموزها، ويناصرها عن فهم واقتناع وحب، ويتجاوب مع أهدافها، ويتعاون معها في كل مجالات الإصلاح بالمجتمع.

---

(١) من رسالة فضيلة المرشد « الإخوان المسلمون دعوة ورسالة »،أبريل ٢٠٠٥م.

(٢) المرجع السابق نفسه .

٧- أن يستشعر أنه جزء من أمة الإسلام فيعيش قضاياها ويناصرها.

والجماعة لا تقصر حركتها على الأغلبية المسلمة، وإنما تمتد آثارها ودعوتها لكل فئات المجتمع وأقلياته، وذلك لتحقيق السلام الاجتماعى والوحدة الوطنية التي هي من مبادئ الإسلام وقيمه.

إن هذه التهيئة والتربية المطلوبة للمجتمع هي الضمان الأساسى لعدم انحراف الحاكم أو أى فئة تصل للحكم إذا أرادت أن تخدعه بالشعارات أو أن تنقلب على حقوقه ومبادئه، وتزيف إرادته، وهى كذلك - أيضا - الضمان لثبات الحكم واستقراره، فإن قيام الحكم الإسلامي في الأمة - حكما حقيقيا كاملا - لن يقابل بترحيب عالمى من قوى الاستكبار والاستعمار الغربي، وإن عاجلا أو عاجلا سيصطدم مع مصالحهم وأطماعهم - التي لا يمكن أن تلتقى أبدا مع أهداف الإسلام ومصلحة أمته، وسوف يتعرض الحكم الإسلامي لمضايقات شديدة مثل الحصار الاقتصادي والسياسى، ومثل حملات التشويه والتشكيك، وقد تصل إلى الدخول معه في ضغوط أو معارك شديدة... إلخ.

مما ينعكس على أفراد الشعب، ويتطلب منهم الصبر وتقديم التضحيات واحتمال صور مختلفة لذلك من التقشف، ويتطلب منهم أيضا الوعى والبصيرة، والمزيد من الالتفاف حول الحكم الإسلامي ورموزه وقياداته عن قناعة وحب، والدفاع عنه ضد المؤامرات الداخلية والخارجية، وتقديم التضحيات عن طيب خاطر، مما يتطلب منه - كما ذكر الإمام الشهيد - توفر الإرادة والعزيمة القوية لما آمن به، وإلى التمسك والوفاء بما عاهد عليه، وإلى التضحية والصبر على ذلك مهما عظمت، وإلى البصيرة والوعى والمعرفة بالمبدأ والطريق، فلا ينخدع أو يتأثر بالدعايات المغرضة أو يقبل المساومة، أو الانحراف عن مبادئه وعقيدته، وبدون هذه التهيئة وتلك التربية للشعب والأمة يصبح استقرار الحكم الإسلامي وضمان استمراره أمرا مهزوزا أو مشكوكا فيه عندما يواجه بالأعداء ويتعرض للضغط منذ أول يوم.

ويشير الإمام الشهيد - في أكثر من موضع - إلى عوامل قوة تأثير الدعوة التي يجب أن تتصف بها ؛ لتحقيق أهدافها بالمجتمع، ومنها:

١- مدى الإيمان بالدعوة وأهدافها.

٢- العمل على نشر الدعوة وتوضيحها بشتى الوسائل والوصول بها إلى كل المجالات والشرائح، والتعامل الجيد معها.

٣- أن نكون نماذج وقدوة صالحة لما ندعو الناس إليه، والتمسك بكتاب الله والعمل به.

٤- أن نكون: صفا مترابطا، ويدا واحدة، وقلبا واحدا، واتجاها واحدا، وأن نحرص في المجتمع على ائتلاف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الأمة.

٥- أن نضحى ونصبر على ما نلقاه من معوقات وأذى، ونحتسب ذلك في سبيل الله، متجردين لله في دعوتنا، ومتبرئين من كل عجب أو غرور.

الإمام الشهيد لا ينتظر حتى تنتهى المراحل الأولى ثم يبدأ بعدها العمل للمرحلة الأخيرة من إقامة الحكومة والخلافة وأستاذية العالم، إنما منذ البداية في تكوين الفرد والمجتمع، يمهد لهذه الأهداف العليا، ويضع بذور وقواعد تلك الأهداف في آليات تحقيق الفرد المسلم والمجتمع المسلم، لتمتد جذورها وتنمو مع حركة الدعوة، فعندما يأتى توقيت تحقيقها يكون قد أقام قواعدها وأساسها في الفرد والمجتمع، وتدرج في بنائها بخطوات متصلة ووسائل متدرجة منذ البداية.

■ **أهمية المراجعة والتخطيط:**

يشير الإمام الشهيد إلى أهمية المحاسبة الذاتية، والمراجعة لأنفسنا ولحركتنا، سواء على المستوى الفردى أو المستوى الجماعى، والتخطيط الجيد للمستقبل، واتخاذ الإجراءات العملية لمعالجة الأخطاء، وإقالة العثرات واستدراك ما فات، وأن نسارع بالعمل والتخطيط، فتتحكم في الظروف والأحداث، لا أن تفرض نفسها علينا، دون استعداد منا.

ويشدّد الإمام الشهيد على أهمية المناخ الذي يتم فيه ذلك، من: روح الحب والأخوة، وروح الثقة في القيادة، وفى المنهاج والطريق، وروح الأمل واليقين بعون الله ونصره، وأهمية الإعداد النفسى والقلبى في هذه المراجعة أو المحاسبة وفى ذلك التخطيط، من صفاء

القلوب، وتسامح النفوس، ومناخ التناصح والتغافر، والنية الصالحة، والعزيمة القوية الماضية التي لا تعجز أمام المعوقات، ولا تنهار في مواجهة الضغوط، ولا تجزع أمام الأخطاء والعثرات.

وأن يرتبط الأخ في ذلك كله بالله – عز وجل – واللجوء إليه، وطلب العون منه.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: « علينا أن نحاسب أنفسنا على الماضى وعلى المستقبل، من قبل أن تأتى ساعة الحساب، وإنها لآتية..

على الماضى: فنندم على الأخطاء، ونستقيل العثرات، ونقوِّم المعوج، ونستدرك ما فات، وفى الأجل بقية، وفى الوقت فسحة لهذا الاستدراك..

وعلى المستقبل: فنعد له عدته من: القلب النقى، والسريرة الطيبة، والعمل الصالح، والعزيمة الماضية السباقة إلى الخيرات..

وإن المؤمن – أبدا – بين مخافتين، بين عاجل قد مضى، لا يدرى ما الله صانع فيه، وبين آجل قد بقى، لا يدرى ما الله قاضٍ فيه » [1].

ويقول الأستاذ مصطفى مشهور – رحمه الله –:

« والأمر الطبيعى أن يسير العمل لتحقيق التمكين لدين الله في الأرض بإقامة الخلافة الإسلامية وفقا لتخطيط دقيق، وألا يكون ارتجاليا أو ردود أفعال، فيقسم الهدف الكبير إلى أهداف مرحلية، وتوضع الخطة لكل منها والوسائل اللازمة ويتابع التنفيذ وهكذا...وذلك يلزمه دراسة الظروف القائمة ومعرفة الإمكانيات اللازمة وتحديد الذين سيقومون بالتنفيذ والمدة المناسبة لإتمام التنفيذ، وافتراض الاحتمالات المتوقعة التي قد تؤثر عليه وكيفية مواجهتها « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ».. والتطوير والتجديد أمر مطلوب يحث عليه الإسلام للترقى في أساليب العمل ووسائل الحياة.. «إن الله كتب الإحسان على كل شيء » وفتح له أبوابا كثيرة.. « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو

(١) نقلا من كتاب : المسار،للأستاذ / محمد أحمد الراشد .

أحق بها ».. طالما كان ذلك في حدود تعاليم الإسلام وآدابه.. « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »..

ويلزم أن يوضع في الاعتبار عندما نقوم بدورنا في التخطيط والتطوير الإدارى لميدان الدعوة أننا نتعامل مع قلوب ونفوس، وأن القلوب بيد الله، فقد يتيسر فتح مغاليق بعضها ويستعصى البعض الآخر، والتوفيق من الله، فقد يجرى الله خيرا كثيرا على يد فرد، وقد لا يتحقق مثله على أيدى أفرادا عديدين.. إن الأمور كلها بيد الله، فلا يظن أحد أن التخطيط يتعارض مع كون الأمور كلها بيد الله، فالله تعالى أمرنا بالعمل والأخذ بالأسباب، أما النتائج فموكول أمرها إلى الله، والتخطيط أخذ بالأسباب، ونحن في ذلك نتوكل على الله..والتوكل هو أن نأخذ بالأسباب ثم لا نعول عليها ونكل الأمر لله»[1].

■ **الإخوان والمناهج الأخرى:**

يرفض الإخوان بمنهجهم الشامل، وينأون بأفرادهم، عن مظاهر الخلل في بعض أفراد وتوجهات العاملين في الصحوة الإسلامية:

أ – فيرفضون منهج اليأس والإحباط الذي يرفعه البعض بدعوى عدم تحقيق النجاح أو ازدياد ظهور الباطل.

ب – أو منهج الحالمين المثاليين المثبطين للعمل والدعوة، يريدون أن يبدأ الشيء كاملاً.

يقول في وصفهم الدكتور القرضاوى: «كل ما لديهم لسان طويل على ذراع قصير، وبراعة في النقد وإخفاق في العمل، وهمة في الهدم وقعود عن البناء.

أكبرُ هَمِّ هؤلاء تتبع العثرات والأخطاء للعاملين وتجميعها من هنا وهناك ثم النظر إليها من خلال مجهر مكبّر مقرّب، فإذا الحبة قبة وإذا النملة فيل.

لا يلتمسون لعامل عذراً ولا يحسنون بأحد ظناً ولا يقدرون للظروف المحيطة قدرها ولا يعرفون أن للضرورات أحكامها، وهؤلاء لأنهم لا يعملون تجدهم لا يخطئون لأن

(١) رسالة : الرؤية الواضحة،للأستاذ مصطفى مشهور،ص٤٠،٤١.

الخطأ نتيجة الاجتهاد في العمل.وهؤلاء الإخوة الطيبون مغرورون، غرتهم الأمانى وغرهم بالله الغرور »[1].

جـ - وكذلك منهج الاستعجال والفوران، وهو مخالف لمنهج التربية والتكوين، فالمهم عندهم هو العمل والجهاد أيّ عمل وأى جهاد، دون ضوابط ودون إعداد.

« فميدان القول غير ميدان العمل.. » وليس المهم أن نعمل ولكن المهم أن نعمل صالحاً وأن نسعى للعمل الأحسن ومن إحسان العمل أن نعمل الشيء في إبانه وفى موضعه. فلا نعمل عملا قبل أوانه ولا نؤخره عن أوانه. وبهذا علمنا الإسلام دقة التوقيت في الصلاة والصيام .

ومن إحسان العمل أن نقدم ما حقه التقديم ونؤخر ما حقه التأخير، ونضع كل عمل في مرتبته التي وضعها له الشرع.

ومن الواجب هنا أن ندرك أن العمل للدنيا والأخذ بأسباب الرقى والقوة جزء من العمل بالدين، وأننا إذا أضعنا دنيانا فلن يبقى لنا دين.

د - إن من هذه الفصائل من يحتل العمل السياسي وحده أكبر همه، ويغفل عن باقى جوانب العمل الضرورى بدءاً بالتكوين والتربية والعمل الفكرى والاجتماعى، فهذه ليست منفصلة عن العمل السياسي بل هي مقدمات لازمة له.

إذ لا بد من تكوين قاعدة جماهيرية عريضة تناصر العمل السياسي الإسلامي، وتؤيد المطالبة بالحكم بما أنزل الله.

كما أنه لا بد من توفر الركائز التربوية والصف المتماسك الذي يقود الجماهير ويدخل المعترك السياسي، لا بد من تربية جيل مسلم واع لدينه فاهم لدنياه، سليم العقيدة صحيح العبادة مستقيم الأخلاق قادر على البناء والعطاء، صالح في نفسه مصلح لغيره.. وكل أولئك لازم لنجاح العمل السياسي.

(١) مقالة الصحوة الإسلامية،د. يوسف القرضاوى،مجلة الرسالة رمضان ١٤٢٢هـ ـ ديسمبر ٢٠٠١م ـ العدد الأول .

هـ - ومن هذه الفصائل من يرى العمل العسكرى هو وحده أكبر همه فقط، في سعيه لهدم باطل، لكنه لن يقيم الإسلام الصحيح مكانه أو يثبت الحكم الإسلامي في المجتمع بهذا الأسلوب العنيف.

ومن المقرر فقهاً أن المنكر يُسكت عنه مؤقتاً إذا ترتب على محاولة تغييره بالقوة منكر أكبر منه، مع اتخاذ الوسائل الأخرى وغير المباشرة لمحاصرته أو تغييره على المدى البعيد.

و - وفصيل « المنتظرون القاعدون » أو « المتجمدون ».. فلا دعوة أو حركة ولا قيام بعمل إصلاحى في المجتمع إلا بعد قيام الدولة الإسلامية في نظرهم، فهم يوقفون كل سائر، ويجمدون كل متحرك حتى تقوم الدولة »[1].

ويقول الدكتور القرضاوى عن الإمام الشهيد في وصف دعوته: « كان حريصا كل الحرص كذلك على ألا يعيش أبناؤه ورجال دعوته في الآفاق النظرية وحدها، وألا يستهلكهم الجدل في المثاليات والفرعيات والخلافيات التي لا تنتهى، وكان كثيراً ما يذكر الحديث النبوى الشريف: « ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل »[2].

ومن هنا جعل العمل أحد أركان البيعة، وجعل له عدة مجالات حيوية بعضها يعمل فيه الأخ المسلم فرداً وبعضها يعمل فيه عضواً في الجماعة، حتى إنه سمى الصفوة من جنوده ورجال فكرته « الإخوان العاملين » فاختار وصف العمل على أيّ وصف آخر »[3].

إن الإخوان يرفضون منهج الانقلاب والثورات وأسلوب القفز على الحكم؛ فهذا ليس من منهاجهم ولا يتفق مع أسلوب تربيتهم للأمة وتكوينهم للمجتمع، يقول الإمام الشهيد: « وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها »[4].

(١) مقالة الصحوة الإسلامية،د. يوسف القرضاوى،مجلة الرسالة رمضان ١٤٢٢هـ ـ ديسمبر ٢٠٠١م ـ العدد الأول .

(٢) رواه الترمذى عن أبى أمامة،وقال : « حسن صحيح ».

(٣) مقالة الصحوة الإسلامية،د. يوسف القرضاوى،مجلة الرسالة رمضان ١٤٢٢هـ ـ ديسمبر ٢٠٠١م ـ العدد الأول .

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٦.

إن الأسلوب الانقلابى بأن تقفز مجموعة على نظام الحكم مهما رفع من شعارات فإنه لا يقيم بناءً ولا يربى شعبا، وإن الادعاء بأن هذا يمكن تداركه بعد ذلك هو ادعاء غير واقعى، فأين الأساس الذي وضعه وتربى عليه الشعب لنبنى عليه بعد ذلك ؟!

كما أنه مثلما نجحت مجموعة في القفز على كرسى الحكم فقد تنجح مجموعة أخرى في إزاحتها، بل ويؤدى هذا الاحتمال إلى إحكام السطوة والتمسك الشديد بالكرسى والاستبداد والبطش ويصبح الحال مجرد تغيير نظم وأشخاص دون بناء حقيقى وإصلاح شامل. إن هذه المحاولات الانقلابية مهما رفعت من شعارات فهي مجرد إصلاح جزئى لفرعية من الفرعيات، إن صدقت في شعاراتها، وإنما الواقع يشهد بأنه لا فرق بين هذه الأنظمة الانقلابية في سيطرتها على الشعب وتركيزها على السلطة.

أما أسلوب التثوير العشوائى للجماهير، ودفع الأمور للفوضى، والتدمير وتفجير بؤر الضغط، وإذكاء الصراع والتمرد بين الطبقات، وإشعال المشاكل، فهذا كله يدمر مقدرات الأمة والمجتمع ولا يقيم بناءً ولا يؤسس دعوة، وفى النهاية يقفز على سدة الحكم ويسيطر عليه من كان أكثرهم انتهازية وقدرة على ركوب الموج والمناورة.

وإن تجارب الماضى والحاضر المريرة لتؤكد صحة رؤية الإخوان وعمق نظرتهم.

كما أنهم – أى الإخوان – يرفضون آليات العنف وسفك الدماء لأبناء الشعب مهما كان المبرر، وتاريخهم يشهد بذلك وما كان من حوادث سابقة قديمة، فكانت كلها أمور فردية قليلة أخذت الجماعة منها موقفا حاسما حازما واستنكرتها في حينها ؛ لأنها تشكل خروجا على خطها ومنهجها، وأصحابها ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين، أشار بذلك الإمام الشهيد في بيانه.

■ **مفاهيم حول الوسائل:**

إن الأهداف الكبرى تتفرع عنها أهداف صغرى، تصبح في حد ذاتها وسيلة لهذه الأهداف، وهكذا حتى نصل إلى منظومة متكاملة من الأهداف والوسائل والخطوات المتشابكة.

وإذ نشير إلى الوسائل العامة الأساسية، نذكر أهمها:

أ - إحياء المشاعر والوجدان، وتحريك القلوب وربطها بالله ﷻ وبالقرآن.

ب - التربية العميقة لأفرادنا وللدوائر المحيطة بنا.

جـ - نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعميق المفاهيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية، واكتساب العناصر المتعاطفة والأفراد المؤيدة في كل مكان وكل مؤسسة.

د - النضال الدستورى والعمل المؤسسى بكل أنواعه وواجهاته.

هـ - العمل على إصلاح المؤسسات، وسدّ الخلل وامتلاك أسباب القوة.

وتخدم هذه الوسائل العامة وسائل فرعية كثيرة تتفرع منها كذلك، وآليات متعددة تساعد في تحقيق الأهداف العامة والأهداف الفرعية والجزئية.

كما يقوم على ذلك برامج ومناهج متعددة تتطور حسب الظروف والأحوال، وتناسب تطور العصر وتقدم الدعوة.

وهذه الآليات وتلك الوسائل تعمل في منظومة واحدة، لا تناقض بينها ولا تعارض، وتسير في التخطيط والتنفيذ من خلال جسم واحد وهيكل واحد - وإن تعددت فروعه ووحداته - متواصل ومترابط وملتف حول قيادة واحدة، تتحقق في وحداته المختلفة أركان التعارف والتفاهم والتكافل، وضمن قواعد وأطر ولوائح محددة وواضحة الاختصاصات والأهداف العملية.

وتجمع بين التكليف والذاتية الفردية، وبين الإطار والتكليف الجماعى، وتعتمد أساسا على أهمية تكوين الفرد وتربيته، فإذا وجد الفرد المؤمن الصحيح وُجد معه أسباب النجاح كلها.

وكذلك الحرص على تواصل الأجيال وتأصيل الدعوة في النفوس.

وإن الشريعة الإسلامية هي الضابط والمنهج والمرجعية لكل أمر من أمورنا، ولكل وسيلة من وسائلنا، نهتدى في ذلك بسيرة الأنبياء ومنهج رسول الله ﷺ والسلف الصالح في مجال الدعوة والحركة.

ونرفض أسلوب العنف، وفرض الأمر بالقوة والإرهاب على الآخرين، ونؤمن بحرمة الدم والعرض والمال، حسب وصية رسول الله ﷺ لأمة الإسلام ونرفض أى إهدار لها تحت أى مسمى أو أى حجة.

يقول الإمام في مجال نشر الدعوة وتجميع الأنصار: « أما الوسيلة إلى تحقيق ذلك فليست المال... وليست الوسيلة القوة كذلك، فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولا وتناجى القلوب وتطرق مغاليق النفوس، ومحال أن تثبت بالعصا أو أن تصل إليها على شبا الأسنة والهام، ولكن الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة .. وخلاصة ذلك جملتان: إيمان وعمل، ومحبة وإخاء، ماذا فعل رسول الله، في تركيز دعوته في نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة، وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لابد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعا »[1].

ونرفض تكفير الناس، والتشديد عليهم بالنكير والوعيد فيصلون إلى اليأس والإحباط، وإنما نكون قدوة، وأن نرفق بهم، ونتدرج معهم في الإصلاح، ونحرص على تأليف القلوب ووحدة الأمة، وعدم إثارة الشحناء والبغضاء.

الاستفادة من كل الفرص المتاحة والجهود القائمة من الآخرين، والتعاون والتنسيق معهم ومع كل مخلص يعمل لصالح الوطن.

وعدم تعجل ظهور النتائج، والصبر والاحتمال أمام المعوقات، والمرونة في استخدام الوسائل الفرعية.

إن الواجهات والأوعية التي تنشئها الجماعة (مثل: الجمعيات ـ النوادى الاجتماعية والرياضية ـ مؤسسات البر ـ المؤسسات الاقتصادية ـ الأحزاب والمنتديات السياسية والاقتصادية... إلخ)، فإنها تأتى ضمن منظومة الوسائل والنضال الدستورى، وتخدم أهداف الجماعة أو جزءا منها، وتعتبر مكملة للعمل الدعوى، ولا تهم فيها الأسماء

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٤٠ .

والعناوين فلا يشترط أن يكون اسم الجماعة عليها أو اللفظ الإسلامي، وإنما المحتوى والبرنامج، وأن تنشأ وفق القانون وضمن الإطار الاجتماعى، وأن تكون واضحة الأهداف والوسائل، معلنة البرنامج، ومن شاء من الآخرين أن يعمل أو يساعد في أنشطتها وفق الضوابط والشروط المعلنة، فالدعوة ترحب به.

كما لا يتعارض وضع القائمين عليها مع ارتباطهم بالجماعة ومرجعيتهم لها وعملهم لتحقيق أهداف الدعوة كلها، وأن تكون هذه المرجعية واضحة محددة، ولا يجوز لها أن تخرج عن أهداف الدعوة أو تنحرف في السلوك والنشاط أو تخرج على القانون.

أما المؤسسات القائمة في المجتمع وتدخلها الجماعة كأفراد أو ببرامج ومجموعات مؤيدة لها، فإن ذلك من وسائل العمل الدعوى الاجتماعى وضمن الإطار والنضال الدستورى المتاح لكل فرد ولكل فصيل وطنى بالمجتمع، فإن الجماعة لها أسلوبها المميز في ذلك حيث يقوم على:

١- عدم الاحتكار، بل المشاركة والتعاون مع الآخرين، حتى وإن كانت لهم الأغلبية المطلقة، فمؤسسات المجتمع المدنى ليست حكرا على أحد، ومن أصول منهج الجماعة التعاون مع الآخرين ودعوتهم للمشاركة في كل صالح ومفيد.

٢- ابتغاء وجه الله من دخول الدعوة في هذه الأوعية والمؤسسات وعدم التربح المادي منها، والحرص كل الحرص على الضوابط المالية والقانونية في أداء الأفراد فيها.

٣- أن نحترم ضوابط العمل في تلك المؤسسات وقواعدها، وأن نطور فيها، ولا نتدخل في ذات عملها - أى في وحدات الجماعة الأخرى - إلا بالنصيحة وحسن إعداد الأفراد وتأهيلهم.

٤- الشفافية في وجودنا وحركتنا وفى وعودنا وكلمتنا.

٥- الدخول هناك يكون للإصلاح ؛ حيث من أهدافنا العمل على إصلاح كل أوجه الحياة في المجتمع، وكذلك إبلاغ الدعوة العامة لكل فئات الشعب ومؤسساته، ليس مجرد إبلاغ نظرى بالأقوال وإنما بالإصلاح والقدوة وتحقيق البرنامج الإسلامي، فيعود للناس

ثقتها في الدعاة والمصلحين، ويعرفون ويدركون أن المنهج الإسلامي شامل لكل شيء، وصالح لكل مجالات حياتنا.

٦- نتقبل النقد، ونراجع النفس، ونعترف بالأخطاء، ونحاسب أنفسنا، ونطلب من الجماهير أن تساعدنا، وأن تحاسبنا، ونحترم رأيها، وننزل على إرادتها.

وإن الممارسة العملية للجماعة في الجمعيات والنقابات وغيرها لدليل واضح على التقدم والإصلاح الذي قدمه الإخوان، وعلى الإنجازات التي حققوها، وعلى مدى احترامهم للقانون ولقواعد المجتمع، بل نجد أن الأنظمة الحاكمة وذوى النفوس المريضة هم الذين خالفوا القوانين ومنعوا هذه المؤسسات من أداء عملها وأوقفوها واستولوا عليها أو جمدوها.

وقد تأتى على الدعوة فترات من التضييق والحصار والتغييب وراء السجون، فيظن البعض أنها ضعفت نتيجة هذا المنع من الفعاليات والأنشطة والوسائل العامة، لكن الدعوة تنمو في هذه الفترات نموا رأسيا يؤصل داخلها معانى الجهاد والصمود والتضحية والترابط والوحدة، ويشكل انطلاقة قوية بعد ذلك، فإن واجب المرحلة في هذه الفترات يصبح هو الصمود والثبات، وإذا كانت الدعوة قد تحاصر في مكان فإنها كذلك تنمو وتنتشر في مكان آخر.

■ **الصندوق الانتخابى:**

أما مسألة الصندوق الانتخابى، والأغلبية البرلمانية فهي إحدى المسارات المكملة والمهمة للانحياز السلمى للمؤسسات والسلطة بالمجتمع، وهى نتيجة طبيعية لقوة الدعوة وانتشارها في كل مجالات الحياة وكل القرى والأحياء والشوارع، لكنها لا تمثل المسار الوحيد أو الأساسى الذي تتم به عملية التحول لقيام المجتمع والحكم الإسلامي، حيث إن ذلك يقوم أساسا على:

١- بناء القاعدة المؤمنة الصلبة القوية في عقيدتها، المترابطة في وحدتها المنتشرة بالكم والكيف المناسب، بحيث تغطى كل الشرائح والمؤسسات، وكل الأماكن والأحياء في القرى والمدن، وأن تكون غنية بالكفاءات والكوادر المطلوبة.

٢- وكذلك على تهيئة المجتمع وتربيته حتى يصطبغ بصبغة الإسلام في توجهه وعاداته وينحاز رأيه العام لشريعة الإسلام، ويلتف حول الجماعة ورموزها ويناصرها عن اقتناع وحب.

٣- كنتيجة طبيعية لهذا تصبح الجماعة هي صاحبة الأغلبية والثقل الرئيسى في كل المؤسسات الانتخابية، ومنها البرلمان، فتنحاز بذلك مؤسسات المجتمع وهيئاته التنفيذية إلى الجماعة، وهو ما سماه الإمام الشهيد بالانحياز السلمى للسلطة التنفيذية.

لكن مجرد تحقيق أغلبية برلمانية دون توفر الجوانب السابق الإشارة إليها، وبالمستوى المكافئ للواقع، فإنه لا يؤدى إلى قيام حكم إسلامي حسب ما يريده الإخوان، وإنما مجرد وصول لمقاعد الوزارة، قد تحقق به بعض خطوات الإصلاح الجزئى.

كما أن الأغلبية البرلمانية قد تتحقق نتيجة لحسن التخطيط في الانتخابات، أو قوة الدعاية، والقدرة على التحالفات، وليس في كل الأحوال كنتيجة لتوفر البناء والمراحل المطلوبة في الجماعة والمجتمع.

لهذا لا تخدعنا هذه النتائج، أو تجعلنا نتعجل الخطوات، أو نقفز فوق المراحل، أو نجعل مجرد الصندوق الانتخابى هو الهدف الرئيسى لخطواتنا ومنهاجنا، مع أهميته.

■ **حول الزمن المطلوب:**

هذه الأهداف الكبرى، وما فيها من تمكين ونصر للدعوة، يحتاج إلى أجيال متواصلة، وزمن ليس بالقليل، وذلك لعظمة هذه الأهداف وكبر حجم البناء المطلوب، وضعف الواقع الموجود والذي وصلنا إليه عبر قرون طويلة من الأخطاء والانحراف حتى تأصل فينا الداء.

فضخامة التحديات والمسئوليات التي تواجهها الدعوة، مع وجود اليقين الكامل عندنا في نصر الله وتأييده.

يقول الإمام الشهيد: « يجب أن يكون هناك منهاج محدد نقصد إليه، وقوم يعملون في حدود هذا المنهج، حتى تتواصل الأجيال على هذا الطريق لتصل إلى هدفها »[1].

(١) رسالة: هل نحن قوم عمليون.

وسأله أحد الشباب في أواخر الأربعينيات: متى يتحقق النصر المنشود ؟ فأجابه: « ليس في جيلي أو في جيلك، وإنما في الجيل الذي سيأتي بعد ذلك.. إن شاء الله ».

ويرفض الإمام الشهيد أسلوب المتعجلين والقفز فوق المراحل فيقول: «أيها الإخوان المسلمون، وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم..اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع، إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفا هذه الحدود، التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقا طويلة، ولكن ليست هناك غيرها، إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال » [1].

ويقول أيضا: «..وقد تستطيعون - أنتم معشر نواب الإخوان ومندوبيهم - أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتم همتكم وضاعفتم مجهودكم، وقد تهملون فيخطئ هذا الحساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفسكم العبء، وألفوا الكتائب وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس وسارعوا إلى التدريب وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل »[2].

فالأمر يتوقف على: مدى الجدية في العمل، وتأسيس البناء، والارتقاء في المراحل، وتحقق الشروط والضوابط والمظاهر والآثار المتعلقة بكل هدف، وحسن استغلال الفرص.

يقول الإمام: « والغاية الكبيرة - النتيجة - لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين » [3].

ويقول: « إن للإخوان المسلمين منهاجا محددا يتابعون السير عليه، ويزنون أنفسهم بميزانه، ويعرفون بين الفنية والفنية أين هم منه » [4].

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٧.

(٢) المرجع السابق،ص١٢٨.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٨.

(٤) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٣٦.

ويقول: « كل خطوة في وقتها المناسب »[1].

■ **الإخوان بعد قيام الدولة:**

– إن الجماعة قامت لتستمر حتى تحقق كامل أهدافها العليا، ثم تستمر في المحافظة عليها، لكنها لا تمثل في تلك المراحل مجرد فئة محدودة، فبعد قيام الدولة تتسع وتمتد التربية الإخوانية لتشمل قطاعات واسعة من الشعب والمجتمع ومن الأمة الإسلامية كلها، فتتجدد دماؤها وتتسع قاعدتها وتتوالى فيها الأجيال، وبمقدار عمق هذه التربية واتساعها وترابط أفرادها تتحقق قوة البناء وقدرته على تحقيق الأهداف العليا والمحافظة عليها.

– ودعوة الإخوان تقبل بوجود الآخر مهما اختلف معها، وتحمى حقه الذي منحه له الله في الحرية أن يعتقد ما شاء.

– ودعوة الإخوان لا تحتكر ساحة الدعوة والتربية في المجتمع، أو تقصره عليها، فالميدان مفتوح لكل القوى والأحزاب، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية، دون ضغط أو إكراه، ولها نفس الحقوق، طالما أنها لم تخرج عن مبادئ المجتمع وقواعد وأصول الإسلام، ولا يحكم بهذا الخروج إلا قضاء عادل مستقل لا يخضع لهوى السلطة التنفيذية.

– ودعوة الإخوان تحترم إرادة الأمة الحقيقية، فهي أحد أركان نظام الحكم الإسلامي، وهى ترفض كل محاولات الوصاية على هذه الإرادة، أو التزييف والخداع لها، أو أن يحتكر أحد الحديث باسمها، وتترك للاجتهاد وظروف العصر بناء، وتحديد الآليات والمؤسسات التي تعبر بصدق عن إرادة الأمة، حيث تظهر تلك الإرادة في الصندوق الانتخابى، وفى حركة الجماهير، والتفافها حول المبادئ والأشخاص، كما يحترم الإخوان رأى الأمة فيمن يتولى السلطة.

– ودعوة الإخوان تحترم إرادة الأمة، حتى لو كانت على غير رأى الإخوان، وتنزل عليها، وتسلك مع الأمة أسلوب الإقناع والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) المرجع السابق،ص٣٦.

– وإن التجارب المريرة التي مر بها وطننا العزيز على يد أشخاص وقوى اعتلت سدة الحكم وتحكمت فيه بالاستبداد، ليؤكد أن الإسلام وتربية الأمة عليه هو الضمان الحقيقي لمنع هذا الخداع وذلك الاستبداد، وحماية حقوق الأمة، وأن تقوم برقابتها على حكامها، مثلما كانت تفعل الأمة في حسابها لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ، وكانت تقول له: (والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا)[1].

■ **الجهاد طريق الدعوة (وهو أيضا جزء من آليات التغيير):**

يوضح الإمام الشهيد معنى الجهاد الذي جعله ركناً من أركان البيعة:

«.. وأريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول رسول الله ﷺ: « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو ؛ مات ميتة جاهلية ».

وأول مراتبه: إنكار القلب، وأعلاها: القتال في سبيل الله. وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد، وكلمة الحق عند السلطان الجائر ».

ويقول أيضاً: «ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها: وفخامة الثمن الذي يُطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] »[2].

وهذا الجهاد يحتاج إلى التجرد الكامل والتضحية بلا حدود:

يقول الإمام: « ونحب أن يعلم قومنا، إلى جانب هذا، أن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من: نفسه.. وماله.. ووقته.. وصحته »: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

(١) يراجع هذا الموضوع بالتفصيل في باب : (الحكومة المسلمة) من هذا الكتاب.

(٢) رسالة : التعاليم،ص٣٦١.

فهي دعوة لا تقبل الشركة ؛ إذ إن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين ويكون مع المخلفين ويقعد مع القاعدين »[1].

ويتحدث الإمام الشهيد عن مراتب الجهاد، وأن يكون للمسلم نصيب منها، فيقول في رسالة «هل نحن قوم عمليون»:

« ماذا يريدون من أنفسهم ومن الناس حيال الجهاد في سبيل الله.

– من الجهاد في الإسلام أيها الحبيب: عاطفة حية قوية تفيض حناناً إلى عزّ الإسلام ومجده.. وتبكى حزناً على ما وصل إليه المسلمون من ضعف.

– ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن يحملك هذا الهم الدائم على التفكير الجدى في طريق النجاة وتلمس سبل الخلاص.

– ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تنزل عن بعض وقتك وبعض مالك وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام وبنى المسلمين.

– ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تنصح لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم... وأن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.

– ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة ولا معاملة ولا مؤاكلة ولا مشاربة.

– ومن الجهاد في سبيل الله: أن تكون جندياً، تقف له نفسك ومالك لا تبقى على ذلك من شيء، فإذا هُدِّد مجد الإسلام وديست كرامة الإسلام ودوى نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام، كنت أول مجيب للنداء وأول متقدم للجهاد.

– ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تعمل على إقامة ميزان العدل وإصلاح شؤون الخلق وإنصاف المظلوم والضرب على يد الظالم مهما كان مركزه وسلطانه.

(١) رسالة : دعوتنا،ص ١٦.

– ومن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى إن لم تُوفّق إلى شيء من ذلك كله: أن تحب المجاهدين من كل قلبك وتنصح لهم بمحض رأيك، وقد كتب الله لك بذلك الأجر وأخلاك من التبعة. ولا تكن غير ذلك فيطبع على قلبك ويؤاخذك أشدّ المؤاخذة.

وبعد فهذه بعض مراتب الجهاد في الإسلام ودرجاته.. »[1].

ويجمل ذلك الإمام الشهيد فيقول: « أيها المسلمون، عبادة ربكم والجهاد في سبيل التمكين لدينكم، وإعزاز شريعتكم هي مهمتكم في الحياة »[2].

وعن صحابة رسول الله – رضوان الله عليهم – وأنهم كانوا رهبان الليل فرسان النهار، وصف الإمام جهادهم وأنه كان استعمار الأستاذية والإصلاح، فيقول:

«... ولهذا المعنى أيها المسلمون نفر المسلمون – بعد أن اختار نبيهم ﷺ الرفيق الأعلى – في أقطار الأرض، قرآنه في صدورهم، ومساكنهم على سروجهم، وسيوفهم بأيديهم، حجتهم على أطراف ألسنتهم، يدعون الناس إلى إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال، فمن أسلم فهو أخوهم، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن أدى الجزية فهو في ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه ويرعون عهده ويوفون له بشرطه، ومن أبى جالدوه حتى يظهرهم الله عليه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعمار، وإنما كان لأداء رسالة خاصة، هي رسالة نبيهم التي تركها أمانة بين أيديهم، وأمرهم أن يجاهدوا في سبيلها؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»[3].

« إن الفتح الإسلامي إنما هو لإيقاظ الإيمان في القلوب وإعلاء كلمة الحق، وإزالة الظلم، فلم يكن هناك فاتح غالب وخصم مغلوب، وإنما كل من آمن واستجاب لدين الله أصبح الجميع إخوانا متحابين متآلفين، وبذلك تذوب فكرة القومية أمام فكرة الأخوة الإسلامية » [4].

---

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٨٣ مع بعض الاختصار.

(٢) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٣.

(٣) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٣،٤٤.

(٤) من كلمات الإمام الشهيد،نقلا من كتاب : « الإمام الشهيد حسن البنا حامل لواء الدعوة في القرن العشرين »،للأستاذ/ فؤاد الهجرسى،ص١٧٦ .

وراجع أيضا : جريدة آفاق عربية،١٩ نوفمبر ١٩٩٨م،العدد : (٢٨٤).

فهم يجاهدون بدعوتهم كُلَّ صور الطغيان والإفساد والفتنة في الأرض ليتحرر الإنسان ويختار - إذا شاء - الدخول في دعوة الله، أو يعيش تحت حمايتها وفى أمانها ورعايتها له من كل ظلم وجور، كما يضعون حدا لكل فتنة وطغيان وإفساد في الأرض.

ويقول الإمام الشهيد في ذلك أيضا: « ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامي فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربي الآن ؟! »[1].

ويرد الإمام الشهيد على الذين يغمزون فريضة الجهاد، فيقول: «أتى على الناس حِينٌ من الدهر وهم يغمزون الإسلام بفرضية الجهاد، وإباحة القتال ».

ويوضح ذلك بقوله: «.. فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن: حماية للدعوة، وضمان للسلم، وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل »[2].

وحول هذا المعنى الشامل للجهاد وأهمية الإعداد المتأنى وإقامة أركانه في النفس والالتزام بضوابطه وأحكامه يؤكد المرشد العام الأسبق الأستاذ / مصطفى مشهور حاجة الأمة لهذا الإعداد الجهادى، فيقول:

«.. فأحوال العالم اليوم - بعد أن توحدت قوى الشر تحت قيادة واحدة وتصاعدت عمليات القهر والتهديد والظلم والنهب والقتل والذبح - تؤكد ضرورة بعث الجهاد الإسلامي للحيلولة دون القضاء على وجود الأمة وعلى الحضارة الإسلامية.

ولكى نصل إلى مرتبة الجهاد والكفاح لابد من تربية النفوس تربية عميقة، وإعدادها حتى لا تهتز عند النوازل، ولا تنهار جزعا أمام الشدائد، إنه الثبات والتماسك حتى تذهب الدواهى والنوازل ويجعل الله بعد عسرٍ يسرا، إنه الرجاء في الله والثقة بالله والاعتماد على الله، لابد من إعداد المؤمنين بالصبر في البأساء والضراء وحين البأس، الصبر على تجهم

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٣٥.

(٢) رسالة : الجهاد،ص٤٣٤ .

الأعداء وكيدهم، والصبر في الجهاد والحصار، إنه الصبر الذي يؤهل المؤمنين للنهوض بواجباتهم ودورهم المرسوم في ثبات وفى ثقة وفى طمأنينة وفى اعتدال.

يقول الإمام البنا في ذلك: «أيها الإخوان: العمل مع النفس هو أول واجباتنا، فجاهدوا أنفسكم واحملوها على تعاليم الإسلام وأحكامه ولا تتهاونوا في ذلك بأى وجه من الوجوه، أدوا الفرائض وأقبلوا على الطاعة، وفروا من الإثم، وتطهروا من العصيان، واجعلوا قلوبكم ومشاعركم دائما موصولة بالله الذي له ملك السموات والأرض، قاوموا الكسل والعجز، ووجهوا شبابكم ومشاعركم وعواطفكم إلى الفضيلة الطاهرة النقية، خالفوا نزعات الطيش ومضلات الهوى، واحرصوا على الوقت فلا تصرفوه في غير فائدة، وحاسبوا أنفسكم فيه حسابا عسيرا، واحذروا أن تمر بكم دقيقة واحدة لا تكون لأحدكم فيها عمل طيب وسعى مبروك»[1].

ويقول أيضا: « إن هذه الفريضة تحتاج منكم: نفوسا مؤمنة، وقلوبا سليمة، فاعملوا على تقوية إيمانكم وسلامة صدوركم، وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فاستعدوا لذلك فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق.وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة عرضها السموات والأرض » [2].

ويقول الإمام الشهيد عن السلام: «وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١]. كان المسلم يخرج للقتال وفى نفسه أمر واحد: أن يجاهد ؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وقد فرض دينه عليه ألا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ؛ فحب الجاه عليه حرام، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام، والغلول من الغنيمة عليه حرام، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام، والحلال أمر واحد: أن يقدم دمه وروحه فداءً لعقيدته وهداية للناس » [3].

---

(١) من مقالة الأستاذ / مصطفى مشهور : (أين ضمير العالم من دماء المسلمين ؟).

(٢) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٥.

(٣) رسالة : الجهاد،ص٢٦١،ط.دار الشهاب.

« لما كانت الغاية في الجهاد الإسلامي أنبل الغايات كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل، فقد حرم الله العدوان، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة، فهم حين يقاتلون: لا يعتدون.. ولا يفجرون.. ولا يمثلون.. ولا يسرقون.. ولا ينتهبون الأموال.. ولا ينتهكون الحرمات.. ولا يتقدمون بالأذى ؛ فهم في حربهم خير محاربين، كما هم في سلمهم أفضل مسالمين »[1].

فالجهاد الإسلامي بمعناه وضوابطه لا ينفصل عن السلام ومبادئه في الإسلام، يقول المرشد العام الأسبق الأستاذ / مصطفى مشهور في مقال له: «السلام في الإسلام مبدأ من مبادئه وأساس من أسسه وفريضة من فرائضه، فهذا حق واضح أوضح من الشمس وجزء من كيان المسلمين وعقيدة من عقائدهم، والمسلم يحب الحياة ويرغّب الناس فيها، ويقودهم إلى الغاية التي خلقهم الله من أجلها ؛ حتى تستقر حياتهم ويسعدوا بطاعة ربهم.

ولقد ورد لفظ السلام وما اشتق منه في القرآن فيما يزيد على مائة وثلاثة وثلاثين موضعا، بينما لم يرد لفظ الحرب في القرآن إلا في ست آيات فقط.

ورب هذا الدين – سبحانه وتعالى – من أسمائه السلام، وتحية المسلمين التي تؤلف بين القلوب وتربط أفراد المجتمع بعضه ببعض هي السلام، يقول ﷺ: « أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وألينوا الكلام، تدخلوا جنة ربكم بسلام »، وفى الحديث أيضا: « إن الله جعل السلام تحية لأمتنا، وأمانا لأهل ذمتنا»[2].

والمسلم مُكلف – وهو يناجى ربه – أن يسلم على نبيه ﷺ وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين.

(١) رسالة : الجهاد،ص٢٦٢ .

(٢) رواه الطبرانى .

إن المسلم لا يعد القتال غاية لذاته، ولا يأذن به إلا لغاية أكبر من المهادنة والموادعة. إن السلام هو غاية الإسلام، ولكنه السلام الذي لا اعتداء فيه، ولا ظلم ولا بغى ولا عدوان، أما حين يقع البغى والعدوان على أى مقوم من مقومات الإنسانية الفاضلة، كحرية العقيدة وحرية العبادة أو على الحقوق والواجبات أو الحريات العامة، فالإسلام لا يرضى – حينئذ – بسلام يقوم على هذا العدوان.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

إن القتال في الإسلام ليس شهوة عند المسلمين، ولا مجدا حربيا يحرصون عليه، ولا التغلب على الآخرين غرضا من أغراضهم أو غاية من غاياتهم.. إن تحقيق الخير والعدل هو الهدف، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

.. والإسلام رحمة عامة حتى على الحيوان، لقد سبق الإسلام جميع جمعيات الرفق بالحيوان بأربعة عشر قرنا، فجعل الإحسان إلى الحيوان من شُعب الإيمان، ورتب على إيذائه وإهانته العذاب الأليم.

هذا هو الإسلام الذي منح أمته مصادر وأسباب القوة، وإمكانات التحدى، وضمانات العدالة والإنصاف والمساواة والأمن والحرية، والقدرة على الإنجاز، والاستعداد للبذل والعطاء في إنكار للذات، وحرص على السعى من أجل خير البشرية »[1].

■ **مفهوم النصر وصوره المختلفة:**

وحول مفهوم النصر بصوره المختلفة يقول أستاذنا مصطفى مشهور: «وعندما تعلو كلمة الله ويفشل أعداؤه في إثنائنا عن مهمتنا أو تحويلنا عن عقيدتنا.وحين ييأس المبطلون من إعلاء باطلهم..عندها نتذكر معنى النصر..النصر الذي تحقق لرسول الله ﷺ وصاحبه

(١) من مقال : (كيد مفضوح للإسلام وأهله) لفضيلة الأستاذ / مصطفى مشهور،المرشد العام الأسبق .

إذ هما في الغار، يوم خرج وحيدا إلا من صاحبه الصديق، لا جيش ولا عدة، أعداؤه كثرّ، وقوتهم إلى قوته ظاهرة، القوة المادية كلها في جانب، وهو ﷺ مع صاحبه منها مجرد.. ومع ذلك كان النصر..

يقول تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

– وهو النصر الذي تحقق للغلام عبد الله بن الثامر يوم أجبر الظالم في حشد من الناس أن يقذف باسم ما جحد ليصيبه: قذف الجاحد وهو كاره باسم الله رب الغلام، فمات الغلام وانتصر، إذ آمن الناس برب الغلام وأعلنوا أن كلمة الله هي العليا.

ثم تكرر النصر في الأخدود حين استعلى الإيمان على الفتنة، والعقيدة على الحياة، حين يئس الطغاة من السيطرة على الأرواح رغم سيطرتهم على الأجساد.. إنه نصر بلا تمكين.. ولكن هناك النصر مع التمكين..

يقول تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

يومها تعود الخلافة الراشدة، وعندها تعلو راية الحق ويعم العدل.. ويسود الأمن..»[1].

(١) رسالة : وضوح الرؤية،الأستاذ مصطفى مشهور،ص٤٦ .

الباب الثالث

مفاهيم تربوية حول التكوين

مفاهيم تربوية حول التكوين

■ **ملامح التكوين التربوى وخصائصه:**

وهذا التكوين التربوى يقوم على ركيزتين متساندتين هما:

أ - إحياء التربية الذاتية داخل كل فرد، « العمل مع أنفسنا أول واجباتنا..».

ب - والتزامه بالتربية الجماعية التي توفرها الجماعة ومناهجها، ومن خلال الرباط الذي يجمعها ويقوم على التعارف والتفاهم والتكافل.

وقد سمى الإمام الشهيد من يلتزم بـ: (واجبات الأخ العامل) ويعمل على ذلك بـ: «الإخوان الصادقين ».

ويقول: « هذا أيها المسلمون عصر التكوين، فكونوا أنفسكم وبذلك تتكون أمتكم، إن هذه الفريضة تحتاج منكم نفوسا مؤمنة، وقلوبا سليمة »[1].

ويؤكد الإمام الشهيد على أهمية هذه الجوانب في عملية التكوين للأفراد:

١ - أهمية إيقاظ الإيمان، وتجديد الروح، وقوة المشاعر والوجدان كأساس للانطلاق والاستمرار:

يقول الإمام: « فنحن نريد أول ما نريد: يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر... نحن نريد نفوساً حية قوية فتية، قلوباً جديدة خفاقة، ومشاعر غيورة ملتهبة متأججة، وأرواحاً طموحة متطلعة متوثبة »[2].

ويقول أيضاً: «..واملؤوا روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجندوه تحت لواء محمد ﷺ ورايته »[3].

---

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٤ .

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٣ .

(٣) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١٩٧ .

٢- أهمية الفهم الشامل الصحيح للدعوة:

فيحدد الإمام، الأصول العشرين للفهم؛لتكون ركناً أساسياً من أركان البيعة[١].

ويتضح منها اهتمام الإمام الشهيد بركن الفهم عند الأخ المسلم، وقد أوضح فيه الضوابط والمبادئ التي يستند إليها هذا الركن في أصول عشرين مستمدة من الكتاب والسنة[٢].

ويقول فضيلته في هذا أيضا: «.. دعوتنا إسلامية بكل ما تحتمل الكلمة من معان فافهم فيها ما شئت بعد ذلك، وأنت في فهمك هذا مُقيد بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين من المسلمين..

أما كتاب الله، فهو أساس الإسلام ودعامته..

وأما سنة رسوله فهي مبينة الكتاب وشارحته..

وأما سيرة السلف الصالح، فهم-رضوان الله عليهم-منفذو أوامره والآخذون بتعاليمه، وهم المثل العملية، والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم»[٣].

٣- أهمية الولاء الكامل لها، والتجرد لها:

« فهي دعوة لا تقبل الشركة.. ».

٤- وجوب العمل للدعوة والتضحية في سبيلها:

فلا يقف عند مجرد الكلام والشعارات. يقول الإمام: « إن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته.. فهي دعوة لا تقبل الشركة؛إذ إن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به »[٤].

---

(١) راجع رسالة : التعاليم،ص٣٥٦ : ٣٥٩ .

(٢) خصّ الإمام الشهيد ركن الفهم بأصول عشرين،فهي أصول للفهم وليست أصولا للإسلام،وهى تعين المسلم على تحديد إطار للفهم الصحيح،وهى كلها من منهج الإسلام ومعينه .

(٣) رسالة : دعوتنا،ص١٨ .

(٤) المرجع السلبق،ص ١٦ .

ويقول: «.. وعلموه استقلال النفس والقلب، واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل.. »[1].

وجعل للعمل سبعة مراتب بدءا من إصلاح النفس حتى أستاذية العالم.

٥- أهمية التركيز وعدم الطفرة:

فيقول الإمام: « ولابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل، ولابد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر، ولابد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدالاً ولا تحتمل شكاً ولا ريباً. وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه في البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه »[2].

فهو تكوين يراعى التدرج ويقدم الأولويات، ويهيئ البيئة والجو المناسبين لهذا التكوين، ويستخدم مختلف الوسائل التربوية لتحقيق ذلك، وينظر للشخص نظرة متكاملة.

٦- أهمية وحدة الصف والرابطة:

يقول الإمام: « آمنوا بفكرتكم، وتجمعوا حولها، واعملوا لها، واثبتوا عليها »[3].

« ووحدتكم أيها الإخوان، وارتباطكم هو السلاح الأول، وهو أقوى الأسلحة في أيديكم، فاحرصوا على هذه الوحدة، وكونوا دائماً مع الجماعة، ولا تخالفوا عن أمر إخوانكم، ولا تفرقن بينكم المشاغل الزائلة ولا الأوهام القاتلة..» [4].

وكذلك أهمية المناخ السائد داخل الصف والجماعة بكل مستوياتها، من مناخ: الحب والتفاعل والتناصح والتغافر وسعة الصدر وسلامة الطوية ونقاء السريرة، ومناخ الثقة بكل معانيها، ووجود الشفافية والمصارحة والوضوح بين الأفراد والمستويات المختلفة،

(١) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١٩٧ .

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص ٢٣٣ .

(٣) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨ .

(٤) مقالة: نصيحة من البنا إلى الإخوان،كتاب : الإمام الشهيد،الأستاذ فؤاد الهجرسى،ص١١١،ط٢ .

وإن أى خلل أو فساد في هذا المناخ ليؤثر تأثيرا جوهريا على الجماعة وأدائها، ولا يمكن للبرامج والوسائل والأعمال أن تؤتى ثمارها في ظل مناخ ضعيف أو فاسد، بل لا تجدى معه التعليمات واللوائح، وتنشأ داخله البؤر والجيوب والصراعات والمشاكل، وقانا الله إياها.

٧- أهمية بث الأمل واليقين في تأييد الله ونصره للدعوة:

فيقول الإمام: « وبهذه المشاعر الثلاث: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها..أحياها الراعى الأول ﷺ في قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله...إلى هذه المشاعر الثلاث ندعو الناس أولاً »[1].

٨ - الثبات على طريق الدعوة الذي يقوم على بصيرة ورؤية واضحة:

ويشير الإمام الشهيد إلى ضرورة تمثل وتوفر: « إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه، والخديعة بغيره »[2].

فالابتلاء والمحنة والصبر على مشاق طريق الدعوة هي معيار التمحيص والصهر والصقل لهذا التكوين.

وأن يتحمل ذلك، ويتحمل مجاهدة النفس وتربيتها، في صبر ورضى، كما أشار الإمام الشهيد لذلك في رسالة التعاليم، وعن يقين وقناعة، متذكرا على الدوام غايته الكبرى.

٩- أهمية الإخلاص:

يقول الإمام: «..أن يقصد بكل قوله وعمله وجه الله »، « لا ينظر إلى مغنم أو مظهر أو لقب أو تقدم أو تأخر»، «.. أن يصبح جندى فكرة وعقيدة ».

ويقول الإمام الشهيد: «وإننا بحمد الله برآء من المطامع الشخصية، بعيدون عن المنافع

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٥ .

(٢) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٥ .

الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس، ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته، وإننا نترقب تأييد الله ونصرته، ومن نصره الله فلا غالب له ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] »[1].

«..وإن كان فيكم مريض القلب..معلول الغاية..مستور المطامع.. مجروح الماضى فأخرجوه من بينكم، فإنه حاجز للرحمة، حائل دون التوفيق ».

١٠ - أهمية العقيدة وعمل القلب:

يقول الإمام: « والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً وإن اختلفت مرتبتا الطلب »[2].

١١ - أهمية أركان البيعة:

التى حددها الإمام الشهيد، وترابطها معاً، لتشكل الركائز الأساسية للتكوين، وسياج الحماية من الانحراف والتقلب والضعف وهى: « الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة » [3].

١٢ - إنه تغيير عميق شامل مستقر في النفوس والقلوب:

فهذا التغيير والتكوين للفرد لا يستهدف أو يقوم على مجرد تغيير شكلى، أو فوران عاطفى أو مهارة ونشاط في الحركة والتنفيذ، وإنما تغيير عميق وحقيقى للفرد: في الفهم والاعتقاد، وفى السلوك والعمل، وفى الدعوة والعبادات، وكذلك في المظهر والحركة والنشاط.

١٣ - الواقع العملى في الممارسة من كافة الجوانب:

وهو لا يعتمد في نجاحه على مجرد الثقافة أو القراءة أو تغيير مظهر الشكل، وإنما على الواقع العملى في الممارسة من كافة الجوانب، يقول الدكتور يوسف القرضاوى موضحاً ذلك المعنى:

---

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص ١٠٩ .

(٢) رسالة : التعاليم،ص٣٩٣ .

(٣) راجع المصدر السابق .

«.. يجب أن ننقل اهتماماتنا إلى الجوهر والروح بدلاً من انشغالنا بالشكل.. فمن ضيع التوحيد في العقيدة، والإخلاص في العبادة، والصدق في المعاملة، والرحمة في الخُلُق، والعدل في التشريع، والإتقان في العمل، والذوق في الأدب، والأخوة في العلاقة، فقد ضيّع جوهر الإسلام، وإن تمسك بظواهر الرسوم والأشكال».

ويقول أيضا: «.. إن كثيراً من الذين يباهون بأنهم يحافظون على السنة، إنما يحافظون على شكلياتها أكثر مما يحافظون على جوهرها، حسن أن تهتم بالشكل والمظهر فتعفى لحيتك وتقصر ثوبك...إلخ، ولكن ليس حسناً أن تجعل هذه الأشياء هي الدين كله كأنها من أركان الإيمان، أو مبادئ الإسلام أو قواعد الإحسان. وليس حسناً أن تتهم من لم يحافظ عليها بقلة الدين أو بضعف اليقين، أو اتباع غير سبيل المؤمنين.

وهى من التحسينات في أمور الدين، لا من الضروريات، ولا من الحاجيات التي فصلها الراسخون من أهل الفقه والأصول»[1].

١٤- التوازن والاندماج بين الحركة والتكوين:

وهذا التكوين التربوى لا يتم كذلك بعيداً عن الواقع أو في حجرات منعزلة، بل إن الحركة والنشاط والتفاعل مع المجتمع والتحرك بأهداف الدعوة هي المجال الحقيقي لنمو وتأصيل هذا التكوين، وكذلك لرصد مردوده وتوجيهه وتقويمه.

إن تقسيم العمل والتكوين إلى محورين: محور الحركة في المجتمع، ومحور تربية الأفراد، إنما هو مجرد تقسيم نظرى، أما الواقع العملى فلا يوجد هذا الفصل، فكما أن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فكذلك التربية تشمل الجانبين الفردى والاجتماعي في تداخل كامل وتوازن عميق وتأثير متبادل، لا نستطيع فصل جانب عن جانب، مثلما لا نستطيع تجزئة جسم الإنسان ومكوناته الأساسية.

فالجوانب المتعددة مثل: المفاهيم، والقناعات، والوجدان، والمشاعر، والأخلاق، والسلوكيات، والإدارة، والحركة، كلها جوانب مترابطة متفاعلة، يصعب فصل جانب

(١) مقالة الدكتور يوسف القرضاوى : الصحوة الإسلامية،مجلة الرسالة ـ العدد الأول .

عن الآخر، وكلها في نطاق مفهوم التربية، ولا توجد تربية بدون حركة ونشاط وإدارة في كافة المجالات.

ومع كثرة النشاط وتعدد مجالات العمل المختلفة، قد يحدث ضياع التركيز، أو عدم الاهتمام بمتانة البناء الداخلي، لهذا لابد من توفر وضوح الرؤية، والإحاطة الكاملة بأهداف المرحلة، والتوازن بين محاور الحركة ومجالات العمل، وأن تهتم - مع الانطلاق والنشاط - بتكوين الأفراد وحالهم، وتنمية الركائز ودعمها، وتمثل المرجعية للقيادة العليا: الميزان في ذلك، والعين المبصرة، فهي تضع الاستراتيجية وترصد الظواهر، وتتابع التوازن، وتدفع العمل، وتتدخل للعلاج.

١٥ - التكوين التربوى هو أساس المسؤولية في الصف:

يقول الإمام: « وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة» [١].

١٦ - اجتهاد الفرد مع نفسه واستيعابه وتطبيقه لمنهج التكوين:

يركز الإمام الشهيد في تكوين الأخ على: إصلاح نفسه، ودعوة غيره. وأشار إلى جوانب العمل المطلوبة لتكوين الأخ الصادق حتى يكون:

« قوى الجسم، متين الخُلُق، مُثقف الفكر، قادرا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدا لنفسه، حريصا على وقته، مُنظما في شؤونه، نافعا لغيره»[٢].

وبقدر اجتهاد الفرد مع نفسه واستيعابه وتطبيقه لمنهج التكوين بقدر نموه وارتقائه.. أما التكاسل والتفريط والإهمال فيعنى البعد والمفارقة ولا يشفع فيه لقب أو مجاملة.

يقول الإمام: « فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلا ففى صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين ».

---

(١) رسالة : التعاليم،ص٣٩٩ .

(٢) رسالة : التعاليم،ركن العمل،ص٣٩٤ .

«وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك، كان جزاؤك العزة في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة، وأنت منا ونحن منك».

ويقول: « وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب »[1].

١٧- ومظاهر هذا التكوين تجمعها خمس كلمات، هي:

١- البساطة. ٢- التلاوة. ٣- الصلاة.

٤- الجندية. ٥- الخُلق.

وتتلخص صفاته في خمس نقاط:

١- الإيمان العميق. ٢- الفهم الصحيح. ٣- التكوين الدقيق.

٤- الحب الوثيق. ٥- العمل المتواصل.

وشعار هذه المبادئ في خمس كلمات هي:

١- الله غايتنا. ٢- والرسول قدوتنا. ٣- والقرآن شرعتنا.

٤- والجهاد سبيلنا. ٥- والشهادة أمنيتنا [2].

■ **منهج الإمام في التربية على العقيدة:**

« أما منهج الإمام البنا في فهم العقيدة، فقد صار بعيدا عن علم الكلام والمصطلحات التي تواضع عليها العلماء المختصون بهذا العلم، بعيداً عن الخوض في النظريات الفلسفية، وأساليب الخلاف التي درج عليها المتكلمون، بعيداً عن كل هذا سلك الإمام البنا منهجاً جديداً يعتمد على أمرين أساسيين:

(١) رسالة : التعاليم،ص٣٦٩ .

(٢) راجع رسالة: التعاليم،ص٣٦٩،وواجبات الأخ العامل .

أولاً: الاعتماد على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في توصيل العقائد الدينية إلى النفوس واستيلائها على المشاعر والقلوب.وتلك طريقة السلف.

ثانياً: العناية ببيان آثار هذه العقيدة في النفس وإعطاء المسلم المقياس ليعرف الدرجة التي عليها من التنفيذ والتطبيق.

يقول الإمام الشهيد: « اعلم أن الناس أمام العقائد الدينية أقسام:

– منهم من تلقنها تلقيناً، واعتقدها عادة. وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشبهات..

– ومنهم من نظر وفكر فازداد إيمانه وقوى يقينه..

– ومنهم من أدام النظر، وأعمل الفكر، واستعان بطاعة الله تعالى وامتثال أمره وإحسان عبادته، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرته ما كمل إيمانه وأتم يقينه وثبت فؤاده ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] »[1].

وفى إصلاح النفوس وترسيخ العقيدة، لخص الإمام الشهيد التكاليف والأركان الأساسية في نموذج عملى محدد تحت عنوان: (أعتقد وأتعهد)، مستخلص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا يخرج عنها قيد شعرة، وفرض الإخوان على أنفسهم: حفظها، والتزام حدودها، وتنفيذ نصوصها، والقيام بتعهداتها[2].

وقال عن هذا المنهج: « وأعتقد أنها وسيلة عملية في تربية النفوس وتقويم الأخلاق »[3].

وحول صفة الربانية وتركيزها في الأفراد، لم يلجأ الإمام إلى التفريعات النظرية والدراسة الأكاديمية، وإنما أشار إلى المنهج العملى المؤثر وإلى البساطة والوضوح واليسر

(١) رسالة : العقائد،ص ٤١٦ . وانظر أيضا : مقالة للأستاذ مصطفى مشهور ـ بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٧٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

في تحقيق ذلك، فيقول: « ومن خصائصها الربانية، فعلينا أن نديم صلتنا بالله ما استطعنا لذلك سبيلا بدوام الذكر والدعاء بالمأثور، وفى رسالة المأثورات غناء »[1].

كما أشار إلى أن نبدأ عمليا بإصلاح الصلاة والعبادات وأن نكون قدوة في الالتزام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيقول في ذلك: « فيا أيها الأخ المسلم: تفهم ذلك جيدا، وكن مثال الإحسان في صلاتك، وأعتقد أن أولى الخطوات العملية فيما بيننا أن نحسن الصلاة »[2].

ويقول أيضا: «.. وأما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقد بدأوا في ذلك بأنفسهم ثم بأسرهم وبيوتهم ثم بإخوانهم وأصدقائهم، وهم يتذرعون في ذلك بالصبر والأناة والحكمة والموعظة »[3].

■ **حتمية المحنة وضرورة الابتلاء:**

لابد لهذا التكوين ولهذا الصف من اختبار تمحيص.. لابد له من محن وابتلاءات داخلية وخارجية – تنال الأفراد والجماعة بكل صور المحن المختلفة، وفى كل مرحلة من مراحل الدعوة حتى يتمحص الصف وينقى من اللبنات الهشة الضعيفة ويزداد قوة في ثباته وإيمانه وتكوينه، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢].

نسأل الله العافية فهذه هي طبيعة الطريق، وهذه هي سنة الله في الدعوات، وهذا هو معيار ثباتها وصدقها وتقدمها ونجاحها.

يقول الإمام الشهيد: « لا دعوة بغير جهاد، ولا جهاد بغير اضطهاد»[4].

ويقول: «أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية،

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص٢٦٢ .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٧٦ .

(٣) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٨٤ .

(٤) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٣ .

وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات».

« وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم ».

« فتسجنون وتعتقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان »[1].

ويقول أيضا في مواجهة هذه المحن: « فيا أيها الإخوان المسلمون فإن النصر مع الصبر، والنجاة مع الثبات، والعاقبة للمتقين »[2].

■ **الأسر التربوية:**

والأسر التعاونية التربوية والكتيبة الإخوانية، أصبحت من وسائل التربية وثوابتها في منهج الجماعة للتربية، تعين أساساً على بناء هذه اللبنات، وتحقق: التعارف، والتفاهم، والتكافل بين أفرادها، وتشكل مع غيرها من الوسائل الفردية والجماعية إطاراً لتعميق الإيمان والتكوين التربوى، والتنظيم العملى والحركى، ويتم هذا في مناخ وجو من الحب والود والنظافة وسلامة الصدر والتناصح والتغافر والمصارحة والشفافية.

وهى المحضن الرئيسى للتربية، ومعناها وبرنامجها ليس مقصورا على المدة الزمنية للقاء الأسرة الدورى، وإنما تشكل رباطا قويا وتفاعلا عميقا يتم من خلاله التوجيه والتربية.

يقول الإمام الشهيد: « يحرص الإسلام على تكوين أسر من أهله يوجههم إلى المثل العليا ويقوى روابطهم، ويرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات، فاحرص يا أخى أن تكون لبنة صالحة في هذا البناء « الإسلام ».

وأركان هذا الرباط ثلاثة فاحفظها واهتم بتحقيقها ؛حتى لا يكون هذا تكليفا لا روح فيه:

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٩ .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ص٢٠١ .

١ - **التعارف**: هو أول هذه الأركان، فتعارفوا وتحابوا بروح الله، واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم، واجتهدوا ألا يعكر صفو علاقتكم شيء، وتمثلوا الآيات الكريمة دائما والأحاديث الشريفة، اجعلوها نصب أعينكم، وتذكروا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

٢- **والتفاهم**: وهو الركن الثانى من أركان هذا النظام، فاستقيموا على منهج الحق، وافعلوا ما أمركم الله به، واتركوا ما نهاكم عنه، وحاسبوا أنفسكم حسابا دقيقا على الطاعة والمعصية.

٣- **التكافل**: هو الركن الثالث، فتكافلوا، وليحمل بعضكم عبء بعض، وذلك صريح الإيمان ولُب الأخوة، فليتعهد بعضكم بعضا بالسؤال والبر وليبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلا.. »[1].

ويوضح الإمام الشهيد أن التعارف والتفاهم ليس مجرد المعرفة السطحية للأسماء والأشخاص، إنما هو معرفة عميقة وتفاعل وتناسق بين اللبنات بعضها ببعض، وإن التشدد والتصلب يعرقل هذا التفاعل، وأن يكون هذا التفاهم أمرا مستمرا في كل المواقف والأحداث وأن يكون له من الضوابط ما يحقق التلاحم والوحدة. يقول الإمام الشهيد: « ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخاه متى رأى فيه عيبا، وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح، وليشكر له ذلك، وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعره، وليحذر أن يشعره بانتقاصه، أو بتفضيل نفسه عليه، ولكنه يتستر عليه شهرا كاملا، ولا يخبر بما لاحظه أحدا إلا رئيس الأسرة وحده - إذا عجز عن الإصلاح - ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا.

وليحذر المنصوح من: العناد، والتصلب، وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعره، فإن مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب، والنصيحة ركن الدين «الدين النصيحة »، والله يعصمكم من بعضكم، ويعزكم بطاعته، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان »[2].

(١) رسالة : الأسر،ص٣٧٣،٣٧٤ .

(٢) المرجع السابق،ص ٣٧٤ .

كما يحرص الإسلام على ضوابط التعامل بين أفراد الأسرة فيقول: « ولا محل في الأسرة للجدل أو الحدة أو رفع الصوت، فذلك حرام في فقه الأسرة، ولكن بيان واستيضاح في حدود الأدب الكامل والتقدير المتبادل من الجميع، فإذا أغلق شيء أو أريد اقتراح شيء أو استيضاحه، احتفظ به النقيب حتى يرجع إلى القيادة »[1].

وهذه الروح من الأخوة والمحبة نسعى أيضا إلى أن تنتشر في المجتمع وأن تتآلف عليها الأمة، يقول الإمام: «.. ولقد ظلت هذه الأوامر الربانية والتوجيهات المحمدية بعد الصدر الأول كلاما على ألسنة المسلمين وخيالا في نفوسهم حتى جئتم معشر الإخوان المتعارفين، تحاولون تطبيقها في مجتمعكم، وتريدون تأليف الأمة المتآخية بروح الله وأخوة الإسلام من جديد.. »[2].

وقد سمى الإمام الشهيد مسئول الأسرة نقيبا ؛ ليوضح أن علاقته بهم ليست الرئاسة، وإنما التربية والتوجيه الصحيح، فهو لهم كالأستاذ بالإفادة العلمية وكالوالد بالرابطة القلبية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد والمسئول بموقعه في الدعوة، وهو يتعهد الأفراد فردا فردا، وعليه يقع عبء الإصلاح والتكوين متضامنا معه في ذلك أفراد الأسرة، ويساعدونه في تحقيق هذا الهدف.

وهذا النقيب له من الكفاءة والتأثير ما يؤدى به دوره المطلوب، وليس مجرد منفذ لبرامج أو مقيد بأوامر محدودة، كما أنه يحرص على رفع همة الأفراد ونقل الروح العالية منه إليهم، وإلى اكتشاف مواهبهم، وحل مشاكلهم، وحسن ربطهم بالجماعة.

واهتم الإمام الشهيد ببرامج الأسرة، وهو لا يقتصر على المدارسة في هذا اللقاء إنما يمتد ليشمل الصفات العشر، ومحاور التكوين الأخرى في بناء الفرد وإصلاحه.

أما في هذا اللقاء الاجتماعى فأشار الإمام إلى:

« ١- يعرض كل أخ مشاكله ويشاركه إخوانه في دراسة حلولها في جو من صدق الأخوة وإخلاص التوجه إلى الله وفى ذلك توثيد للثقة.

(١) رسالة : الأسر،ص٣٧٥ .

(٢) المرجع السابق،ص٣٧٣ .

٢- مذاكرة حول شؤون الإسلام، وتلاوة الرسائل والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للأسرة.

٣- مدارسة نافعة في كتاب من الكتب القيمة »[1].

وبهذا يركز الإمام في لقاء الأسرة على أحوال الأفراد وحركتهم ونشاطهم ومتابعة التكاليف المناطة بهم، وإشراكهم في الحلول والمقترحات والتعاون معا في الحركة والتنفيذ، وكذلك الجانب الدراسى، فهو أحد الأركان الثلاثة في البرنامج وليس كل البرنامج، ويترك تحديده وطريقة تناوله حسب مقتضى الأحوال وما تقرره الجماعة في ذلك ؛ ليكون بناء الفرد متكاملا من جميع الجوانب: السياسية والاجتماعية والثقافية والمهنية والفقهية.. الخ.

وهذه المدارسة متصلة مع كل فرد في الأسرة ويأتى اللقاء فيتابع ما دار بشأنها ويناقش ما توصل إليه الأفراد واستفادوه منه، ويتذاكرون بعضه ويتواصون فيه، كما يهتم اللقاء بالاجتماع على آيات القرآن الكريم والذكر والدعاء والتواصى بقيام الليل والصلاة في المساجد، خاصة صلاتى الفجر والعشاء.

ويهتم الإمام الشهيد أيضا فيما يلحق الأسرة من برامج بالجانب العملى، والذي يزيد الرابطة من الرحلات المختلفة والصيام والإفطار الجماعى ومبيت الإخوان مع بعضهم، إلى غير ذلك من صور المعايشة الجماعية ، وكذلك تحقيق معنى الأخوة في المجاملات الطارئة، وتفقد الغائب وتعهد المنقطع.

ومدى نجاح الأسرة في تحقيق أهدافها يقوم على:

١- مدى توفر الإقبال القلبى عليها.

٢- مدى صحة المناخ من الحب والود بين الأفراد.

٣- مدى توفر الروح العالية والهمة المرتفعة.

٤- الانطلاق العملى والتحرك بالدعوة.

(١) رسالة : الأسرة،ص٣٧٤ ، ٣٧٥ .

٥- مدى إشباع حاجات الأفراد ومواهبهم وتنمية إمكانياتهم.

٦- مدى الاهتمام بحال الأفراد ومشاكلهم والعمل على إصلاحهم.

٧- حسن توجيه النقيب والقيام بأداء دوره مع الأفراد، فأساس العلاقة بينهم هو الثقة والانسجام والألفة والمحبة المتبادلة، وبهذا يتم تذليل الصعاب وتذوب الكلفة وينشرح الصدر.

■ **مفهوم القوة الذي ينشده الصف:**

إنه بالتكوين الدقيق العميق وبالثبات في الابتلاءات والمحن، يصل الصف إلى مستوى القوة المطلوب له، والذي يتمثل أساساً في:

أ - قوة العقيدة بكل شمولها.

ب - وقوة الوحدة للصف والتنظيم بكل أبعادها.

جـ - وقوة الساعد في عدد السواعد ذات الكفاءة والتأهيل العلمي وفى قدرتها على الجهاد والإعداد له.

ولابد أولاً أن يتحقق المستوى المكافئ المطلوب من قوة العقيدة، وقوة الرابطة والوحدة.. وأن يشمل ذلك الصف باتساعه وبأعداده المكافئة للواقع.. لابد من ذلك أولاً قبل أن يقدم الصف على مرحلة التنفيذ والجهاد والمواجهة.

إن صلابة هذا الصف وقوته تتحقق بالأخوة والرابطة بين أفراده، والتفافهم حول قيادتهم وبالثقة التي تشيع بينهم، وبالشورى كمنهج يتربون عليه في صفهم.. مما يجعلهم يستعصون على كل محاولات الاختراق أو التفتيت من الداخل.

يقول الإمام الشهيد: « ووحدتكم أيها الإخوان وارتباطكم هو السلاح الأول وهو أقوى الأسلحة في أيديكم، فاحرصوا على هذه الوحدة، وكونوا دائما مع الجماعة..ولا تخالفوا عن أمر إخوانكم، ولا تفرقن بينكم المشاغل الزائلة ولا الأوهام القاتلة »[1].

(١) من مقال الإمام بعنوان : (نصيحة من البنا إلى الإخوان) ـ أعيد نشره في مجلة الدعوة العدد (٨٢) شوال ١٤١٩ ـ يناير وفبراير ١٩٩٩ م .

ويقول أيضاً: « وتحابوا فيما بينكم واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم. واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين. واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر والمنشط والمكره، فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم »[1].

وإن استعجال المعركة أو دخول المواجهة الكاملة دون هذا الإعداد التربوى، والتمحيص الدعوى، والانتشار المتوازن المطلوب، هو خروج على الضوابط الصحيحة، ولا يأتى من ورائه إلا الهزيمة أو التفتت والاضطراب.

يقول الإمام الشهيد: « وقبل القوة المادية، أهم منها وألزم: القوة الروحية من: الخلق الفاضل، والإيمان بالحقوق ومعرفتها، والإرادة الماضية، والتضحية في سبيل الواجب، والوفاء الذي تبنى عليه الثقة والوحدة، وعنهما تكون الوحدة... لهذا نحن دائبون على تطهير أرواحنا... وتقوية نفوسنا.. وتقويم أخلاقنا.. وندعو ونجاهد بدعوتنا لهذا.. ونطالب أمتنا بإصلاح النفوس وتقويم الأخلاق مستمدين ذلك من كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] »[2].

■ **ترتيب الصف والعلاقة بين وحداته:**

ولا يقف الأمر عند مجرد تكوين الركائز وكسب الأنصار، بل لابد من ترتيب الصف وتنظيم الدعوة..« فلا دعوة بغير قيادة..» ووضع اللوائح والضوابط التي تضبط ذلك، ومع انتشار الهيئات والركائز الإخوانية في البلاد والقرى تتحدد الصلة بينها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

يقول الإمام: « والصلة بين هذه الهيئات كلها ليس مجرد التشابه في الاسم أو الوحدة في المقصد العام. كلا بل إنها أقوى الصلات جميعاً. إنها صلة الحب العميق والتعاون الوثيق

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٦٤ .

(٢) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس؟ ص٤٦ باختصار .

والارتباط القدسى المتين والالتفاف التام حول محور الدعوة في مركزها، والوحدة الشاملة في الألم والأمل والجهاد والعمل، والوسائل والغايات، والمناهج والخطوات..»[1].

هذا الارتباط بالقيادة لكل وحدات الجماعة وكذلك فيما بينها، يؤكد على الحقيقة التربوية في أن الإخوان في الدعوة يسمعون لقيادتهم ولإخوانهم بقلوبهم قبل أن يسمعوا بآذانهم.

ويشير الإمام الشهيد إلى جانب من مهمة هذه الهيئات والشعب: « أن تجد وتعمل في مناحى الخدمة العامة، وأن تكون دائمة النشاط جمة الإنتاج ».

« وليست مقتصرة في عملها على تنفيذ تعليمات المكتب الرئيسى لها بالقاهرة ».

« كما أن صلة المكتب بفروعه وهيئاته ليست صلة الرئيس بالمرؤوس، وليست صلة الإدارة البحتة والإشراف العملى فقط، ولكنها صلة فوق ذلك كله: صلة الروح أولاً، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض، والتزاور في الله، فدعاة الإخوان يزورون إخوانهم ويختلطون بهم ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشؤونهم الخاصة والعامة »[2].

■ **استمرار التربية:**

ولا يعنى هذا أن التكوين والتربية لتحقيق قوة العقيدة، وقوة الوحدة وإصلاح النفس وتربيتها على المنهج القويم، تقف أو تنتهى أو تضعف بعد مرحلة التمكين، بل إنها ضرورية ومستمرة بعد ذلك إلى أن تحقق الجماعة أهدافها السبعة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا التكوين مستمر طوال مسيرة الجماعة وحياة الأفراد، ويكون في ازدياد يكافئ نمو الواقع وأعبائه..ولنعلم أن المحن أيضاً تسير معها متوازية طوال حياتها، تهز الصف من الداخل، وتصهر النفوس وترسخ الإيمان.

ومع اتساع ساحة الأعمال التنفيذية وتصاعدها حتى تصل إلى المواجهات الجزئية قد تكشف الأحداث عن بعض الضعف أو القصور التربوى في بعض الأفراد أو بعض

(١) رسالة : المؤتمر الخامس ص١٣٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

المسؤولين مما لم يكن ظاهراً قبل ذلك، فهذا أمر طبعى ؛ إذ إن الحركة بضغوطها المختلفة هي ميدان التمحيص والإظهار والفرز.. وهذا يقتضى المراجعة المستمرة لحال الأفراد والمزيد من التركيز التربوى والإعداد والتكوين وعدم الاستعجال في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أو تسرع بدخول ميدان المواجهة.. يراعى ذلك مع استمرار التوازن بينهم وبين مساحة الحركة والنشاط وعدم إخراج الجماعة من ساحة التأثير وميدان العمل.

وقد أشار الإمام الشهيد إلى ذلك – عندما ظهر بعض الخلل التربوى في بعض المسؤولين عندما تصاعدت وتيرة الحركة والمواجهة: « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لعدت بالدعوة إلى سابق عهدها، مزيد من التربية والتكوين وعهد المأثورات ».

وبمقدار الجهد الذي يبذله الأفراد في أخذ أنفسهم بشرائع الإسلام والتربية والتكوين، وإعداد الركائز ونشر الدعوة، بمقدار ما يقصرون ويطوون الزمن.. لكن ليعلموا جيداً أن الطريق طويل يحتاج إلى أجيال، وأن عظم الأهداف يحتاج إلى متانة وقوة الأساس والإعداد حتى يقوم البناء ثابتاً متكاملاً.

وقد تأتى فترات مباركة بأمر الله، يتزايد فيها الإقبال على دعوة الله، ويتسارع معدل تكوين الركائز وانتشارها، وكذلك تأتى فرص سانحة للمتيقظ المستعد ليستفيد منها، لكن تبقى الموازين كما هي مرهونة بمستوى التكوين والتربية.

■ **حول واقع الأفراد:**

– ولا يعنى سمو المنهج التربوى وعمقه: أن أفراد الصف كلهم أصبحوا ملائكة بين يوم وليلة، وإنما هم من أفراد الشعب والمجتمع استجابوا لدعوة الحق وقر الإيمان في قلوبهم، يحملون عبء الدعوة، وفى الوقت نفسه يصلحون أنفسهم «أصلح نفسك، وادع غيرك..».

لا يقيمون على كبيرة ولا يجاهرون بمعصية، وإن قدر لأحدهم العصيان سارع إلى الندم والاستغفار..لكن لا يبقى في صفهم معلول الغاية مستور المطامع.

يقول الإمام الشهيد: « إننا لسنا يائسين من أنفسنا ».

وأوصانا: « بأن نقدر أنفسنا حق قدرها ».

وفى « مذكرات الدعوة والداعية »، يذكر الإمام الشهيد نصيحة الشيخ محسن سعيد العرفى، أحد علماء سوريا، له بمناسبة افتتاح معهد حراء الإسلامي بالإسماعيلية في بداية الدعوة: « كان يقول لى دائماً: اسمع، لا تتحرج أبداً من أن تضم إلى الدعوة المقصرين في الطاعات المقبلين على بعض المعاصى الحسية ما دمت تعرف منهم خوف الله، واحترام النظام، وحسن الطاعة، فإن هؤلاء سيتوبون من قريب، وإنما الدعوة مستشفى فيه الطبيب للدواء وفيه المريض للاستشفاء، فلا تغلق الباب في وجه هؤلاء... ولكن احذر من صنفين حذراً شديداً ولا تلحقهما لصفوف الدعوة أبداً: الملحد الذي لا عقيدة له، وإن تظاهر بالصلاح فإنه لا أمل في إصلاحه وهو بعيد عنكم بأصل العقيدة (إلى أن يتوب عن ذلك ويرجع عنه)، والصالح الذي لا يحترم النظام ولا يقدر معنى الطاعة، فإن هذا ينفع منفرداً وينتج في العمل وحده ولكنه يفسد نفوس الجماعة: يغريها بصلاحه ويفرقها بخلافه، فإن استطعت أن تستفيد منه وهو بعيد عن الصفوف فافعل، وإلا فسد الصف واضطرب »[1].

– وكذلك عن صنف من الأفراد يبغى الفتنة ويستر مطامعه يقول الشيخ حامد عسكرية – رحمه الله – من الرعيل الأول المؤسسين للدعوة مع الإمام الشهيد، عندما واجه مثل هذه النوعية التي خرجت عن الجماعة، واتبعت الفتنة، يقول ناصحاً للإمام: « هؤلاء لا خير فيهم، فقد فقدوا إدراكهم لسمو الدعوة، وفقدوا إيمانهم لطاعة القيادة ومن فقد هذين فلا خير فيه في صفنا، فاحتسبهم وامض في طريقك، والله المستعان »[2].

– ويقول أيضا في توضيح عدم تحقق المنهج كاملا في بعض الأفراد: «ويأخذ الناس عليكم في دعوتكم أنكم لا تحققون منهاجكم في أنفسكم تحقيقا تاما، وأنا مع الناس في أن هذا صحيح إلى حد كبير، فنحن لازلنا عاجزين عن تحقيق منهاجنا تاما كاملا في أنفسنا،

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٠٨،١٠٩،ط.دار الطباعة والنشر .

(٢) المرجع السابق،ص١٣٧ .

ولا أحب أن نعتذر بأن معظم هذا العجز يرجع إلى الظروف أكثر مما يرجع إلى الأشخاص، فإن المقام مقام طموح إلى الكمال لا دفاع عن النقص، ولكنى أحب أن أنبه إلى الفارق بين الإخوان وبين غيرهم في هذا، فإن الإخوان يشعرون من أنفسهم بهذا ويعترفون، على حين يأخذ غيرهم في الدعوى العريضة ويتسترون بخلابة الألفاظ، والإخوان مع هذا الاعتراف دائبون على طلب الكمال حتى يأخذوا منه بالنصيب الذي قدره الله لهم »[1].

– ويرد الإمام على المتكاسلين أو المتسائلين من أفراد الجماعة ومن غيرهم: أين الجماعة؟وماذا قدمت؟فيقول: « كذلك يخدع الناس أنفسهم في قضية الجماعات والأفراد، فهم يظنون أن الجماعات شيء والأفراد شيء آخر، وما الأفراد في الحقيقة إلا الأفراد، وما الأفراد إلا حقائق الجماعات ولبنات بنائها، فإذا تنافرت هذه اللبنات وأخذ كل فرد يسأل عن الجماعة.. فأين الجماعة إذن؟ ومن السائل ومن المسؤول؟ وإنما أوقعنا في هذه الورطة ما تعودناه من خلق التواكل الذي جعلنا نترك العبء كله لفرد واحد أو يدفعه كل منا إلى أخيه، فلايزال مهملا لا يستقر على حال ولا ينهض به أحد. وها أنا ذا أصارح كل الغيورين من أبناء الإسلام بأن كل جماعة إسلامية في هذا العصر محتاجة أشد الحاجة إلى الفرد العامل المفكر..إلى العنصر الجريء المنتج، فحرام على كل من آنس من نفسه شيئا من هذا أن يتأخر عن النفير دقيقة واحدة »[2]، «أو لا يرى الأخ معنا أن الجماعة هي الأفراد منضمة.. »[3].

– وأفراد الصف ليسوا طبعة واحدة، أو نسخة مكررة بل فيهم التفاوت البشرى في القدرات والصفات وإذا كانت التربية تحدد الحد الأدنى والأساس المشترك لكنها تتجاوب مع هذا التفاوت وتستوعبه بكل أعبائه، وتوجهه لصالح العمل، وتهذب فيه ما تستطيع. فهي تقبل الأفراد على حالهم ثم تنمو بهم وتقدم لكل منهم ما يصلحه، وأن هذا التنوع والاختلاف في طباع الأفراد وصفاتهم هو أمر إيجابى، وهو يشكل رصيدا ورأس مال للجماعة تتعلم كيف تستوعبه وكيف تحسن توظيفه.

(١) المرجع السابق،ص٢٦٦،٢٦٧ .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟ ص٦٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

– وهذا التكوين يحرص ألا ينتج نماذج نظرية فلسفية، ويهدف إلى إنتاج الشخصية العملية المنتجة، وهو منهج يفرق بين الخيال والشعارات والكلمات، وبين العمل الجاد والجهاد الحكيم.

« إن رجل القول غير رجل العمل.. ورجل العمل غير رجل الجهاد.. ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات »[1].

– ولا يترك المنهج الفرد يمتلئ حماساً دون ضبط لهذا الحماس وتوجيه له، فيقول الإمام: « ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة »[2].

– ويقول الإمام الشهيد: « ويأخذ بعض الناس عليكم – كذلك – أنكم هادئون لا ثائرون، مبطئون في عصر السرعة، ويحملون ذلكم منكم على خور في العزم وضعف في الهمة ومداجاة ومواربة. فذكِّروا هؤلاء بقول القائل: (رب عجلة تهب ريثا)، وإن الله تبارك وتعالى حين علَّم نبيه ﷺ سبيل الدعوة إليه قال له: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ولم يقل له بالسرعة والجفوة والغلظة، ذلك أمر الله أنزله إليكم.. وأفهموهم أن الإخوان إذا علموا أن السرعة ستهب إليهم النجاح ٩٩٪ وأن الحكمة ستهب لهم النجاح ١٠٠٪ فهم يؤثرون البطء الحكيم لإحراز النجاح الكامل.

ذلك اجتهادهم وهذا رأيهم، فإذا جاءت السرعة التي يعلم بها الإخوان أن البطء والهدوء سيوقف تقدمهم أو يأخذ من انتصارهم فسيعلمون حينئذ كيف يذودون عن دعوتهم، وكيف تكون الموتة الكريمة في سبيل الغاية العظيمة ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠] »[3].

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٩ .

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٧ .

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٦ .

- كما يحرص المنهج التربوى على تحقيق طهارة القلب والفكر وإخلاصه وتجرده لدعوته، يقول الإمام الشهيد في وصيته بذلك للإخوان:

« وإن أخص ما أوصيكم به - بهذه المناسبة - أن يكون شعارنا النظافة: في الضمير، وفى التفكير، وفى اللسان، وفى السير، وفى الثوب، وفى البدن، وفى المطعم، وفى المشرب، وفى المظهر، وفى المسكن، وفى التعامل، وفى المسلك، وفى القول، وفى العمل.

وإن مما أوصى به الرسول ﷺ أمته: « تنظفوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم ».

وما أجملها إشارة وأرقها عبارة أن يكون أول فقهنا في العبادات «الطهارة »، وفى الحديث الصحيح: « مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور»، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] »[1].

- ويركز الإمام على أهمية تحقيق الإيمان والتقوى، وكيفية السير في ذلك، فيقول في رسالة التعاليم: « وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة ».

« أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى وتذكر الآخرة وتستعد لها ».

« وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة، ومن ذلك: صلاة الليل، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل، والإكثار من الذكر القلبى واللسانى، وتحرى الدعاء المذكور على كل الأحوال » [2].

كما أوصى الإمام الشهيد بورد محاسبة شخصى يتابعه الإنسان مع نفسه يوميا وأسبوعيا وذلك ليربى فيه المراقبة الذاتية وتجديد النية الصالحة والتوبة من المعاصى وسرعة تدارك الخلل.

■ **أهمية المردود التربوى:**

- التكوين التربوى يستلزم الاهتمام بمردود العبادات والطاعات والوسائل المختلفة للتربية، وبيان أثرها الفعلي على الأفراد، وليس مجرد الكم الذي تم تحصيله.

(١) من آخر ما كتبه الإمام الشهيد في رسالة وجهها إلى الإخوان،ونشرتها مجلة «المباحث»،١٦ يناير سنة ١٩٥١م .

(٢) رسالة : التعاليم،وواجبات الأخ العامل ،ص٣٦٧ .

– وحقيقة هذا المردود لا تظهر إلا عند الضغوط والأزمات التي يتعرض لها الأفـراد، فيظهر خلالها حقيقة التغيير، أما الأحوال العادية والهادئة، فليست مقياسا أو اختبارا لعمق التغيير وثباته في الشخصية.

– والمراجعة والتقييم لهذا تتم من خلال المعايشـة في كـل هـذه الأحـوال، وتعتمـد عـلى الوضوح والشفافية والمصارحة والتجرد، وأن تبنى على التثبت من الحقائق، وليس الاعتماد على الإشاعات والأقوال والظنون، وأن تراعى الظروف والفروق الفردية، وهدفها ليس التصنيف أو التضعيف، وإنما الارتقاء الفعلي بالأفراد في كل الجوانب، وسد الخلل وجبر الضعف.

– وهذه المتابعة التربوية أو المعايشة التربوية وتزكية النفوس هي أمر مسـتمر متجـدد، لا يقف عند مرحلة معينة أو فترة زمنية، فتغير حال الفرد وارد في أى وقت، واكتسابه صفة ما لا يعنى استمرارها معه طوال عمره، فقد يطرأ عليها الضعف أو الخلل، ممـا يبـين أهميـة دوام التزكية والمتابعة مهما كان مستوى الفرد أو المسئول.

– وأحيانا يكون ضعف المردود التربوى في الأفراد نتيجة لأسباب عامة أو خاصة، مما يتطلب الأمر: مراجعة دقيقة، وجهدا مضاعفا، وإزالة للمعوقات.

ومن هذه الأسباب العامة:

١– فساد المناخ الذي تتم فيه وسائل التربية، وضعف العلاقة بين الأفراد وبينهم وبـين المسئولين والمربين.

٢– عدم فهم واستيعاب وسائل التربية المختلفة الفهم الصـحيح، سـواء مـن المـربين، أو من الأفراد الذين ينفذونها، مما يؤدى إلى خلل في التطبيق.

٣– ضعف مستوى التربية للمربين وإتقانهم لوسائل التربية المختلفة، واقتصارهم على عدد فليل منها، والخبرة في تنفيذ هذه الوسـائل تنقـل بالمعايشـة مـن مسـتوى إلى مسـتوى، وليست بمجرد التوجيه النظرى.

٤– عدم تحفيز الأفراد بدرجة كافية ؛ للتفاعل مع هذه الوسائل، ومتابعة أنفسهم فيها، ومراجعة أثرها معهم.

٥- غياب إحساس التربية الذاتية عند الأفراد، وعدم وضوح منهج التربية لديهم.

٦- عدم متابعة المربى للمردود العملى، وآثار الوسائل التربوية عند الأفراد، والتنبيه عليهم عند الضعف والخلل في حينه.

٧- ضعف أو غياب الشحن المعنوى وروح الهمة العالية، وهى تبدأ أولا من المسئول وتنقل لباقى الأفراد.

٨- كثرة وتراكم التكاليف دون ترتيب، مما قد يؤدى إلى الإرهاق أو الملل.

٩- قلة الذكر والدعاء لله، على المستوى الفردى والجماعى في الأسرة.

١٠- قسوة القلب، وغلبة المعاصى والذنوب عليه.

وهناك مشاكل خاصة متعلقة بالأفراد سواء كانت مشاكل مالية أو اجتماعية أو مهنية أو انحراف في الفكر والسلوك.

وهذا يستلزم مراجعة كل فرد على حدة، وبذل العلاج المناسب له، مع العلم أن معالجة القلوب ليست بالأمر الهين السريع.

وإن الاستغفار، والدعاء، والذكر، وكثرة الارتباط بكتاب الله، وقيام الليل، والصدقة من الأمور التي تزكى القلوب وتطهرها.

■ **تربية المسئول والهيكل الإدارى:**

إن الدعوة تولى اهتماما خاصا بتربية المسئول، وإعداده الفنى والمهارى في مجاله، وكذلك إعداده التربوى.

وتعتبر ذلك هو الأساس الذي يقوم عليه أداء المسئول ومدى كفاءته.

وتركز هذه التربية للمسئول على جوانب هامة، منها:

أ - ما يتعلق بذاته:

١- أهمية إحساسه بالمسئولية أمام الله عز وجل، وأنه سيحاسب على هذه الأمانة.

٢- أن يتحرى الإخلاص، ويبتعد عن كل مظاهر: العجب، والكبر، والرياء، والتسميع، ويستشعر أنه يحتاج للجماعة، وليست الجماعة محتاجة إليه.

٣- عدم التعلق بالمنصب، فيستوى عنده التقديم والتأخير، وأن يستشعر الجندية على الدوام.

٤- بناء المحاسبة الذاتية الداخلية عنده، مثلما كان يفعل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ مع نفسه.

٥- أن يكون له زاده الخاص من العبادة والطاعة، يستمد منها الزاد، ويطلب بها التوفيق من الله، وأن يكثر ويلح في الدعاء واللجوء لله.

٦- أن يكون ذا روح عالية، وهمة وثابة، وعزيمة قوية.

ب - ما يتعلق بأداته:

١- التجرد الكامل، وأن يربط الأفراد بالجماعة وليس بشخصه، وألا يحجب من معه عن باقى الصف والجماعة.

٢ـ أن يكون أمينا في النقل والتوصيل.

٣- أن يطور من نفسه وإمكانياته، ويسعى لامتلاك المهارات اللازمة.

٤- أن يأخذ بالمنهج العملى، ويبتعد عن أسلوب الضجيج وعلو الصوت، وأن يحسن التوكل على الله، وأن يهتم بالمضمون والجوهر، فخير له أن يكون كتابا مفيدا بلا عنوان، عن أن يكون عنوانا بلا كتاب.

٥- أن يحرص على الشورى والمؤسسية وضوابط العمل، وأن ينسب الفضل لأهله.

٦- أن يتقبل النصيحة على أى وجه جاءته.

٧- أن يراعى آداب المحاسبة والمراجعة، وأن يكون حاسما حازما قادرا على اتخاذ القرار.

٨- أن يكون قدوة لمن معه في الالتزام والانضباط، وغيره من أمور.

٩- أن يضبط المناخ، ويشيع جو الحب والتآخى والتكافل.

١٠- مراعاة القسط والمساواة في علاقاته، وصحة التقدير والحكم على الأمور، والاعتماد على الحقائق، والتثبت من الأشياء.

١١- أن يقبل المحاسبة والمساءلة والمراجعة.

جـ - ما يتعلق بعلاقته بالأفراد:

١- سعة الصدر، وإحسان الظن بإخوانه والثقة فيهم، وأنهم شركاء معه في المسئولية.

٢- أن يمتلك المهارات التربوية في حسن توجيه وتربية من هو مسئول عنهم، وتنمية مواهبهم، والتوظيف المناسب لهم.

٣- أن يكون قادرا على استيعاب الأفراد، ومواجهة المشاكل واحتوائها.

٤- أن يتعرف على طبائع الأفراد وأحوالهم.

٥- أن يحقق معانى التعارف، والتفاهم، والتكافل بالمعنى الشامل بين الأفراد.

٦- ألا يكتم العلم، وأن ينقل الخبرة والتجربة لمن معه، وأن يجتهد في تكوين الردفاء وتوريث الدعوة.

٧- أن يتواصل مع إخوانه، وأن يعيش معهم، وأن يتقدمهم في الميدان.

٨- أن يحسن التعامل، ويضبط العلاقة مع من هو أعلى منه، وأدنى منه.

وهذه المواصفات التربوية لا تحدث بين يوم وليلة، أو بأسلوب الطفرة، ولكنها تتم عن طريق المعايشة والتدريب والتوجيه المستمر، ولا نـدَّعى أن المسئول في كل موقع قد استكمل هذه المواصفات، وإنما يكون هناك حد أدنى نبدأ به، ثم يتواصل الاستكمال والتدريب والارتقاء من خلال الوسائل التربوية المختلفة، مع معرفة أن هناك علل قادحة إذا ظهرت في الفرد المرشح للمسئولية، تجعلنا نتوقف فيها معه، ولا نتهاون فيها، حتى لو كان هناك صفات أخرى بإيجابية متوفرة فيه.

ومن أهم هذه العلل القادحة: ضعف معنى الجندية - ضعف الالتزام بالجماعة والميل إلى الفردية واتباع الرأى الشخصى والهوى - احتراز الولاء - التعلق بالمنصب وعدم

الاستعداد للتخلى عنه إذا طلب منه ذلك – قسوة القلب والشدّ على الأفراد – الإعجاب بالنفس – لا يقبل المحاسبة، والمراجعة (الانحراف المالى أو الأخلاقى)... الخ.

والإدارة في دعوتنا، لا تنفصل عن التربية والتكوين، فهما أمران متلازمان، والممارسة الإدارية هي في الأصل ممارسة تربوية ولها صورها وأشكالها ووسائلها المتعددة، ولاتقف أو تقوم على منهج دراسى أو خاطرة تلقى في اللقاءات الإدارية وإنما هي ممارسة ومناخ وتعامل وتوجيه للأفراد من المسئول عنهم.

وإن آداب الإسلام وأخلاقه وضوابطه في العلاقة والتعامل والمعايشة بين الأفراد وضوابط العمل، لتمثل أساسا تربويا ومنهاجا عمليا يحقق هذا الهدف المنشود.

والهيكل الإدارى في الجماعة هو في الأصل مستوى تربوى مترابط متضامن معا في المسئولية، وليس هيكلا فئويا يقوم على التمثيل النسبى المنفصل للشرائح المختلفة مثل هيكل: العمال والفلاحين أو المهنيين أو التجار ورجال الأعمال أو العلماء وأعضاء هيئة التدريس أو الطلاب أو النساء... إلخ، وفى مستويات المسئولية داخل الهيكل، وإنما هو صف واحد مترابط يتشكل مستوى المسئولية فيه سواء بالانتخاب أو التعيين من عموم الصف دون النظر إلى الشريحة التي ينتمون إليها، ويؤدون عملهم وصلاحياتهم بصورة متضامنة في المسئولية.

ولا بأس أن يشكل الهيكل لجانا مختلفة وفرقا متخصصة تتبعه وتعمل في هذه الشرائح وتلك الفئات وتنشط فيها.

وأحيانا تفرض الأحداث حراكا معينا على الجماعة، وهى غير جاهزة تماما بالإمكانيات المناسبة أو الكوادر المتخصصة، سواء بالعدد المطلوب، أو بالكيف السويّ المناسب، وفى هذه الأحوال قد لا تستطيع الدعوة أن تقف جامدة حتى تستكمل كل إمكانياتها، لكن عليها في نفس الوقت أن تكثف وتركز من الإعداد التربوى والمهارى للكوادر الموجودة، وألا تشغلها الأحداث والنشاط عن المتابعة التربوية والتزكية المطلوبة لهذه العناصر وتلك الكوادر، وأن تبذل أقصى الجهد في علاج نقاط الخلل والضعف فيها،

وأن تعد مشروعا طويل الأمد لتجهيز الكوادر المناسبة المستكملة للجوانب التربوية والمهارية المطلوبة منها.

إن التوفيق من الله يأتى بعد استفراغ الجهد البشرى وحسن اللجوء إلى الله والتوكل عليه.

إن العناصر البارزة والواجهات والرموز الاجتماعية والسياسية من أفراد الجماعة تحتاج إلى عناية تربوية مضاعفة ومتابعة مستمرة دقيقة، حيث أن طبيعة حركتهم ونشاطهم والمراكز التي يعملون فيها تستنزف جهدا كبيرا من أوقاتهم، فيؤثر ذلك على الزاد الروحى والتربوى لهم.

كما أن الأضواء، وضجيج الإعلام، وبريق المناصب، وصدى الميكرفونات قد يعمل في النفس ويؤثر فيها سلبيا، مما يعرضها لفتن وانحرافات في الأفكار أو الانضباط أو السمع والطاعة أو الجندية... إلخ مما يؤدى به إلى التفلت والإعجاب برأيه أو الولاء لنفسه ومصلحته، وقد يصل إلى المرد على التوجيهات واهتزاز أركان البيعة عنده، بعضها أو كلها.

لهذا نؤكد على أهمية الإعداد التربوى الجيد والعميق لهذه العناصر البارزة والواجهات النشيطة قبل الدفع بها في هذه المجالات، وتحصينها ضد هذه الفتن والانحرفات، ومواصلة هذه العناية التربوية بعد ذلك على الدوام وأن نلجأ إلى المصارحة والمواجهة التربوية، والاهتمام الشديد بسرعة علاج مظاهر الخلل في بدياتها حتى وإن بدأت بسيطة أو صغيرة، وأن تكون الجماعة حاسمة وحازمة في ذلك.

■ **حول الكتمان والسرية:**

والجماعة ليست كياناً سرياً منغلقاً، بل هي صف مترابط متآلف متحاب يعايش بعضه بعضاً ويتزاورون، ويحمل كل فرد فيه عبء الآخر.

فهي ليست جماعة سرية لا يعرف فيها الفرد إلا مسؤوله فقط.وإنما الأصل فيها المعايشة والتعارف بين لبنات الصف..رابطة أدناها سلامة الصدر وأعلاها الإيثار.

يقول الإمام:

« تعرف إلى من تلقاه من إخوانك ».

« يحمل بعضكم عبء بعض... ويتعهد بعضكم بعضاً بالسؤال والبر ويبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلاً ».

« أن يكون دائم الاتصال الروحى والعملى بالقيادة ».

« وأن يتعرف إليها ويحيطها علماً بكل ظروفه، وأن يطمئن إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ».

« أن يتعرف على أعضاء كتيبته – وأفراد أسرته – فرداً فرداً معرفة تامة ويعرفهم بنفسه معرفة تامة كذلك »[1].

وهذا لا يتعارض مع ضوابط الحركة والمرجعية، واقتصاره في المهمات على معرفة ما يخصه ويعنيه، « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.. » أو ضبط اللسان وحفظ أمانات المجالس، فهذه كلها من آداب المسلم وأخلاقه، وهذه الضوابط لازمة له ولاستواء الصف.

وكذلك هناك فرق كبير بين الكتمان في الحركة وسرية المبادئ أو الدعوة، فالدعوة ليس فيها سرية أو خفاء أو مبادئ ظاهرة ومبادئ مخفاة باطنة. إنما الدعوة – وهى تستمد من منهج الإسلام – مبادئها معلنة، وأهدافها معلنة، ووسائلها معلنة، ومراحلها محددة ومعروفة، ورسائلها ونشراتها معلنة، وأفرادها يعيشون مع المجتمع ويتفاعلون معه ويعتزون بانتسابهم للدعوة، والنشاط الذي يقومون به داخل المجتمع معروف ومعلن، فهو في المساجد ومؤسسات المجتمع ومع الجماهير في كل موقع وحدث، ويسلكون مسار النضال الدستورى والكفاح السياسي.

أما الكتمان في بعض جوانب الحركة الخاصة بالصف فهذا قد يحدث بسبب ما تتعرض الدعوة له من إيذاء وتضييق، وهى تتبع في ذلك سنة رسول الله ﷺ « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ».

■ **حول الثابت والمتغير:**

إن الدعوة تتميز بثبات مبادئها وأهدافها منذ أول يوم ظهرت فيه، وليس بصحيح ما يزعم به بعضهم من أنها بدأت دعوة صوفية أخلاقية ثم حولت تيارها إلى حركة سياسية.

(١) رسالة : التعاليم،وواجبات الأخ العامل،ص٣٦٨ .

فالشمول والإحاطة بالدعوة كان معلنا محددا واضحاً، منذ أول يوم، ورسائل الإمام الشهيد منذ أول رسالة وجهها للإخوان، إلى آخر رسالة، ذات منهج واحد ومبادئ واحدة. وهذا لا يتناقض مع حقيقة أن طريق الدعوة في التطبيق والتنفيذ له مراحل وأطوار أوضحها وأشار إليها الإمام الشهيد.

يقول الإمام الشهيد في مؤتمر رؤساء المناطق عام ١٩٤٥م:

« هكذا كنتم منذ وضع الأساس الأول لدعوتكم في شهر ذى القعدة ١٣٤٧هـ، (١٩٢٨م)، وعلى هذا ظللتم وثبتم وستظلون وتثبتون حتى يحقق الله وعده إن شاء الله ».

إن ثوابت الإسلام هي نفسها ثوابت الجماعة، لا تستطيع أن تحيد عنها، ثم للجماعة أن تلزم نفسها بثوابت تخصها في مجال الحركة والتنظيم، ولها أصولها المستمدة من شرع الله، وتبقى الوسائل التي تتغير وتتطور حسب الظروف والأحوال.

«ولابد أن نعيد القول هنا: إن «التربية» والقيام بالدعوة والجماعة أو «التنظيم » هي أصول وثوابت لا تغيير فيها، وإنه قد تتسع الوسائل والأنشطة التي تعبر عنها أو تساعد عليها، أو تضيق أو تأخذ أشكالاً وأنماطاً مختلفة، إنما تبقى كأصل ومحور لا يتغير.

والتغيير في الوسائل أو في الشكل لبعض الأنشطة له ضوابط وأصول لا يتم إلا من خلالها، ومن خلال مؤسسات الجماعة الملتزمة بالشورى واللوائح المتفق عليها »[1].

■ **حول الاتهام باحتكار الإسلام:**

والجماعة لا تحتكر صفة الإسلام لنفسها، أو الحديث عنه، وتنفيه عن الآخرين، فهي ليست جماعة المسلمين من فارقها أو اختلف معها يكون قد خرج من الإسلام، بل هي جماعة من المسلمين قامت لتحقيق أهداف الإسلام، وفق رؤية ومنهج مستمد من القرآن والسنة حسب فهمها الذي تعتقد بيقين أنه صواب وأن لا طريق غيره، فهي لا تحكم على الآخرين وإنما الله ﷻ ومنهج الإسلام وموازينه هو الذي يحكم عليها وعلى الآخرين «فنحن دعاة ولسنا قضاة..»[2].

(١) الإمام الشهيد حسن البنا : الأستاذ فؤاد الهجرسى،ص ١٦٤ ط٢ . وانظر: الثابت والمتغير : الأستاذ جمعة أمين .

(٢) دعاة لا قضاة : حسن الهضيبى .

والجماعة لا تتبنى مذهباً محدوداً وإنما يسعها ويسع غيرها إطار الفهم الشامل للإسلام وتدعو لهذا، وتدعو للتعاون لإعادة مجد الأمة الإسلامية وتحقيق أهداف الإسلام كلها.

■ **الحجية:**

والجماعة ومبادئها حجة على الأفراد، وليس الأفراد حجة عليها. وبمقدار أخذ الفرد نفسه بتعاليم الدعوة وتربيته عليها، والتزامه بضوابطها ومواصفاتها بمقدار تمثله لهذه الدعوة حتى وإن كان جندياً في آخر الصف.

يقول الإمام الشهيد: «كم منا وليس فينا، وكم فينا وليس منا».

ويقول حول واجبات الدعوة وتعاليمها:

« فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين ».

«.. إنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك، كان جزاؤك العزة في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة. وأنت منا ونحن منك. وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر.وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب »[1].

والذي يعبر عن الجماعة ومواقفها، هو قيادتها ممثلة في المرشد العام، أو من تعتمده القيادة للتحدث باسمها والتعبير عن رأيها.. أما أفراد الجماعة ومن ينتمون إليها فمع وجود الوحدة والأساس المشترك في الفهم، فلكل رأيه واجتهاداته ومساهماته في الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية دون الخروج على ضوابط الشرع أو مبادئ ومواقف الجماعة.

(١) رسالة : التعاليم،ص٣٦٩ .

الباب الرابع

محاور التكوين الفردي

(إصلاح الفرد)

محاور التكوين الفردي

(إصلاح الفرد)

■ **مقدمة:**

يقول الإمام الشهيد: « إذا وُجد المؤمن الصحيح، وجدت معه وسائل النجاح جميعا »[1].

ويقول: « نفوسنا الحالية في حاجة إلى علاج كبير وتقويم شامل وإصلاح يتناول الشعور الخامد والخُلق الفاسد والشح المقيم.. وبغير هذه التقوية الروحية والتجديد النفسى لا يمكن أن نخطو إلى الأمام خطوة » [2].

ويقول أيضا: «اعلم أن الغرض الأول الذي ترمى إليه جماعة الإخوان المسلمين: «التربية الصحيحة»، تربية الأمة على النفس الفاضلة، والخلق النبيل السامى، وإيقاظ ذلك الشعور الحى الذي يسوق الأمم إلى الذود عن كرامتها والجد في استرداد مجدها، وتحمل كل عنت ومشقة في سبيل الوصول إلى الغاية »[3].

وللتعرف على ملامح الصفات التكوينية للفرد في الجماعة كما أشار إليها الإمام الشهيد في رسائله ومقالاته، فإننا بتجميع وترتيب هذه الواجبات والصفات وما ورد من توجيهات لفضيلته في أهداف الجماعة ومراتب العمل نستطيع أن نقترب أكثر من الصورة المتكاملة للشخصية الإسلامية المستهدف تكوينها، حيث تسير كواقع عملى تربوى تنفيذى من خلال البرامج العملية والمنهاج المحدد، ووفق وسائل متعددة ومستويات متدرجة تضعها الجماعة، وتضع لها الأطر والضوابط اللازمة لذلك.

ويمكن ترتيب هذه في ثلاثة محاور رئيسية (وهى محاور متلازمة متضامنة متداخلة معا):

---

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٣٧ .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟ ص٧٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

أ - المحور الإيمانى والتعبدى.

ب - المحور الأخلاقى والسلوكى.

جـ - المحور الدعوى والحركى.

- وتناولها التطبيقى يحتاج إلى التدرج وإلى توزيعها المتوازن على المراحل المختلفة للتكوين.

- وهى تشمل الإخوة والأخوات في المحورين: الإيمانى والأخلاقى[1].

- أما في المحور الحركى (فى جزء منه فقط) فهناك بعض الاختلافات بالنسبة للأخت حسب ما هو مطلوب منها وطبيعة المهمة الموكولة إليها.

- وهذه التربية تقوم على ركيزتين متساندتين هما:

أ - إحياء التربية الذاتية داخل كل فرد «العمل مع أنفسنا أول واجباتنا »[2].

ب - والتزامه بالتربية الجماعية التي توفرها الجماعة ومناهجها، ومن خلال الرباط الذي يجمعها ويقوم على التعارف والتفاهم والتكافل.

- وعمل القلب فيها أهم من عمل الجارحة ومقدم عليه (فالباطن مقدم على الظاهر) لكن تحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا ونحرص عليه.

- ويؤكد الإمام الشهيد على أهمية إيقاظ الإيمان وتجديد الروح وقوة المشاعر والوجدان كأساس للانطلاق والاستمرار.

- وهذا التكوين يقوم على: (إيمان عميق - فهم صحيح - تكوين دقيق - عمل متواصل - حب وثيق) [كما أشار بذلك الإمام البنا في رسائله].

- ويتطلب أيضا التركيز في الدعوة وعدم الطفرة ووحدة الصف، فيقول الإمام: « ركزوا دعوتكم ووحدوا صفكم..»، ويقول: « آمنوا بفكرتكم، وتجمعوا حولها، واعملوا لها، واثبتوا عليها » [3].

---

(١) كما أشار بذلك الإمام الشهيد في رسالة دعوتنا في طور جديد ص٢٣٦،مجموعة الرسائل.

(٢) من كلمات الإمام البنا .

(٣) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨ .

إن الأهداف التي تعمل لها الدعوة ليست أهدافا بسيطة محدودة، لكنها عظيمة كبيرة ؛ فهي تبدأ من (إصلاح الفرد)، وتنتهى بـ (أستاذية العالم)، ومع أن المسافة بين الأهداف المطلوبة والواقع ضخمة وهائلة، لكنها الثقة الكاملة في منهج الله تعالى، وتأييده، ونصره، وتوفيقه، ولا يمكن أن يتم تحقيق ذلك إلا عبر منهج طويل من التكوين والتربية والتأسيس، يمتد أجيالا متعاقبة متتالية، مع أهمية بناء الفرد وتربيته؛ فهو الأساس والمنطلق، فالبناء المطلوب ضخم وكبير، وهذه الأهداف لا يمكن أن تتحقق بمغامرة، أو انقلاب، أو قفزة على سنن الله في التغيير، أو مخالفتها وإهمالها، وإن تجارب التاريخ في الحركات الإصلاحية السابقة والمعاصرة لتؤيد هذه الرؤية وذلك المنهج الذي اختاره الإمام ورسم معالمه، مستهديا بسنة رسول الله ﷺ، وسنن الله في التغيير والتمكين، مستوعبا تجارب الآخرين، متجنبا الأخطاء التي وقعوا فيها.

■ **خصائص التكوين الفردى:**

– وقد حرص الإمام الشهيد أن يتحول هذا التكوين الشامل المتدرج للفرد من الجانب النظرى إلى الواقع العملى مع مراعاة التفاوت الطبعى للأفراد وإشباع حاجاتهم الروحية والثقافية والحياتية والمهارية، مستهدفا منظومة الإسلام الكاملة في بناء الشخصية المؤمنة والأخلاق والسلوكيات والآداب الإسلامية في إطار من الفهم الدقيق والتطبيق المتوازن والمكافئ لعصرنا الحالى، مقتديا بسنة رسول الله ﷺ وهديه في الإصلاح والتقويم، وما الصفات العشر وأركان البيعة إلا مدخل ومنهجية وركائز للبرنامج التطبيقى لتناول أخلاق الإسلام وهديه في بناء وإصلاح الإنسان.

– وأكد الإمام الشهيد أن نقطة الانطلاق في التكوين تبدأ من داخل النفس بإيقاظ الإيمان وإذكاء الروح وتقوية الإرادة، وأضاف لذلك محضنا عمليا للمعايشة والمعاونة على تحقيق هذا التكوين، هو: « الأسرة »، فهي – في تشكيل الجماعة – اللبنة الأساسية في بناء الجماعة، وهى محضن التربية التي يتحقق من خلالها: [التعارف، والتفاهم، والتكافل] بين أفرادها، وكذلك بين جميع وحدات الصف ولبناته.

– ومع توفر البرنامج المناسب ووسائله المناسبة للأفراد وللواقع ـ وهى تراعى أيضا كل تطور وجديد – اهتم فضيلته بالمناخ الذي يجب توفره ليحيط بالأفراد واللبنات وبكل أجزاء الصف، وهو: الحب في الله، والتآخى، والتغافر فيما بينهم، وجعل أدنى درجة فيه سلامة الصدر، فهو جو ومناخ تتوفر فيه النظافة بمفهومها الواسع والطهر والتسامى، وسمَّى الإمام مسؤول هذه الأسرة أو اللبنة «نقيبا »، وجعل أفراد هذه اللبنة متضامنة معه تربويا لترتقى بحالها، وتُصلح من نفسها.

– وجعل التكوين التربوى جزءا أساسيا، سواء في اختيار المسؤول، أو في أداء دوره وعمله الإدارى أو العلاقة معه، ويوضح الإمام هذا الجانب سواء للنقيب أو لأى مسؤول فيقول: « وللقيادة في دعوة الإخوان حق: الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة.. ودعوتنا تجمع كل هذه المعانى جميعا » [1].

– وحرص الإمام على شمولية وتكامل هذا التكوين والبناء التربوى للأفراد، فلم يفصل بين تربية الفرد واكتسابه للصفات، وبين حركته ونشاطه وتأثيره وإيجابيته في المجتمع، بل هو تكوين واحد متكامل مترابط يؤثر كل منهما في الآخر، وأنها جزء أساسى من هذا التكوين الذي وصفه الإمام بأنه يقوم على: الفهم الدقيق، والتكوين العميق، والعمل المتواصل، فهو ليس تغييرا سطحيا أو مجرد اكتساب عابر لبعض الآداب والصفات، وقد وصف ذلك بأنه « متين الخلق ».

– ومظاهر هذا التكوين وجوهره خمسة أمور: البساطة.. التلاوة.. الصلاة.. الجندية.. الخلق [2].

ومفهوم ذلك أن:

– المحور العبادى والإيمانى جوهره: التلاوة والصلاة.

(١) رسالة : التعاليم،أركان البيعة،ص٣٦٤ .

(٢) راجع : واجبات الأخ العامل برسالة التعاليم،ص٣٦٩ .

- ومحور الحركة والتنظيم: جوهره الجندية.

- ومحور السلوك جوهره: الخُلق.

- وأن طبيعة المنهج وصياغة وسائله جوهرها: البساطة.

- وشعار هذا التكوين: الله غايتنا.. والرسول زعيمنا.. والقرآن دستورنا.. والجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

- ويصف الإمام الشهيد عمق هذا التكوين ودرجاته لتلبية متطلبات الدعوة والجهاد ولحمل الأعباء الثقال، فيقول: « التكوين باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض.

والدعوة فيها خاصة، لا يتصل بها إلا من استعد استعدادا حقيقيا لتحمل أعباء جهد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر الاستعداد كمال الطاعة.

.. ونظام الدعوة في هذه المرحلة صوفى بحت من الناحية الروحية، وعسكرى بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائما [أمر وطاعة] من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج »[1].

- هذا بخلاف درجة أوسع من التعريف بالدعوة وأخف في خصوصية التكوين والتربية، مع شموليتها في جوانب الإصلاح المختلفة، مما يتناسب مع المطلوب والمستهدف منها تُسمى: (مرحلة التعريف)، أى: التعريف بنشر الفكرة العامة بين الناس، ومهمتها العمل للخير العام، وسيلتها الوعظ والإرشاد.. إلى غير ذلك من الوسائل العملية، وعن أفراد هذه الدائرة يقول الإمام: « ويتصل بالجماعة كل من أراد من الناس، متى رغب المساهمة في أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها، وليست الطاعة التامة لازمة في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها من احترام النظم والمبادئ »[2].

(١) رسالة : التعاليم،٣٩٧ .

(٢) رسالة : التعاليم،٣٩٧ .

ويتعاون الإخوان مع كل المخلصين الذين يعملون في هذا الميدان، ميدان الإصلاح العام والتعريف بالإسلام والنهوض بالمجتمع.

– وركز الإمام الشهيد على أهمية العقيدة الصحيحة في تكوين الفرد وإصلاحه فيقول: «معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من المتشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه»[1].

« وكل بدعة في دين الله لا أصل لها – استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه – ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدى إلى ما هو شر منها » [2].

ويقول أيضا: « والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام » [3].

وحرص الإمام أن يكون الأخ: قوى الارتباط بكتاب الله، وبالمسجد، مع الاهتمام بالصلاة، وقيام الليل، فجعل للأخ ورده اليومى المتنوع من القرآن، فهناك: ورد التلاوة والقراءة، وورد السماع، وورد الحفظ، وورد التفكر والتدبر [4].

– جعل الإمام الشهيد قاعدة التكوين مستمدة من منهج الإسلام، وأساسا يقوم عليه الإصلاح، شاملا لكل جوانب الإنسان، سواء في شخصيته وأخلاقه أو في دينه ودنياه، ولم يفرّق في أهمية هذا التكوين وضرورته وشموليته لكل الجوانب بين: الرجل والمرأة، أو الطفل والشيخ، فهو أساس واحد وإن اختلفت مظاهره وبرامجه، واعتبر هذا هو الركن الأول في منهج الإصلاح للمجتمع وبناء الدولة، فيقول الإمام: «.. ولكنها مهمة هذا النشء الجديد، فأحسنوا دعوته، وجدّوا في تكوينه، وعلموه استقلال النفس والقلب،

(١) المرجع السابق،ص٣٥٧ .

(٢) المرجع السابق،ص٣٥٨ .

(٣) المرجع السابق،ص٣٥٦.

(٤) راجع : الوصايا العشر .

واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل، واملؤوا روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجندوه تحت لواء محمد ﷺ ورايته، وسترون منه في القريب: الحاكم المسلم الذي يجاهد نفسه ويسعد غيره »[1].

ويقول الإمام: « نريد أولا الرجل المسلم في: تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه، فهذا هو تكويننا الفردى ».

ويقول أيضا: «إن كل جماعة إسلامية في هذا العصر محتاجة أشد الحاجة إلى الفرد العامل المفكر إلى العنصر الجريء المنتج»[2]، فالدعوة ليست بحاجة إلى القوالب الجامدة والعناصر المنغلقة والشخصيات المنعزلة ذات الروح الهابطة.

« نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب »[3]. فالمرأة تحمل نفس التكليف وتعمل لنفس الأهداف، ويشمل المنهج التربوى التكوينى، مع مراعاة بعض الفروق في الجانب الحركى وبعض المهام الخاصة بها.

– وجعل فضيلته من الصفات العشر للفرد المسلم في حياته، [وهى: «قوى الجسم.. متين الخلق.. مثقف الفكر.. قادر على الكسب.. سليم العقيدة.. صحيح العبادة.. مجاهد لنفسه.. حريص على وقته.. منظم في شؤونه.. نافع لغيره »[4]] المحاور الرئيسية لهذا التكوين العام للفرد.

– وجعل من أركان البيعة [وهى: « الفهم..والإخلاص..والعمل..والجهاد.. والتضحية.. والطاعة.. والثبات.. والتجرد.. والأخوة.. والثقة »[5]] محاور التكوين الرئيسية لمن يحمل الدعوة ويلتزم بالجماعة، وهى محاور مكملة، وتسير جنبا إلى جنب مع محاور الصفات العشر، لتندمج معها، وتشكل قاعدة واحدة لهذا التكوين، والذي تتفرع منه بعد ذلك عشرات الأهداف والمحاور التي توضع لها البرامج الدراسية والعملية والتربوية.

---

(١) الرسائل،ص١٩٧ .

(٢) رسالة هل نحن قوم عمليون ؟ ص٦٣ .

(٣) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧ .

(٤) رسالة : التعاليم،ص٣٥٦،٣٥٩ .

(٥) المرجع السابق نفسه .

وهذه الأركان للبيعة تشير إلى ما يحتاجه الفرد والجماعة لتكوين لبنات قوية في صف مترابط:

ففى مجال الحركة، نحتاج إلى هذه الأركان: العمل، الجهاد، التضحية..

وفى مجال التنظيم والصف، نحتاج إلى: الطاعة، الأخوة، الثقة..

وفى مجال الاعتقاد، نحتاج إلى: الفهم، الإخلاص، التجرد..

ثم يحتاج الفرد في كل ذلك وطوال حياته إلى ركن « الثبات » ؛ لتحقيق هذه الأركان كلها، وإلى ثباته على مبادئه وبيعته والتزامه بالجماعة.

كما أن هذه الأركان مترابطة، الضعف والخلل في إحداها يؤدى إلى الضعف في بقيتها.

- كما جعل الأهداف العليا للجماعة - وهى تمثل مراتب العمل - المسارات والأوعية التي تحدد جوانب هذا التكوين وذلك التكليف، والتي تنطلق من داخل الفرد لتعده وتهيئه لتحقيقها والعمل من أجلها.

ويشير الإمام إلى ذلك فيقول تحت ركن العمل: « ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:

١- إصلاح نفسه. ٢- وتكوين بيت مسلم.

٣- وإرشاد المجتمع. ٤- وتحرير الوطن.

٥- وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق.

٦- وإعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة.

٧- وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه.

وهذه المراتب الأربع الأخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضوا في الجماعة »[1].

(١) رسالة التعاليم،باختصار ،ص٣٥٩،٣٦١ .

وهذه المراتب والأهداف كلها لها انعكاسها ووجودها في برنامج إعداد الفرد، وفى الوسائل المستخدمة معه، ولها مردودها وآثارها العملية ونتائجها التربوية والحركية، متدرجة في ذلك حسب كل هدف دون التفريق أو الفصل بين هذه الأهداف، أو الاقتصار على بعضها دون الآخر، مع مراعاة مرحلة الدعوة التي تمر بها في تحقيق تلك المراتب أو الأهداف العليا.

وهذه البرامج والوسائل ليست جامدة أو متحجرة، بل هي مرنة متطورة، تراعى التفاوت بين الأفراد، وترتقى بالقدرات وتستفيد من كل جديد، لكنها تحافظ على أهدافها وخصائصها وركائزها الأساسية، وليست هذه البرامج - سواء النظرية أو العملية - منفصلة متفرقة، بل هي متكاملة متداخلة، تحيط وتشمل جميع الجوانب التربوية.

ويقول الإمام الشهيد موضحا بعض هذه الجوانب الأساسية في تكوين الفرد واستمرارها معه دون توقف: « إن الإسلام يريد في الفرد:

١- وجدانا شاعرا يتذوق الجمال والقبح.

٢- وإدراكا صحيحا يتصور الصواب والخطأ.

٣- وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق.

٤- وجسما سليما يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير »[1].

ولهذا توجب على الأخ المسلم:

١- « أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه.

٢- وأن يتعلم ما وسعه العلم ليتسع إدراكه.

٣- وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته.

٤- وأن يلتزم نظام الإسلام في الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والأسقام.

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٥ .

والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء، ولكن الصنفين في هذه الناحية الفردية في الإسلام سواء، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم فى: دقة وجدانها، وسمو إدراكها، ومتانة خلقها، وسلامة بدنها»[1].

وأشار الإمام الشهيد إلى الصفات الأربع اللازمة لبناء القوة النفسية العظيمة، وبيّن أنها أساسية للفرد والأمة لكى ينهض برسالته ويحمل دعوته، وهذه الصفات تتمثل في:

« إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره » [2].

(٢) المرجع السابق،٢٣٦.

(٣) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٥ .

الأهداف التربوية

إن المنهج التربوى لتكوين وإصلاح الفرد حسب رؤية الجماعة إنما يستمد منطلقه وصبغته من الإسلام ومنهاجه القويم، وهو يستهدف في الفرد هذه الرسالة:

(تحقيق العبودية الكاملة لله، والقيام بأداء رسالته في الأرض، وتحقيق مهمته وأهداف دعوته، والقيام بما يجب عليه في ذلك).

فهو إعداد عام وخاص (عام: يشمل كل الجوانب العامة لتكوين الشخصية والفرد المسلم، وخاص: يهيئه للمهمة المطلوبة منه)، وبذلك يكون في طليعة المجاهدين الصادقين الحاملين للدعوة المرابطين عليها.

فنحن نريد تكوينا خاصا لعضو الجماعة وحامل دعوتها يرتقى به ويصبح مكملا للتكوين العام المطلوب لكل إنسان مسلم.

■ **الهدف العام:**

١- الشخصية السوية المؤمنة.

٢- ذات القوة النفسية العظيمة.

٣- المجاهدة في سبيل دعوتها وتحقيق غايتها وأهدافها في الأرض كلها.

٤- مستكملة لعدة الإيمان والجهاد.

٥- مرابطة على ذلك حتى تلقى الله.

■ **وأسس هذا المنهج** التي يقوم عليها اشتقاق الأهداف التربوية، تتمثل في:

١- الصفات العشر لتحقيق الشخصية السوية.

٢- أركان البيعة لإعداده للجهاد.

٣- مراتب العمل، وأهداف الدعوة العليا التي يسعى لتحقيقها.

وكلها مستمدة من الباعث والرسالة والمهمة التي تم تحديدها وفق منهج الإسلام وهديه.

ومن هذا الأساس يتم اشتقاق الحزمة الرئيسية لأهداف التكوين التربوى، والتي تتفرع منها بعد ذلك الأهداف المناسبة للشرائح السنية والمستويات المختلفة لأفراد الجماعة، فتتفرع منها أهداف مرحلة الأشبال والثانوى والأخوات وأفراد الأسر، وتتوزع بعد ذلك الأهداف على المراحل المختلفة المحددة لكل مستوى.

وهذه الأهداف التي يتم اشتقاقها، تحكمها كضابط ومرجعية في الرؤية:

١- الباعث والرسالة وما يُسمى بالرؤية الفلسفية للإصلاح والتكوين.

٢- الأهداف العليا للإسلام والدعوة.

٣- خصائص الفرد واحتياجاته.

٤- رؤية المجتمع وما يستهدفه من أهداف ومحاور.

ونشير إلى أن الأصوليين في علم الفقه يجعلون الحاجات الضرورية الخمس: (حفظ النفس، والدين، والعقل، والمال، والنسل)، وما يلحق بها من التكميلات والتحسينات، كضابط ومرجعية لاحتياجات الإنسان العامة، ومتطلبات حياته.

وكل هدف تربوى له ثلاثة جوانب:

١- الجانب المعرفى.

٢- الجانب الوجدانى.

٣- الجانب السلوكى.

وهذا الجوانب متكاملة متداخلة معا، النقص والضعف في إحداها يسبب ضعفا في الأخرى، ولابد أن يظهر أثر الجانب المعرفى والوجدانى في المجال السلوكى للفرد.

■ **طبيعة الأهداف: أو خصائص الأهداف التربوية:**

١- أنه هدف مستمر له بداية ولكن ليس له نهاية.

٢- وهو مستمر في النمو مع الفرد باطراد في جميع جوانبه.

٣- وهو يتعرض في حياة الإنسان للمعوقات والتقلبات مما يحتاج معه إلى الثبات حتى يصبح راسخا مستمرا محققا للمطلوب.

٤- أنها أهداف متصلة تراعى التدرج وعدم الطفرة، وذات تأثير تراكمى، مع عدم الانفصال وتحقق المتابعة والتكرار.

٥- أنها تستند في التطبيق على إيقاظ الروح وتزكية النفس ومراقبة الله ﷻ ووجود النفس اللوامة والقلب الحيّ.

وهى تمزج في الرؤية بين الجهد البشرى والتوفيق والهداية الربانية وتجعلها هي الأساس الذي يتعلق به القلب ويتجرد ويخلص له، فعوامل الضعف والمعوقات كبيرة، وبدون اللجوء لله واستمداد العون منه لا يتحقق الإصلاح المطلوب.

إن المنهج التربوى لابد أن يحدد الأهداف الوسائل، وإن الأهداف دون وسائل لتحقيقها رؤية قاصرة غير واقعية، والوسائل دون موجهات وأهداف تقود وجهة استخدامها ضربا من الضياع.

كما أن هناك أهدافا طويلة الأمد وأهدافا قصيرة الأمد، وبذلك يمكن اعتبار الهدف الفرعى أو قصير الأمد في العمل التربوى المستمر وسيلة لهدف أكبر أو طويل الأمد.

■ **من سمات الأهداف التربوية:**

١- الشمولية لكل جوانب الإنسان ودوائره، فهي شاملة لحاجات المجتمع وللعالمية ولعلاقته بالكون فضلا عن إشباع احتياجاته الشخصية.

٢- عدم التعارض مع بعضها البعض.

٣- التساند بين الأهداف.

٤ – التوازن بين الأهداف توازنا يتحدد به الوزن النسبى لهذه الأهداف والأولويات.

ويشمل أيضا التوازن بين احتياجات الفرد نفسه ودوائره المحيطة به: الفرد ابتداءً – المجتمع – العالم (البشرية) – الكون.

والتوازن في التطبيق بين التربية الجماعية والتربية الذاتية، وكل منهما مكمل للآخر.

٥– الاستمرارية والتواصل.

٦– التطوير: إذا كانت الأهداف الرئيسية تتميز بالثبات والرسوخ، فإن الأهداف الفرعية قد تحتاج إلى التطوير والتعديل ؛ وفق الواقع ومستجداته.

٧– المرونة: كذلك لابد أن تتوفر المرونة عند التطبيق للمنهج؛مراعاة للواقع وإمكاناته، وللفروق الفردية، ومتطلبات الإشباع لاحتياجات الفرد المتباينة.

■ **درجات الهدف التربوى:**

– والهدف التربوى ليس درجة واحدة، بل له مستويات تبدأ من مستوى « الكفاية »، وهى تمثل الحد الأدنى المقبول ليمارس أداء عمل ما أو يحقق مظاهر هدف ما، ثم ترقى إلى مستوى الكفاءة وهو يمثل الدرجات القصوى لتحقق مظاهر هذا الهدف، وهى أيضا مستوى ممتد الدرجات لا حدود له.

– والأهداف التربوية في الرؤية الإسلامية لا بد لها أن تحقق مستوى «الإتقان» ثم ترقى إلى مستوى « الصدق »[1]، ثم مستوى « الإحسان ».

– كما أن الهدف التربوى في استمراريته وتطبيقه يأخذ صورا متعددة تتدرج من حيث العمق والتأصيل، يشمل ذلك إعادة التذكير به كل فترة، وإعادة تناوله أو دراسته بصورة أكبر وأعمق وأكثر توسعا أو الرقى في تطبيقاته العملية، أو دراسة جانب منه في صورة أكثر تخصصا، القيام بتدريسه وتعليمه للآخرين، والتذكير به وبمظاهره عند المواقف والأحداث، مثال ذلك دراسة السيرة أو آيات القرآن الكريم، فهي قد تكون في المراحل الأولى من التكوين بصورة مبسطة، ثم كلما ارتقى أعاد دراستها بصورة أعمق، وبارتقاء

(١) الصدق في أصل تعريفه هو : استواء الباطن والظاهر .

الفهم والتطبيق أعلى، وكذلك في محور العبادات والطاعات، وهكذا لا يتوقف ارتباطه ودراسته ومعايشته لهذه الأهداف.

■ **أهمية التأسيس الصحيح والتواصل بين الأهداف:**

– ولأن الأهداف التربوية تمثل وحدة واحدة، ولها في حياة الإنسان التأثير التراكمي فإنها تبدأ معه منذ الصغر حتى نهاية عمره، وبذلك يتم توزيع الأهداف وتفريعها بداية من مرحلة الأشبال والثانوى والطلبة، بل إنها تبدأ قبل ذلك من مرحلة الطفولة عن طريق الوالدين، وإذا حدث ولم يأخذها في نشأته بالقدر الكافى أو لم يمر بهذا التكوين في تلك المرحلة من حياته استكملها في مراحل الانضمام الدعوى بدءا من المحب والمؤيد وما بعدهما.

– كما لا يوجد هناك انفصال بين التكوين العام والخاص.

– فالمراد بالتكوين العام: الأساس التربوى الذي يرتقى به المسلم ويحقق به عبوديته لله وهو يشمل كل جوانب الإنسان، ويستمر معه طوال حياته ينمو به ويتربى عليه.

– أما التكوين الخاص: فهو أهداف تربوية تهيئه لمهمة خاصة، ومستوى أعلى من الجهاد والفداء، وهى مأخوذة أيضا من منهج الإسلام، وتأتى مكملة ومتصلة باستمرار بذلك الأساس التكوينى العام، ولا يمكن أن تؤتى ثمارها أو يقوى بناؤها داخل الفرد إذا كان هذا الأساس التكوينى العام به خلل أو ضعف أو توقف وعدم نمو.

■ **محاور الحزمة الرئيسية للأهداف التربوية**[1]:

ونستطيع أن نجمل محاور هذه الحزمة من الأهداف التربوية:

١ – أن يكون صحيح الفهم مثقف الفكر.

٢ – أن يكون سليم العقيدة.

(١) ملحوظة : ترتيب ذكر الأهداف هنا غير مقصود،مع ملاحظة أن ترتيب الإمام الشهيد للصفات العشر بدأ بها أولا بصفات الشخصية العامة من : سلامة الجسم والخلق والثقافة والقدرة،ثم صفات العقيدة والعبادة،ثم تدبير أموره الشخصية وتنظيمها،ثم دوره الاجتماعى .

٣- صحيح العبادة قوى الإيمان.

٤- قوى الجسم، صحيح البدن.

٥- متين الخلق، وحييّ المشاعر.

٦- حريصا على وقته منظما في شئونه.

٧- قادرا على الكسب.

٨- مجاهدا لنفسه، مطورا لإمكانياته ومواهبه.

٩- قائما بدوره في بناء البيت المسلم.

١٠- نافعا لغيره، محققا لدوره الإيجابى في بناء المجتمع.

١١- متواصلا مع أمته الإسلامية، ساعيا لعودة الخلافة.

١٢- متفاعلا مع الكون، عاملا على خير البشرية وسلام الإنسانية.

١٣- مجاهدا في سبيل دعوته، محافظا على جماعته.

ونستطيع أن نعرض بشيء من التفصيل هذه المحاور والأهداف العامة لهذا الأساس التكوينى، وما تحتويه من أهداف ابتدائية:

المحاور الرئيسية
للتكوين التربوى للأفراد

١ - سليم العقيدة :

١ - من ناحية الفهم الصحيح وتحرى عقيدة السلف.

٢ - وأن تكون العقيدة هي الدافع والمحرك له في حياته وسلوكه.

٣ - وأن يكون الله غايته، وأن يظهر أثر ذلك في حياته وشخصيته.

٤ - أن يفهم ويستوعب الغاية من خلقه وطبيعة الحياة الدنيا، والصراع مع الشيطان، وعقيدة البعث والجزاء، والتكامل بين الرجل والمرأة وطبيعتها، وميزان التفاضل بين أبناء البشر، وتنوعهم إلى شعوب وقبائل، وطبيعة العلاقة معهم.

٢ - صحيح العبادة، قوى الإيمان:

١ - أن يحقق معنى العبودية الشامل في حياته ودعوته.

٢ - أن يتحرى السنة والصواب، ويحوز الفقه والعلم المناسب.

٣ - محققا أسس بناء الإسلام وأركان الإيمان (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره).

٤ - قائما بالفرائض ويتقرب إلى الله بالنوافل والطاعات.

٥ - أن يتمثل مراتب الإيمان وصفات المؤمنين كما جاءت بالقرآن والسنة.

٦ - أن يكون قوى الإيمان بكل هذه الجوانب:

أ - بالإسلام ورسالته. ب - بالقرآن وعظمته.

جـ - بدعوته وأهدافها. د - بنصر الله وتأييده لها.

هـ - بصواب المنهج والطريق. و - بقيادته وجماعته.

٦- أن يرتبط بكتاب الله تلاوة وفهما وحفظا وعملا.

٧- وأن يتعلق قلبه بالمساجد.

٨- وأن يحب الصلاة ويُحسن أداءها ويحافظ عليها.

٣- متين الخُلُق، حييّ المشاعر:

١ - إصلاح الشعور الخامد، وتجديد المشاعر وبناء القوة النفسية العظيمة والإرادة القوية.

٢- أن يتحلى بكل خُلق قويم، ويتخلى عن كل خُلق سيئ وأن يتخلى عن العجب والكبر والرياء.

٣- أن يكون ملتزما لمنهج الإسلام في أقواله ومعاملاته وسلوكياته.

٤- أن يكون قوى الحماس منضبطا فيه، دقيق الشعور، نافذ البصيرة، مهذب الوجدان، يميز بين الجمال والقبح (الإثراء الجمالى والوجدانى).

٥- حريصا على الآداب الإسلامية كلها في جميع أحواله.

٦- قدوة لغيره، مؤثرا فيمن حوله.

٧- يعرف حقوق الآخرين ويؤديها، ويحسن التعامل معهم، مثل: (يبر والديه، ويحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويحسن إلى جيرانه).

٨- مستكملا للأخلاق الإيمانية في الدعوة والحركة، مثل: (الأخوة - الحب في الله - الشورى - النصيحة - سلامة الصدر - الإيثار - التغافر - التراحم - الحلم والصفح - الصبر والثبات... إلخ).

٤ - قوى الجسم، صحيح البدن:

١ - أن يكون جسمه قويا صحيحا قادرا على أداء ما يحتاجه.

٢- محافظا على صحته ولياقته، آخذا بأسباب الوقاية والعلاج.

٣- حريصا على الرياضة المفيدة النافعة، مكتسبا للمهارات المطلوبة.

٤- مستكملا لكل أسباب القوة حسب الاستطاعة، متجنبا لكل العادات التي تضر بصحته، آخذا بمنهج الوسطية، متجنبا الإسراف.

٥- ضابطا لشهوات جسمه وغرائزه وفق منهج الإسلام، مستوعبا لأبعادها، موجها لها الوجهة الصحيحة المفيدة (ومنها غرائز: حفظ النفس والعقل والنسل).

٥- حريصا على وقته، منظما في شئونه:

١- فيكون منظما نظيفا في كل شؤونه، مرتبا في أحواله، (بدءا من: هندامه.. ومظهره.. ومعيشته.. وعمله).

٢- مستفيدا من وقته، فلا يصرفه إلا في النافع المفيد، ويحاسب نفسه على ذلك.

٣- قادرا على ضبط أموره، محددا للأولويات، ومحققا للتوازن في الاهتمامات ومتطلبات التنفيذ.

٤- قادرا على تحديد العمل المناسب في الوقت الصحيح.

٥- متبعا لأسلوب التخطيط، متنقلا من حيز الخيال والكلام، إلى حيز الواقع والعمل مع التركيز والإنجاز.

٦- مستصحبا للتوكل على الله في كل ذلك.

٦- قادرا على الكسب :

١- أن يحقق القدرة على الكسب المكافئ والمناسب لأحواله، بامتلاك آلياته، وتطوير نفسه في ذلك.

٢- أن يكتسب العلم والمهارة المطلوبة في ذلك المجال.

٣- أن يكون متحريا للحلال وضوابط الشرع في تحصيل الرزق.

٤- أن يكون أمينا صادقا في عمله، محققا للقناعة، متجردا من كل عُجب أو شح أو طمع.

٥- أن يكون متعبدا لله بهذا السعى متوكلا عليه.

٦- أن يدرك قيمة المال والعمل وفق الرؤية الإسلامية.

٧- أن يجعل في كسبه حقا للسائل والمحروم، ويحرص على زكاة النفس والمال.

٧- نافعا لغيره محققا لدوره الإيجابى في المجتمع:

١- أن يحب الخير للناس وللإنسانية كلها، ويعمل على ذلك.

٢- أن يكون إيجابيا دائما، آخذا بأسلوب الإصلاح وليس الهدم والتجريح، مراعيا لآداب النصيحة للأفراد والمسؤولين.

٣- نافعا لغيره من الأفراد والمؤسسات، محققا للتعاون على الخير والبر مع الآخرين (أى تحقيق الإيجابية في المجتمع فيؤثر ويصلح فيه).

٤- أن يتعرف على مشاكل وواقع مجتمعه، وأن يسهم - قدر استطاعته - في أعمال البر والخدمة العامة، وأن يساهم ويعمل على إصلاح وتطوير مجتمعه في مجال عمله وتخصصه، وأن يتقدم بذلك للمسؤولين.

٥- أن يعمل على إصلاح الخلق الفاسد والعادات السيئة ومظاهر الفساد الفكرى والعملى بأفضل الوسائل وأيسر السبل.

٦- أن يساهم في بناء وطنه، والمحافظة على استقلاله ووحدته، ويدعم ارتقاءه السياسي والاقتصادى والعلمى، وتحرره من كل نفوذ أو سلطان أجنبي.

٧- أن يساهم في نشر دعوة وقيم الإسلام في المجتمع، وهداية وإرشاد الآخرين.

٨- أن يفقه ضوابط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والنصيحة للمسؤولين وغيرهم، وأن يكون على بصيرة بالقوانين والإجراءات.

٩- أن يتأدب بآداب الدعوة والداعية، قادرا على الحوار مع الآخرين والتأثير فيهم، وأن يفقه فقه الاختلاف في الرأى.

١٠- أن يشارك ويؤدى ما تكلفه به الجماعة من أنشطة وأعمال في تلك الميادين.

١١- أن يمتلك مهارات الحوار والتواصل مع الآخرين ومع المجتمع.

١٢- أن يمتلك مهارات التعامل الحياتى مع المجتمع ومؤسساته.

٨- مجاهد لنفسه، مطور لإمكانياته، وهذا بكونه:

١- مراقبا لله، ساعيا إلى تحقيق تقوى الله وخشيته.

٢- مسيطرا على نزوات وشهوات النفس، فيفطمها عن الحرام، ويبتعد بها عن الشبهات.

٣- مواظبا على حساب نفسه ؛ ليحقق النفس اللوامة.

٤- آخذا بتهذيب نفسه ليحقق التربية الذاتية والإرادة القوية.

٥- أن يحقق المداومة على ذكر الله بكل أنواعه، واستغفاره، والتوبة، والإنابة له.

٦- العمل على اكتشاف مواهبه، وتطوير إمكانياته، والارتقاء بملكاته.

٧- أن يمتلك المهارات المناسبة من التكنولوچيا الحديثة.

٩- صحيح الفهم، مثقف الفكر :

١- صحيح الفهم لدينه ولدعوته، ولمهمته ودوره في الحياة (تُشكل الأصول العشرين مدخلا وإطارا لصحة الفهم).

٢- مثقف الفكر، واسع الأفق، محيط بالثقافات والتيارات العالمية، قادر على الحكم الصحيح عليها، وعلى التعامل معها.

٣- محيط بتاريخ أمته القديم والحديث (بما فيها: أحداثها المهمة - ورموزها - عوامل ضعفها - أسباب قوتها) [المقصود بأمته: وطنه وأمته العربية والإسلامية].

٤- مدرك لما يحيط بها من أخطار وأعداء، ومستوعب لقضاياها المعاصرة، وما تحتاجه من أسباب التقدم والنجاح.

٥- أن يستوعب ويحيط بتاريخ دعوته وجماعته (أهدافها - سماتها - واقعها) وذلك كجزء من تاريخ أمته، دارس ما صدر عنها من رسائل ولوائح ومواثيق.

٦- دارس لسيرة رسول الله ﷺ وسيرة السلف الصالح، مستهد بذلك في حركته وفكره، مستمد من ذلك القيم والنماذج المضيئة.

٧- حريص على تحصيل العلم والثقافة النافعة، والخبرة المناسبة له في حياته ومهنته، وما يحتاجه لدعوته، وما يؤديه من مهام، وأن يرتقى في ذلك قدر الاستطاعة.

٨- أن يكون متابعا لكل جديد، آخذا بالصالح المفيد.

٩- أن يجتهد في تحصيل العلم الشرعى والتعرف على أدلة الأحكام بالقدر المناسب له، وأن يرتقى في ذلك ما أمكن.

١٠- أن يعتز باللغة العربية، ويحرص عليها، ويتعلم قواعدها.

١٠- قائما بدوره في بناء البيت المسلم: ويتمثل ذلك في:

١- استيعابه للحقوق والواجبات، ودوره في بناء البيت المسلم، وتهيئته للقيام بذلك.

٢- أن يحافظ عليه ويحميه من المؤثرات السلبية.

٣- حسن التنشئة والتربية للأهل والأولاد والخدم على الإسلام.

٤- تحقيق المظهر الإسلامي للبيت في عاداته وحياته واحترام الفكرة الإسلامية والالتزام بها.

٥- أن يصبح قدوة مؤثرة في الجيران والأقارب، وأن يحقق التواصل مع ذوى الأرحام والجيران ويحقق معنى التكافل والود معهم.

٦- أن يعد بيته لمتطلبات الجهاد وطبيعة المرحلة.

٧- أن يسعى لتحقيق هذا النموذج للبيت المسلم، وأن يكون له دوره المؤثر في المجتمع في عائلته وأقاربه وجيرانه مما يحملهم على احترام فكرته الإسلامية والتأثير والاقتداء بها.

٨- الاهتمام بإعداد النشء والجيل المسلم بالرقى بهم والنمو بملكاتهم، وللوفاء بمتطلبات دينه وأمته وحاجياتهم الشخصية.

١١- متواصلا مع أمته الإسلامية، ساعيا لعودة الخلافة :

١- أن يلم بانتشار الإسلام في أرجاء العالم، وأن يستشعر الارتباط والمسئولية عن كل شبر ارتفعت عليه راية التوحيد.

٢- أن يتعرف على واقع الشعوب الإسلامية وعلى قضايا العالم الإسلامي.

٣- أن يحقق التواصل والتفاعل والدعم ويتبنى قضاياها (وعلى رأسها قضية فلسطين) ويدعمها.

٤- أن يستشعر الارتباط الروحى والجسدى والمسؤولية الإيمانية عن شعوب العالم الإسلامي وعن كل شبر فيه مسلم.

٥- أن يتعرف على حضارة الإسلام ويعتز بها وبما قدمته للبشرية، وأن يدرك رسالة الأمة الإسلامية ومدى حاجة البشرية إليها.

٦- أن يحرص على المنتج الوطنى والإسلامي ويشجعه.

٧- أن يؤمن بالخلافة ويسعى لعودتها، وأن يوقن بأستاذية العالم، وبأن ذلك سيتحقق وفق موعود الله وفضله.

٨- أن يدعم الوحدة العربية والإسلامية، وأن يسعى لإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية ورقيها وتقدمها ويدعم ذلك.

١٢- متفاعلا مع الكون، عاملا على خير البشرية وسلام الإنسانية، ويشمل ذلك:

١- فيتدبر آيات الله في الكون، ويستشعر مظاهر قدرته، ويدرك العلاقة الصحيحة مع هذا الكون، وأن الله سخره للبشرية وفق قانون محدد.

٢- التعرف على نواميس الله في الكون واستخدامها لصالح الإنسانية وفى الخير بالقدر المتاح له، والتعرف على أسراره.

٣- المحافظة على البيئة، وعلى سلامة هذا الكون ونظافته وفق المفهوم الإسلامي.

٤- الحرص على المساهمة في إعمار الأرض وإصلاحها، كلٌّ في مجاله.

٥- التواصل مع الإنسانية وشعوب العالم، والتعرف على مشاكلها العامة وأحداثها المؤثرة.

٦- دعم قيم الحق والعدل ورفع الظلم والمساهمة في السلام العالمى.

٧- إتقان المهارات المناسبة لتحقيق ذلك التواصل.

٨ - التعاون مع الآخرين في كل ما فيه الخير والعدل والإصلاح.

١٣- مجاهدا في سبيل دعوته، محافظا على جماعته:

١- مستكملا لعدة الجهاد من: العلم، والفقه، والبصيرة لواقعه، وأهدافه، ووسائله، والمعوقات التي تواجهه، ولنظام جماعته ولوائحها.

٢- أن يكون منتظما في صفه وجماعته، محافظا عليها، ملتفا حول قيادتها، محققا لأركان بيعته [في مجال الحركة: العمل والجهاد والتضحية - وفى مجال التنظيم: الطاعة والأخوة والثقة - وفى مجال الاعتقاد: الفهم والإخلاص والتجرد - ثم الثبات في ذلك كله].

٣- وأن يحقق أركان أسرته (في التعارف والتفاهم والتكافل).

٤- أن يكون منضبطا في حركته، متجردا لدعوته، عاملا عليها، منتجا في دعوته، محققا للطاعة المبصرة، والجندية الحقة، مضحيا في سبيلها ابتغاء وجه الله، مخلصا في النصح لها، منضبطا بالشورى كخلق يعيش به.

٥- أن يحافظ على سلامة جماعته، وقوتها، وترابطها، وعلى الرقى بها، وتحقيق أهدافها.

٦- أن يكون مستوعبا لموازين الصراع بين الحق والباطل، وسنن التمكين والتغيير.

٧- مدركا للأعداء وطبيعتهم، والمخططات وأهدافها، وما يحتاجه في ذلك من علم وإعداد، ومنه « علم الرجال »، و« التربية الأمنية ».

٨- أن يستوعب الإعداد الخاص لما تؤهله له الجماعة من مهمات وأعمال.

٩- أن يمتلك ويتقن المهارات المناسبة له ؛ للقيام بالإبلاغ ونشر الدعوة.

يتضح من ذلك شمولية منهج الإخوان التربوى لكل جوانب التكوين، من: (تربية إيمانية - وفكرية - وأخلاقية - وتنظيمية - وقانونية - وأمنية - وحركية - وسياسية - واجتماعية - ومهنية - ورياضية - واقتصادية - ودعوية - وعالمية... إلخ)، بالإضافة إلى واقعيته وتدرجه في المراحل المختلفة، والتركيز على تحويله إلى واقع عملى يتحرك به الفرد ويؤثر به في المجتمع.

وهو لا يقتصر على البرنامج الدراسى المكتوب، وإنما يجمع معه كل وسائل التكوين والتربية من: الشيخ المربى، والقدوة العملية، والمعايشة الحقيقية، والمشافهة، والتقويم بالمحاولة والتصحيح.. إلى غير ذلك ضمن سياج من الالتزام الشرعى بضوابط الإسلام، وسياج من الحب والتآخى في الله.

ولابد فيه من الوضوح والشفافية والمصارحة، فيعرف الفرد ويستوعب الأهداف المطلوب منه أن يحققها ويتمثلها، والمستوى الذي سوف يصل إليه والمرحلة التربوية التي هو فيها، والمعوقات التي تعترضه، وجوانب الخلل التي رُصدت فيه، وكيفية علاجها، وأسلوب التقويم ، ونتائجه، وأن تتضح له آلية التوثيق والتضعيف وما يترتب عليها، وأن يكون عنده الدافع والحافز، وأن يبذل جهده للارتقاء التربوى، وأن يأخذ الأمر بجدية واهتمام، كما يتطلب ذلك المناخ الصحيح والتزام آداب الإسلام في النصيحة والتوجيه والتقويم وعلاج العيوب وستر العورات.

توجيهات ووصايا

ونشير هنا إلى توجيهات الإمام الشهيد - في رسائله ومقالاته - للمعانى والصفات التي يجب أن يتصف بها الإخوان (بما في ذلك واجبات الأخ العامل)، نذكر أغلبها بنفس ألفاظه، أو باختصار لمعناها الذي أرشد إليه، وذلك بالإضافة إلى أسلوبه العملى في البناء والتربية وحياته القدوة في التأثير والتكوين والتي - بعون الله وفضله - أخرجت لنا جيلا مؤسسا قويا صامدا، حاملا للدعوة ومحافظا عليها.

أولا: في مجال العقيدة والعبادة:

١- تحقق اتصال القلوب والمشاعر الدائم بالله: (المظاهر المستهدفة: الإكثار من ذكر الله - مناجاة الله والناس نيام... إلخ).

٢- بناء الإيمان بالله، وأركانه، والاعتزاز بمعرفته والانتساب إليه (تحقق الربانية).

٣- تحقق الاعتماد عليه، والاستناد إليه.(فلا تخاف غيره، ولا ترهب سواه).

٤- تحقق الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، وبجلال الإسلام وروعة القرآن. (مظاهر تحقق ذلك...).

٥- معرفة الله تبارك وتعالى، وتوحيده وتنزيهه، وأنها أسمى عقائد الإسلام.

٦- تأصيل أهمية قوة العقيدة وشمولها لكل الجوانب.

٧- تأصيل أركان الإيمان وتذكر الآخرة.

٨ - دراسة رسالة في أصول العقائد، واتباع منهج السلف في الفهم والتطبيق والعودة بالإسلام إلى معينه الصافى (لتحقيق سلفية الدعوة).

٩- دراسة رسالة في الإخلاص.

١٠- أداء فرائض الإسلام، وعدم التقصير فيها، وإقامة أركانها، وتحرى السنة المطهرة في ذلك ؛(لتتحقق صحيح العبادة) [الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج، وأن يعمل لذلك إن لم يكن مستطيعا].

١١- التعلق بالقرآن والارتباط به: (بالتدبر في معانيه - إحسان تلاوته - الاستماع له - وحفظ آياته - والعمل بها).

١٢- أن يعيش مع رسول الله > في هديه وأحاديثه: (فيحفظ من أحاديثه - ويدرس السيرة ويفقهها - والعمل بالسنة المطهرة. [لتحقيق سنية الطريق]).

١٣- التقرب إلى الله بالنوافل والإقبال على الطاعات، وتجديد زاده من: (صلاة الليل - مناجاة الله والناس نيام - دعاء السحر - الصيام المأثور - الذكر القلبى واللسانى [والإكثار من ذكر الله] - الدعاء المأثور والأذكار [أحوال اليوم والليلة] - التدبر والتفكر في آيات الله وسننه - الصدقة، وأن يكون في ماله حق للسائل والمحروم مهما كان دخله).

١٤- مناجاة الله والناس نيام.

١٥- تجديد التوبة والاستغفار على الدوام.

١٦- مراقبة الله تعالى وتذكر الآخرة.

ثانيا: في مجال الوجدان، والمشاعر الإيمانية:

١- زرع الإيمان والأمل في تأييد الله للدعوة ونصره لها (اليقين والثقة في نصر الله).

٢- تحقق الإيمان بالفكرة والاعتزاز بالدعوة ومدى عظمة المهمة.

٣- تحقق الإيمان بالمنهاج وصلاحيته والثقة في النفس، والإيمان بالدعوة ومبادئها وأهدافها ووسائلها.

٤- تحقق الإيمان بالجزاء والثواب عند الله.

٥- توفر الإخلاص الكامل في سبيلها، والاطمئنان إلى الغاية: (مظاهر التحقق: يقصد بكل قوله وعمله وجه الله - لا ينظر إلى: (مغنم، أو مظهر، أو لقب، أو تقدم، أو تأخر)-

الوقاية من آفات الإخلاص: (العُجب، والرياء، والتسميع، والكبر)- أن يصبح جندى فكرة وعقيدة - ردّ الفضل كله لله.

٦- إصلاح الشعور الخامد، وتقويم شامل للنفوس.

٧- تحقيق صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر، لتنتج نفوسا حية قوية فتية مؤمنة وثّابة.

٨ - توفر مشاعر غيورة ملتهبة. (إيمان ملتهب مشتعل قوى يقظ في النفوس) تمتلئ حماسا، مع تحكم قوى في هذا الحماس(ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف)[1].

٩- دوام إمداد الروح وتجديدها، وامتلائها بمعانى الإيمان والعقيدة (دائبون على تطهير الأرواح وتقوية النفوس وبناء القوة النفسية العظيمة).

١٠- أن يكون وجدانا شاعرا يتذوق الجمال والقبح.

١١- توفر الهمة العالية، ومعالجة الصغر في الهمم، واليأس في النفوس، والاستسلام للأمر والواقع.

١٢- استصحاب روح: الجهاد والتضحية والبذل والفداء في سبيل دعوته وغايته.

١٣- أن يدرك سمو الدعوة وسعة أفقها وعظمة الجهاد في سبيلها وضخامة الثمن الذي يُطلب لتأييدها وجزالة الثواب للعاملين عند الله وحده.

١٤- التقدير الصحيح للدعوة والاعتزاز بها:

أ - الاقتناع تماما بشرف الغاية.

ب - الاقتناع تماما بنجاح الوسيلة.

جـ - الاقتناع كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول (كما رسمه الإمام الشهيد ووضع خطواته وحدوده) وليس هناك غيرها.

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٨٠ .

د - اليقين بأنه طريق طويل، متعدد المراحل، يحتاج إلى: الصبر، والمثابرة، والجد، والعمل الدائب، وعدم الاستعجال، واستخدام نواميس الكون دون مصادمتها، والأمل في نصر الله، وترقب ساعة النصر.

هـ - أن يعيش بها وتعيش به الدعوة.

١٥- التقدير الصحيح لأنفسنا (اقدروا أنفسكم) والثقة بتأييد الله لنا، التقدير الصحيح للقيادة - التقدير الصحيح للأخوة والصف.

ثالثا: في مجال الحب والأخوة:

١- الإيمان بالإخاء وسمو الرابطة.

٢- تحقق سلامة الصدر، وطهارة النفس، ونقاء القلب. (لتمثل الحقيقة الصوفية).

٣- الاعتقاد والشعور القوى بالأخوة الإسلامية، والمسؤولية عن كل شبر أرض فيه أخ يدين بدين القرآن.. والتألم والتفاعل لما يحدث لهم ويحيق بهم.

٤- الحب في الله والارتباط على الخير، وتمازج النفوس والأرواح.

٥- طهارة القلب من الأحقاد والضغائن وكل ما يفسده.

٦- حب الخير للأمة والرغبة في هدايتهم.

٧- الإحساس بالأخوة الإنسانية العامة وتقديرها الصحيح.

٨- الحرص على الوحدة والرابطة (الأخوة في الله)، ومن مظاهر ذلك:

أ - التآخى والتحاب في الله، واستشعار معناهما الصحيح وأهميتهما.

ب - تحقق سلامة الصدر، وأن يصل إلى درجة الإيثار.

جـ - يحرص ألا يعكر صفو علاقته بالأخوة شيء.

د - لا يخالف أمر إخوانه.

هـ - لا يفرقن بينه وبينهم المشاغل الزائلة، ولا الأوهام القاتلة.

و – أن يتفقد الغائب.

ز – انتفاء الارتباط الخاص بالأشخاص، أو التعصب، أو التحزب داخل الصف.

ح – أن يكون دائما مع الجماعة لا يتقدم ولا يتأخر عنها.

٩– تحقيق مظاهر الوحدة في التعارف والتفاهم والتكافل وأن يحمل بعضهم عبء بعض، ويتعهد بعضهم بعضا بالسؤال والبر، وأن يبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلا.

١٠– استيعابه لفقه النصيحة وآدابها، ومعالجة المتعثر، وعدم تغير القلوب، وأن يقبل النصيحة على أى وجه كانت، وعلى الناصح أن يؤديها كما يجب.

١١ – التعرف على إخوانه: أسرته وكتيبته فردا فردا معرفة تامة (يؤدى حقوق أخوتهم من الحب والتقدير – والمساعدة والإيثار – عدم التخلف عنهم إلا بعذر قاهر – وأن يعرفهم بنفسه).

١٢ – أن يحرص على آداب المجلس مع إخوانه:

أ – يكون له حضوره المتزن في المجلس.

ب – البعد عن التهريج والشدّ.

جـ – الحرص على مظاهر جدية الفرد دون توتر.

د – آداب التحدث والاستماع والمناقشة.

هـ – آداب المزاح.

و – أدب الاختلاف.

ز – الحرص على أمانة المجلس.

رابعا: في مجال ضبط النفس:

١– مجاهدة النفس وحملها على تعاليم الإسلام.

٢– فطم النفس عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها.

٣- التعود على حساب النفس ومراجعتها حسابا عسيرا. (محاسبة النفس قبل النوم).

٤- ضبط العاطفة (ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول...).

٥- ضبط نوازع الغريزة والسمو بها دائما إلى الحلال.

٦- أن يحول بينها وبين الحرام أيا كان.

٧- ترك المعاصى: (دوام التوبة والاستغفار - الفرار من الإثم والتطهر من العصيان - ترك الكبائر، واجتناب النواهى - عدم المجاهرة بالمعصية (إن قدر له) أو الاجتراء على العصيان أو انتهاك حرمات الله - التحرز من صغائر الآثام - التوبة والندم إذا قدر لأحدهم العصيان - التورع عن الشبهات حتى لا يقع في الحرام - معرفة الموقف من: معلول الغاية، مستور المطامع، مجروح الماضى ولم يتطهر منه).

خامسا: في مجال الأخلاق والشخصية السوية:

١- الارتقاء الأخلاقى: واستمرار التحلى بالفضائل - والتمسك بالكمالات - حتى نصبح أقوياء بأخلاقنا - وقدوة في ذلك.

٢- تقويم شامل للنفوس وعلاج الخلق الفاسد والشح المقيم (والتخلى عن كل مريض القلب - معلول الغاية - مستور المطامع - مجروح الماضى إن لم يطهر من ذلك تماما).

٣- أن يعمل ما استطاع على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية في كل مظاهر الحياة، وتحرى السنة المطهرة في كل ذلك والفقه الصحيح في التطبيق.

٤- أن يتحلى بالأخلاق التالية:

أ - النظافة والطهارة في كل شيء: (المسكن - الملبس - المطعم - البدن - محل العمل - اللسان - طهارة القلب من الأحقاد والضغائن).

ب - الصدق: صادق الكلمة، ومظاهر ذلك: الكذب - المعاريض.

جـ - الوفاء: فيكون وفيا بالعهد والكلمة والوعد لا يغدر ولا يخلف.

د – الشجاعة: عظيم الاحتمال– أفضل الشجاعة: الصراحة في الحق– كتمان السر – الاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس – ملكها عند الغضب – الفرق بينها وبين التهور.

هـ – الوقار: وقورا يؤثر الجد.

و – الحياء: شديد الحياء – دقيق الشعور – عظيم التأثر بالحسن والقبيح (دون التكلف) لا يجهر بالسوء.

ز – التواضع: فى غير ذلة ولا خنوع ولا ملق – أن يطلب أقل من مرتبته ليصل إليها – البساطة وعدم التقعر.

ح – القسط والعدل: عادلا صحيح الحكم – لا ينسيه الغضب الحسنات – لا تحمله الخصومة على نسيان الجميل – يقول الحق ولو كان على نفسه أو أقرب الناس إليه وإن كان مرا – منصف يقدر الحسنة ويزن السيئة ويأخذ من كل شيء أحسنه.

ط – رحيم القلب رفيقا كريما سمحا: يعفو ويصفح – يلين ويحلم – يرفق بالإنسان – لا يسرع بالغضب، ولا يفحش بالقول – يدرأ بالحسنة السيئة.

ى – ترك الجدال والتنازع وأن نكون عمليين منتجين.

ك – عفيفا يضع كرامته فوق كل الغايات والأغراض الزائلة.

٥– العمل مع النفس وتحقيق التربية الذاتية، واستهداف التقوى من كل الأعمال.

٦– حسن المعاملة مع الآخرين (في السلوك الفردى):

أ – أن يكون جميل المعاملة، حسن السلوك، عف اللسان مع الناس جميعا.

ب – سعة الصدر للمخالفين، وكيفية التعامل معهم.

جـ – تنمية القدرة على الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة (التدريب على الرد على الشبهات – ونشر الفكرة).

د – القيام بواجب الأخوة الإنسانية العامة، والمساهمة في السلام العالمى.

هـ – القيام بواجب الأخوة الإسلامية العامة.

و – التهيئة للتعاون مع الآخرين فيما نتفق عليه على المستوى العام والإسلامي، مادام لا يتعارض مع الدعوة.

ز – أن يكون نافعا لغيره: من أداء النصيحة – وإسداء الخير – والخدمة العامة.

٧– التوازن والقسط في أمور الدنيا: لا يفرطون في التعبد – ولا يبالغون في التزهد – لا يظلمون دنياهم على حساب آخرتهم.

٨– تكوين إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف: (مقاومة العجز والكسل – انتفاء مظاهر الضعف في الإرادة، مثل [الوهن – الضعف – الاستكانة – الاستسلام – التردد... إلخ] – مقاومة المألوفات والعادات والشهوات فلا تتحكم فيه).

٩– أن يكون منظما في شؤونه: (التحديد والتركيز – تحديد الأولويات والقدرة على الترتيب – حسن التصرف: تدبر الأمور على وجوهها ثم يسلك إليها أفضل طرقاتها).

١٠– أن يكون حريصا على وقته: (فلا يصرف الوقت في غير فائدة – البعد عن الجدل العقيم والفلسفة النظرية – تحقيق الشخصية العملية المنتجة).

١١– الابتعاد عن مظاهر الترف والرخاوة.

١٢– تحقيق معنى الرجولة الصحيحة.

سادسا: في مجال الصحة البدنية:

١– الكشف الصحى العام وعلاج الأمراض.

٢– الأخذ بأسباب الوقاية الجسمانية (دون إفراط).

٣– الابتعاد عن أسباب الضعف الصحى: (تجنب الخمر والمسكر كل الاجتناب – الامتناع عن التدخين وما شابه – عدم الإسراف في البن والشاى – تجنب كل ما يضعف البدن والعقل في الأكل والشرب والعادات [مثل: الدخان والقات والمخدرات... إلخ]).

٤- الأخذ بأسباب القوة: (تعلم رياضة نافعة - تحقق الجاهزية المستمرة).

٥- أن يعينه الجسم السليم على أداء رسالته: (أداء الواجبات الإنسانية حق القيام - أن يكون أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة ـ أن ينصر ـ به الحق والخير - أداء المهمات والواجبات التي تحتاجها الدعوة حسب المرحلة التي يعيشها).

سابعا: في مجال الكسب والعمل:

١- أن يكون قادرا على الكسب الحلال، وإجادة مهنته، فتتحقق فيه هذه المظاهر:

أ - أن يطلب الأمور بعزة النفس، ووضوح قضية الرزق بأبعادها الإيمانية.

ب - أن يزاول عملا اقتصاديا، وأن يقدم على العمل الحر مهما كانت إمكانياته.

جـ - أن يدرك أن الوظيفة الحكومية هي أضيق أبواب الرزق فلا يقتصر عليها، ولا يرفضها إذا أتيحت له، ولا يتخلى عنها إلا إن تعارضت تعارضا تاما مع واجبات الدعوة.

د - الحرص على أداء مهنته وكل عمل يعمله من حيث الإجادة والإتقان؛ ويكون نموذجا طيبا فيه: (عدم الغش - ضبط الموعد - الوفاء بالعهد والوعد).

هـ - أن يتبحر في علمه وفنه، وأن ينمى موهبته ويوظفها في صالح الدعوة.

و - أن يكون منطلقه وهدفه هو دعوته فلا ينساها أو ينشغل عنها.

٢- تحقق ضوابط التعامل المادي:

أ - الابتعاد عن الميسر ووسائل الكسب الحرام، مهما كان وراءها ربح عاجل.

ب - الابتعاد تماما عن الربا والتطهر منه تماما.

جـ - تحرى الحلال والابتعاد عن الشبهات (التورع عن الشبهات ؛ حتى لا يقع في الحرام).

د - الاقتصاد من المال للمستقبل، وإدخار جزء من دخله للطوارئ، مهما قلّ.

هـ – ألا يتورط في الكماليات المرهقة له.

و – أن يكون قدوة في التعامل المالى:

* في الوفاء.

* ألا يماطل أبدا.

* في القضاء وفى الإعطاء وفى الاقتضاء.

* أن يكون حسن التقاضى.

* أن يؤدى حقوق الناس كاملة بدون طلب.

ز – عدم الطمع فيما في أيدى الناس.

ح – الاعتدال والقسط في أمور الدنيا، والزهادة في متع الحياة الفانية، وإيثار الخلود، فلا يركن القلب إلى هذه المتع.

ط – أن يخدم الثروة الإسلامية العامة:

* تشجيع المنشآت الاقتصادية الإسلامية.

* لا يلبس ولا يأكل إلا من صنع وطنه الإسلامي.

* أن يحرص أن يقع قرشه في يد وطنه الإسلامي والمسلمين ما أمكن.

ى – أداء حق المال:

* أداء الزكاة الواجبة فيه – وللدعوة نصيب منها – لصرفه في مصارفه الشرعية.

* أن يكون فيه حق للسائل والمحروم مهما كان دخله.

* المشاركة في الدعوة بجزء من المال.

* الجهاد المالى.

ك – الحفاظ على الآداب الإسلامية الاجتماعية: يرحم الصغير – يوقر الكبير – يتفسح في المجلس – لا يتجسس ولا يغتاب – لا يصخب– يستأذن في الدخول والانصراف– عف اللسان...إلخ.

ل – أن يؤدى حقوق الجار ويحرص عليها.

م – البعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم.

ن – أن يقاطع الجماعات والهيئات التي تناهض فكرته الإسلامية مقاطعة تامة.

س – أن يتخلى عن صلته بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة دعوته، وبخاصة إذا أمر بذلك.

ع – انضباطه بميزان دعوته في التعامل مع الهيئات والأشخاص.

ثامنا: في مجال المجتمع والبيت:

١– مع البيت والأهل: حيث نستهدف تربية بيوتنا ؛ حتى يكون البيت المسلم:

أ – حمل الأهل والأقارب على احترام فكرته، ونشرها بينهم.

ب – حسن اختيار الزوجة وتوقيفها على حقوقها وواجباتها.

جـ – حسن التعامل مع الأهل والأولاد والخدم.

د – حسن تربية الأولاد والخدم والتنشئة على مبادئ الإسلام.

هـ – المحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

و – صلة الرحم، وأن يكون في حاجاتهم ويسعى في مصلحتهم وفيما يصلحهم من أمر الإسلام.

ز – أن يؤيدوا الدعوة ويقفوا وراءها.

٢– تأهيله لأداء دوره في إرشاد المجتمع، حيث يشمل التأهيل:

أ – رفع كفاءته.

ب – اكتسابه العلم النافع المناسب.

جـ – الأخذ بالوسائل المكافئة.

د – القدوة في ذلك.

هـ - استخدام أسلوب التدرج والحكمة والاستعانة بأفضل الوسائل.

و - أن يكون عظيم النشاط، تتمثل فيه الحركة الذاتية، والمبادرة العملية.

* وحيث نستهدف تحقيق:

أ - تشجيع الفضائل.

ب - نشر دعوة الخير فيه.

جـ - الأمر بالمعروف.

د - محاربة الرذائل.

هـ - تدريبه على الخدمة العامة والمسارعة إلى الخيرات وأعمال البر.

و - المساهمة في صبغ مظاهر الحياة العامة بالفكرة الإسلامية.

ز - المساهمة في إحياء العادات الإسلامية الغائبة، والتأصيل الإيمانى للعادات الإسلامية القائمة وإزالة الشوائب عنها.

٣- المساهمة في السلام العالمى، وإسداء الخير والمعروف للناس، والمبادرة إلى الخير.

٤- المساهمة في الإصلاح، ودفع الفساد في المجتمع من خلال النضال الدستورى.

٥- المحافظة على مقومات القوة والصلاح والبناء في المجتمع، ومقاومة الإهمال والتسيب والفساد والتدمير والمساهمة في توظيف وتوجيه قوى المجتمع الصالحة لذلك.

٦- إشاعة روح الوحدة والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الإسلام ومقاومة الفرقة والتناحر.

تاسعا: في مجال الدعوة:

١- القدرة على نشر الفكرة، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية.

٢- القدرة على جمع الناس على كتاب الله، وإيقاظ الإيمان داخلهم، وتخير الأنصار.

٣- التدريب على قيادة الجماهير إلى الخير، وأن نكون من بين هذا الشعب نوقظه ونقوده ونوجهه، وأن يتعرف على واقعهم ومشاكلهم.

٤ – المساهمة في إيقاظ الأمة، وأن نبين للناس واقع الأمة الإسلامية وما يحدث لها، ويحيط بها من أخطار ومؤامرات، وأن نعلمهم أن الإسلام لا يرضى بأقل من الحرية والاستقلال، فضلا عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال، وكذلك بث الأمل فيهم، ومقاومة مشاعر اليأس والإحباط.

٥ – فقه التفاعل مع الحدث وضوابطه.

٦ – فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٧– استيعابه فقه الجهاد:

أ – بذل النفس والمال والوقت في سبيل الغاية.

ب – صور الجهاد المختلفة وممارسته لها.

جـ – استصحاب نية الجهاد وحب الشهادة والتضحية في سبيل الله.

د – استهداف رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات.

هـ – موقفنا من العنف والإرهاب (دراسة شرعية – دراسة تاريخية).

و – لا يقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرا جوهريا إلا بإذن.

٨ – إدراك قوانين الإصلاح الاجتماعى، ومراعاة نواميس الكون، وعدم مغالبتها.

عاشرا: في مجال الجماعة:

١ – استيعابه فقه الشورى علما وممارسة وتطبيقا:

أ – أهمية المؤسسية.

ب – البعد عن التسلط والفردية.

جـ – أدب الاختلاف.

٢– استيعاب فقه اللوائح وضوابط العلاقات، من خلال إطار الأخوة والحب، وليس التنازع والصراع، وفى إطار النظرة الشمولية في الإحاطة والاهتمام بأمر الدعوة.

٣- الثقة في القيادة والطاعة لها والتعرف الكامل عليها والالتفاف حولها:

أ - وأن يكون دائم الاتصال الروحى والعملى بالقيادة.

ب - ويعرفهم بنفسه.

جـ - النصيحة لها.

د - التقدير الصحيح والتفاعل التربوى الكامل معها ؛ لتحقيق:

١- حق الوالد بالرابطة القلبية.

٢- والأستاذ بالإفادة العلمية.

٣- والشيخ بالتربية الروحية.

٤- والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة.

هـ - أن تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين: مصلحته الخاصة، ومصلحة الدعوة العامة.

و - أن يكون لها المرجعية والمحاسبة.

٤- أن يحقق ضوابط الحركة المطلوبة:

أ - تحقق الجندية الدائمة (الاستعداد والجاهزية): فيعتبر نفسه دائما جنديا في الثكنة ينتظر الأمر مهما كان مستواه.

ب - استيعابه لآداب المحاسبة والمراجعة والتزامه بها.

جـ - أن يكون وثيقا في التوصيل (الصدق ـ أمانة الكلمة ـ أمانة النقل ـ التجرد عن الهوى).

د - استيعاب وسائل التربية وتطبيقاتها: والاستعداد لوضع ظروفه الحيوية تحت ظروف الدعوة.

٥- فقه الدعوة وضوابط فقه التنفيذ، وتخير الأنصار وتربيتهم، وقيامه بعمل منتج.

٦- مراعاة فقه الأولويات.

٧- تحقيق التجرد مما سواها من المبادئ والأشخاص والهيئات، وأن يلتزم بموازين الدعوة في التعامل مع الناس والهيئات.

٨ - التفاعل الصحيح مع أوامر القيادة، تتمثل مظاهره فى:

أ - كيفية استقبال الأمر وامتثاله للتنفيذ.

ب - السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، ما لم يؤمر بمعصية.

جـ - إنفاذ الأمر توا.

د - إبداء النصيحة واستفراغ الجهد فيها ومن خلال مسارها الصحيح.

هـ - لا مجال للتردد أو الجدل أو الانتقاص أو التحوير أو الحرج أو الشك.

و - أن يفترض في نفسه احتمال الخطأ وفى رأى القيادة الصواب في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص إذا تعارض معها، ولا بأس من الاستيضاح في إطار السمع والطاعة.

الباب الخامس

تكوين البيت المسلم

تكوين البيت المسلم

■ **أهمية بناء البيت:**

إن البيت هو الدائرة الثانية من مراتب العمل وأهدافه في دعوة الإخوان، وهو جزء أساسى من بناء المجتمع وإصلاحه، ليس فقط لدور البيت مع الأخ ودعمه له في دعوته، وإنما هو أساس لبنة أصيلة لا بديل عنها في بناء المجتمع، ولا يصلح إلا بصلاحها، ولا يتصور أن يكون هناك مجتمع مسلم فاضل قائم على مبادئ الإسلام، وتكون البيوت والأسر فيه ضعيفة بعيدة في أساسها ومظاهر حياتها عن منهج الله.

يقول الإمام الشهيد: « وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة، وإنما الأمة مجموعة هذه الأسر، وإنما الأسرة أمة مصغرة، والأمة أسرة مكبرة »[1].

ويقول أيضا: « نريد النهوض بالرجل والمرأة جميعا وإعلان التكامل والمساواة بينهما وتحديد مهمة كل منهما تحديدا دقيقا »[2].

ويقول: « ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب »[3].

ويضع الإمام المظاهر المتعددة لتكوين البيت، ويرقى بها من الحد الأدنى إلى الصورة النموذج المستهدفة، أى من: « يحمل أهله على احترام فكرته » إلى: تكوين البيت المسلم القدوة في كل مظاهر الحياة.

يقول الإمام: «..وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة وتوقيفها على حقها

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٦.

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص٩٤.

(٣) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧.

وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك »[1].

والبيت لا نعنى به فقط الأسرة الصغيرة من الزوجة والأبناء، وإنما يتسع إلى دائرة العائلة من الأهل والأقارب أيضا.

ويبدأ الاهتمام بتكوين البيت مبكرا، في تهيئة الأفراد ذكورا وإناثا، وإعدادهم لبناء البيت وحسن اختيار الزوج.

■ **أهمية إصلاح الفرد:**

والفرد هو لبنة الأسرة، إصلاحه يشكل الخطوة الأساسية لإصلاح البيت.

يقول الإمام الشهيد: «وسيكون لهذا الإصلاح الفردى أثره في الأسرة، ذلك أن الأسرة مجموعة أفراد، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة - وهما عماد الأسرة- استطاعا أن يكوّنا بيتا نموذجا، وفق القواعد التي وضعها الإسلام »[2].

ويشير الإمام إلى أن إصلاح الفرد لابد أن يشمل هذه الجوانب ويحققها:

١- الوجدان الحيّ.

٢- الإدراك الصحيح.

٣- الإرادة الحازمة.

٤- الجسم السليم.

٥- التوجيه السليم ليحقق الممارسة الصحيحة.

وذكر الإمام من الصفات العشر- إلى جانب المحاور الأخرى للتكوين الفردى - ما يحقق الشخصية السوية المفكرة المستقلة الجريئة المنتجة التي تتميز بهذه الجوانب الأساسية.

(١) رسالة : التعاليم،ص٣٦٠.

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٦.

يقول الإمام في ذلك: «إن الإسلام يريد في الفرد وجدانا شاعرا يتذوق الجمال والقبح، وإدراكا صحيحا يتصور الصواب والخطأ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق، وجسما سليما يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام، ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير»[1].

ويتحقق هذا من خلال تطبيق منهج الإسلام في هذه المجالات:

«.. ولهذا فوجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه، وأن يتعلم ما وسعه العلم ليتسع إدراكه، وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته، وأن يلتزم نظام الإسلام في الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والأسقام، والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء، ولكن الصنفين في هذه الناحية الفردية في الإسلام سواء، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم في دقة وجدانها وسمو إدراكها ومتانة خلقها وسلامة بدنها »[2].

■ **قواعد وأهداف تكوين البيت:**

يشير الإمام الشهيد إلى القواعد والأهداف الإجمالية لتكوين البيت المسلم: «..وقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم وضعها، فأرشد إلى حسن الاختيار، وبيّن أفضل الطرائق للارتباط، وحدد الحقوق والواجبات، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج ؛ حتى تينع وتنضج في غير عبث ولا إهمال، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج، واختط في كل نظراته طريقا وسطا، لا تفريط فيه ولا إفراط »[3].

ونستطيع أن نذكر الأهداف العامة والفرعية في ذلك الأمر[4] بإيجاز في الآتى:

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٥.

(٢) المرجع السابق،ص٢٣٦.

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) هذه الأهداف الفرعية والإجراءات وما يلحق بها من برامج مع انطلاقها من رؤية الإمام وتوجهاته إلا أنها تنمو وتتطور حسب متطلبات الواقع،والمذكور هنا مقترحات مقتبسة من برامج الإخوان في ذلك المجال.

١ - الالتزام بالأسس الشرعية لإقامة البيت المسلم، وهذا يشمل الآتي:

أ - أن يؤسس البيت المسلم من زوج وزوجة مسلمين صالحين.

ب - أن يقوم الزوجان بمسئوليتهما نحو البيت.

جـ - أن يتعاون الزوجان في القيام بواجباتهما كُلٌّ نحو الآخر.

د - أن يعملا على تنمية المودة والرحمة وحسن العشرة بينهما.

هـ - أن يحسنا حل المشاكل والخلافات الزوجية فيما بينهما.

٢ - إحسان الآباء تربية الأبناء والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام:

أ - أن يمارس الآباء وسائل وأساليب التربية الصحيحة مع الأبناء.

ب - أن يحسن الآباء التعامل مع الأبناء في كل مراحل حياتهم، ومراعاة خصوصية كل مرحلة: (ما قبل الولادة- الرضاعة - الطفولة المبكرة - الطفولة المتأخرة - المراهقة).

جـ - أن يحسن الآباء التعامل مع المشكلات التي تقابلهم في تربية الأبناء.

د - تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة، وذلك من خلال هذه الأهداف الفرعية والإجرائية:

١ - تحقيق الصفات العشر في النشء طوال مراحل نموه (قوى الجسم - متين الخلق - مثقف الفكر - قادرا على الكسب - سليم العقيدة - صحيح العبادة - مجاهدا لنفسه - حريصا على وقته - منظما في شئونه - نافعا لغيره).

٢- التزام نظام الإسلام وآدابه في مظاهر الحياة، مثل: (أحوال الطعام والشراب - النوم - الاستئذان - الحديث - المزاح - النصيحة - الأذكار - النظافة - ستر العورة (الحجاب) - احترام الكبير - الرفق بالحيوان) وعدها من الآداب الاجتماعية المهمة.

٣- تعويده حب الله ورسوله، والتعرف على نعم الله، فيحب الرسول ﷺ ويصلى عليه، ويحب الصلاة ويقبل عليها، ويرتبط بالقرآن ويحرص عليه، (وبناء هذا الحب وهذه العلاقة أمرٌ مهم لتكون الممارسة بعد ذلك صحيحة دائمة).

٤- بناء المراقبة الذاتية والمحاسبة النفسية.

٥- تعويده على حب الفضائل وكراهية الرذائل، وبناء الميزان الصحيح لمعرفة الصواب والخطأ، وتكوين المعايير الأخلاقية والسلوكية.

٦- التعلق بنماذج من القدوة وربط النشء بها.

٧- تعويده على اللعب الهادف.

٨- تنمية روح الشجاعة والفتوة والجدية والصبر والانتظام في ممارسة رياضة نافعة.

٩- الاهتمام بالنواحى الدراسية والنفسية والصحية للنشء، والنمو بها، وتحقيق السلامة كحد أدنى، والتفوق والتميز كمستهدف.

١٠- التوعية والتحصين ضد الخرافات والدخائل على الإسلام.

١١- غرس الانتماء للإسلام والاعتزاز به وبحضارته، والتعرف على ما قدمته للبشرية، وكذلك الاعتزاز باللغة العربية وإتقانها.

هـ - اكتشاف المواهب وتنميتها، وإكسابه بعض المهارات الخاصة، مثل: (الكومبيوتر ـ القراءة ـ البحث العلمى) وإطلاق طاقاته، وكذلك تعلم بعض اللغات.. إلخ.

و - التعرف على حاجات الإنسان الضرورية، وضبط نوازع الغريزة والمفهوم الإسلامي لها.

ز - إكسابه بعض المهارات الحرفية، ليحقق معنى قادرا على الكسب.

٣- تحقيق أركان الأسرة بين أفرادها: (التعارف ـ التفاهم ـ التكافل)، وأن يكونوا معا وحدة مترابطة متفاهمة.

٤- تحقيق الدور الاجتماعى للبيت:

وهذا يشمل الأهداف الفرعية الآتية:

أ - حسن التعامل مع الأهل والأقارب والجيران بمعرفة حقوقهم وتأديتها، والتكافل والتواصل الصحيح معهم(ويحرص كلا الزوجين على أداء ذلك).

ب - أن يحمل الأهل والأقارب على احترام فكرته.

جـ - أن يحرص على المناخ والمظهر الإسلامي في كل مظاهر الحياة المنزلية.

د - بالنسبة للأبناء، تأهيلهم لتأدية الدور الاجتماعى المطلوب منهم، ويشمل ذلك هذه الأهداف الفرعية والإجرائية:

١- تدريبه وتعليمه حسن التعامل مع الآخرين: (الوالدين - الأخوات - الأقارب - الجيران - الأصدقاء - الكبير - الصغير).

٢- أن يحقق الإيجابية في التعامل مع المجتمع:

أ - تدريبه وممارسته للإصلاح حسب إمكاناته في المجتمع.

ب - تعليمه آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

جـ - المشاركة في أعمال البر والخدمة العامة.

د - الاهتمام بالوطن وارتقائه والتفاعل مع مشاكله وقضاياه وفق الرؤية الإسلامية.

٣- التعرف على خلق الإنسان، ودور كل من المرأة والرجل في الحياة، والعلاقة بينهما، والعلاقة مع بنى البشر والشعوب كلها.

٤- التعرف على الكون والطبيعة ومظاهر قدرة الله، وكيف نتعامل مع ذلك، والمحافظة على البيئة.

٥- تعلم مبادئ التعامل والتعاون الاجتماعى والتكيف الصحيح مع الآخرين.

٦- إجادة مهارات التعامل مع المجتمع، وما فيه من مؤسسات، ومع الوسائل والمصالح الحياتية، وامتلاك المهارات اللازمة لذلك من: (اللغة - الحديث - الخطابة - الإنترنت - الجوانب الإدارية والقانونية واللوائح.. إلخ).

٧- الإعداد لمهام المستقبل، كأب وأم وشخصية قادرة على الاكتساب وتعلم حرفة نافعة، ونركز مع البنات على إكسابهن المهارات التي تحتاجها كأم بشأن

تربية الأولاد، وكربة المنزل، وعلوم الصحة النفسية، وما تحتاجه لذلك، وكذلك الأولاد ليؤدوا دورهم كآباء يشاركون الأمهات في كل ذلك.

٨- أن يحقق التواصل مع أمته الإسلامية معتزا بتاريخها وحضارتها، متجاوبا مع مشاكلها وقضاياها.

٥- الاهتمام بدور المرأة ، وتربيتها وإعدادها:

لتقوم بمهمتها الخطيرة في إعداد النشء وإقامة البيت المسلم، وأن تقوم بدورها كذلك في المجتمع، وفى التواصل مع الأمة الإسلامية، وأن تنال كامل حقوقها (السياسية، والتعليمية، والاقتصادية، والاجتماعية... إلخ).

وألا تتعرض لأى عنف أو اضطهاد، وأن يتم مساعدتها لتحقيق التوازن في ذلك الدور وتلك المجالات.

وقد أنشأ الإمام الشهيد قسما للأخوات المسلمات، وضح فيه مدى اهتمامه بالمرأة، وعنايته بها، وحرصه على تقدمها، وأداء دورها الأسرى والاجتماعي والدعوى.

٦- أن يحسن أهل البيت تدبير المعيشة:

أ - تحقيق الأسرة المنتجة، وتشجيع الصناعات المنزلية.

ب - التحكم في المظاهر الاستهلاكية الزائدة، ومحاربة التبذير والاستدانة، إلا في حالات الضرورة.

جـ - ضبط ميزانية الأسرة والحرص على التدبير والتوفير.

د - الاستفادة من التجارب الناجحة والتكافل بين الأسر.

٧- تحصين البيت ضد عوامل الهدم الخارجية والداخلية.

٨ - أن يشارك البيت في الدعوة إلى الله، وأن يتم تهيئته في حمل أعباء طريق الدعوة والصبر على ذلك.

٩- أن تقوم الأسرة - بكامل أفرادها - بدورها الوطنى :

(وعلى الأخص العائلة الكبيرة) فتتفاعل مع قضايا أمتها، وتحافظ على استقلاله، وتقدمه، وقيم الحرية والعدل والمساواة فيه .

ويُراعى التدرج في تطبيق هذه الأهداف خلال المراحل السنية المختلفة، فنبدأ بالأيسر والوجدانى وبطريقة مبسطة، ثم تزداد عمقا واتساعا بعد ذلك.

وبرنامج البيت المسلم ليس برنامجا دراسيا يقرؤه أفراد الأسرة، وليس جدولا للتعليمات، ولكنه معايشة عملية تطبيقية لجوانب الإسلام المختلفة، ومجاهدة للوصول بها إلى نموذج البيت المسلم.

وهو ليس مقصورا على بيوت الإخوان فقط - وإن كان هذا أساسا بالدرجة الأولى - وإنما نستهدف البيوت في المجتمع كله، وذلك بالبرامج المختلفة والإعلام الجيد الموجه، وتقديم النماذج العملية والقدوة، ودراسة المشاكل والظواهر وطرح الحلول لها، والاستفادة من المناسبات الإسلامية والأنشطة الجماعية في تغيير المفاهيم، وإيصال التأثير الدعوى المطلوب، والاهتمام بوجود ركيزة دعوية أو منفذ دعوى داخل أفراد الأسرة والبيت تقوم بدورها من خلال التوجيه الصحيح لها، وقد تكون هذه الركيزة أحد الأشبال أو الأبناء في الأسرة، وكذلك من المهم في هذا الميدان إحياء مظاهر التكافل والتعاون بين الأسر والبيوت، وأن تكون الأسرة الواحدة هي ركيزة دعوية داخل أسر وبيوت العائلة الكبيرة، وأن نهتم جيدا بحسن إعداد الشباب من الأولاد والبنات في إقامة البيت المسلم، وأن نساعدهم على حسن الاختيار.

والبيت المسلم ليس معزولا في قوقعة عن مشاكل المجتمع وقضاياه، فالتأثير بينه وبين المجتمع متبادل، ولهذا نحرص أن تكون المحصلة النهائية إيجابية وفى صالح بناء البيت والمجتمع، ولا تواجه المشاكل بالعزلة، وإنما بالمبادرة والتأثير الإيجابى وكل الوسائل المتاحة في المجتمع يمكن توجيهها وتوظيفها لصالح البيت، ولإحداث التأثير الإيجابى المنشود، إذا أحسن استغلالها وتوجيهها.

الباب السادس

العمل مع المجتمع

العمل مع المجتمع

■ **منهج الإسلام في بناء المجتمع:**

منهج الإسلام في بناء المجتمع والمحافظة على سلامته – كما أوضح ذلك الإمام الشهيد – يقوم على أسس محددة، منها:

أ – الوقاية من المشاكل وعوامل الهدم.

ب – استئصال الأمراض الاجتماعية من جذورها إذا حدثت، فلكل مشكلة عنده لها دواء.

جـ – جعل أساس الصلاح والدواء الأول في كل علاج هو صلاح النفوس والتضامن الاجتماعى بين بنى الإنسان.

د – أن يحيط كل ذلك بما يرفع الحرج ولا يؤدى إلى العنت.

هـ – أن يضع القواعد الكلية، ويدع الفرعيات الجزئية.

و – يرسم طرائق التطبيق.

ز – يفرض نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والتطبيق السليم، حتى تشمل الناس أجمعين.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: « وقد عالج الإسلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات، فالوقاية مما يؤدى إليها أولا، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانيا، فلكل مشكلة اجتماعية عنده دواء، والدواء الأول في كل علاج: صلاح النفوس والتضامن الاجتماعى بين بنى الإنسان، والإسلام يحيط بكل ذلك، لا يسلك سبيل العنت، ولا يحمل الناس إلى ما يؤدى إلى الحرج، ولكن يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر، ويضع القواعد الكلية،

ويدع الفرعيات والجزئية، ويرسم طرائق التطبيق، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها، وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان، وهو لذلك يفرض نشر الدعوة حتى تشمل الناس أجمعين، ويتحقق قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وإذا قوى الشعور الذي أشرنا إليه آنفا، وأدى نتيجته التي وضعناها الآن، فطبق نظام الإسلام على الفرد والبيت والأمة، ووصلت الرسالة إلى القلب والآذان، فقد نجحت فكرتنا، واستجيبت دعوتنا »[1].

كما يشير الإمام أيضا إلى أساس الارتباط والعلاقة بين أفراد المجتمع، وأنها تقوم على هذه الأسس في الإسلام:

١- رباط الأخوة والحب بين أفراد المجتمع، وقد قضى الإسلام على كل ما من شأنه أن يضعف هذه الرابطة أو يمزقها.

٢- تحديد الحقوق والواجبات والعلاقات بين الأفراد والهيئات.

٣- فصّل في مهمة الحاكم والمحكوم.

٤- حدد المعاملات والممارسات بأوضح بيان.

٥- حدد ميزان التفاضل والقياس في المجتمع والمساواة بين القانون.

٦- حدد صلات الأمم بعضها ببعض، وحقوق كل صنف منها وواجباته، وبذلك أرسى قواعد العلاقات الخارجية الدولية.

٧- وجعل الأصل في علاقة أمة الإسلام بغيرها هو: « الدعوة » والتعاون على البر والخير، والتضامن الاجتماعى بين بنى الإنسان.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: « وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية السعيدة، فعقد بين بنيها آصرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٧ .

الوشائج، وحدد الحقوق والواجبات، فللأبوة حقها وعليها واجبها، وللبنوة مثال ذلك، ولذوى القربى حقوقهم وعليهم واجباتهم، وفصّل مهمة الحاكم والمحكوم أدق تفصيل، وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان، ولم يجعل لأحد على أحد فضلا إلا بالتقوى، فلا سيد ولا مسود ولا أمراء ولا عبيد، ولكن الناس في ذات الله سواسية كأسنان المشط، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات، كذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها »[1].

■ **بيان أهميته ومداه:**

العمل مع المجتمع لتكوين المجتمع المسلم في مظاهره وصبغته، يشمل كل شرائح المجتمع وطبقاته وفئاته سواء نساء أو رجالا.. أشبالا وأطفالا أو طلبة وكبارا وشيوخا.

وتكوين الفرد المسلم والبيت المسلم جزء أساسى من تكوين المجتمع المسلم، والتحرك الدعوى فيه، ولا يمكن الفصل بينهما.

والإمام الشهيد يضع أهدافاً ومجالات متدرجة لإصلاح المجتمع والعمل فيه، وهو مع تمام الإدراك: أن التغيير الكامل للمجتمع يحتاج إلى انحياز السلطة التنفيذية للإسلام وشريعته، وأن هذه مرحلة لاحقة، ولكن لا يتوقف عن إصلاح المجتمع، وعن إرسال النصيحة وإعلان مناهج الإصلاح في كل جوانب المجتمع.. يتقدم بها إلى السلطات التنفيذية بكل مستوياتها [2].

يقول الإمام الشهيد: «وإذا كانت هذه الأهداف جميعاً لا تتحقق إلا في ظل الدولة الصالحة، فكان لابد أن تطالبوا بحق الإسلام في إقامة الحكومة التي ترتكز على أصوله وأحكامه وتعاليمه..».

ويتقدم الإخوان إلى الحكومات ببرامج الإصلاح، وبعرض خدماتهم لوضع مطالبهم موضع التنفيذ، إلا أن هذه الأعمال كلها يجب أن تبقى محكومة بالقواعد الشرعية فلا تشارك في منكر بحجة السياسة.

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٦ .

(٢) انظر : رسالة نحو النور ـ رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي .. إلخ .

كما يخاطب الإخوان الحكومات بلسانها وبالأدب الرسمى حرصا على تأليف القلوب، وقد يقتضى الإصلاح التوجه بالخطاب إلى غير المسلمين، ومع هذا فلابد من لزوم أدب المخاطبة دون تذلل كما علمنا الإسلام »[1].

ومع أن استجابة الحكومات غير موجودة، فإن الإخوان سيستمرون في النصيحة كما قال الإمام الشهيد: « ومع هذا فسنظل في موقف الناصحين، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين » [2].

وكذلك لابد من إصلاح المجتمع وصبغه بالصبغة الإسلامية، وأن تتوفر فيه جوانب سلوكية ودعوية مطلوبة، وأن يلتف حول الدعوة والصف، وحول شريعة الإسلام، ويطالب بها.

فلا بد من هذا الإعداد والتربية للشعب والمجتمع، حتى تأتى الحكومة الإسلامية بعد ذلك.

يقول الإمام الشهيد: «لا نهوض لأمة بغير خلق، فإذا استطاعت الأمة أن تتشبع بروح الجهاد والتضحية، وكبح جماح النفوس والشهوات، أمكنها أن تنجح »[3].

وعن الداء الذي أصاب الأمة يقول الإمام: « ضعف الأخلاق وفقدان المثل العليا، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والجبن عن مواجهة الحقائق، والهروب من تبعات العلاج، والفرقة قاتلها الله، هذا هو الداء.والدواء كلمة واحدة هي أيضا ضد هذه الأخلاق، هى: علاج هذه النفوس، أيها الإخوان، وتقويم أخلاق الشعب ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] »[4].

وحول أسلوب الإصلاح ومنهجه يقول أيضا: « لقد طغت العادات ومظاهر الحياة

(١) راجع : مذكرات الدعوة والداعية .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٤ .

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٥٨ .

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥٢ .

غير الإسلامية علينا، حتى صار المصلح في أشد ما يكون حاجة إلى قوة الإرادة واليقظة، والبحث عن المظاهر الإسلامية بين هذا السيل الجارف من المظاهر.

ولكن حذار أن يشتد على العامة، فيشتد على نفسه ثم على مريديه الذين فهموا غايته ثم يترك الناس يقلدونهم بالاختلاط لا بالأمر والشدة »[1].

والعمل مع المجتمع لتهيئته وتربيته ليس مجرد مرحلة تمهيدا لقيام دولة الإسلام، بل هو أمر مستمر لبناء نهضتها، لا ينتهي ولا يضعف بمجرد قيام الدولة، ولكنه طريق طويل من التربية واستكمال نهضة الأمة.

يقول الإمام: « وإن في كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات، فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره »[2].

ويقول الإمام الشهيد موضحا أبعاد هذه التربية: « يجب أن تكون دعامة النهضة « التربية » فتُربى الأمة أولا وتفهم حقوقها تماما، وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق، وتربى على الإيمان بها، ويُبث في نفسها هذا الإيمان بقوة، أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درسا نظريا وعمليا وروحيا.

وذلك يستدعى وقتا طويلا ؛ لأنه منهج دراسة يدرس لأمة، فلابد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل، وكل أمة تحاول تخطى حواجز الطبيعة يكون نصيبها الحرمان.

ومن أجل ذلك أيضا يجب أن ينظم أمران مهمان هما: المنهج والزعامة.

فأما المنهج: فيجب أن تكون مواده قليلة بقدر الإمكان، عملية بحتة ملموسة النتائج مهما قلت.

وأما الزعامة: فيجب أن تختار وتُنتقد حتى إذا وصلت إلى درجة الثقة أطيعت

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٥٩ .

(٢) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٤٨ .

وأوزرت، ويجب أن يكون الزعيم زعيما تربى ليكون كذلك، لا زعيما خلقته الضرورة، وزعمته الحوادث فحسب، أو زعيما حيث لا زعيم »[1].

وقد تجنب الإمام الشهيد في رؤيته وخطته الأخطار والمزالق التي وقعت فيها التجارب السابقة، فيشير إلى بعض من ذلك، فيقول:

«فإنى ألاحظ أن خلق التسرع المركوز في طباعنا وسرعة التأثر وهياج العواطف الذي يبدو فينا واضحاً وغيرهما من أسباب اجتماعية وغير اجتماعية.. جعلت نهضاتنا فورات عاطفية تشتد وتقوى بقوة المؤثر الوقتى وشدته ثم تخمد وتزول كأن لم يكن شيئا ».

«.. وأن الوسائل غير معروفة ولا محدودة، وقد تكون متعاكسة يخبط بعضها بعضاً ونحن لا نشعر ».

«والأمر الثانى: أن الصلة منقطعة تماماً بين السابق واللاحق.. يصل السابق إلى نصف الطريق فإذا جاء اللاحق لم يتبعه لانقطاع الصلة بينهما فيبدأ طريقاً جديداً قد يصل فيه إلى مقدار ما وصل سابقه وقد يقصر عنه.. وقد يسبق قليلاً، ولكنه على كل حال لا يصل بالأمانة إلى النهاية ؛ لأن أعمار الأفراد قصيرة بالنسبة لأعمار النهضات والشعوب. ونحن نتصور أن الواحد يستطيع أن يحقق للأمة كل ما تبتغى، وهى فكرة خيالية وخدعة نفسية عاطفية يجب أن تزول من نفس كل عامل حتى ينتفع بما عمل سلفه...».

« وشاءت الظروف أن نواجه أغاليط الماضى وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر.. وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا.. واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها»[2].

ويقول الإمام الشهيد: « لهذا يدعو الإخوان إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة على أساس الإسلام وقواعده » [3].

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٥٨،١٥٩ .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟ ص٣٦٠ .

(٣) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٩.

ويقول أيضا: «... وندعو إلى أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده، تعتمد عليها وتستمد منها وتبنى على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية.. ولا يمنع في أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أى مكان ؛ فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا »[1].

- **محاور العمل مع المجتمع:**

والعمل مع المجتمع المسلم يدور حول محاور ثلاثة (كل منها يدعم الآخر ويسانده):

١- **إيقاظ الإيمان وتجديد الروح**: وهذا أساس الانطلاق قبل الحديث عن أى شيء أو تغيير أى سلوك. ولابد أن تثبت فيه معانى الإيمان، وتجمعه على روعة آيات القرآن وجلال الإسلام، وهدى رسول الله ﷺ. ويصاحب هذه اليقظة الإيمانية التزامه العبادى بأركان الإسلام وحرصه على فرائضه.

٢- **توعية الشعب وتربيته** (سلوكياً وأخلاقياً وثقافياً وسياسياً) وتحقق الإيجابية لديهم.

٣- **نشر الدعوة ومبادئها وكسب الأنصار لها.**

- **الأسس التي يقوم عليها الإصلاح الاجتماعى:**

ويلخص الإمام الشهيد أصول الإصلاح الاجتماعى الكامل، الذي جاء به الإسلام في الآتى[2]:

١- الربانية.

٢- التسامى بالنفس الإنسانية.

٣- تقرير عقيدة الجزاء.

٤- إعلان الإخوة بين الناس.

٥- النهوض بالرجل والمرأة جميعاً، وإعلان التكافل والمساواة وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً.

---

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم.

٦- تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب.

٧- ضبط الغريزتين: غريزة حفظ النفس وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

٨- الشدة في محاربة الجرائم الأصلية.

٩- تأكيد وحدة الأمة والقضاء على مظاهر الفرقة وأسبابها.

١٠- إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادئ الحق التي جاء بها هذا النظام.

١١- اعتبار الدولة ممثلة للفكرة، وقائمة على حمايتها ومسؤولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص وإبلاغها إلى الناس جميعاً.

■ **مستويات العمل الاجتماعى وانطلاقته:**

وتتسع مساحة العمل مع المجتمع وتتدرج لتشمل كل جوانب المجتمع وذلك حسب الظروف المتاحة والإمكانيات المتوفرة للصف وأفراده.

والجماعة لا تستمد انطلاقها الاجتماعى ووجودها من قوانين أو إذن حكومى أو منحة من الآخرين، وإنما تستمد هذا الانطلاق من دعوتها ووجودها العملى الواقعى داخل المجتمع ومعايشتها له، فلا يمكن أن يوقف هذا التأثير الاجتماعى قانون أو تضييق، وإنما الدعوة تواجه هذه العقبات بالثبات والمثابرة والحكمة.

وهذا المسار في العمل الاجتماعى أو النضال الدستورى (كما سماه الإمام الشهيد)، يشمل ثلاثة مستويات أو مجالات في المجتمع:

١- على المستوى الفردى، بتحرك أفراد الجماعة بالدعوة واحتكاكهم بأفراد المجتمع ومعايشتهم له في مسار حياتهم وأحوالهم..فأينما وجد الفرد المسلم وجدت الدعوة وتحركت معه. فالدعوة تُربيه على الذاتية في الحركة الاجتماعية، وعلى التأثير القولى والعملى، وأن يكون قدوة ونموذجاً للدعوة.

٢- وكذلك بتكوين التجمعات والجمعيات والنوادى والأوعية الاجتماعية التي تؤدى جانبا من جوانب الخير والإصلاح، وتنشر مفاهيم الإسلام وسلوكياته داخل المجتمع. وهذه تستعين فيها الدعوة بالمخلصين من أفراد الشعب والمحبين والمتعاطفين وهى تخضع في تشكيلها إجرائيا لقوانين المجتمع وترتيباته.

وهذه الأوعية تمثل واجهات متعددة تحقق للجماعة بعض جوانب النشاط والإصلاح المختلفة، ولا يستلزم لها أن ترفع لافتة الاسم (أى اسم الإخوان عليها) ؛ فقد تأخذ أسماء مختلفة حسب طبيعة القانون والنشاط الذي يحكم ذلك الأمر.

وقد أشار الإمام الشهيد لذلك فقال: «ليس بلازم في الدعوة أن تكون باسم: (جمعية الإخوان المسلمين)، فليس غرضنا إلا إصلاح النفوس وتهذيب الأرواح، فلتكن الدعوة إلى: مدارس الأنصار، ومعاهد حراء، وأندية التعارف »[1].

٣- العمل على المؤسسات القائمة بالمجتمع سواء كانت: اقتصادية، أو اجتماعية، أو تعليمية، أو سياسية، أو مهنية، أو تنفيذية... إلخ.

فتعمل على إيصال الدعوة لكل المؤسسات والتقدم بمناهج الإصلاح، وكسب الأنصار، والدخول فيها وتقديم الرموز الدعوية في كل مجال.. وذلك من خلال الحق الدستورى للمواطنين، والالتزام بالقوانين القائمة.

(مثال لها: نماذج العمل المؤسسى داخل المؤسسات، والدخول في انتخابات النقابات والجمعيات والاتحادات، والمجالس التشريعية والرقابية... إلخ).

■ **صفات وخصائص العمل مع المجتمع:**

والعمل العام في الدعوة مع المجتمع له خصائص وصفات، تحرص عليها الدعوة وتربى أفرادها عليه، ويشمل ذلك:

١- روح الحب للمجتمع والحرص عليه، ورغبة الخير له:

وأن يكون ذلك هو الروح المسيطرة والباعثة في حركة الدعاة بالمجتمع.

(١) مذكرات الدعوة والداعية ،ص١٥٢ .

يقول الإمام الشهيد:

« نحب أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه القلوب أن تذهب فداءً لعزتهم إن كان فيها الفداء...

وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت بقلوبنا وملكت علينا مشاعرنا...

وإنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان...فنحن نعمل للناس في سبيل الله ».

«فنادوا في قومنا: نحن لكم لا لغيركم..ولن نكون عليكم يوماً من الأيام ».

إننا مع المجتمع كما يقول الإمام: يلقينا بالحجر فنرميهم بالثمر.

فنحن لا نتعالى على المجتمع أو نرفع أنفسنا درجة فوقه أو نحط من شأنه معاذ الله أن نكون كذلك، بل نحن نعتز بدعوة الإسلام ونحب ونحرص أن يشاركنا جمهور المجتمع فيها ليسعد بها في دنياه وآخرته.

٢- الاستعانة بكل الوسائل المتاحة:

سواء على المستوى الفردى أو الجماعى، والاستفادة من القوانين وتوظيفها لصالح الدعوة بدلاً من مصادمتها والجمود أمامها.

يقول الإمام: « ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلك، فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى في خطبة، أو اجتماع، أو كلمة تكتب في رسالة، أو خطاب، أما الآن فنشرات ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح (وخيالات) وحاكٍ ومذياع... إلخ. وقد ذلل ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم نساءً ورجالاً في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم.

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعاً حتى يأتى عملهم بثمرته المطلوبة »[1].

(١) رسالة : دعوتنا،ص٢٢.

٣- مواجهة المعوقات والضغوط بالنضال الدستوري:

نحترم الدستور والقانون في المجتمع، لسنا مع التمرد أو الخروج عليه، مع مطالبتنا بتصحيحه وتغييره ليكون منطلقه وسمته التشريع الإسلامي، ولكننا ضد إساءة التطبيق للقانون، وكذلك ضد القانون الذي يحل ما حرم الله ويخالف بوضوح شريعة الإسلام فنحن نواجه ذلك، وندعو إلى التصحيح ونلتزم الأسلوب القانونى في نيل الحقوق، وسلوك كل وسائل النضال الدستورى في ذلك ونواجه التضييق والتجاوز مع الدعوة، بالثبات والمواجهة القانونية والتمسك بحقنا الدستورى.

يقول الإمام الشهيد: «.. الإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام، ويناصرها عن عقيدة وإيمان. ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هي الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح، ثم النضال الدستورى حتى يرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية، وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية »[1].

٤- اكتساب الجماعة وجودها وشرعيتها من دين ربها:

فالجماعة تكتسب وجودها وشرعيتها ليس من قرار إدارى، أو إرادة حاكم، أو سلطة، ولكنها تستمدها من دينها، ومن دعوتها، ومن الحق الذي آمنت به وترتكن إليه.

« وفى مجال عملها الإصلاحى، تمارس أنشطتها وتلتحم بجماهير الشعب، وبذلك تكتسب هذه الأنشطة شرعية واقعية بين الناس، وتقدم رموزها الدعوية، فيلتف حولها الناس ويساعدونها ».

«ويحرص النظام والسلطة التي تحارب الدعوة، على تغييب اسم الجماعة ورموزها الاجتماعية والسياسية، لارتباط هذا الاسم وهذه الرموز بالبذل والعطاء والخدمة العامة والطهارة والنقاء والمبادرة إلى الخير والاعتدال والرفق بالناس ونبذ العنف.. وبهذه الشرعية الواقعية والمعايشة الفعالة مع الجماهير نرد على حملات التشويه الإعلامية المنظمة، ومحاولات تلفيق التهم لأفرادنا، وإثارة الشبهات حولهم»[2].

(١) رسالة : المؤتمر السادس ص٢١٢ .

(٢) الأستاذ مصطفى مشهور،الرؤية الواضحة،ص٢٢ .

« علينا أن نعمل لأن تستمر مسيرتنا في الدعوة إلى الله رغم التضييق، ونبتكر لإفادة قومنا ودعوتنا طرقاً جديدة، ونستعيد زمام المبادرة بأطروحات متجددة في القضايا الحيوية يقبلها شعبنا ».

وبهذا يكون «قد صار لنا حضور دائم في حياة الأمة يستعصى على التغييب، وطالما احتفظ الصف بتماسكه وثباته والتفافه حول قيادته الصلبة واستعداده للبذل والتضحية، فلسوف تتنامى مظاهر التفهم لفكرتنا والتعاطف مع حركتنا والتأييد لأعمالنا والالتفاف حولنا بل ونصرتنا إن أوذينا »[1].

والجماعة لا تحرص أو تقدم على استفزاز، فهي لا تستفز ولا تُستفز، ولكنها في الوقت نفسه لا تساوم على مبادئها ولا توقف أنشطتها وبرنامج إصلاحها وتوعيتها لهذا الشعب وتربيته، وتصبر وتتحمل ما تلقاه في سبيل ذلك.

٥- رفض أسلوب العنف والإرهاب أو الجبر والإرغام:

سواء مع السلطات التنفيذية أو مع الخصوم والهيئات الأخرى.واحتمال الأذى واحتساب الأمر عند الله عز وجل والدفع بالوسائل السلمية.

وحول استخدام القوة وأعمال العنف بالشارع تحت مسمى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر..مثل قضية تحطيم البعض للحانات، فقد رفض الإمام الشهيد ذلك الأسلوب الذي لا يقوم على فقه شرعى أو بصيرة بالواقع، والذي يؤدى إلى ضرر أكبر من الفائدة، ويرى فضيلته أن نتبع في ذلك أسلوب الحكمة والظرف المناسب ووسائل الضغط القانونية والشعبية، مع تحليل البواعث والأسباب لوجود هذا الخلل، والسعى لعلاجها.

يقول الإمام: « ومعلوم أنه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة، وقد ألقى الإخوان تبعة هذا التحطيم على الحكومات قبل الذين فعلوه ؛ لأنها هي التي أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج... ».

(١) المرجع السابق نفسه .

« .. نحن نعتقد أن هذا التحدى لم يحن وقته بعد، ولابد من تخير الظرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه، وإنفاذه بصورة أخف ضرراً وأبلغ في الدلالة على المقصد كلفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامي »[1].

والإخوان في هذا المجال: « أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها »[2].

وهم يضبطون الحماس وينيرون العاطفة بأشعة العقول:

« ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول.. »[3].

ويقول الإمام الشهيد: « فليست الوسيلة المال، وليست الوسيلة القوة كذلك؛ فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولاً، وتناجى القلوب، وتطرق مغاليق النفوس.. »[4].

ويقول أيضا: « وهم يتذرعون في ذلك بالصبر والأناة والحكمة والموعظة.. » [5].

ويحرص الإخوان على البعد عن أسلوب الجبر والإرغام في جمع الشعب على مبادئ الإسلام وترسيخ قيمه وأخلاقياته، وإنما الأخذ بأسلوب « الإقناع » حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان، وذلك بعد إيقاظ الإيمان في قلبه وتفعيل ارتباطه بالقرآن ولجوئه إلى الله.

٦- انتهاج المنهج العملى الواقعى:

فالمجتمع في حالة تحتاج إلى: سرعة الأخذ بيده، وإصلاح جوانب الخلل والتدهور فيه، وتربيته على الإسلام، وتقديم جوانب البر والخير إليه، فهذا يحتاج إلى المنهج العملى، وأن نقف مع الشعب في كوارثه وأزماته، وأن نقدم له ما نستطيع من جوانب البر والخدمة

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٩.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق،ص١٢٧.

(٤) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٤٠ .

(٥) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٨٤.

العامة، وألا نقف عند حدود ذلك، بل نوقظ إيمانه ونقوى إرادته وننشر فيه نماذج الخير والتكافل والتعاون ونربطه بالإسلام ربطاً حميداً، إنها مواجهة لكل شرائح المجتمع وفئاته وكل مؤسساته، بل هي لا تنحصر في قطر دون قطر.

٧- عمومية دعوة الإخوان:

يقول الإمام الشهيد: « دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة ولا تنحاز إلى رأى عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة، وهى تتوجه إلى صميم الدين ولبه »[١].

« فهي دعوة لا تنحصر في رأى فرعى أو لون خاص أو طائفة خاصة بل هي تسع الجميع بفهمها الشامل للإسلام، والمحدد بأصول الفهم العشرين »[٢].

٨- أنها تضم كل المعانى الإصلاحية:

لأنها تنطلق من مفهوم الإسلام الشامل، فلا تنحصر في مجال دون آخر، فهى: « دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية وثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية.. »[٣].

٩- وهى لا تقف عند حدود العمل العام:

بل تجتهد في جمع قلوب الناس على القرآن وفى التقدم بمناهج الإصلاح لكل الجهات، وتكوين الركائز الإيمانية وعدم الوقوف بالدعوة العامة عند حدود الخطب والمقالات، أو الإصلاح الجزئى للمجتمع، إنما الغاية أشمل من ذلك:

يقول الإمام: « إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء، كل ذلك وحده لا يجدى نفعاً ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعية إلى هدف من الأهداف.. ».

---

(١) رسالة : دعوتنا،ص٢٥.

(٢) راجع رسالة : التعاليم،ص٣٥٦ .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،١٢٢.

بل الأمر يحتاج إلى:

« ١- الإيمان العميق.

٢- التكوين الدقيق.

٣- العمل المتواصل...

فآمنوا بفكرتكم، وتجمعوا حولها، واعملوا لها، واثبتوا عليها» [١].

وبعد أن ذكر الإمام أنواعا متعددة من مجالات البر والخدمة العامة، يقوم بها الإخوان، يقول: « لا أيها الإخوان، ليس هذا كل ما نريد، هو بعض ما نريد؛ ابتغاء مرضاة الله.

أما غاية الإخوان الأساسية، أما هدف الإخوان الأسمى، أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم فهو: إصلاح شامل كامل، تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً، وتتجه نحوه الأمة جميعاً، ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل»[٢].

١٠- اتباع أسلوب الإصلاح الإيجابى الذي يقوم على البناء قبل الهدم:

« ولا يجب الإخوان أن يخلطوا البناء بهدم »[٣].

ويقول أيضاً: « إن الناس يعيشون في أكواخ من العقائد البالية، فلا تهدموا عليهم أكواخهم، ولكن ابنوا لهم قصوراً من العقيدة السمحة، وعليه فسوف يهجرون هذه الأكواخ إلى هذه القصور »[٤].

١١- إحياء الأمل في الأمة، بعد إيقاظ الإيمان لديها:

فهذا سمت أساسى في وسائل وأهداف العمل الاجتماعى، أن ندفع روح الإحباط واليأس وأن نوقظ الإيمان والأمل.

---

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨ .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٥ .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٩.

(٤) من كتاب : د.توفيق الواعى : الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية،ص١٢٩ .

فيقول الإمام: « تحتاج الأمة الناهضة إلى الأمل الواسع الفسيح، وقد أمر القرآن أمه بهذا الشعور بأسلوب يخرج من الأمة الميتة، أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم » [1] .

ويقول أيضاً: « أيها الناس قبل أن نتحدث إليكم في هذه الدعوة عن الصلاة والصوم، وعن القضاء والحكم، وعن العادات والعبادات، وعن النظم والمعاملات.. نتحدث إليكم عن القلب الحى.. والروح الحى.. والنفس الشاعرة.. والوجدان اليقظ.. والإيمان العميق.

بهذه الأركان الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزار باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها، فهل أنتم مؤمنون ؟ » [2].

١٢- أن الجماعة في منهجها الإصلاحي ليست بديلاً عن المجتمع:

وهى تتعاون مع كل القوى والتيارات التي تسعى للإصلاح: « نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه...».

وهى لا تحتكر الإصلاح لنفسها أو تقصر الخير عليها، وتحفظ لكل ذى قدر قدره، وإنما الدعوة والجماعة من بين هذا المجتمع توقظه وتتعاون مع فئاته المخلصة، وتوجهه وتقوده إلى الخير.

يقول الإمام: « وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم » [3].

«الذى يريده الإخوان إصلاحا شاملا تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً، وتتجه نحوه الأمة جميعا » [4].

« أصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير ».

١٣- الابتعاد عن الأسلوب الحزبى في العمل، وعدم الدخول في صراعات جانبية أو صدامات مع القوى الأخرى:

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٧٧ .

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٥.

(٣) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٩.

(٤) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٥.

يقول الإمام في ذلك: « نحن لا نهاجمهم ؛ لأننا في حاجة إلى الجهد الذي يبذل في الخصومة..» [1].

«فهم لهذا أوسع الناس صدراً مع مخالفيهم ».

«الإخوان يجيزون الخلاف، ويكرهون التعصب للرأى، ويحاولون الوصول إلى الحق، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب »[2].

١٤- التجرد والإخلاص لله في الدعوة والعمل:

فهي تتجرد عن المنافع والأطماع الشخصية والأهواء، وهى تبرأ من العجب والغرور، وترد الأمر كله لله.

يقول الإمام الشهيد:

« وإنها دعوة بريئة نزيهة قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض»[3].

« وإننا بحمد الله برآء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته..» [4] .

«فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية، غير ملونة، وهى مع الحق أينما كان، تحب الإجماع وتكره الشذوذ » [5] .

«ولسنا نمتن بشيء ولا نرى لأنفسنا في ذلك فضلاً ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] » [1].

---

(١) المرجع السابق،ص٢١٥.

(٢) رسالة : دعوتنا،ص٢٧.

(٣) المرجع السابق،ص١٣.

(٤) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٩.

(٥) رسالة : دعوتنا،ص٢٥.

(٦) المرجع السابق،ص١٤.

١٥- الاعتزاز بالدعوة وإعلانها بقوة ووضوح وسط هذا الركام المترامى من الدعوات:

يقول الإمام: « إن العالم الآن تتجاذبه شيوعية روسيا وديمقراطية أمريكا، وهو بينهما مذبذب حائر لن يصل عن طريق إحداهما إلى ما يريد من استقرار وسلامة.. وفى أيديكم أنتم قارورة الدواء من وحى السماء..فمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيقة في وضوح، ندعو إلى منهاجنا الإسلامي في قوة، ولن يضيرنا أن ليس لنا دولة ولا صولة، فإن قوة الدعوات في ذاتها ثم في قلوب المؤمنين بها، ثم في حاجة العالم إليها، ثم في تأييد الله لها متى شاء أن تكون مظهر إرادته وأثر قدرته »[1].

■ **تهيئة الأفراد للعمل مع المجتمع:**

والدعوة تهيئ أفرادها بالتربية والتدريب والفهم الصحيح، للعمل مع المجتمع وأداء الخدمة العامة للناس. ومع تميز مستويات ونوعيات من الأفراد حسب ظروفهم وحسب استعدادهم الشخصى إلا أن كل فرد في الصف مطالب ببذل جهده في هذا الميدان وهو جزء أساسى من دعوته وتربيته.

ولأن الفرد هو ركيزة الانطلاق للعمل الاجتماعى والدعوى، فلابد من إعداده واستمرار ذلك بدءاً من استيعاب الأهداف والوسائل والضوابط وانتهاءً إلى التعرف على الواقع والمعوقات.

فهي تعده ليكون:

١- ممتلئا حبا وعاطفة تجاه المجتمع وأفراده.

٢- أن يكون على بصيرة ووعى بدوره الاجتماعى وأنه جزء من دعوته.

٣- وأن يكون لديه الإيجابية والذاتية في الحركة .

٤- وأن يكون عظيم الهمة واسع النشاط، مدرباً على الخدمة العامة.

(١) من آخر ما كتبه الإمام الشهيد في رسالة وجهها إلى الإخوان،ونشرتها مجلة المباحث،١٦ يناير سنة ١٩٥١م.

٥- أن يلم بالشؤون الإسلامية إلماماً يمكنه من تصورها والحكم عليها حكماً يتفق مع مقتضيات الدعوة.

٦- أن يسارع إلى المساهمة في الخدمة العامة وأعمال البر .

٧- أن يتأدب بآداب الإسلام وأخلاقه، فيكون: عف اللسان، حسن المعاملة، أميناً، صادق الوعد والكلمة، كريماً، سمحاً يرفق بالإنسان، لا يهتم بالظنة، ويبتعد عن الغيبة والنميمة، قدوة في معاملاته المالية والاجتماعية، يتقن مهنته وما يؤديه من عمل، عادلاً، صحيح الحكم، لا ينسيه الغضب الحسنات، ولا تحمله الخصومة على نسيان الجميل، يقول الحق ولو على نفسه أو أقرب الناس إليه وإن كان مراً، يرحم الصغير ويوقر الكبير، لا يصخب، ثابتا مثابرا لا يخشى تضييقاً أو إرهاباً، متجردا من المطامع والأهواء ومعانى العجب والغرور، وأن يتسع صدره للمخالفين، ويعرف كيف يتعامل ويتعاون معهم [١].

ويقول الإمام الشهيد: « يتصل الأخ بالإخوان، فيكون مطالباً بتطهير نفسه وتقويم مسلكه وإعداد روحه وعقله وجسمه للجهاد الطويل الذي ينتظره في مستقبل الأيام، ثم هو مطالب بأن يشيع أحكام الإسلام في أسرته وأصدقائه وبيئته، فلا يكون الأخ أخاً مسلماً حقاً حتى يطبق على نفسه أحكام الإسلام وأخلاق الإسلام ويقف عند حدود الأمر والنهى التي جاء بها رسول الله ﷺ عن ربه»[٢].

« وقد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته، ويحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهه حتى يصل إلى الغاية »[٣].

ويقول أيضا: « إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة، وإن العالم ينظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام، وإن الدور عليكم في قيادة الأمم وسيادة الشعوب»[٤].

---

(١) من واجبات الأخ العامل.

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٥.

(٣) رسالة : دعوتنا،ص١٥.

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس.

«.. وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا ؛ فليس مع الجهاد راحة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وإلى الأمام دائما »[1].

(١) المرجع السابق .

الباب السابع

أهداف ومجالات العمل مع البيت والمجتمع

أهداف ومجالات العمل
مع البيت والمجتمع

■ **محاور وأهداف العمل مع المجتمع:**

نوجز باختصار – من خلال رسائل الإمام الشهيد وتوجيهاته – محاور وأهداف العمل في المجتمع الذي يشمل في تكوينه: البيت – والرأى العام – والتجمعات (قرى، مدن، أحياء) – والمؤسسات (الأهلية والرسمية والتنفيذية) بكل مستوياتها – وكل ما يؤثر فيها من: اقتصاد، وإعلام، وسياسة، وعرف، وقوانين...إلخ.

وهو يعتبر الصف الإخوانى جزءا من المجتمع يبدأ بنفسه وينتشر ويؤثر في محيطه الاجتماعى سواء على مستوى الفرد أو البيت أو الجماعة ككل، وتشمل هذه الأهداف:

١ – الاهتمام بالبيوت كركيزة أساسية في بناء المجتمع[١]:

يقول الإمام الشهيد نريد: «النهوض بالرجل والمرأة جميعاً وإعلان التكامل والمساواة بينهما وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً »[٢].

ونقط البدء هي:

أ – بيوت الدعوة وأنصارها: بدءا من حسن اختيار الزوجة أو الزوج وإعدادهما لإقامة البيت المسلم، حسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام – المحافظة على الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

(١) راجع لمزيد من التفصيل : الباب الخامس : « تكوين البيت المسلم » من هذا الكتاب.

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص٩٤.

« نريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته وفى عمله وتصرفه..»[1].

ب – ثم يتسع الأمر إلى دائرة الأهل والأقارب فيحمل أهله على احترام فكرته ونشر معانى الإسلام فيهم – واكتسابهم لمناصرة الفكرة الإسلامية والدعوة، والتعاطف معها.

جـ – التأثير في بيوت المجتمع بالوسائل المختلفة لنشر مظاهر الحياة الإسلامية، وتنشئة الأجيال على الإسلام.

يقول الإمام: « وأما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقد بدؤوا في ذلك بأنفسهم ثم بأسرهم وبيوتهم ثم بإخوانهم وأصدقائهم. وهم يتذرعون في ذلك بالصبر والأناة والحكمة والموعظة. وهل ترى جريدتهم هذه إلا مظهراً من مظاهر الأمر بالمعروف »[2].

٢– الاهتمام بالشرائح السنية المختلفة والتأكيد على دور المرأة ونيل حقوقها:

من الأشبال والطلاب ذكوراً وإناثاً، وربطهم بالإسلام وتنشئتهم التنشئة الصحيحة، مع إعطاء أهمية خاصة للشباب[3]، والاهتمام بشباب الجامعات والأزهر الشريف.

ويشير الإمام إلى أهمية العناية بالمرأة فيقول: « ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب »[4].

ويقول أيضا: « نريد النهوض بالرجل والمرأة جميعا، وإعلان التكامل والمساواة بينهما ».

٣– تفعيل مؤسسات وأفراد الدعوة للإسلام:

سواء من داخل الصف أم من خارجه بإمدادها بالوسائل وشرح المفاهيم الإسلامية وتوجيهها للإصلاح والتنسيق والتعاون معها في ذلك (مثل: المساجد – الخطباء – الجمعيات – النوادى..إلخ).

---

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٠١ .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٨٤.

(٣) راجع رسالة : المؤتمر الخامس في الحرص على إقبال الشباب على الدعوة .

(٤) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧ .

« حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية، أما تلك الغفلة السادرة والخطرات اللاهية، والقلوب الساهية، والانصياع الأعمى واتباع كل ناعق فما هو من سبيل المؤمنين في شيء »[1].

٤- إرشاد المجتمع وتقوية إيمانه وتربيته في خطوات متدرجة تبدأ بـ:

أ - « إيقاظ الإيمان في قلوب الناس على كتاب الله ».

فمن الأهمية بمكان الحرص على تعريف الناس بالقرآن وبيان ما فيه من سمو وإعجاز والتفاعل معه.

يقول الإمام في ذلك: «أعتقد أن أهم الأغراض التي تجب على الأمة حيال القرآن الكريم ثلاثة مقاصد:

أولها: الإكثار من تلاوته، والتعبد بقراءته، والتقرب إلى الله تبارك وتعالى به.

وثانيها: جعله مصدراً لأحكام الدين وشرائعه، منه تؤخذ وتستنبط.

وثالثها: جعله أساساً لأحكام الدنيا، منه تستمد وعلى مواده الحكيمة تطبق»[2].

« فاعلم أن الإخوان المسلمين يحاولون في جد أن يعودوا هم أولاً إلى كتاب الله يتعبدون بتلاوته ويستنيرون في تفهم أقوال الأئمة الأعلام بآياته ويطالبون الناس بإنفاذ أحكامه، ويدعون الناس معهم إلى تحقيق هذه الغاية، التي هي أنبل غايات المسلم في الحياة »[3].

« وآمنتم كذلك بأن واجب المسلم الحق أن يجاهد في سبيل هذا الإسلام حتى يهيمن على المجتمع كله »[4].

ب - إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية في كل مظاهر الحياة وتحرى السنة المطهرة في ذلك.

---

(١) رسالة : دعوتنا،ص١٥.

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٨٦ .

(٣) المرجع السابق،ص٨٨ .

(٤) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٤٧.

« ونحمل الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب »[1].

« ومراعاة الصبر والأناة والحكمة والموعظة في ذلك..»[2].

جـ - إرشاد المجتمع بتشجيع الفضائل، ونشر دعوة الخير فيه.

د - تقوية الأخلاق: « أول ما يقصدون إلى تربية النفوس وتجديد الأرواح وتقوية الأخلاق وتنمية الرجولة الصحيحة »[3].

هـ - الأمر بالمعروف ومحاربة الرذائل والمنكرات مع الفقه في ذلك، واستخدام الحكمة، ومن أمثلة ذلك:

« والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب.. وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته، إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة ».

«.. وكل بدعة في دين الله لا أصل لها - استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه - ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدى إلى ما هو شر منها ».

«ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة »[4].

و - صبغ مظاهر الحياة بالصبغة الإسلامية العامة.

ز - «.. ونحن نعمل للاحتفاظ بتكوين المسلمين في حالة تيسر لهم أن يمتلئوا إسلاماً يوماً ما..»[5].

---

(١) رسالة : دعوتنا .

(٢) رسالة : هل نحن قوم عمليون .

(٣) المرجع السابق .

(٤) من رسالة : التعاليم،ص٣٥٨ .

(٥) الأستاذ مصطفى مشهور،رسالة الرؤية الواضحة،ص١٦ .

٥- إحياء الأمل وإيقاظ الإيمان وتقوية المشاعر:

فلابد من إيقاظ الروح، وبناء النفوس الحية القوية، التي تعتز بالإسلام، وتحس بروعة وجلال القرآن، وبذلك تفقه دعوتها ودينها، وتناصرها عن عقيدة واقتناع وإيمان.

يقول الإمام: «وبهذه المشاعر الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها..أحياها الراعى الأول ﷺ في قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله.. إلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولاً... »[1].

٦- تربية المجتمع على الجدية والإيجابية، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وكيف يطالب بحقوقه:

« فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة »[2].

وأن نعمل على «.. أن تنشأ في قطاعات المجتمع مجموعات للصلاح، تلتزم بالإسلام كمنهج حياة وتعمل على نشره »[3].

٧- تقويم الأخلاق والنفوس، وصبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية العامة:

يشير الإمام إلى جانب مهم من الداء الذي أصاب المجتمع، ويحتاج إلى تقويم، وهو:

« ١- ضعف الأخلاق.

٢- فقدان المثل العليا.

٣- إيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

٤- الجبن عن مواجهة الحقائق.

٥- الهروب من تبعات العلاج.

٦- الفرقة، قاتلها الله.

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٥ .

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧ .

(٣) الأستاذ مصطفى مشهور،رسالة الرؤية الواضحة.

هذا هو الداء، والدواء كلمة واحدة أيضا، هي ضد هذه الأخلاق، هي علاج النفوس أيها الإخوان وتقويم أخلاق الشعب ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] »[1].

٨- خدمة المجتمعات وتنميتها بمحاربة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع البر والنفع العام في أية صورة، والوقوف معه وإغاثته في الكوارث والنكبات:

يقول الإمام الشهيد: « فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم، ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة، وتكوين مجتمع نموذجي يستحق أن ينتسب إلى شريعة الإسلام »[2].

وحول الوسائل التي تعينهم على ذلك، يقول الإمام الشهيد: « ووسيلة الإخوان في هذه الميادين: التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأى والخبرة، وتدبير ما تحتاج إليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين أخرى إلى ما يدفع لمثل هذه المشروعات »[3].

فالجماعة تقوم بالخدمة العامة وأعمال البر في المجتمع حسب القدرة والظروف المتاحة ويشير إلى أمثلة ذلك الإمام الشهيد:

«.. من بناء المساجد وعمارتها، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها، ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها وعظمها، ومن الإصلاح بين الناس في القرى والبلدان إصلاحاً يوفر عليهم كثيراً من الجهود والأموال، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والأعياد »[4].

ويقول أيضاً: « وتتكون الجماعة من جماعات الإخوان، فتتخذ داراً وتعمل على تعليم الأميّين، وتلقين الناس أحكام الدين، وتقوم بالوعظ والإرشاد والإصلاح بين

(١) رسالة : المؤتمر الخامس .

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٨،وراجع أيضا رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟

(٣) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٤٠ .

(٤) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٤٠ .

المتخاصمين، والتصدق على المحتاجين، وإقامة المنشآت النافعة من: مدارس..ومعاهد.. ومستوصفات.. ومساجد، في حدود مقدرتها والظروف التي تحيط بها... »[1].

ويعقب الإمام الشهيد على هذا ؛ حتى لا يظن إنسان أن الدعوة محصورة في هذه المجالات فقط فيقول: « لا أيها الإخوان ليس هذا كل ما نريد، هو بعض ما نريد ابتغاء مرضاة الله... أما غاية الإخوان الأساسية.. أما هدف الإخوان الأسمى، أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون أنفسهم له: فهو إصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً وتتجه نحوه الأمة جميعاً ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل »[2].

٩- توعية الأمة وأفراد المجتمع بواجبها ودورها، وتبنى قضايا الأمة الإسلامية، وإشاعة روح الوحدة والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الإسلام، ومقاومة الفرقة والتناحر:

وأن نصل إلى «.. إيجاد القناعة لدى الشارع المصرى بضرورة التغيير الإسلامي »[3].

وهذا المجال يشمل:

أ - البدء بتصحيح فهم المسلمين لدينهم، وشرح دعوة القرآن شرحاً واضحاً وعرضها عرضاً كريماً يوافق روح العصر ويكشف عما فيها من روعة وجمال ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

ب - وتجديد أثره البالغ في النفوس، مع إحياء الأمل لديها، والثقة في تأييد الله لها.

جـ - توعية الأمة بحال العالم الإسلامي وما يحدث له من نكبات، وما يحيط به من مؤامرات وأخطار.

د - واستثارة العاطفة الإسلامية وأن تستشعر واجبها نحو إخوانهم في الدين وأن تتحرك بإيجابية للوقوف أمام المؤامرات والتواصل مع إخوانهم المسلمين ونجدة وإغاثة هذه الشعوب المستضعفة وتبنى قضيتها وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

---

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) الأستاذ مصطفى مشهور،رسالة : الرؤية الواضحة.

يقول الإمام: «.. وحسبى هذه الفواجع في هذا البيان، فتلك سلسلة لا آخر لها وأنتم تعرفون هذا ولكن عليكم أن تبينوه للناس وأن تعلموهم أن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلا عن السيادة وإعلان الجهاد ولو كلفهم ذلك الدم والمال »[1].

ويقول: «.. أن نذكر هذه النكبات دائماً، وأن نتلوها على أنفسنا صباحاً ومساءً، وأن نلقنها أبناءنا ونساءنا وإخواننا، وأن ننشرها بين أصدقائنا وفى مجالسنا.. حتى ينشأ شبابنا وهم على بينة من أمر أعدائهم، فلا يخدعون كما خدعنا، ولا يلاقون ما لاقينا »[2].

هـ - تبنى الوحدة العربية والإسلامية، ومطالبة الحكومة بتدعيم هذا المسار، ودعم آلياته العملية.

١٠- التوعية بطبيعة الأعداء وخصوم الأمة وعدم الانخداع بهم والغفلة في التعامل معهم:

فالمطلوب أن « ينشأ شبابنا وهم على بينة من أمر أعدائهم فلا يخدعون كما خدعنا ولا يلاقون ما لاقينا »[3].

ويقول أيضاً: « لا تخدعوا أنفسكم أيها المسلمون وحسبكم غفلة وحسن ظن بالأيام فقد وصف الله لكم القوم في كتابه فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

«فاذكروا دائماً أن أول جانٍ على الإسلام هم أبناؤه الأغرار المفتونون، الذين تركوا مظاهره ونددوا بها، فقاتل الله اللادينيين من أبناء الأمة الإسلامية فذكروا أنفسكم أيها الإخوان دائماً بأن ملاحدة المسلمين في مقدمة خصومكم »[4].

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥١ .

(٢) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب : الإمام الشهيد للأستاذ / فؤاد الهجرسي،ص١١٧) .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) المرجع السابق نفسه .

١١- التوعية باستمرار حول المنهج الإسلامي والتشريع الإسلامي، والرد على الشبهات وإظهار الحقائق الناصعة بشأنه، حتى يصبح مطلباً جماهيرياً ينادى به الشعب ويقف وراءه، وبذلك يرتبط بالأهداف الإسلامية العليا، من: إقامة الحكم الإسلامي كاملا، وتحرير الأوطان، وعودة الخلافة، وأستاذية العالم:

يقول الإمام في هذا المجال: «هذه معانٍ أحب أيها السادة أن تذاع بيننا، وأن نذيعها في الناس، فإن كثيرين لازالوا يفهمون من معنى النظام الإسلامي ما لا يتفق بحال مع الحقيقة »[١].

« فمن دعوتكم أيها الأخوة الأحبة أن تساهموا في السلام العالمي وفى بناء الحياة الجديدة للناس بإظهارهم على محاسن دينكم وتجلية مبادئه وتعاليمه لهم وتقديمها إليهم »[٢].

« ونعتقد أن في المنهج الإسلامي كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها للفرد والأسرة والمجتمع والدول »[٣].

وأن يدركوا جيداً مدى تخلى الحكومات وبعدها عن شريعة القرآن:

« إن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات.. من ينهض بهذا العبء أو من يبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب بحقوقها الإسلامية وليعمل الإخوان المسلمون »[٤].

١٢- توعية الأمة بحقوقها السياسية والاجتماعية وحقها في الحرية والأمن، وإيقاظ روح الوطنية الصادقة وتوجيهها من خلال المنظور الإسلامي:

يقول الإمام: « علينا إفهام الناس أن السياسة والحرية والعزة من أوامر القرآن وأن حب الأوطان من الإيمان »[٥].

---

(١) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين .

(٢) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥١ .

(٣) رسالة : إلى أي شيء ندعو الناس .

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧ .

(٥) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥٧ .

« والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها، ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها، ويقول نبيه ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منى»، وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التي يسمونها الاستعمار بكل ما فيه من قوة، ولا ترضى تعاليمه أبدا بأن تسود أمة، أو يرهق شعب شعبا آخر، ولا تزال كلمة عمر الفاروق ﷺ ترن في الآذان حين قال لعامله عمرو بن العاص: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) [1]، « واجتماعيا: تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية » [2].

كما نستهدف إعداد الأمة والمجتمع وتهيئته لتحمل أعباء كفاح طويل، وما تحتاجه من: عزيمة قوية، سخاء بالتضحيات، وثبات في الموقف ووعى وتميز بين الحق والباطل والنافع والضار.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: «وإنما عليها أن تعد نفسها لـ: كفاح طويل عنيف، وصراع قوى شديد بين: الحق والباطل، وبين النافع والضار، وبين صاحب الحق وغاصبه، وسالك الطريق وناكبه، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين، وأن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد، والجهد هو التعب والعناء..

وليس للأمة عدة في هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة والعزيمة القوية الصادقة والسخاء بالتضحيات والإقدام عند الملمات، وبغير ذلك تُغلب على أمرها ويكون الفشل حليف أبنائها »[3].

ويهتم الإخوان في تربية الأمة وتكوينها بالوعى القومى والنضج السياسي لديها.

يقول الإمام الشهيد: « ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحى والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم...

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي : قضية الوطنية .

(٢) المرجع السابق .

(٣) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٦٩ .

وهو ما يُعبر عنه في الاصطلاح الحديث بـ «الوعى القومى» أو «النضج السياسى» أو «التربية الوطنية » أو نحو ذلك من الألفاظ، ومردها جميعا إلى حقيقة واحدة هي اعتقاد صلاحية النظام والشعور بفائدة المحافظة عليه »[1].

١٣- التصدي للتيارات الفاسدة التي تخرب في الأمة وتناوئ الإسلام، وتوعية الشعب؛ حتى يميز بين القيادات المخلصة، وبين متاجري الشعارات وذوى الأهواء:

يقول الإمام الشهيد: « وإن على شعوبنا أن تميز بين ذوى العقيدة المجاهدين، وبين عبث المتحللين من ساسة وعسكريين...»[2].

« ومن الواجب أن نحول دون تفشى أفكارهم الموبوءة بيننا، وأن نضرب على يد من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا ومن يخدر أعصابنا بنظريات مزيفة وألفاظ خلابة ليس تحتها إلا فساد القومية الشرقية وضياع الوحدة الإسلامية فلا فرق بين هؤلاء والأوربيين..»[3].

«مهمتنا إجمالاً أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات التي جرفت الشعوب الإسلامية فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ وهداية القرآن..حتى تنحصر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ »[4].

ويقول: « أما إن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة الإسلامية والعربية إلى طوائف تتناحر وتتضاعف، أو الوقوف بها عند حدود جغرافية ضيقة.. فهذا نرفضه»[5].

« والإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعانى ولا بأشباهها ولا يقولون فرعونية، وعربية، وفينيقية، وسورية، ولا شيئاً من هذا الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس»[6].

---

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣١٩.

(٢) من مقالة : محنة الإسلام،من كتاب الإخوان المسلمين والقضية الفلسطينية،للأستاذ/ فؤاد الهجرسى،ص٥٥ .

(٣) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب : الإمام الشهيد للأستاذ/ فؤاد الهجرسى) .

(٤) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن ،ص١١٤.

(٥) رسالة : دعوتنا،ص٢٠.

(٦) المرجع السابق،ص٢٣.

« ونعتقد أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن هو تجربة فاسدة فاشلة »[1].

١٤- المحافظة على مقومات القوة والصلاح في المجتمع ومقاومة التسيب والإهمال والفساد، والتعاون في ذلك مع كل القوى المخلصة، ودعم المسؤولين في أي موقع للقيام بذلك:

وأن نعمل على: «.. أن تنشأ في قطاعات المجتمع مجموعات للصلاح، تلتزم بالإسلام كمنهج حياة وتعمل على نشره »[2].

وكذلك دعم أى فئة من الأمة تستهدف الإصلاح والتعاون معها في ذلك، سواء من المسلمين أو من غيرهم من أبناء الوطن، أو حتى ممن لا يتبنون الشعار الإسلامي، وتاريخ الإمام الشهيد في دعوته مليئ بالكثير من تلك المواقف التي تؤكد ذلك.

١٥- نشر دعوة الإخوان المسلمين ومبادئها:

وذلك على المستوى الفردى أو الجماعى وبكل الوسائل المتاحة، يقول الإمام الشهيد في ذلك:

« الإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر، حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان »[3].

« ولازلنا ندعو، وسنظل كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الإخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح »[4].

« لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت وأن يسمع صوتنا في كل مكان وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار لا نألوا في ذلك جهداً ولا نترك وسيلة..»[5].

---

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٥٧.

(٢) رسالة الرؤية الواضحة،الأستاذ مصطفى مشهور.

(٣) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٢ .

(٤) المرجع السابق،ص١٢٦ .

(٥) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧ .

« انشروا الفكرة في كل محيط يتصل بكم: في الحوانيت والشوارع والبيوت والمساجد والمقاهى والمجالس العامة والخاصة وفى القرى والريف وفى المدن والعواصم وفى المصانع والمعامل والحقول والمدارس.. إلخ »[1].

« اجعلوا في كل شارع جماعة إخوانية وفى كل قرية كتيبة قرآنية وفى كل مدينة راية محمدية وفى كل فج من الفجاج أخاً يهتف بمبادئكم وينادى بتعاليمكم ويعطى كلمتكم ويبايع بيعتكم »[2].

ويقول أيضاً: « فقد وجب عليكم أن تبينوا للناس غايتكم ووسيلتكم وحدود فكرتكم ومنهاج أعمالكم »[3].

١٦- كسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية والدعوة (الجماعة) والتفافهم حولها وحول رموزها:

والعمل على « تكوين قاعدة جماهيرية عريضة تناصر العمل السياسي الإسلامي وتؤيد المطالبة بالحكم بما أنزل الله ».

وكذلك « العمل على تحرر النخبة المثقفة من رواسب الغزو الفكرى التي غرسها في عقولها الاستعمار الثقافى ».

« الحصول على شرعية سياسية وشرعية اجتماعية على أرض الواقع من منطلق التواجد والحركة للجماعة وأفرادها والتحامهم بالمجتمع وفئاته، دون انتظار أو تعلق بالجانب القانونى، الذي هو حق لها، وتحرمها منه السلطات الظالمة التي لا تحترم حكم القضاء أو تنفيذ القانون» [4].

هذا الكسب للرأى العام وربطهم بالإسلام يسير متوازيا مع عمل البر والخدمة

(١) مقالة الإمام : نصيحة من البنا إلى الإخوان،من كتاب : الإمام الشهيد للأستاذ / فؤاد الهجرسى ط٢ .

(٢) المرجع السابق،ص١١٢.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٩ .

(٤) رسالة الرؤية الواضحة،الأستاذ مصطفى مشهور .

العامة. فبعد ما ذكر الإمام مجالات عمل الإخوان في الخدمة العامة يقول: « لكن الإخوان ليسوا كذلك فحسب، ولكن لب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها في نفوس الناس؛ ليتربى عليها الرأى العام، وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح: تلك هي العمل للإسلام والعمل به في كل نواحى الحياة»[1].

ويقول: «..حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان »[2].

١٧- العمل على إصلاح القانون والدستور:

« لهذا يعمل الإخوان جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة في الدستور المصرى وتعدل الطريقة الذي ينفذ بها هذا الدستور في البلاد »[3].

١٨- تحديد مواقف الدعوة ورؤيتها، بالنسبة لـ: الأحداث..والمواقف.. والتيارات المختلفة، وتبنى المجتمع لها:

وهذا من لوازم الحركة العامة والتفاعل مع جماهير المجتمع والتي تتعلق آمالها بها. فلابد للجماعة في مثل تلك الأحوال أن تتقدم وأن تعلن موقفها مستندة في ذلك إلى الشريعة الإسلامية ومصلحة الأمة.

١٩- العمل على دعم الاقتصاد الوطني، وذلك من خلال:

أ - إقامة المشروعات: فقد ساهمت الجماعة بمشروعات اقتصادية طوال تاريخها - (سواء كجماعة أو كأفراد منها) لكن هذه المشروعات استولت عليها السلطات الظالمة وقامت بتصفيتها. لهذا بقى هذا المجال رهناً بالظروف المحيطة بالدعوة.

ب - تشجيع الأفراد من الجماعة وغيرهم، على إقامة المشروعات الوطنية.

جـ - تشجيع الصناعات المنزلية الصغيرة.

د - محاربة الربا بكل أشكاله.

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٤٠ .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٢ .

(٣) المرجع السابق،ص١٣٩ .

هـ - محاربة كل مصادر الكسب الحرام والمخالفة لشرع الإسلام.

و - إحياء ركن الزكاة، وتفعيله بين الناس، وصرفه في مصارفه الشرعية.

ز - تفضيل المنتج الوطنى والإسلامي على المنتج الغربي ومقاطعة منتجات الأعداء بكل صورهم »[1].

ويقول الإمام الشهيد: « أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع في يد غير إسلامية، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامي »[2].

ويقول أيضا: « من مبادئ الإخوان المسلمين: الحض على تنمية الثروة الإسلامية العامة على أساس إسلامي صحيح » [3].

وحول مساهمة الجماعة أو أفرادها في الأعمال الاقتصادية والمشروعات النافعة التي تحفظ على المسلمين ثروتهم، اشترط الإمام لذلك شرطين: «..الأول: ألا نخلط بين نشاط الدعوة والنشاط الاقتصادي لا في شكل ولا في موضوع، فتكون عناوين الأعمال بغير اسم الإخوان وفى غير دورهم، ولها نظامها المادي الاقتصادي الصرف الذي لا تشوبه شائبة من عاطفة أو تهاون ؛ فالدعوة شيء والمال الاقتصادي شيء، وإن كان كل منهما يعين الآخر، ولكن لكل لونه ووسائله وأساليبه، ونحن نلاحظ تطبيق قواعد الإسلام الحنيف..

والشرط الثانى: ألا تكون لى صلة بهذه الأعمال من قريب أو من بعيد ؛ صيانة لشخصى ووقتى ومجهودى » [4].

وكان أول مشروع اقتصادى للجماعة هو: (شركة المعاملات الإسلامية المساهمة).

---

(١) راجع بتفصيل رسالة: نحو النور،ص٢٩٠حول بعض خطوات الإصلاح العملى بالمجتمع،وكذلك رسالة: النظام الاقتصادى،ص٣٣٧ (مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي) .

(٢) رسالة : التعاليم،من واجبات الأخ العامل،ص٣٦٧.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٨٢.

(٤) المرجع السابق نفسه .

■ إيضاح:

يوضح الإمام الشهيد أن مساهمة الجماعة في أعمال الخدمة العامة وتنمية الثروة القومية، يكون قدر استطاعتها، حيث إنها لا تستطيع أن تقوم بها وحدها أو تغطيها تغطية كاملة حيث ذلك من مهام الحكومات:

«.. فهذا الغرض العلمى: شرح دعوة الإسلام والكشف عما فيها من روعة وجمال، وهذا الغرض الاجتماعى: مواساة المنكوبين ومعاونة البائسين وهذا الغرض الاقتصادي: استنقاذ الثروة القومية وتنميتها وحمايتها.. إلخ، كل غرض من هذه الأغراض يستغرق أضعاف وقتنا ويستنفد أمثال جهودنا ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه..»[1].

ورغم أن الجماعة لا تملك إمكانيات الدولة في الإصلاح، وأحياناً تكون تحت ضغط المطالبة الجماهيرية بالمزيد، ولكنها تبذل ما في وسعها من مجالات الإصلاح السياسي والاجتماعي وأعمال البر وتكون في المقدمة عند الحوادث والطوارئ.. كل ذلك في توازن لا يخل بخطتها الشاملة أو يكون جانب على حساب جانب آخر، حريصة على أن تتجنب:

أ - استنزاف الطاقات.

ب - الانحصار والتقوقع.

جـ - الاستدراج أو الاستفزاز.

د - الانشغال بفرعيات وترك الأصول.

هـ - الدخول في خصومات حادة مع الآخرين.

و - دخول المغرضين الصف والضم العشوائى دون تمحيص، فعلى الدعوة لفظ النفعيين وأصحاب المطامع الذين يركبون الموجة ويتعلقون بالمكاسب ويتاجرون بالشعارات.

ز - ضياع الأهداف وعدم التركيز على تحقيقها، وضياع الرؤية الواضحة للطريق ومراحله .

(١) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥٨.

وهذه المحاور والأهداف في العمل مع المجتمع بجميع جوانبه، تبدؤها الدعوة وتستمر فيها بعد انحياز السلطة التنفيذية إليها، لتستكمل ما بدأته وتتم الإصلاح الكامل الشامل المرجو والمأمول فيه بعون الله وفضله.

ومن آخر توجيهات الإمام الشهيد للإخوان[1] في ميدان الدعوة وإصلاح المجتمع، يقول: « إن الله ميزكم بالانتساب إلى الدعوة، فاحرصوا على:

١- التميز بآدابها وشعائرها بين الناس.

٢- وأصلحوا سرائركم.

٣- وأحسنوا أعمالكم.

٤- واستقيموا على أمر الله.

٥- وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.

٦- وتوجهوا بالنصيحة في رفق ولين إلى الناس أجمعين.

٧- واستعدوا للبذل والاحتمال، والجهاد بالنفس والمال.

٨- وأكثروا من تلاوة القرآن.

٩- وحافظوا على الصلوات في الجماعات.

١٠- واعملوا لوجه الله تعالى مخلصين له الدين حنفاء.

١١- وانتظروا بعد ذلك تأييد الله وتوفيقه ونصره ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

(١) مقالة للإمام الشهيد نشرتها مجلة « المباحث »،في يناير ١٩٥١م.

الباب الثامن

حول هدف

(تحرير الوطن واستقلاله)

حول هدف
(تحرير الوطن واستقلاله)

■ **مقدمة:**

يقول الإمام الشهيد في تحديده لمراتب العمل وأهداف الجماعة: «وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي – غير إسلامي – سياسى، أو اقتصادى، أو روحى »[1].

وبهذا يجعل الإمام الشهيد استقلال الوطن وتحريره الكامل، وإجلاء المحتل الغاصب عن ديار المسلمين واجباً وفريضة وهدفاً أساسياً تعمل له الجماعة قبل تحقيق هدف « إقامة الحكومة المسلمة » وهو يسير مع هدف تكوين المجتمع المسلم ويشكل جزءاً متميزاً فيه.

يقول الإمام: « فإن اعتدت علينا أية دولة – ونحن في أرضنا – فكل شبر من مصر الغالية فداؤه الدماء والأرواح والأموال والأبناء، والإخوان المسلمون حينئذ على أتم استعداد لأن يزودوا عن حياض هذا الوطن بكل ما يملكون من نفس ومال.. » [2].

ويقول أيضا – موضحا أبعاد المعركة والمواجهة: « ولقد كان من حسن حظنا أن نشهد ذلك العصر الذي تقف فيه اليهودية العالمية متحدية الأمم العربية والإسلامية.. معتدية على مقدساتنا بالحديد والنار، وإننا لنقبل هذا التحدى، معتقدين أن الله تبارك وتعالى قد ادخر لنا فضل مقاومة هذا العدوان، والقضاء عليه »[3].

---

(١) رسالة : التعاليم،ص٣٩٤ .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٩٨ .

(٣) من مقالة للإمام الشهيد ـ من آخر ما كتبه ـ نشرتها مجلة المباحث في يناير ١٩٥١م،وأعيد نشره في مجلة الدعوة،يناير / فبراير ١٩٩٩م .

وفى قضية الوطن ونيل استقلاله وتخلصه من الاحتلال، وفى السعى لحصوله على حرياته السياسية وحقوقه، يشير الإمام الشهيد إلى ملامح الطريق والمنهاج الذي يحقق ذلك وتأخذ به الأمة، فيقول: « لابد من جهاد طويل مرير شاق متواصل، ولن يكون هذا إلا بوحدة كاملة وأخوة شاملة، وشعور جامع يضم القلوب إلى القلوب، والجهود إلى الجهود، واستقامة مع ذلك على منهاج الحق واتجاه سليم إلى معلم الخير، ويوم يكون هذا فلن تقف عقبة واحدة في طريقنا، ولابد أن نصل في أقرب وقت - بإذن الله - إلى حقنا.. إيمان وحب يتألف منهما وحدة حقيقية، هى أشد ما نحتاج إليه الآن، فهل إليهما من سبيل ».

كما رأينا كيف أعد الإمام الإخوان لمواجهة الإنجليز المحتلين، وكيف أيقظ الشعب في ذلك، ثم كتائبهم وهى تواجه الإنجليز، وتقدم التضحيات في معارك القناة، وقد سطّروا صفحات لم يكشف التاريخ عن بعضها حتى اليوم[1]، في حين اكتفى غيرهم بالشعارات والخطب الحماسية.

والإمام الشهيد يشترط الاستقلال الكامل الحقيقي، في كل الجوانب وليس الاستقلال الجزئى أو مجرد الانسحاب العسكرى. فلا بد من التحرر من كل سلطان أجنبي: اقتصادى وثقافى واجتماعى وسياسى.. إلخ ويعرّف «السلطان الأجنبي» أى غير الإسلامي مما يشمل الثقافة والفكر والأهداف والغايات، فالمستهدف استقلال حقيقى في جوهره ومضمونه وليس بالشعارات، أو استبدال محتل بمحتل آخر تحت مسميات مختلفة.أو الارتباط بأجنبي والدوران في فلكه.. ويذهب الإمام الشهيد إلى أن هذه الحرية واجب مقدس لا يحق لأحد التنازل عنه أو التراخى فيه.

يقول الإمام: « والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها.. ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها.. وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التي يسمونها الاستعمار بكل ما فيه من قوة، ولا ترضى تعاليمه أبداً أن تسود أمة أو يرهق شعب شعباً آخر »[2].

(١) راجع كتاب : « الإمام الشهيد حامل لواء الدعوة في القرن العشرين » للأستاذ / فؤاد الهجرسى،الجزء الخاص بمواجهة الإخوان للإنجليز .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٠٨ .

« فافترض (أى الإسلام) الجهاد بالنفس والمال، وجعله فرض كفاية ؛ لتأمين الدعوة، وفرض عين على كل أبناء الأمة؛لرد العدوان عن الوطن إذا واجهته قوات الغزاة من غير المسلمين، وجعل الشهادة أعلى مراتب الإيمان، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا، والخلود والبقاء والنعيم المقيم في الآخرة، وأعلن أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠] »[1].

« ومن هنا يعتقد الإخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدى على أوطان الإسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عدوانها ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين على التخلص من نيرها »[2].

وقد وضح الإمام الفرق بين هذه اللصوصية الاستعمارية، وبين حركة الفتح الإسلامي عبر التاريخ فقال:

«.. ويوم حمل الفاتح المسلم سيفه على عاتقه وانطلق غازياً في أرض الله لم يكن يرجو من وراء ذلك مغانم دنيوية ولم يكن يتطلع إلى خيرات الأمم والشعوب لسيتأثر بها دونها وإن امتلأت يداه منها بغير قصد منه.. ولكن يؤمن بدعوة ويحمل رسالة ويحمى في العالم مبادئ الحق والعدل والسلام »[3].

« والإسلام مع هذا يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله في أرضه ولها في العالم مرتبة الأستاذية – ولا نقول مرتبة السيادة – بحكم هذه الأمانة، فلا يسمح لها أن تذل لأحد أو تلين قناتها لغازٍ أو تخضع لغاصب معتدٍ أثيم ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] »[4].

---

(١) المرجع السابق،ص٣٠٩.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص٢٠٥ .

(٣) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٠٨ .

(٤) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٠٨ .

إن تحقيق الاستقلال وطرد قوات الاحتلال من الوطن، خطوة أساسية قبل قيام الحكومة المسلمة، أما بالنسبة لباقى جوانب التحرير والاستقلال الكامل في مجالاته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فلابد أن تقطع الأمة مرحلة منها تجعلها تستطيع أن تقف على قدميها، ثم تأتى الحكومة المسلمة فتبنى على هذا الأساس الابتدائى، وتنهض بالأمة في شتى الميادين؛لتحقيق الاستقلال الكامل والتقدم المنشود.

■ **خطوات إجلاء المحتل:**

والإمام الشهيد يرسم المحاور العامة والخطوات المناسبة؛لإجلاء المحتل الغاصب عن الوطن الإسلامي – وقد كان وقتها يواجه الاحتلال الإنجليزى في مصر:

١- لابد من إيقاظ الأمة وتوعيتها وإعدادها للمواجهة في هذا المجال:

وأن يكون ذلك منبثقاً من الفهم الإسلامي وما افترضه على أبنائه. ويستخدم الإمام كل الوسائل الفردية والجماعية لهذا الإيقاظ والتهيئة للمجتمع حتى يصبح الأمر عقيدة قوية جازمة يجتمع عليها الناس وينادون بها.وكذلك كشف ألاعيب المخادعين والمغررين، بالشعب في الداخل والخارج.

يقول الإمام: «فنذيع النشرات والبيانات ونوضح للناس ما خفى عنهم من حقوقهم ونكشف لهم ما استتر من ألاعيب المخادعين لهم والمغررين بهم في الداخل والخارج، وسنجمع كلمة الناس على هذا في مؤتمرات جامعة في كل مكان»[١].

« ومن الواجب أن نحول دون تفشى أفكارهم الموبوءة بيننا وأن نضرب على يد من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا ومن يخدر أعصابنا بنظريات مزيفة وألفاظ خلابة ليس تحتها إلا فساد القومية الشرقية وضياع الوحدة الإسلامية»[٢].

(١) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق .

(٢) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب: الإمام الشهيد للأستاذ/ فؤاد الهجرسى،ص١١٧).

٢- جمع كلمة الشعب وتوحيد القوى والجهود حول هذه القضية وتنسيق الخطط في ذلك:

« وسندعو إلى عقد مؤتمر عربى إسلامي جامع لتوحيد الجهود وتنسيق الخطط »[١].

« نحن أمام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة، وأمام تشابه قضايانا وتشاكلها، فهي كلها قضية واحدة معناها استكمال الحرية والاستقلال وتكسير قيود الاستغلال والاستعمار.. لابد أن نلجأ من جديد إلى ما فرضه الإسلام على أبنائه منذ أول يوم حين جعل الوحدة معنى من معانى الإيمان.. يجب أن نتكتل ونتوحد »[٢].

٣- تبنى حملة إعلامية ضاغطة على مستوى العالم - حكومات وشعوب - لشرح القضية وكسب التأييد لها:

« وسنبعث بإخواننا في كل مكان من البلدان الأجنبية ؛ يثيرون الشعوب والحكومات في القضية الإسلامية الوطنية »[٣].

ومع الضغط الإعلامى على الدول الأجنبية، وعلى الهيئات الدولية، إلا أن الإمام الشهيد يدرك الوزن النسبى لهذه المجالات، ويعرف أن الأصل هو الاعتماد على النفس: « فإذا لم يفد هذا كله ولم نجد النصفة من العالم الجديد.. فسنعرف كيف نضبط أنفسنا ونضع حاجزاً حصيناً قوياً بيننا نحن المؤمنين وبين هؤلاء الظالمين المفترين »[٤].

« الذي أريد أن أصل إليه أن يعتقد المسلمون أن الاحتجاج وحده لا يكفى بل لا يجدى وأن الاحتجاج لا يرفع التبعة ولا يعد صاحبه قد أدى واجبه ولا يصح الاعتماد على الاحتجاجات وحدها »[٥].

---

(١) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٢٢٩.

(٣) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٧٠ .

(٤) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٧٠ .

(٥) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب : الإمام الشهيد للأستاذ/ فؤاد الهجرسى،ص١١٧).

٤- مواجهة ضعف الحكومات والتدخل الأجنبي حيث يوجهها كيفما شاء، مع استخدام الرأى العام الضاغط لمواجهة هذا الفساد:

يقول الإمام: « إن أهم عوامل الفساد والإفساد لحياة هذا الشعب المصرى وغيره من الشعوب العربية والإسلامية. هذا التدخل والحكم الأجنبي.. وهذا الضعف المتناهى من هذه الحكومات، يتحكم فيها وينفذ بها مطالبه وخططه كما يريد سافراً أو مستتراً... أول باب للإصلاح أن نجاهد هذين المظهرين. وأن يتحرر الناس من هذين النيرين وإلا فكل مجهود إلى ضياع »[١].

٥- الجهود السلمية مع المحتلين:

ويحدد الإمام الشهيد الموقف من الجهود السلمية مع المحتلين، كالمفاوضات، والتحكيم.. كوسيلة لإجلائهم، فهو لا يمانع في استخدامها واللجوء إليها بشرط أن يأتى بها الحق كاملاً فلا تسلبنا حقنا أو إرادتنا الحرة، أو تجعلنا نتنازل عن أى جزء منه. أو أن تكون وسيلة للتسويف وإطالة أمد الاحتلال.

يقول الإمام الشهيد: «ومع هذا رحب الإسلام بالوسائل السلمية والمفاوضات وإنهاء الخصومة متى أدت هذه الوسائل إلى الاعتراف بالحق الكامل لأصحابه: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٦١].

وما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن محرماً.

ومن السلم المفاوضة إذا أوصلت إلى الحق الكامل، وقد فاوض رسول الله ﷺ في الحديبية.

ومن السلم: التحاكم، إذا أدى إلى هذا الحق أيضاً - وإن كنا لا نعلم أن رسول الله ﷺ، أو أحداً من الخلفاء الراشدين المهديين رضى بتحكيم كافر - ولكنه مقتضى عموم الآية، ولازم الاتفاق على الخير، الذي لا يمنعه الإسلام بين المسلمين وغيرهم متى كان فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر عليهم » [٢].

(١) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥٨ .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٢٢٤ .

أما التحكيم المبنى على المصالح والأطماع الدولية، وعلى انتقاص حقوق الأمة الإسلامية – كما هو مشاهد في قرارات الأمم المتحدة، وغيرها من الهيئات الدولية – فليس له اعتبار ولا نقبله بحال، فقد رفض الإمام الشهيد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وواجه ذلك بالجهاد وبكل ما يملك.

يقول الإمام: «لقد فاوضنا فلم نصل إلى شيء لتعنت الإنجليز وتصلبهم ومناورتهم، واحتكمنا فلم نصل إلى شيء أمام تغليب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية».

ولا ينخدع الإمام بالدعاية الإعلامية حول هذه المفاوضات والمكاسب التي نأخذها من ورائها، فالشعارات والكلمات لا تلهيه عن حقائق الأمور:

فيقول مستطرداً: «..ولقد قال كاتب فاضل: إننا وصلنا إلى كسب أدبى عظيم بالدعاية الواسعة لقضيتنا؛بطرحها أمام أنظار العالم كله، وإخراجها من حيز التفاهم الثنائى الضيق إلى حيز التحاكم الدولى الواسع، وذلك صحيح، ولكن هذا الكسب الأدبى لن يغنى عن الحقيقة الواقعة شيئاً وهى أننا مازلنا مع الإنجليز حيث كنا لم نتقدم خطوة. بل إن هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤل والبلبلة» [1].

٦- لابد من إعلان المواجهة وإلغاء كل الاتفاقيات والارتباطات، وتهيئة الشعب في كل المجالات لهذه المواجهة:

يقول الإمام: « فإذا فشلت هذه الجهود السلمية، فإن رأى الإسلام صريح في « النبذ» الذي يتضمن إعلان الخصومة ثم الأخذ تواً بكل وسيلة من وسائل الجهاد » [2].

ويقول أيضا: « لم يبق إذن إلا «النبذ على سواء » بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة، ونقرر في صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات، ونعلن اعتبار أمة الوادى معهم في حالة حرب – ولو سلبية – وننظم حياتنا على هذا الاعتبار.

(١) المرجع السابق،ص٢٢٥ .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ،ص٢٢٥ .

- اقتصادياً: بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت.

- واجتماعياً: تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية.

- وعمليا: بتدريب الشعب كله تدريباً عسكرياً حتى يأتى أمر الله » [1].

« وتهييء نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة.. وتتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس » [2].

« وهذا العمل لا يتسنى للأفراد ولا للهيئات ابتداء، ولكن الحكومة هي المسؤولة عنه أولاً وآخراً..» [3].

لهذا توجه الإمام الشهيد بهذه الرؤية الإصلاحية للحكومات، ودعاها لأداء دروها بكل السبل والوسائل، والضغط عليها حتى تأخذ خطوات عملية في ذلك الميدان، وعلى الأقل تكفل الحماية والدعم للعمل العسكرى من الشعب ضد المحتل.

٧- سلاح المقاطعة:

ومن الوسائل الشعبية، التي يدعو إليها الإمام في مواجهة المحتل الغاصب ومن يسانده: سلاح المقاطعة.. مقاطعة اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وإعلامية... إلخ:

« وسيرون أن هذا السلاح السلبى سيفوت عليهم قصدهم ويعكس عليهم عدوانهم »[4].

« مقاطعة العادات والبضائع الغير إسلامية..»

« مقاطعة كل ما هو غير شرقى في العادات والتقاليد والبضائع والاعتزاز بالعصبية الشرقية الإسلامية » [5].

---

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق .

(٥) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب : الإمام الشهيد للأستاذ / فؤاد الهجرسى،ص١١٧) .

« فيمدنا العالم الإسلامي كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه » [1].

« وبهذه الطريقة من النبذ والجهاد، والوحدة والتجمع، نستطيع أن نتخلص وأن نحفظ التوازن العالمى بين الأمم الطامعة والدول المتنافسة على المغانم والحكام»[2].

٨- وهذه المواجهة الشاملة بما فيها المواجهة العسكرية تحتاج إلى إعداد وتضحيات لابد من تهيئة النفوس لها:

« فالشعب على أتم استعداد للبذل، ولكن في طريق واضحة مرسومة تؤدى إلى الحرية أو الشهادة » [3].

٩- مشاركة الجماعة بقوة في المواجهة العسكرية لهذا الاستعمار، بل هي الركيزة الأساسية لهذا الأمر:

وكان الإمام الشهيد صادقاً في خطته، ناجحاً في إعداده وتهيئته للجماعة وللشعب في هذا الميدان، حيث أدى في النهاية إلى جلاء المحتل الغاصب بعد استشهاده، وقد شاركت الجماعة بقوة في المواجهة العسكرية لهذا الاستعمار وقدمت التضحيات والشهداء في معارك القناة [4].

يقول الإمام: « ونحن حين نؤمن ونجاهد لا نعتمد في جهادنا على قوة السلاح وكثرة الجيوش والأساطيل فنحن نعلم أننا عزل من ذلك كله ونشعر أعمق الشعور بما يكبل أيدينا وأرجلنا من القيود والأغلال الثقال » [5].

---

(١) رسالة: نحو النور،ص٢٧٥ .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣١٤ .

(٣) المرجع السابق،ص٣١١ .

(٤) راجع : أ ـ المقاومة السرية في قناة السويس،للأستاذ كامل الشريف .

ب ـ كتاب : « الإمام الشهيد حامل لواء الدعوة في القرن العشرين » للأستاذ / فؤاد الهجرسى،الجزء الخاص بمواجهة الإخوان للإنجليز.

(٥) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥٨ .

«سنعمل على ضوء هذه المشاعر: سنعمل بالحق يدفعنا الإيمان ويحدونا الأمل»[1].

وهذه المواجهة تأتى مصاحبة لضوابط الدعوة، وبرؤية شاملة واسعة نراها في سياسة الإمام الشهيد:

أ – أنه لابد من الإعداد الحقيقي للأمة وإيقاظها، وكذلك إعداد الجماعة وتهيئتها للدخول في هذا الميدان ؛ لهذا كان العمل على تشكيل النظام الخاص لتدريبه وإعداده ليوم التحرير.

وبحيث تكون الجماعة في طليعة الأمة تقود النضال وتقدم الشهداء وتبذل وتضحى، والشعب من حولها يدعم ويؤيد ويساعد ويشارك.

ب – ويرفض الإمام أن تكون المواجهة عفوية دون إعداد وخطة واضحة شاملة، أو أن تكون مجرد مغامرات عسكرية، أو تكون مفصولة عن الأمة والمجتمع.

جـ - كذلك يرفض أن ينتهي دور الجماعة وعملها عند تحقيق الجلاء والتحرير، أو تنحصر الجماعة في هذا الهدف رغم أهميته..لكنه ليس الهدف الوحيد بل هو ضمن منظومة كاملة شاملة من الأهداف والخطوات. والجماعة تعمل على جميع الأهداف وألا يصادم بعضها بعضاً أو تنحصر في هدف جزئى.

لهذا رأينا أن بناء الجماعة وتأصيل وجودها واستمرارها والسعى في تحقيق أهدافها يسير متوازناً ومتوازياً مع هدف التحرير والاستقلال.

ورأينا الجماعة وقد أقدمت، بعد الإعداد وتحين الوقت المناسب وتهيئة الأجواء، وتحملت في ثبات أعباء الإقدام والمواجهة من تضحيات وشهداء، ومواجهة معوقات وتأليب الأعداء، وأظهرت بفضل الله قدرة على الاستمرار والمحافظة في نفس الوقت على الدعوة وتأمينها.وقد رد الأعداء على جهاد الإخوان في فلسطين والقناة، بتوجيه ضربات قاصمة لها، لكنها بحمد الله واجهتها وخرجت منها قوية صامدة تواصل دعوتها الشاملة.

(١) المرجع السابق،ص٢٧٠ .

د – لقد أخذ الإمام الشهيد يعد الإخوان والشعب، إعدادًا متكاملاً في كل الجوانب ومختلف الوسائل ليصل إلى يوم التحرير، ويواجه الاستعمار الإنجليزى ويطرده من البلاد، وكان يسمى هذا اليوم المرتقب بـ: « يوم الدم». وكان يرفض أن تسيل قطرة الدم المصرى في معارك فرعية لا جدوى من ورائها، انتظاراً لهذا اليوم، الذي شاءت أقدار الله ألا يشهده ويشهد بطولات الإخوان فيه، ثم انسحاب المحتلين من مصر ؛ إذ نال الشهادة بعد أن تآمروا على قتله ؛ لأنه أصبح عقبة في سبيل استيلائهم على فلسطين، وكمحاولة منهم لتصفية وضرب هذه الجماعة المجاهدة.

هـ – وهذا الإعداد لا يقتصر على مجرد توفر العدد المناسب الذي أعد إعداداً كاملاً، وإنما يتعداه إلى التلبية المستمرة للاحتياجات حسب تطور الأحداث وتكاليفها.. وأهم عنصر في هذه الاحتياجات هو « الفرد » الذي أعد وتربى ؛ حيث إن المعركة تستهلك الكوادر والعناصر الجيدة، والإحلال الذي يتم قد يكون غير مستكمل للإعداد التربوى والنفسى المماثل للعناصر الرائدة ؛ لسرعة الأحداث وضغطها، أو قلة الوقت المتاح مما يؤدى إلى قلة ركائز الصف التربوية وكثرة العناصر المتحمسة التي تم إحلالها دون إعداد حقيقى فأصبحت رموزاً للجهاد وقيادات جماهيرية، لكنها في حقيقة تكوينها أضعف تربوياً، وأقل في استيعاب جوانب الدعوة وأركانها، مما يجعلها بعد ذلك عرضة للفتنة والانحراف الفكرى، أو الخلل التنظيمى والتربوى.. وبذلك نصل إلى صف ضعفت ركائزه وبنيته الرئيسية نتيجة للمعركة وتضحياتها.

وقد نجح الإمام الشهيد، ومن جاء بعده في قيادة الدعوة، فى تجنب هذه الآثار بمضاعفة التربية والتكوين أثناء المواجهة والجهاد، والدخول فيه بتوازن ورؤية مستقبلية، وتحديد الأهداف المطلوب تحقيقها بدقة، والتضحيات اللازمة لها.

لقد رأينا تجارب التحرير في بلاد أخرى وكيف آلت أمورها، ولهذا تحرص الجماعة على استمرار العملية التربوية ومتابعتها دون توقف وباتزان مكافئ للأحداث وتطوراتها.

■ **مفهوم الوطن الإسلامي والموقف من قضية فلسطين:**

يوسع الإمام الشهيد مفهوم الوطن ليشمل الوطن الإسلامي كله. وهذا ما يقتضيه مفهوم الإسلام ووحدة الأمة الإسلامية، فيصبح من الواجب على أمة الإسلام متساندين تحقيق هذا التحرر في كل أوطان المسلمين وبلادهم.

يقول الإمام: «أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الإسلامي واحدٌ لا يتجزأ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله »[1].

« إن التفريط في أى شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر.. »[2].

ويؤكد الإمام أنه لا تنازل ولا تهاون مع مغتصب محتل مهما طال الزمن، ولابد من استرداد حقوقنا كاملة غير منقوصة:

يقول الإمام الشهيد: «.. ولنا حساب بعد ذلك مع إنجلترا في الأقاليم الإسلامية التي تحتلها بغير حق، والتي يفرض الإسلام على أهلها وعلينا معهم أن نعمل لإنقاذها وخلاصها ». وكذلك فرنسا وإيطاليا.. واليوم تلحق بهم روسيا وأمريكا والهند... إلخ.

يقول في ذلك: « وليس حسابنا مع إيطاليا بأقل من حسابنا مع فرنسا.. ».

« وسيأتى اليوم الذي يصفى فيه هذا الحساب ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] »[3].

«فكان طبيعياً أن يكون من أهدافكم، كدعوة إسلامية صحيحة كاملة، تحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي»[4].

وكمثال للدور الذي قام به الإمام الشهيد في تحرير الأوطان، كان دوره الرائد تجاه القضية الفلسطينية حيث إن لها أيضاً خصوصية بارزة في المعركة بين أهل الإسلام والغرب

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص٢٠٤.

(٢) رسالة : إلى الشباب،ص١٨٠ .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٥٠،١٥١ .

(٤) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥١ .

والمثال الواضح على اغتصاب بلاد المسلمين. نورد بإيجاز بعض كلماته وتوجيهاته ومن شاء التوسع فليرجع إلى المراجع الخاصة بذلك[1].

يقول الإمام: «إن الإخوان لا يرون سبيلاً لإنقاذ فلسطين إلا القوة»، فى رسالته التي أرسلها إلى عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية [2].

ووجه الإمام البنا نداءً ناشد فيه الحكومات العربية والإسلامية أن تنسحب فوراً من هيئة الأمم المتحدة، وأن تتهيأ الشعوب الإسلامية للدفاع عن فلسطين وذلك رداً على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين والاعتراف بدولة اسرائيل.

وفى المذكرة التي رفعها إلى اللجنة السياسية للجامعة العربية، طالب بأن: « تجلو الصهيونية عن البلاد، أو يوافق اليهود على أن يعيشوا مع العرب في ظل الدولة الفلسطينية الحرة، على أن يرد إلى وطنه الأصلى كل يهودى دخيل بعد الحرب العالمية الأولى »[3].

وفى مذكرته التي رفعها إلى السفير البريطانى: «إن الإخوان سيبذلون أرواحهم وأموالهم في سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلامياً وعربياً حتى يرث الله الأرض ومن عليها »[4].

وبهذا رغم قلة إمكانيات الجماعة والأخطار المحدقة بها، وأنها ما زالت في مرحلة التكوين إلا أن الإمام الشهيد سارع بالمشاركة في الجهاد ضد اليهود، وفى تعبئة الأمة الإسلامية.. رغم رؤيته المستقبلية للأحداث وتطوراتها وحجم القوى المعادية التي تقف وراء اليهود..وهكذا كان موقفه ﷺ من كل قضايا الأمة الإسلامية.

وفى نعيه لشهداء الجماعة في فلسطين، يذكر في مقالته (محنة الإسلام): «.. لهم الله هؤلاء الأبرار.. إنهم يبذلون دمهم في سبيل الله في معركة زمامها بأيدى قوم لا يبالون بالإسلام (يقصد الحكام وقتها مثل فاروق وأمثاله).. إنهم غرباء..غرباء..غرباء.

(١) منها : الإخوان وحرب فلسطين،للأستاذ / كامل الشريف،والإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية،للأستاذ / فؤاد الهجرسى،وغيرهما الكثير .

(٢) الإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية،للأستاذ / فؤاد الهجرسى،ص١٤.

(٣) المرجع السابق،ص١٥.

(٤) المرجع السابق،ص٤٠.

إن اسرائيل ستقوم ؛ لأن حركتها حركة عقيدة، إن الطريق طويل.. طويل رهيب، وهذا الدم العزيز المسفوح لا يُعوض. والمعركة الكبرى معركة الإسلام التي ربينا لها هذا الشباب لا تزال أمامه. أما إسرائيل: ستقوم وستظل قائمة إلى أن يُبطلها الإسلام كما أبطل غيرها.. ذلك طريقنا الذي لا يجوز أن تفتننا عنه وجوه المعارك والبطولات.. إننا أصحاب رسالة ترفض الأمل الكاذب في كل سياسة لا يحكمها الإسلام وفى كل جهاد لا تحكمه كلمة الله. وإن على شعوبنا أن تميز بين ذوى العقيدة المجاهدين وبين عبث المتحللين من ساسة وعسكريين، وأننا إنما نحتسب هذا الدم العزيز المسفوح إعذاراً إلى الله.. وتذكيراً لهذه الأمة إن كانت تنفع الذكرى »[1].

■ **الإدراك العميق لطبيعة الأعداء:**

تميز الإمام الشهيد بهذا الإدراك العميق للأعداء، وعدم الانخداع والغفلة في التعامل معهم. لهذا لم يجدوا حلاً أمامهم إلا إزاحته بالاغتيال والقتل، فقدر الله عز وجل أن ينال بذلك الشهادة.

يقول الإمام الشهيد عام ١٩٣١م، (في مقالة: واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به)[2]:

« أيها المسلمون..عبثاً تحاولون أن يكون الخصم هو الحكم، وأن تجدوا النصفة من أعدائكم.. عبثاً تنتظرون الرحمة من قلوب هؤلاء، فقد جمدت حتى صارت كالحجارة أو أشدّ قسوة وأظلمت حتى أصبحت أحلك من سواد الليل، وانطمست حتى لا ترى بصيصاً من نور الحق..عبثاً تريدون أن تسمعوا كلمة عطف من فريق منهم، فقد اجتمع الجميع عليكم، واتفقت كلمتهم في وسائل إرهابكم، وإنهم وإن تفرقوا في مطامعهم

(١) الإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية،للأستاذ/ فؤاد الهجرسى،ص١٥.

وراجع أيضا كتاب : (الفقه السياسي عند الإمام الشهيد حسن البنا)،د.محمد عبد القادر أبو فارس،ص١١٢،١١٣،دار البشير،طنطا

(٢) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب: الإمام الشهيد للأستاذ/ فؤاد الهجرسى،ص١١٧).

واختلفوا في منازعهم، فهناك سبيل واحد اتفقوا عليه وأقسموا لينفذنه، هو القضاء على الإسلام والمسلمين، وهى إحن صليبية وسياسة رجعية، تدفعهم إلى أعمال هي إلى الوحشية والجنون أقرب.

لا تخدعوا أنفسكم أيها المسلمون، وحسبكم غفلة وحسن ظن بالأيام، فقد وصف الله لكم القوم في كتابه فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال لنبيه ﷺ ما هو أصرح من ذلك، وهم لا يرضيهم منكم إلا الردة وإلا الاستعباد، وبعد كل هذا لهم معكم حقد قديم ينتقمون منكم به: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحشر:١٦].

هذه حقيقة ما هو واقع، وقد صرحوا به بالقول مرات وأكدوه بالفعل، وتواترت عليكم به الأنباء ».

« فذكروا أنفسكم أيها الإخوان دائماً بأن ملاحدة المسلمين في مقدمة خصومكم، وأن على رؤوسهم قسطاً كبيراً من تبعة ما يقع الآن في مختلف بلاد الإسلام، ومن دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا، ومن الواجب أن نحول دون تفشى أفكارهم الموبوءة بيننا، وأن نضرب على يد من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا، ومن يخدر أعصابنا بنظريات مزيفة، وألفاظ خلابة ليس تحتها إلا فساد القومية الشرقية وضياع الوحدة الإسلامية، فلا فرق بين هؤلاء وبين الأوربيين، ومن تولى قوماً فهو منهم - كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] »[1].

ويقول الإمام الشهيد: « إذا كان الكثير من ساسة الأمم العربية والإسلامية وقادتها من تلامذة المدرسة الاستعمارية، قد أضاع علينا كل ما أتاحته الحرب الماضية من فرص ومناسبات، لما طبعتهم عليه عوالم البيئة الاستعمارية التي عاشوا في ظلها من: فقر

(١) أعيد نشر المقال في مجلة الدعوة العدد (٨٢) شوال ١٤١٩هـ يناير/ فبراير ١٩٩٩م .

في المواهب، وخوف من الغاصب، وفقدان للثقة في النفس، وبالله، وبقوة الشعب، وحرص على الاستفادة والتزود من الجاه والمال والمنصب، وحقد وحسد، واختلاف، وتردد، وإحجام عن أداء الواجب، وفرار من الجهاد، إلى إعطاء الدنية، وإيثار أساليب الدعة والاستسلام، فإن عليكم أنتم - وقد استروحتم نسمات العزة من الإيمان بالله، واستمددتم أرفع معانى القوة من تأييده ونصره- أن تتداركوا ما فات، وأن تصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات والله معكم وهو لأعدائكم بالمرصاد، ومهزوم من يُحارب الله ويغالب القدر، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٢١] »[1].

فكان الإمام على وعى كامل بطبيعة الدول الغربية وحيلها وأطماعها، وقد أرسل إلى رئيس الحكومة المصرية على ماهر عام ١٩٣٩م - بعد إعلان الحرب العالمية - ينبهه إلى ذلك، ويحذره من الانسياق وراءهم: «.. وإن الدول الأوربية - يا رفعة الرئيس - مهما كان لونها لا عهد لها ولا ذمة، ومهما تظاهرت بالحياد والمودة فإنها تخفى غير ما تظهر، ولا تتردد في تكذيب نفسها إذا وجدت مصلحتها في هذا التكذيب، فمن واجبنا ألا ننخدع بحياد محايد، بل لابد من الاستعداد التام بكل معانيه، وبكل سرعة وهمة، وحتى نواجه الخطر ونحن على تمام الأهبة، فلنقف موقف الحياد، وسنعمل جاهدين للاستعداد» [2].

كما أن الإمام الشهيد كان يدرك بعمق أبعاد المشروع الغربي الصهيونى، الذي يستهدف الأمة الإسلامية، واعتبر مواجهته ودحره من أهداف الجماعة، فيقول مشيرا إلى ذلك: « ولقد كان من حسن حظنا أن نشهد ذلك العصر الذي تقف فيه اليهودية العالمية متحدية الأمم العربية والإسلامية.. معتدية على مقدساتنا بالحديد والنار، وإننا لنقبل هذا التحدى، معتقدين أن الله تبارك وتعالى قد ادخر لنا فضل مقاومة هذا العدوان والقضاء عليه »[3].

(١) أعيد نشر المقال في مجلة الدعوة العدد (٨٢) شوال ١٤١٩هـ يناير/ فبراير ١٩٩٩م .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٩٨ .

(٣) أعيد نشر المقال في مجلة الدعوة العدد (٨٢) شوال ١٤١٩هـ يناير/ فبراير ١٩٩٩م .

الباب التاسع

حول هدف

(الحكومة المسلمة)

حول هدف
(الحكومة المسلمة)

■ **مقدمة:**

يقرر الإمام الشهيد أن قيام الحكومة المسلمة جزء أساسي من المنهج الإسلامي، ويوضح أن تنظيم الحياة وإقامة الحكم الإسلامي من أسس الإيمان والاعتقاد بشريعة الإسلام. ويرفض فضيلته فصل الدين عن السياسة – كما سبق أن أشرنا.

ويقول الإمام: « لقد جاء الإسلام: نظاماً وإماما.. ديناً ودولة.. تشريعا وتنفيذاً »[1].

« فالإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم على هدى الإسلام الحنيف كما فهموه.وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديماً قال الخليفة الثالث ﷺ: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). وقد جعل النبي ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع »[2].

« يفترض الإسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذي جاء به للناس، فمن ظن أن الدين – أو بعبارة أدق – الإسلام لا يعرض للسياسة أو أن السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه وظلم علمه بهذا الإسلام»[3].

---

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٦ .

(٢) رسالة: المؤتمر الخامس،ص١٣٦،يقصد بذلك الإمام الشهيد أن الاحتكام إلى كتاب الله وإقامة الحكم الإسلامي كمبدأ وأصل،يعتبر من الأصول والثوابت في الإسلام،أما تفاصيل هذا النظام وما يتعلق به من أحكام فمذكور في كتب الفقه والفرعيات ـ راجع رسالة العقيدة الطحاوية.

(٣) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣١٧.

ولهذا جعلها الإمام من الأهداف الأساسية التي تعمل لها الجماعة، ويعمل لها كل المسلمين فيقول في مراتب العمل وأهداف الجماعة: « ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد »[1].

« وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره. وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام »[2].

ويشير فضيلته إلى هدفين أساسيين تحت هذا الأمر فيقول: « اذكروا دائما أن لكم هدفين أساسيين:

١- أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي، وذلك حق طبيعى لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر، أو مستبد قاهر.

٢- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق نظامه الاجتماعى، وتعلن مبادئه القويمة، وتبلغ دعوته الحكيمة للناس ».

«.. وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم في إقامتها، وقعودهم عن إيجادها.

نريد تحقيق هذين الهدفين في وادى النيل، وفى بلاد العروبة، وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية، وعقيدة توحد بين جميع المسلمين »[3].

« لابد أن تطالبوا بحق الإسلام في إقامة الحكومة التي ترتكز على أصوله وأحكامه، وتعاليمه وشرط ذلك الحرية والاستقلال الكامل »[4].

« وإذا كانت هذه الأهداف جميعاً لا تتحقق إلا في ظل الدولة الصالحة، فكان لابد أن تطالبوا بحق الإسلام في إقامة الحكومة التي ترتكز على أصوله وأحكامه وتعاليمه »[5].

---

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧.

(٢) المرجع السابق،ص١٧٨.

(٣) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٧.

(٤) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥١ .

(٥) رسالة : نحو النور.

« والإخوان المسلمون يعملون ليتأيّد النظام بالحكام، ولتحيا من جديد دولة الإسلام، ولتُشمل بالنفاذ هذه الأحكام، ولتقوم في الناس حكومة مسلمة تؤيدها أمة مسلمة، تنظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله بها نبيه ﷺ في كتابه حيث قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨] »[1].

■ **والإخوان ليسوا طلاب حكم أو يستهدفون السلطة لذاتها:**

يقول الإمام: «فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لهذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني، فهم جنوده وأنصاره وأعوانه »[2].

«.. وليس لذاتهم وإنما للمبدأ والغاية.. »[3].

وهم دعاة مبدأ وعقيدة، يدعون بإخلاص كل حكومة أن تعود إلى منهج الإسلام، ويرسمون لها الطريق لذلك والخطوات المطلوبة منها.

يقول الإمام الشهيد في هذا الشأن: «.. وعلى هذا فنحن نطلب من أية حكومة مصرية أولا، وعربية أو إسلامية بعد ذلك، أن تعود في نظام حياتها الإسلامية والمدنية إلى الإسلام، ويكون من المظاهر العملية لذلك:

١- أن تعلن أنها حكومة إسلامية تمثل فكرة الإسلام دوليا تمثيلا رسميا.

٢- أن تحترم فرائضه وشعائره، وأن تلزم بأدائها كل موظفيها وعمالها، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة لغيرهم.

٣- أن تحرم الموبقات التي حرمها الإسلام من: الخمر وما يلحق بها، ومن الزنا وما يمهد له، والربا وما يتصل به من أنواع القمار والكسب الحرام، وأن تكون الحكومات

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٦.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس .

(٣) المرجع السابق،ص١٣٧.

قدوة في ذلك، فلا تبيح شيئا من هذا ولا تعمل على حمايته بسلطة القانون، ولا تتعامل مع شعبها على أساسه.

٤- أن تجدد مناهج التعليم، بحيث تقوم على التربية الإسلامية والوطنية، وتعنى باللغة العربية والتاريخ القومى عناية فائقة، وتؤدى إلى طبع نفوس المتعلمين بتعاليم الإسلام، وتثقيف عقولهم في أحكامه وحكمه.

٥- أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأول للقانون.

٦- أن تصدر الحكومات عن هذا التوجيه الإسلامي في كل التصرفات.

* ذلك هو حق الإسلام علينا، وقد بلغنا، اللهم اشهد.. »[1].

■ **تقاعس الحكومات:**

لكن الواقع وتقاعس الحكومات عن تطبيق شرع الله التطبيق الصحيح، يجعل التبعة مضاعفة على الجماعة، وأن تسعى لتحقيق هذا الهدف الأصيل، ويشير الإمام إلى أن التخلى أو التقاعس عن تحقيق هذا الهدف جريمة في حق المسلمين: « أما والحال كما نرى: التشريع الإسلامي في واد والتشريع الفعلي والتنفيذى في وادٍ آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف »[2].

« هذا الكلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف »[3].

«.. وإن لم يجدوا (أى من تطبيق الإسلام)، فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله ».

« إن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها - لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية - من ينهض بهذا العبء

(١) رسالة : مؤتمر رؤساء المناطق،ص٢٦٧،٢٦٨.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧.

أو من يبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية وليعمل الإخوان المسلمون »[1].

«.. وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل ففصلنا الدين عن السياسة عملياً، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظرياً، فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ».

«.. ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا الذوق الإسلامي في الرؤوس، والنظرة الإسلامية في النفوس، والجمال الإسلامي في الأوضاع باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائماً بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة.وهذا أول الوهن وأصل الفساد »[2].

«والمصلح الإسلامي إن رضى لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً، يقرر الأحكام، ويرتل التعاليم، ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يُشرّعون للأمة ما لم يأذن به الله، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد، ونفخة في رماد، كما يقولون »[3].

ويشير في صراحة ووضوح إلى حقيقة الواقع، فيقول: « كونوا صرحاء في الجواب.. كل النظم التي تسيرون عليها في شؤونكم الحيوية، نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالإسلام ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه »[4].

ويشير أيضاً إلى خيانة هذه الحكومات لعهدها وأماناتها بالبعد عن منهج الإسلام: « فلا مناص للحكومة المصرية والهيئات المصرية والأحزاب المصرية من أن تفى بعهدها الشرعى لله ولرسوله يوم نطقت بالشهادتين فالتزمت الإسلام. وعهدها المدنى الوطنى لهذا الشعب يوم أصدرت الدستور ونصت فيه على أن الدين الرسمى هو الإسلام.. ».

---

(١) المرجع السابق .

(٢) رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، ص٣١٧،(رسالة نظام الحكم).

(٣) رسالة: المؤتمر الخامس.

(٤) رسالة: الإخوان تحت راية القرآن، ص١٨٨ .

« وبغير ذلك تكون قد غدرت بعهدها وخانت أمانة الله والناس عندها. وعليها أن تصارح الشعب ليحدد موقفه منها وموقفها منه، ولا محل اليوم للمداورة والخداع ».

« هذا الوفاء يستلزم حالاً تغيير الاتجاهات والأوضاع كلها، والمجاهرة بأن وادى النيل هو حامل رسالة الإسلام ومنفذها ومبلغها في غير مواربة ولا وهن ولا يغنى عن العمل الكلام »[1].

■ **وعن طبيعة الحكام تجاه الإسلام يقول:**

«ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمى فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية..

ولكن أنى لحكامنا هذا وهم جميعاً قد تربوا في أحضان الأجانب، ودانوا بفكرتهم على آثارهم يهرعون وفى مرضاتهم يتنافسون »[2].

« فإن قوماً فقدوا الإسلام في أنفسهم وبيوتهم وشؤونهم الخاصة والعامة، لأعجز من أن يفرضوه على غيرهم، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه، وفاقد الشيء لا يعطيه »[3].

« أما المسؤول عن ذلك فالحاكم والمحكوم على السواء..

الحاكم الذي لانت قناته للغازين، وسلس قياده للغاصبين، وعنى بنفسه أكثر مما عنى بقومه، حتى فشت في الإدارة المصرية أدواء عطلت فائدتها وجرّت على الناس بلاءها..

والمحكوم الذي رضى بالذلة وغفل عن الواجب وخُدع بالباطل وانقاد وراء الأهواء، وفقد قوة الإيمان وقوة الجماعة فأصبح نهب الناهبين وطعمة الطامعين.

أما كيف نتخلص من ذلك: فبالجهاد والكفاح، ولا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة، فنتخلص من ذلك كله بتحطيم هذا الوضع الفاسد، وأن نستبدل به نظاما اجتماعيا

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٠٣ .

(٢) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١٩٦،١٩٧ .

(٣) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١٩٧.

خيرا منه، تقوم عليه وتحرسه حكومة حازمة تهب نفسها لوطنها، وتعمل جاهدة لإنقاذ شعبها، ويؤيدها شعب متحد الكلمة متوقد العزيمة قوى الإيمان.. فإن الإسلام الحنيف بين أيدينا مصباح وهاج نهتدى بنوره ونسير على هداه »[1].

وعن هذه القوانين المخالفة لشريعة الإسلام يقول الإمام الشهيد:

« من غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة الإسلام متناقضاً مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها ».

« على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه، تصطدم بالدستور الوضعى نفسه الذي يقرر أن دين الدولة هو الإسلام »[2].

« وأما الإخوان المسلمون فهم لا يوافقون على هذا القانون أبداً ولا يرضونه بحال، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريع الإسلامي العادل الفاضل في نواحى القانون..»[3].

■ **شمولية إصلاح الحكومة وضرورة التمهيد له:**

إن تحقيق هذا الهدف « إقامة الحكومة المسلمة »، لا يأتى في ترتيب الأهداف إلا بعد تحقيق الركائز التي يقوم عليها ذلك الحكم، وإلا بعد إصلاح المجتمع وتهيئته لقبول ذلك الحكم وإيقاظ الأمة للمطالبة به، وإلا بعد الاستقلال والتحرر من كل سلطان أجنبي.

يقول الإمام: «ولكن نريد قبل ذلك أن تسود الفكرة الإسلامية؛حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع، وتصبغها بصبغة الإسلام، وبدون ذلك لن نصل إلى شيء »[4].

« وشرط ذلك الحرية والاستقلال »[5].

---

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١١،٢١٢ .

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٠ .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٠ .

(٤) رسالة: دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٧.

(٥) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥١.

«أول محاور الإصلاح السياسى: مواجهة التدخل والتحكم الأجنبي، والضعف المتناهى من الحكومات التي جعلت من نفسها أداة طيعة في يد الأجنبي، يتحكم بها في رقاب الناس كما يشاء وينفذ بها مطالبه وخططه كما يريد سافراً أو متستراً.

أو لست ترى أن أول باب للإصلاح أن نجاهد هذين المظهرين، وأن يتحرر الناس من هذين النيرين وإلا فكل مجهود إلى ضياع »[1].

« أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم، فهو إصلاح شامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً وتتجه نحوه الأمة جميعاً، ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل »[2].

ويقول أيضاً: « الإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة »[3].

ولهذا فهم لا يتعجلون الوصول للحكم إلا بتوفر أسبابه وأركانه الشرعية، واستكمال المراحل والخطوات.

■ **الموقف من الحكومات القائمة:**

وموقف الإخوان من هذه الحكومات التي لا تطبق شرع الله وتخالف منهج الإسلام: لا يوافقون عليها ولا يعترفون بمنهجها وسياستها المخالفة للإسلام وشريعة القرآن، ويرفضون كل قانون يتعارض مع الإسلام.

ويواجهون ذلك بالنضال الدستورى وتوعية الرأى العام ليطالب بالإصلاح وبشريعة الإسلام كاملة.

يقول الإمام: « ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه »[4].

(١) المرجع السابق،ص٢٥٨.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص٢٠٥.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٧.

(٤) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧ .

« أما الإخوان المسلمون..فهم لا يوافقون على هذا القانون أبداً، ولا يرضونه بحال»[1].

ومن هذه الوسائل لإصلاح القانون: التقدم بمذكرات لوزير العدل وأولى الأمر ومطالبة الجماهير حكوماتها بتطبيق شرع الله [2].

ويقول الإمام الشهيد أيضاً:

« فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله»[3].

وذلك بنشر الدعوة، وإيقاظ الأمة، والنضال الدستورى، والكفاح السياسي، وتكوين الصف المؤمن القوى، وتربية المجتمع ؛ حتى تنحاز إليهم سلطة التنفيذ أو تخلص لهم.

ويحدد الإمام طبيعة المواجهة والمفاصلة لكل من يحيد عن منهج الإسلام ويتبنى تشريعاً غيره... يقرر ويوضح ذلك في وضوح تام ومفاصلة كاملة، لا التقاء معها في منتصف الطريق ولا مهادنة أو تملق أو مساومة أو سكوت عما يخالف شرع الله.. كل ذلك يكون في إطار الضوابط الإسلامية والمفاصلة الفكرية والمواجهة السياسية، والنصيحة والإعذار لله. وقد سمى الإمام الشهيد ذلك ب: مرحلة الكفاح السياسي.

يقول الإمام الشهيد في افتتاحية العدد الأول من مجلة «النذير» عام ١٩٣٨م: «ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الإسلام منهاجاً يسيرون عليه ويعملون له»[4].

ويقول أيضاً في نفس المقالة:

« فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق،ص١٣٧.

(٤) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٦٤.

ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين»[1].

- والإخوان مع هذا الموقف من المواجهة والمفاصلة، يتخذون موقف الناصح المشفق لهذه الحكومات وتلك الهيئات:

« فأما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها فهو موقف الناصح الشفيق الذي يتمنى لها السداد والتوفيق.

وأن يصلح الله بها هذا الفساد - وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا في وادٍ وهى في وادٍ »[2].

ولهذا تتقدم الجماعة بالنصيحة الخالصة، وببرامج ومناهج الإصلاح في شتى المجالات، وبالتعاون مع كل القوى على ما يصلح الأمة، ويحقق تقدمها واستقلالها.

وفى رسالة الإمام الشهيد إلى على ماهر باشا - رئيس الحكومة وقتها عام ١٩٣٩م - يبين له رؤية الإخوان في الإصلاح، فيقول:

« ويعتقد الإخوان المسلمون أن الطريق الوحيد للإصلاح هو أن تعود مصر - إلى تعاليم الإسلام، فتطبقها تطبيقا سليما، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية، ما لا يتنافى مع هذه التعاليم، ويكون فيه الخير للأمة، فالروح التي يجب أن تسود فكرة الإصلاح عندنا، فكرة الاعتماد على قواعد الإسلام وأصوله وروحه.. أما الرجال الذين يقومون بهذا الإصلاح ويوكل إليهم أمره فيجب أن يكونوا ممن عُرفوا باحترامهم لهذه الفكرة.

إن اختيار الرجال الذين يُعهد إليهم بوضع برامج الإصلاح والقيام على إنفاذها أهم بكثير من هذه البرامج نفسها، فإن القانون في الحقيقة هو القاضى الذي يطبقه ويقوم على تنفيذه واستخدامه » [3].

(١) المرجع السابق،ص١٦٣،١٦٤.

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٤.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٩٩ .

فتقدير الإخوان لهذه الدعوات للإصلاح الجزئى - كما أوضح الإمام الشهيد - يتوقف على الروح التي تقف خلف هذه الدعوة، ومدى الإخلاص فيها، وكذلك على الرجال الذين سينفذون أو يقوم عليهم ذلك الإصلاح ومدى انضباطهم وإيمانهم به، وأيضا على القدرة على تحويل الكلام والشعارات إلى إجراءات فعلية وواقع عملى ومدى معارضة ذلك أو قربه من الفكرة الإسلامية العامة، ثم يأتى الموضوع والمحتوى بعد كل هذا.

ومع إدراك الإخوان بأن الحكومة لا تستجيب، إلا أنهم يواصلون النصح ويواصلون طريقهم الذي حددوه ورسموا معالمه وخطواته لإقامة المجتمع المسلم والحكومات المسلمة.

يقول الإمام: « لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيراً من مناهج الإصلاح، وتقدمنا لكثير منها بمذكرات ضافية في كثير من الشؤون التي تمسّ صميم الحياة المصرية... إلخ..

فماذا أفاد كل ذلك ؟ لا شيء..

وماذا أنجزت من الأعمال ؟ لا شيء ..

وستظل لا شيء هي الجواب لكل المقترحات..

ومع هذا فسنظل في موقف الناصحين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين »[1].

« وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بالأمة إسلامية نحو الرقى والتقدم، نجيب النداء.. ونكون الفداء»[2].

وإن شئت راجع رسائل: نحو النور، ومشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، لترى نماذج من هذه البرامج الإصلاحية.

ومع المناداة بإصلاح القوانين، ونرى أن بها خللا ومجافاة في أغلبها أو بعضها عن روح

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٤ .

(٢) رسالة : نحو النور،ص٢٩٤ .

الإسلام وشرائعه، فلا يعنى هذا الانقلاب على القوانين والخروج عليها، إلا إذا كان بالقانون معصية بينة ومخالفة واضحة لشرع الله ؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكذلك أكد الدستور على أن الإسلام هو دين الدولة والمصدر الرئيسى للتشريع.

فنحن نقبل التعامل بالقوانين والنظم السارية في المجتمع ونلتزم بها، لكن لا يعنى هذا التسليم والرضا بها مع الخلل الذي فيها، وإنما نسعى للإصلاح والتغيير بوسائل النضال الدستورى والكفاح السياسي، وبتربية الشعب وتوعية الرأى العام.

فجماعة الإخوان – من منطلق دعوتها – تتعامل مع الواقع، مع سعيها لتغييره وتطويره إلى الأفضل.

فتتعامل مع الحكومات القائمة، توجه لها النصيحة، وتقدم لها برامج الإصلاح، وتمد لها يد التعاون فيما فيه صالح الوطن وعند كل خطر يهدده، وتوضح لها دعوة الإسلام، وتجتهد في إزالة أى لبس أو شك لديها حول الدعوة.

وتنادى بالحوار وسيلة للتفاهم والتعاون، وفى نفس الوقت تعمل لتحقيق أهدافها وتحمل دعوتها وتنشرها بمختلف الوسائل، وتربى الشعب والمجتمع، وتربى أفرادها وصفّها على منهج القرآن، وتسعى إلى تغيير هذا الواقع والتمهيد لإقامة دولة الإسلام الحقة.

وهذا التعاون أو التأييد لبعض المواقف لا يعنى القبول والرضا بأى منهج أو نظام يخالف منهج الإسلام ولا يقوم على أساسه.

ويقول الإمام الشهيد موضحا جوانب من العلاقات مع تلك الحكومات: «يخطئ خطأ كبيرا من يتهمكم بخصومة حكومة من الحكومات الإسلامية أو هيئة من الهيئات العامة؛فإن موقف هذه الحكومات لا يعدو أحد أمرين: إما عاملة بالإسلام وللإسلام في حدود ظروفها وطاقتها، فنحن أول أعوانها وأخلص أنصارها وخير من يشد أزرها ويعينها على الإسلام. وإما متبرمة بالإسلام متآلبة عليه، فهل يسع أى مسلم ولو كان هذا المتهم نفسه إلا أن يكون عليها لا لها ؟

ويمتاز الإخوان المسلمون في هذا عن الناس بأنهم يؤثرون النصيحة على التشهير والفضيحة، والسلم والحب على التصادم والحرب، وبيان الوضع والقول اللين على الغلظة والجفاء. ذلك تعليم الله لرسله ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:٤٤] » [١].

يوضح الإمام الشهيد أن منهج الجماعة مع الحكام هو منهج الدعوة والنصيحة، فيقول: « ونحن نرى مع هذا أن توجيه الدعوة للحاكمين ومخاطبتهم بها وتعريفهم إياها من أنفع الأشياء، ولتحقيق أغراضها والوصول من أقرب الطرق إلى أهدافها؛ فإن الله يصلح بالواحد منهم أمة - لو أصلحه الله - وأنتم تعلمون قول رسول الله ﷺ: « الدين النصيحة »، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»، وقول الحسن البصرى: (لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان؛ فإن الله يصلح بصلاحه خلقا كثيرا).

ولقد علم الناس جميعا - بما فيهم الحكام أنفسهم - أننا كم وجهنا ونوجه على الدوام إليهم كلمة الحق قوية مدوية، لا يثنينا عن ذلك ما قاسيناه من اضطهاد وعنت، ولا نخشى إلا الله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ونحن نرى كذلك أنه ليست في كل الظروف تكون مخاصمة الحاكم وإخراجه من الإسلام ؛ فقد يقف الحاكم أمام خصم قوى للإسلام، يدفعه ويحول دون غايته، فيكون من الحمق لا من الدين أن يجرّح المسلمون من يحول دون وصول عدوهم إلى غايته منهم..

وعلى كل حال لأن يكون الحاكمون أعوانا للإخوان المسلمين على تربية الشعب وتوجيهه توجيها إسلاميا مثمرا، خير من أن يكونوا خصوما لهؤلاء الداعين، يحولون بينهم وبين ما يريدون، **وموقفنا من الحكام جميعا ومن الأحزاب جميعا موقف الدعاة لا الأشياع، ومحال أن ننضوى تحت لواء حزب كائنا من كان، أو نمالئ حاكما كائنا من كان** » [٢].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٦ .

(٢) حسن البنا .. مواقف في الدعوة والتربية،عباس السيسى،ص١٤٥،١٤٦ [في ردّ الإمام على الاتهام الزائف بمسألة الحكام] .

ويقول الإمام: « ولقد وضع القائمون بها (أى على دعوة الإخوان) نصب أعينهم من أولى الأمر حقيقتين ثابتتين التزموهما فاستفادوا من تطبيقهما كل الاستفادة.

الأولى: عدم النظر أو التفكير أو الاعتماد على الإعانات الحكومية.

والثانية: اليأس التام مما في أيدى الأغنياء ومحترفى السياسة وتلامذة المستعمرين وسماسرة الشركات الأجنبية ؛ إذ كان في حساب الدعوة من أول يوم أن هؤلاء جميعا سيكونون من أول المناوئين لها ؛ إذ هي في طريق وهم في طريق آخر » [1].

ويذكر الإمام الشهيد في مذكراته – كمثال – الموقف من حكومة على ماهر بمقالة الأستاذ صالح عشماوى في مجلة النذير العدد (٢٧)، والتي عبرت عن موقف الإخوان، وضمت تلك الضوابط: «.. وقد يتبادر إلى ذهن القارئ هذا السؤال: ما موقف الإخوان من الحكومة الجديدة (وزارة على ماهر)؟وقبل أن نجيب على هذا السؤال نود أن نمهد بالحقيقة الثابتة، وهى أن الإخوان المسلمين ليسوا حزبا من الأحزاب يؤيد أو يعارض تبعا لمصلحة حزبية أو جريا وراء منفعة شخصية، ولكن الإخوان المسلمين دعوة إسلامية محمدية اتخذت من الله غايتها ومن الرسول ﷺ قدوتها ومن القرآن دستورها، ولها برنامج واضح الحدود، ظاهر المعالم، يرمى إلى تجديد الإسلام، وصبغ الحياة المصرية بالصبغة الإسلامية، وهيمنة تعاليم القرآن على جميع مظاهر الحياة: من تشريع واجتماع وسياسة واقتصاد، كما يرمى إلى تحرير كل شبر في الأرض فيه نفس يردد: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ)، وأخيرا بنشر الإسلام، ورفع راية القرآن في كل مكان حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» [2].

« فموقفنا إذا من وزارة على باشا ماهر هو موقفنا من أى وزارة، موقف قديم لا يتغير بتغير الوزارات ولا يتبدل بتبدل الوزراء، فمن أيد الفكرة الإسلامية وعمل لها واستقام في نفسه وفى بيته وتمسك بتعاليم القرآن في حياته الخاصة والعامة كنا له مؤيدين مشجعين،

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٧٢ .

(٢) المرجع السابق،ص٢٩٢ .

ومن عارض الدعوة الإسلامية ولم يعمل لها بل وقف في سبيلها أو حاول التنكيل بها كنا لـه أعداء وخصوما، ونحن في كلتا الحالتين إنـما نؤيـد ونعـارض ونحـب ونكـره لله وفى الله.. والمفروض في المسلم أن يحسن النية بأخيه، وليس ما يمنعنا أن نحسن النية بعلى باشـا مـاهر ووزرائه ولكن علمتنا التجارب ألا نثق بوعود ولا نصدق في أقوال ونسرف في آمال.. ولن نحدد موقفنا ولن نصدر حكمنا إلا على أعمال لا أقوال »[1].

ويقول الإمام أيضا: « يجب أن يكون من موقفنا أمام الهيئـات جميعـا: نريـد لهـا الخـير، ونلـتمس لهـا العـذر، ولا نطلـب، ولا نـرد ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] »[2].

■ **أسس قيام الدولة:**

ويشير الإمام الشهيد إلى الأصل الذي تؤسـس عليـه الدولـة والحكومـة في الإسـلام، فيقـول: «.. وجميـل قـول الإمـام الغـزالى ﷺ: اعلـم أن الشـريعة أصـل والملـك حـارس، وما لا أصل له فهو مهدوم، وما لا حارس له فضائع، فلا تقوم الدولة الإسـلامية إلا عـلى أساس الدعوة؛حتى تكون دولة رسالة لا تشـكيل إدارة، ولا حكومـة مـادة جامـدة صـماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها »[3].

ويقول أيضا: « و(النظام الإسلامي) في هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التي لا يكون الحكم صالحا بدونها، ومتى طبقت تطبيقا يحفـظ هـذا التوازن بينها، ولا يجعل بعضها يطغى على بعض، ولا يمكـن أن يُحفـظ هـذا التـوازن بغـير الوجدان الحى، والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم، وإن في المحافظـة عليهـا وصـيانتها الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة، وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث بـ: (الـوعى القومى) أو (النضج السياسي) أو (التربية الوطنية) أو نحو هذه الألفاظ، ومردها جميعـا إلى

(١) المرجع السابق،ص٢٩٢،٢٩٣،باختصار .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٤ .

(٣) رسالة : نظام الحكم .

حقيقة واحدة هي: اعتقاد صلاحية النظام، والشعور بفائدة المحافظة عليه ؛ إذ إن النصوص وحدها لا تنهض بأمة، كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه » [1].

■ **من آدب الإخوان في المواجهة السياسية:**

تحرص جماعة الإخوان، وهى تواصل النصح والمعارضة لكل ما فيه خلل وخروج عن الإسلام، على أن يتم ذلك في ضوء أدب الإسلام ومنهجه في مخاطبة الرؤساء والحكومات..فبعد أن قدم الإمام نموذجاً لهذا الأدب في الخطاب يقول:

« بمثل هذا الأسلوب نخاطب الناس ممن نريد أن نعذر إلى الله بإبلاغهم الدعوة وتوجيههم إلى ما نعتقد أن فيه الخير والصواب لهم وللناس » [2].

والجماعة لا تبنى مواقفها الإصلاحية أو حركتها السياسية داخل المجتمع على أساس مجرد المعارضة والمناوأة للسلطة التنفيذية، وإنما أسلوبها حكيم منضبط بآداب الإسلام – لا يتهم النوايا، ويقدم النصيحة ولا يحرص على إحداث الفرقة وإشعال الضجيج والمعارك فالخاسر في هذا هو الشعب والوطن.

وهى تراعى مصلحة الوطن في تقديرها واعتبارها للمواقف لأن ذلك جزء من مصلحة الإسلام وتقدم ذلك على مصلحتها أو مكسبها الذاتى.

وتتميز الجماعة بالحرص على وحدة الوطن وسلامه الداخلى وسد كل منافذ الفتنة والحرص على هدوء واستقرار الوضع السياسي وشيوع جو الحرية فيه ؛ لأن الاضطرابات والفتن تؤثر سلبياً على المجتمع وتضعف وحدته، وتؤثر على انتشار الدعوة وتقدمها ببرامج الإصلاح وأعمال البر.

وتعتبر قضية الاستقلال والحرية للوطن بشمولها من أهدافها الأساسية التي تعمل لها وتطالب بها.

---

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣١٩ .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٧،وراجع أيضاً خطابه للنحاس باشا وللملك فؤاد .

والإخوان يعملون متجردين مستقلين عن أى قوة أخرى، مهما كانت الأسباب والضغوط، فغايتهم الله ولا يعملون لدعوة غير دعوتهم:

يقول الإمام: «ليس أعمق في الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا في أى عهد من عهودهم مطية لحكومة من الحكومات أو منفذين لغاية غير غايتهم أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان »[1].

« إن اليوم الذي يكون فيه الإخوان المسلمون مطية لغيرهم، أو أداة لمنهاج لا يتصل بمنهاجهم لم يخلق بعد » [2].

«والإخوان المسلمون لا يقادون برغبة ولا برهبة، ولا يخشون أحداً إلا الله ولا يغريهم جاه ولا منصب ولا يطمعون في منفعة ولا مال، ولا تعلق نفوسهم بعرض من أعراض هذه الحياة الفانية، ولكن يبتغون رضوان الله ويرجون ثواب الآخرة ويتمثلون في كل خطواتهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فهم يفرون من كل الغايات والمطامع إلى غاية واحدة ومقصد واحد هو رضوان الله ».

« وهم لهذا لا يشتغلون في منهاج غير منهاجهم ولا يصلحون لدعوة غير دعوتهم، ولا يصطبغون بلون غير الإسلام. ومعاذ الله أن نكون في يوم من الأيام لغير دعوة القرآن وتعاليم الإسلام » [3].

« إلى الآن أيها الإخوان.. لم يُمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أياً كانت، ولسنا نريد إلا هذا، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب، ولن نعتمد على الحكومات في شيء، ولا تجعلوا في ترتيبكم ولا منهاجكم ذلك، ولا تنظروا إليه، ولا تعملوا له، واسألوا الله من فضله » [4].

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٩١ .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٦ .

(٣) المرجع السابق،ص٢١٣ .

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٨٧ .

■ **مواصفات الحكومة المسلمة المستهدفة:**

والحكم الإسلامي ليس مجرد شعارات أو إجراءات جوفاء، ولكنْ له مواصفات وشروط، ويقوم على ركائز وأركان يجب توفرها سواء في القائمين عليه أو في المنهج أو الأسلوب الذي يطبق به.

ويصف الإمام الشهيد الحكومة المسلمة التي يستهدفها:

« إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها..

والحكومة إسلامية ما كان: أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير مجاهرين بعصيان..

وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه.

ومن صفاتها: الشعور بالتبعة.. والشفقة على الرعية.. والعدالة بين الناس.. والعفة عن المال العام.. والاقتصاد فيه.

ومن واجباتها: صيانة الأمن.. وإنفاذ القانون.. ونشر التعليم.. وإعداد القوة.. وحفظ الصحة.. ورعاية المنافع العامة.. وتنمية الثروة.. وحراسة المال.. وتقوية الأخلاق.. ونشر الدعوة.

ومن حقها – متى أدت واجبها: الولاء.. والطاعة.. والمساعدة بالنفس والأموال.

فإذا قصرت: فالنصح والإرشاد.. ثم الخلع والإبعاد.. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ».

« ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة. ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه، ولا بالنوع ما دام موافقاً للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي »[1]، كما أجاز الفقهاء أن يتولوا وزارة التنفيذ أيضا.

(١) رسالة : التعاليم .

ويقول أيضاً في شأنها: « نريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله – أبى بكر وعمر من قبل » [1].

«أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق نظامه الاجتماعى، وتعلن مبادئه القويمة، وتبلغ دعوته الحكيمة للناس..»[2].

فعلى هذه الحكومة أن تواصل منهج الدعوة وتربية الشعب على الإسلام، واستمرارية إصلاح الفرد والبيت وكل جوانب المجتمع، واستكمال استقلاله في شتى شئون الحياة، وتحقيق تقدمه العلمى، وبناء قوته الذاتية، وتعده لتحقيق رسالة الإسلام وأهدافه العليا في العالم كله.

وعن المرجعية لهذه الحكومة يقول: « أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية » [3].

ويقول الإمام الشهيد أيضا: « فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة ؛ حتى تكون دولة رسالة، لا تشكل إرادة ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها.. وتنشرها.. وتبلغها.. وتقويها»[4].

وعن دورها العالمى يشير الإمام: « نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة، تحتضن دعوة الإسلام، وتجمع كلمة العرب وتعمل لخيرهم وتحمى المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذى عدوان، وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » [5].

---

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٠١ .

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٦٠ .

(٣) رسالة : نحو النور،ص٢٩١ .

(٤) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي (رسالة نظام الحكم في الإسلام).

(٥) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٢ .

■ **الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي والأخذ بالحكم الدستورى:**

يشير الإمام الشهيد إلى أن هناك ثلاث دعائم كبرى يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي، هى:

أ - مسؤولية الحاكم. ب - وحدة الأمة. جـ - واحترام إرادتها.

- وأشار فضيلته إلى وجوب تمثيل الأمة، واشتراكها في الحكم اشتراكا صحيحا، ووجود مجلس للشورى [أهل الحل والعقد]، فيقول الإمام في ذلك: «والأمة الإسلامية واحدة ؛ لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها ولا يمنع ذلك حرية الرأى وبذل النصح من الصغير إلى الكبير ومن الكبير إلى الصغير.. ولا تكون الفرقة في الشؤون الجوهرية في الأمة الإسلامية ؛ لأن نظام الحياة الاجتماعية التي يضمها نظام واحد هو الإسلام معترف به من أبنائها جميعاً، والخلاف في الفروع لا يضر ولا يوجب بغضاً ولا خصومة ولا حزبية، فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه »[1].

- إن الإخوان يؤيدون قيام الحكم على النظام الدستورى، مستمداً ذلك من الدستور الإسلامي الخالد: القرآن، وسنة الرسول ﷺ، ومحققاً الشورى الإسلامية.

ويرون أن النظام الدستورى المتعارف عليه في الدنيا الآن هو أقرب النظم لمبادئ الحكم الإسلامي ونظامه القويم.

وأنهم لا يرضون بغير الإسلام ومبادئ الحكم الإسلامي بديلاً، مع الأخذ بكل نافع مفيد لا يتعارض مع أحكام الإسلام في هذا المجال.

ويشير الإمام الشهيد إلى أن الفقه الإسلامي: « كان من السعة والمرونة ما استوعب كل هذه الصور والأشكال الدستورية في الممارسة السياسية»[2].

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣١٨،٣١٩.

(٢) رسالة : نظام الحكم،ص٣١٨،٣١٩.

يقول الإمام: « إن مبادئ الحكم الدستورى التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى، واستمداد السلطة من الأمة.. وعلى مسؤولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال. وبيان حدود كل سلطة من السلطات..هذه الأصول كلها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم.

ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام. وهم لا يعدلون به نظاماً آخر »[1].

«ويحتاج الأمر- في النظام الدستورى- إلى دقة ووضوح النصوص التي تصاغ في قالبها هذه المبادئ وكذلك إلى طريقة التطبيق التي تفسر بها عملياً هذه النصوص؛لهذا يعمل الإخوان جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة في الدستور المصرى.وتعدل الطريقة التي ينفذ بها هذا الدستور في البلاد»[2].

« فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستورى باعتبارها متفقة بل مستمدة من نظام الإسلام، وإنما ننقد الإبهام وطرائق الإنفاد »[3].

- يؤكد الإمام الشهيد على حرية إبداء الرأى وتكوين الهيئات والجمعيات والأحزاب ورفع النصيحة ومطالب الإصلاح للحكومات القائمة، ويعتبر أن الاختلاف أمر طبيعى لكنه يرفض التنازع والشقاق والصراعات الحزبية التي تمزق وحدة الأمة وتحولها شيعاً متباغضة وقد سمّى ذلك « الحزبية العمياء ».

يقول الإمام: « كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقاً بين حرية الرأى والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة- وهو ما يوجبه الإسلام- وبين التعصب للرأى والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة»[4].

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٨.

(٢) المرجع السابق،ص١٣٩.

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٦ .

وتوضح أيضاً رسالة الإخوان المعتمدة عن الشورى وتعدد الأحزاب (مارس ١٩٩٤م): « وإنما المنهى عنه هو التنازع الذي يؤدى إلى الفشل والضعف والهوان – أما اختلاف الآراء فهو تكامل وتنوع للنظر لابد منه لاستجلاء الحق والوصول إلى الأصلح والأرجى في المنفعة، خصوصاً إذا اقترن بالتسامح وسعة الأفق والبعد عن التعصب وضيق النظرة.

لذا فإننا نؤمن بتعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي، وأنه لا حاجة لأن تضع السلطة قيوداً من جانبها على تكوين ونشاط الجماعات أو الأحزاب السياسية، وإنما يترك لكل فئة أن تعلن ما تدعو إليه وتوضح منهجها وما دامت الشريعة الإسلامية هي الدستور الأسمى، وهى القانون الذي يطبقه قضاء مستقل محصن بعيداً عن أى سلطة أو جهة، ومؤهل فكرياً وعلمياً وفقهياً وثقافياً – فإن في ذلك ما يكفى لضمان سلامة المجتمع واستقامته على الطريق السوى، واتخاذ الإجراء الشرعى المناسب تجاه من يخرج على المبادئ الأساسية التي لا خلاف فيها بين علماء وفقهاء المسلمين والتي تعتبر المقومات الأساسية للمجتمع»[1].

ويؤكد الإخوان في رؤيتهم ومنهاجهم على أهمية توفر الحرية لأفراد الشعب وصيانتها ومساواة جميع المواطنين في ذلك.

وأن هذا الحق – تكوين الأحزاب والجمعيات والمنتديات وإعلان الرأى والدعوة إليه – مكفول لكل المواطنين ولكل الفئات سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين من أبناء الوطن، وللرجال والنساء دون تمييز كذلك.

وإن في سيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ما يؤكد على هذا الأمر الأساسى وذلك الحق الأصيل لجميع أفراد الشعب.

وكذلك أن يتربى الشعب على أن يحمى هذا الحق، ويحرص عليه، ويجاهد في سبيله واستكماله دون نقص أو وصاية، فهذا هو الضمان الأساسى؛حتى لا ينحرف أى حاكم عن ذلك، أو ينتزع منه هذا الحق بأى حجة من الحجج، أو تحت أى شعار من الشعارات، وأن رقابة الأمة على حكامها أمر أصيل في منهج الإسلام للحكم.

(١) رؤية الإخوان حول : الشورى ـ وتعدد الأحزاب ـ المرأة،المركز الإسلامي للدراسات،ص ٣٨،٣٩ .

- ويعتمد الإخوان الشورى كأساس للحكم، وأنها ملزمة للحاكم، وأن الأمة هي مصدر السلطات التنفيذية..وأن من واجب الأمة أن تراقب الحاكم وتحاسبه.

يقول الإمام الشهيد: «ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير، وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها»[1].

ويقول أيضا: « فالحاكم مسؤول بين يدى الله وبين الناس، وهو أجير لهم، وعامل لديهم »[2].

وتقول رسالة الإخوان المعتمدة في ذلك: «.. أمر المسلمين شورى بينهم، فهم يتشاورون في أمورهم العامة والخاصة لإقامة العدل وتنفيذ حكم الله وتحقيق مصالح المسلمين، وحتى لا يستبد فرد أو فئة من الناس بالتصرف في أمر تعم به البلوى، وتتأثر به مصالح الغالبية من الشعب المسلم ».

« ومفهوم ذلك أن الأمة هي مصدر السلطات، فهي التي تولى من تثق في دينه وأمانته وخبرته وعلمه ومواهبه وكفاءته ما تحدده له من أمور ليقوم عليها بالعدل والإحسان والإنصاف »[3].

- وليس للحاكم أن يدَّعِي عصمة أو ارتفاعاً عن احتمال الخطأ: «وإن من حق أفراد الأمة أن يصوبوه إذا أخطأ، بل أن يقوموا اعوجاجه ولو بحد السيف إن اقتضى الأمر.. وأن نطاق طاعتهم له أن يكون أمره في غير معصية لله ولرسوله، وإنما إنفاذاً لحكم الله وشريعة الإسلام، أو تقديراً لمصالح الناس فيما أباحه الله»[4]. كل هذا يكون وفق الضوابط والإجراءات التي حددها الشرع.

- وهذا التفويض من الأمة الإسلامية محكوم ومقيد بشرع الله: «والأمة المسلمة تدين بالعبودية لله وحده، وتقدس أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتؤمن بأن الناس

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣١٩.

(٢) المرجع السابق،ص٣١٨ .

(٣) الشورى وتعدد الأحزاب،ص ٣١ .

(٤) المرجع السابق،ص ٣٣.

لا يملكون الحكم إلا بما أنزل الله، وبمقتضى شريعة الإسلام، ومن ثم فهي لا تملك أن تفوض من اختارته لِيَلِي أمراً من أمورها إلا فيما قرره الشرع لها، ولا يجوز لها أن تفوضه فيما لا تملكه، ولا حق لها فيه، فإذا ما اختارت والياً لبعض شؤونها فليسوس الأمور على مقتضى أحكام الدين؛ لأن الدين هو الأساس والسلطان حارس، وما لا أساس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع»[1].

- وبذلك تكون موازين الشريعة الإسلامية المنبثقة من القرآن والسنة هي الدستور الأسمى للحكم الإسلامي. ونرى أنه لابد أن يكون للأمة دستوراً مكتوباً تضعه وتتفق عليه وفق قواعد وغايات وأهداف الشريعة الإسلامية.

وهذا الدستور الإسلامي هو الذي يعطى المشروعية والحجية لأى نظام حكم وأى سياسة ولا يعتد ولا يقبل بأى خروج على شريعة الإسلام وأصوله حتى وإن شايعه الناس.

- ولابد في قواعد الدستور الإسلامي « أن تحقق التوازن بين اختصاص مختلف المؤسسات التي تدير الدولة حتى لا يطغى بعضها على الآخر أو يستبد بالأمر دون الباقين.

كما يتضمن من القواعد والأحكام ما يصون ويحفظ الحريات العامة والخاصة لكل الناس من مسلمين وغير مسلمين، ويجعل الحكم شورى استمداداً من سلطة الأمة ويحدد مسؤولية الحكام أمام الشعب وكيفية محاسبتهم وتصويبهم وتقويم اعوجاجهم بطريقة سليمة ناجحة إذا ما قصروا وإبدالهم إذا لزم الأمر».

« وهذا يقتضى وجود مجلس نيابى له سلطات تشريعية ورقابية ذات فعالية، تتمثل فيه الإرادة الشعبية الحقيقية نتيجة انتخابات حرة ونزيهة، وتكون قراراته ملزمة، كما أننا نرى - باعتبار أن رئيس الدولة ما هو إلا وكيل عن الشعب - أنه يجب أن تكون رئاسة الدولة لمدة محددة، ولا يجوز تجديدها إلا لأمد محدد ؛ وذلك ضماناً لعدم الطغيان »[2].

- كما ذكر الإمام أن احترام رأى الأمة ووجوب تمثيلها واشتراكها في الحكم اشتراكا

(١) رؤية الإخوان حول: الشورى ـ وتعدد الأحزاب ـ المرأة،المركز الإسلامي للدراسات،ص ٣٤.

(٢) رؤية الإخوان حول: الشورى ـ وتعدد الأحزاب ـ المرأة،المركز الإسلامي للدراسات،ص٣٦،٣٧.

صحيحا من أركان النظام الإسلامي للحكم، وذكر أن: (هناك طريقتين لذلك: استبانة رأى الأفراد جميعا في كل نازلة، وهو المعبر عنه في الاصطلاح الحديث ب: (الاستفتاء العام)، والطريق الآخر عن طريق: (أهل الحل والعقد)، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم لأهل الحل والعقد أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات، هم:

١- الفقهاء المجتهدون، الذين يعتمد على أقوالهم في الفتيا واستنباط الأحكام.

٢- وأهل الخبرة في الشؤون العامة.

٣- ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة في الناس، كزعماء البيوت أو الأسر وشيوخ القبائل، ورؤساء المجموعات.

فهؤلاء جميعا يصح أن تشملهم عبارة: [أهل الحل والعقد]) [١].

ويدخل ضمنهم أيضا من يختارهم الشعب للتمثيل النيابى ومراقبة السلطة التنفيذية، ويترك الإسلام للأمة اختيار الشكل والآلية للمؤسسات التي تمثل هذه الفئات.

يقول الإمام الشهيد: «ولقد رتب النظام النيابى الحديث طريق الوصول إلى أهل الحل والعقد بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخاب وطرائقه المختلفة، والإسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد»[٢].

« والنظام الإسلامي في هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء، متى تحققت هذه القواعد الأساسية التي لا يكون الحكم صالحا بدونها، ومتى طبقت تطبيقا يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض » [١].

- كما أن للمرأة تمثيلها ومكانها في المجلس (البرلمان).

- وذهب الإمام إلى أهمية وضرورة تنظيم الانتخابات ووضع الضمانات والضوابط

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣٢٨.

(٢) المرجع السابق،ص٣٢٨.

(٣) المرجع السابق،ص٣١٩.

التي تكفل صحتها وصحة تمثيلها للأمة ؛ حتى لا يتحول الأمر إلى واقع مزيف يتلاعب به البعض ويخدع به الجماهير.

- ويؤكد الإمام على أهمية أسلوب التطبيق، وعدم الوقوف فقط على إقرار النصوص، وإلى الاحتكام بالقواعد والأصول، مع تغير الأشكال والصور.

ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحى، والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم.

- ويهتم الإمام الشهيد أيضا ببناء الوعى القومى والنضج السياسي للأمة، وأن يصل بها ذلك إلى درجة من القوة واليقظة، فيقول: «.. وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث بـ: (الوعى القومى) أو (النضج السياسي) أو (التربية الوطنية) أو نحو هذه الألفاظ، ومردها جميعا إلى حقيقة واحدة، هى: اعتقاد صلاحية النظام والشعور بفائدة المحافظة عليه »[1].

- والإخوان المسلمون لا يقصرون الحكم على ذواتهم ولا يحتكرونه لأنفسهم، وهم يؤسسون ويسعون لإقامة الحكم الإسلامي وفق المواصفات والشروط التي جاء بها الشرع، وهم والشعب معهم حارس على ذلك ناصح لأولى الأمر، وللشعب أن يختار بحريته الكاملة من يرضاه لقيادته وفق المنهج الإسلامي وشريعة الإسلام ولتحقيق دور الأمة الإسلامية، وليس وفق الهوى ولا الخروج على شرع الله، فمن خرج على ذلك، فقد خرج على منهج الإسلام ودستور البلاد فالنصح والإرشاد ثم الخلع والإبعاد ولا تهاون في ذلك.وعلى ضوء قواعد الشرع الإسلامي وضوابطه، يعتمد الإخوان « قبول تداول السلطة بين الجماعات والأحزاب السياسية وذلك عن طريق انتخابات دورية»[2]. طالما هذه الأحزاب منضبطة بأحكام الإسلام وشريعته، ولم تخرج عن مبادئه وأهدافه.

ومن منهاج الإخوان: الحرص على عدم انفرادهم بشأن قضايا الأمة الكبرى ومصالحها الوطنية، بل يحرصون على مشاركة الآخرين من أبناء الأمة، فيدعون ويسعون

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣١٩.

(٢) رؤية الإخوان حول: الشورى ـ وتعدد الأحزاب ـ المرأة،المركز الإسلامي للدراسات،ص٣٩.

إلى قيام التحالف بين القوى الوطنية والتيارات المختلفة لتحقيق هذه المطالب والعمل بها، مثلما حدث في عام ١٩٤٨م حيث دعا الإخوان إلى إقامة تحالف وطنى لمواجهة الاحتلال البريطانى لمصر، وأيضا في دعم القضية الفلسطينية ومواجهة استيلاء اليهود عليها، وتكرر هذا في العصر الحديث أكثر من مرة.

وينظر الإخوان بإيجابية إلى مساحات التعاون والاتفاق بين التيارات المختلفة - بغض النظر عن الاختلافات الأخرى - وأن يكون ذلك لصالح البلد والأمة ومطالبها، وليس لصالح فصيل معين، مما يوضح مدى سعة صدر الإخوان للآخرين وحرصهم على الوحدة وائتلاف الكلمة.

■ **من ملامح النظام السياسي الإسلامي:**

إن الفقه الإسلامي يجعل السلطات في الدولة أربع سلطات بدلا من ثلاث، وهى: السلطة التشريعية، والسلطة الرقابية، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، ويتمشى هذا مع وصف الفقهاء لأهل الحل والعقد، وتعدد أنواعهم وشرائحهم.

وبذلك يكون هناك فصل حقيقى بين سلطتى التشريع والتنفيذ.

ويشير المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة إلى ذلك التميز في منهج الشورى الإسلامية فيقول: (.. إن تميز سلطة الاجتهاد الفقهى في النظام الشورى الإسلامي عن السلطات الرقابية والتنفيذية والقضائية يجعل السلطات في النظام الإسلامي أربعا بدلا من ثلاث.. كما يجعل سلطة التشريع فوق الدولة؛بسبب إلهية الشريعة، الأمر الذي يحرر القانون من سلطان الاستبداد البشرى والأهواء البشرية، وفوق ذلك يحقق هذا النظام الإسلامي الفصل الحقيقي بين السلطات.

.. أما استقلال سلطة خاصة بالاجتهاد والتقنين مع التزامها بحاكمية الشريعة الإلهية ؛ فهو الأقرب إلى تحقيق مبدأ الفصل الحقيقي بين السلطات، والأكثر تحقيقا لسيادة القانون على باقى السلطات) [1].

(١) من مقالة الدكتور محمد عمارة،بيوميات الأخبار،جريدة الأخبار عن الشورى الإسلامية ٢٠٠٤م .

– وهذا الموضوع مجال اجتهاد فقهى واسع، لكنه في النهاية متعدد الاجتهادات يقوم على ثوابت محددة، ويؤكد تميز النظام السياسي الإسلامي، ومدى الحرص على فعالية الأمة ورقابتها على الحاكم، وقد أشار الإمام الشهيد لذلك في رسالته (نظام الحكم في الإسلام)، كما يؤكد على مبدأ الفصل بين السلطات والذي تبلور وظهر واضحا في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الذي فصل بين سلطة القضاء واختصاص (أهل الحل والعقد) وعن السلطة التنفيذية، واستمر العمل بذلك بعده.

ويضع النظام الإسلامي من الضمانات ما يحقق الاستقلال الحقيقي لسلطة التشريع (أهل الحل والعقد) والسلطة الرقابية وسلطة القضاء وذلك عن السلطة التنفيذية، ويضع لأفرادها ومؤسساتها الحماية والحصانة من أى تأثير للسلطة التنفيذية عليهم، ولا يسمح أن يكون ذلك استقلالا شكليا تحتكر به السلطة التنفيذية مجال التشريع ومجال الرقابة والمحاسبة عليها فتشرِّع حسب ما ترى هى، وتحاسب وتراقب أداءها بالأسلوب الذي تراه، فكيف يستقيم هذا؟! مثلما هو قائم في كثير من بلادنا العربية.

إن وصول أى حزب أو تيار للسلطة التنفيذية حسب إرادة الشعب، لا يعنى فقدان هذه السلطات الأخرى لاستقلالها وحيدتها في أداء عملها، ونيابتها عن الشعب فقط لا عن أى حزب من الأحزاب، وتاريخ الخلفاء الراشدين يوضح كيف كانت هذه السلطات تختلف مع السلطة التنفيذية (الخليفة) في الرأى والاجتهاد، وكيف كانت تحاسبه وتراقبه وتحاكمه.

ومن أسس نظام الحكم الإسلامي: رقابة الأمة للحاكم، ومسئوليته أمامها عن كل صغيرة وكبيرة، ومحاسبتها إياه، يقول الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ في خطاب بيعته للأمة: « أما بعد، فإنى وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى، وأطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »، وفى موضع آخر: «فإن استقمت فتابعونى، وإن زغت فقومونى». وكذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، كان الفرد في الأمة يقول له: « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيحمد الله على ذلك، وكانوا يسألونه ويحاسبونه عن كل شيء، صغيرا كان أو كبيرا، ويراقبونه في ذمته المالية.

وبذلك تتأكد مسئولية الحاكم عن أعماله أمام الأمة وأن لها الحق في مراقبته ومحاسبته، وأن تتخذ الأمة الآليات المناسبة - حسب العصر - ليتحقق ذلك.

وبذلك أرسى الإسلام السلطة الرقابية للأمة، واستقلالها عن السلطة التنفيذية، ووضح اختصاصاتها وصلاحياتها، وترك للأمة الاجتهاد في اختيار المؤسسات والأسلوب الذي تؤدى به ذلك.

والحاكم في الشريعة الإسلامية نائب عن الشعب والأمة في إقامة الشريعة، والنهوض بالأمة في جميع مجالات الحياة، وإقامة الحق والعدل فيها، وليس نائبا عن الله في منصبه ؛ (فالاستخلاف في الأرض كان لكل البشر)، أو يتمتع بحق إلهى، أو هو معصوم، بل هو نائب عن الشعب في أصل التكليف الشرعى له وللأمة، يستمد شرعيته من الشعب الذي له حق محاسبته وعزله إذا خرج عن إرادة الشعب وعن منهج الله.

كما أنشأ سيدنا عمر ﷺ نظام الدواوين، ووضع لها قانونها، ووسع من اختصاصات أهل الديوان، وهى تماثل نظام (المحليات)حاليا.

وسلطة الاجتهاد والتشريع (أهل الحل والعقد) تتكون ممن يمتلكون الخصائص والمواصفات المؤهلة لذلك في جميع المجالات من الفقه الإسلامي ومجالات التخصص في أمور الحياة المختلفة.

وهذه السلطة لا تتشكل من رجال الدين ؛ فليس في الإسلام رجال دين - مثلما كان في الغرب المسيحى - بل يختارهم الشعب عن طريق الانتخاب، يقوم به أصحاب كل اختصاص وفق مواصفات محددة، وهى تخالف تماما أسلوب (ولاية الفقيه)- والذي يرفضه الإخوان- فالولاية هنا للشعب، واختيارهم يتم من الشعب بالآلية التي يحددها، ويخضعون للمحاسبة، وليس لهم ولاية على باقى السلطات، وهذه السلطة تتقدم بالتشريعات المطلوبة للبرلمان، كما تقدم رأيها، وتنظم ما يحال إليها من اقتراحات القوانين من السلطة التنفيذية والسلطة الرقابية (البرلمان) لتعدها كتشريعات مطلوبة، وللسلطة الرقابية حق الاعتماد ولها أن تناقش وتعترض بأسباب على ما أصدرته سلطة الاجتهاد والتشريع، ويحسم الأمر عند الخلاف سلطة القضاء المستقل المتخصص في ذلك.

والسلطة الرقابية (البرلمان) تتم بالانتخاب المباشر من الشعب، ويترك الإسلام المجال واسعا للاجتهاد في تحديد هذه الآليات وفق مقتضيات العصر بما يضمن نزاهة الانتخابات وحيدة السلطة التنفيذية، وضمانات التعبير الصحيح لإرادة الأمة واحترامها والنزول عليها.

ولا عبرة بالأسماء والمسميات أو بالشكل الذي تتخذه، إنما الأساس هو الجوهر وتحقق تلك الأركان والقواعد التي جاء بها الإسلام، ويؤكد الفقه الإسلامي وممارسته عبر التاريخ في عهد الخلفاء الرشدين على الفصل الحقيقي وليس الشكلي بين السلطات، وظهر ذلك في الفصل بين السلطة القضائية والسلطة التنفيذية، فكان القاضي يحكم على الخليفة، وكذلك بين رقابة الأمة (البرلمان في عصرنا) والسلطة التنفيذية.

- « والشورى » في الإسلام ملزمة وليست شيئا مبهما أو مقلدا للآخرين، إنما هي منهج حياة يتربى عليه أفراد المجتمع في كل مجالاته، بدءا بالأسرة الصغيرة وانتهاء إلى أعلى مؤسسة بالدولة، وهى ركن أصيل من أركان النظام السياسي في الإسلام، والفرد يمارسها في مؤسساتها السياسية وفى حياته، ليس كمجرد قانون أو حق، وإنما كفريضة وعبادة لله مثل الصلاة والصيام، يدلى فيها الفرد برأيه بمنتهى الصدق، حسب ما اقتنع به وارتآه، دون ضغط أو إكراه، حتى لو خالف رأى حزبه، ويحيطها بآداب من الإسلام تسمو بها، وتجعلها ممارسة نظيفة تنأى بها عن السباب والضغائن والمؤامرات والمناورات الحزبية، يُحترم فيها الرأى الآخر، وتتأكد فيها عُرى الأخوة والمحبة بين أبناء الأمة، ويلتزم فيها الجميع برأى الأغلبية ويصبح هو رأيهم، يعملون بجد على تنفيذه وتبنيه، وليس كما يحدث في ديمقراطيات الغرب: الانقضاض عليه في أول فرصة أو إعاقة تنفيذه، ومهاجمته على الدوام من الأقلية التي عارضته.

والديمقراطية بمعناها السياسي وما تمثله من مشاركة الشعب في اختيار حكامه واحترام إرادته، تتفق مع الإسلام ونظامه السياسي، ويزيد عليها الإسلام ضمانات وآداب تعمق الممارسة وتوسع مجالها وتحقق بصدق الغاية المنشودة منها.

- والإسلام لا يمنع الاستعانة بالأسماء والمصطلحات العصرية، ما دامت لا تعارض

جوهر الإسلام، وتساعد في تفهيم وتوضيح الأمر للناس مع الحفاظ على مسميات الإسلام ومبادئه، وعدم إهمالها أو استبدالها.

- والأقليات غير المسلمة لها حق المواطنة الكامل في المجتمع، ولها نفس الحقوق السياسية المكفولة لكل مواطن، وفق منهج الإسلام ودستوره، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا حسب القاعدة الفقهية، ولا حجر عليهم فالجميع سواسية أمام القانون، ويستثنون فقط من رئاسة الدولة، حيث غالبية الأمة من المسلمين، وفيها الرئيس، عليه واجبات خاصة بالدين الإسلامي، ذكرها الفقهاء، وكذلك وزارة التفويض، أما وزارة التنفيذ فأجازها الفقهاء، ولهم الحق فيها كأى مواطن، وتفصيل ذلك في كتب الفقه، وهى غنية وثرية في هذا، ونحن نأخذ بالآراء المعتدلة وحسب الدليل والحجة، مع فتح باب الاجتهاد بضوابطه ؛ ليلبى متطلبات العصر وتطوراته.

- والأمة هي مصدر السلطات في منهج الإسلام، ولا يتعارض هذا مع المرجعية لأحكام الإسلام ومبادئه، فالأمة هي التي تختار السلطات في المجتمع، سواء السلطة التنفيذية والرقابية والتشريعية والقضائية، وهى تحاسب الحاكم وتعزله، وهى تجتهد في التشريع وسنّ القوانين اللازمة لحياتها وأمورها في إطار أحكام الإسلام وثوابته وضوابطه في الاجتهاد، وليس الحديث عن أحكام الإسلام حكرا على أحد، أو هو لفئة دون أخرى تحتكر الأمر وتدعى العصمة، بل هو حق لكل مسلم وبالضوابط والقواعد التي جاء بها الإسلام، وكل مسلم مسئول أمام الله عن المجتمع الإسلامي والدين الإسلامي، والنزول على إرادة الأمة، واحترام اختيارها مبدأ أصيل.

- ويؤمن الإخوان بأن يكون للحاكم حد أقصى في تولية الرئاسة، دورة أو دورتين، ولا يرجحون الرأى باستمراره على الدوام، وقد أخذوا في لوائحهم الجديدة بهذا فيما يتعلق بتشكيلاتهم الداخلية.

وهذا يؤكد مبدأ تداول السلطة والذي يأخذ به الإخوان، وهم يجعلون الشعب هو الفيصل والحكم فيمن يختاره لتولى السلطة، وهو الضمانة الحقيقية والرقابة الفعالة لأى نظام وأى حاكم.

- كما يعتبرون احترام إرادة الأمة والنزول عليها من أركان النظام السياسي الإسلامي، حتى لو خالف ذلك رأيها أو ترشيحاتها، ولا تدعى لنفسها وصاية على الأمة، أو تحتكر لنفسها الحرية والدعاية في المجتمع، وعلاقتها مع الشعب والمجتمع ومع من يخالفها الرأى تقوم أساسا على الحب والإقناع والتفاهم وتوضيح المفاهيم والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

- والإخوان يؤمنون بحرية إنشاء الجمعيات والأحزاب السياسية لجميع القوى والتيارات، وكذلك للأقليات وللنساء دون أى عائق، وحرية التعبير بشتى الوسائل (من إصدار الصحف وغيرها من وسائل الإعلام) في المجتمع الإسلامي، مع وجود القضاء العادل المستقل حيث هو الفيصل عند الإضرار بالمجتمع؛ (فلا ضرر ولا ضرار)، أو الخروج على ما اتفق عليه الشعب (من قواعد الفضيلة وعقائد الأمة)، أو حسم الخلاف بينهم.

- وأن هذه الحرية الاجتماعية والسياسية نظمها الإسلام أفضل نظام، ولها أصلها الشرعى، وكانت مكفولة للأمة في عصر الرسول ﷺ:

فها هن نساء المدينة يجتمعن ويدرسن بعض مشاكلهن، ويرسلن موفدة عنهن بمطالبهن لرسول الله ﷺ، والذي استجاب لها، مما يمثل أول جمعية نسائية في الإسلام، وللمرأة في الإسلام نفس الحقوق السياسية للرجال ماعدا رئاسة الدولة (أمر الإمامة العظمى) ؛ لأن فيها إمامة المسلمين في الصلاة وهى مقصورة على الرجال، إلى غير ذلك مما بينه الفقهاء.

كما شكل مجموعة من صحابة الرسول ﷺ جمعية لأعمال البر والدعوة، هم القراء (أصحاب بئر معونة)، وكان عددهم نحو السبعين، وتفصيلات أعمالهم ونشاطهم أشارت إليها كتب السيرة.

وأيضا كان لليهود في المدينة حق إقامة الجمعيات والمؤتمرات، ومنها اجتماعهم وعقدهم مؤتمرا في أحد الدور، حيث حضره أبو بكر الصديق ﷺ، وقد اعترض على ما قاله فنحاص اليهودى عندما تطاول على ذات الله.

- وقد مارس الصحابة آليات مختلفة في اختيار الخليفة الذي يقود الأمة بعد رسول الله ﷺ، لكنها تشمل ضوابط وأسس واحدة للشورى.

ففى اختيار الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ اجتمع البرلمان المكون من المهاجرين والأنصار اجتماعا عاجلا في سقيفة بنى ساعدة، ورشحوا في النهاية اثنين: سيدنا أبو بكر ﷺ وسيدنا عمر ﷺ، وتم اختيار سيدنا أبو بكر بأغلبية كبيرة، ثم طُرح على الأمة للاستفتاء والبيعة، فوافق الجميع، وامتنع نفر قليل لأسباب خاصة.

وفى اختيار الخليفة الثانى، قام سيدنا أبو بكر ﷺ - عند مرضه مرض الموت، وبعد مشاورة الكثير من أهل الحل والعقد - بترشيح فرد واحد هو سيدنا عمر ﷺ، والذي عُرض عليهم فوافقوا، ثم عُرض على الاستفتاء والبيعة العامة بالمسجد.

وفى اختيار الخليفة الثالث، تم ترشيح لجنة عليا من أهل الحل والعقد لاختيار المرشح من بينها للخلافة، واستقر ترشيحها - بعد استجلاء الأصوات - على اثنين: الأول هو سيدنا عثمان ﷺ، والثانى هو: سيدنا على ﷺ، وقام سيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ بطرح الاثنين على عامة الناس، بما فيهم النساء والعبيد، وكان يجلس في الطرقات ويمر على البيوت ليقوم بذلك، فكان الرأى الغالب اختيار سيدنا عثمان، وقد طلب سيدنا عبد الرحمن أيضا من كلا المرشحين أن يوضح أسس برنامجه في الحكم، ثم تم طرح الترشيح النهائى، والذي حاز على أغلبية أهل الحل والعقد وعامة الناس، للبيعة العامة بالمسجد.

وكان كل خليفة عند بيعته يحدد برنامج حكمه، ويؤكد على احترام إرادة الأمة وحقها في محاسبته.

- وبالنسبة لشكل نظام الحكم، هل يكون رئاسيا ؟ أو برلمانيا ؟ أو خليطا من هذا وذاك ؟ فإننا نقول: إن قواعد نظام الحكم في الإسلام متكاملة وواضحة ومتميزة، وهى تقبل وتستوعب هذه النماذج كلها طالما أنها تتفق مع مبادئها ولا تتعارض مع التصور والمنهج الإسلامي.

ولها أن تأخذ ببعضها مع تعديل البعض، مثلما فعل المسلمون في صدر الدولة الإسلامية مع نظام الدواوين، الذي اقتبسوه من بلاد الفرس والروم بعد الفتوحات الإسلامية.

ومع ملاحظة أن الممارسة التاريخية لنظام الحكم الإسلامي أقرب للنموذج الرئاسى، إلا أن النموذج الآخر لا يتعارض مع المنهج الإسلامي، وإن كان منصب الرئيس في التصور الإسلامي له صلاحيات واضحة محددة، وعليه المسئولية الكاملة وأن مبدأ التفويض لا يقلل من هذه الصلاحيات أو المرجعية إليه.

يقول الإمام الشهيد موضحا ذلك: « فأما عن مسئولية الحاكم، فإن الأصل فيها – في النظام الإسلامي – أن المسئول فيها هو رئيس الدولة، كائنا من كان، له أن يتصرف، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة، فإن أحسن أعانته، وإن أساء قومته، ولا مانع في الإسلام في أن يفوض رئيس الدولة غيره في مباشرة هذه السلطة وتحمل هذه المسئولية، كما عُرف ذلك فى: (وزارة التفويض) في كثير من العهود الإسلامية، ورخص الفقهاء المسلمون في ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة، والقاعدة في مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة »[1].

– إن الذين يتخوفون من شريعة الإسلام لم يعرفوا الإسلام جيدا، ولم يعيشوا تفاصيل عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين، بل نظرهم مقصور على فترات الانحراف عن التطبيق الكامل والصحيح للشريعة الإسلامية عبر التاريخ، وحيث إن منهج الإسلام مصدره واحد: كتاب الله وسنة رسوله، فهذا يشكل المرجعية والمقياس لأى حكم ولأى ممارسة.

– والضوابط والأسس التي يضعها الإسلام لسلامة المجتمع من قواعد الفضيلة وغيرها من أمور لا يختلف عليها أى دين من الأديان، بل وتطالب بها الإنسانية عبر عصورها وتستهدفها البشرية.

– والإخوان ليسوا مسئولين عن أى ممارسة أو تطبيق للحكم من غيرهم الذين يرفعون شعارات الإسلام ؛ فللإخوان منهاجهم الواضح والمتميز، وفهمهم المعتدل الشامل، والتزامهم الدقيق لشريعة الإسلام، ولا يتحملون أخطاء غيرهم أو نتائج منهج غير منهاجهم.

(١) رسالة : نظام الحكم،ص٣٢٢،٣٢٣ .

- ومن وسائل الإخوان المعتمدة في النضال الدستورى والحراك السياسى، إنشاء حزب سياسى مدنى، يستمد برنامجه من الشريعة الإسلامية، ولا يخرج على القوانين والضوابط التي وضعها المجتمع، وهذا أمر يتفق مع الدستور ولا يخرج عنه، والذي يقرر أن الإسلام هو المصدر الرئيسى للتشريع، ولكنه - أى هذا الحزب - أبعد ما يكون عن فكرة الحزب الدينى بالمصطلح السياسي الذي يتكلمون به، ولا ينسحب على ما يريده الإخوان ويعملون به.

- لقد لجأنا إلى هذا الاستطراد، رغم أن هذا ليس مكانه، وإنما لتأكيد عمق وأصالة النظام السياسي الإسلامي، ولإيضاح جوانب من الأسس التي قام عليها، وإن اللبس الذي حدث عند البعض كان بسبب تطور المصطلحات السياسية العصرية وصورها الحالية، ولم تكن هذه المصطلحات والأسماء مستخدمة في كتب الفقه والسيرة القديمة، رغم وجود الممارسة السياسية وفق قواعد الإسلام وضوابطه.

■ **رفض أسلوب العنف والثورة والانقلاب:**

وفى انحياز السلطة التنفيذية للجماعة، تمهيداً لإقامة الحكومة المسلمة، والحكم الإسلامي لا يتعجل الإخوان الخطوات ولا يخالفون الطريق التي رسمها الإمام الشهيد، ويرفضون العنف بكل صوره. ويرفضون أسلوب الانقلاب، ووسائل القفز على السلطة، وكذلك أسلوب الثورة والهدم.

يقول الإمام الشهيد: « والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق. وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها »[1].

وهو يواجه تضييق الحكومة وإيذاءها للدعوة واعتقالها لأفرادها: بالصبر والثبات والنضال الدستورى، والكفاح السياسي، والعمل المتواصل.

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٦ .

لا يلجأ إلى سلاح ولا يهدر دم إنسان مسلم ولا يجعل من نفسه قاضياً يوزع الأحكام على الناس.

يقول الإمام الشهيد: « الإخوان المسلمون أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها، ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها ».

« فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح ».

« وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة، خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك ».

« وأن الإسلام حدد لاستخدام القوة حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدداً ».

« إن القوة ليست أول علاج، بل إن آخر الدواء الكى. الواجب عند استخدام القوة أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة، وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف »[1].

ويذكر التاريخ موقف الإمام الشهيد، عندما خرجت إحدى المظاهرات تطالب بجلاء المستعمر عن مصر وفلسطين، وتصدى لها الأمن والشرطة وأصيب بعض الأفراد فيها، يقول عن ذلك الصحفى محمد التابعى في مجلة «آخر ساعة» عن موقف الإمام الشهيد: « وتسمع الشيخ بعد هذا يحدثهم عما يجرى أخيراً فيقول: إنه يأسف لأنه كان يريدها مظاهرة سلمية، لا لأنه يعتقد أن حقوق مصر تنال بالمظاهرات السلمية فقط، ولكن لأنه يرى أن الوقت لبذل الدم لم يحن بعد، وأن كل القوة وكل البأس يجب أن يدخر (ليوم الدم) ».أى في مواجهة الإنجليز والمحتلين عندما تبدأ معركة التحرير.

(١) راجع رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٨٩ .

وهذا المنهج في التغيير، وموقف الإخوان من العنف والانقلاب والثورات لم يتغير أو ينحرف عنه الإخوان، فها هو الشهيد سيد قطب[1] يصف المجموعة التي تولى تربيتها عندما اعتقل عام ١٩٦٥م تمهيداً لإعدامه: « لقد اتفقنا على مبدأ عدم استخدام القوة لقلب نظام الحكم وفرض النظام الإسلامي من أعلى؛لأن المطالبة بإقامة النظام الإسلامي وتحكيم شريعة الإسلام ليست هي نقطة البدء، وإنما هي نقل المجتمعات ذاتها إلى المفهومات الإسلامية الصحيحة، وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله، فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير في اتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل في إقامة النظام الإسلامي »[2].

ويؤكد الإمام الشهيد على ضرورة الصبر والعمل واليقظة: «على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] »[1].

« فنحن لا نيأس ولا نتعجل ولا نسبق الحوادث ولا يضعف من همتنا طول الجهاد، والحمد لله رب العالمين »[2].

« ذلك أن كل وسيلة من وسائلنا تحتاج إلى حسن الإعداد وتحين الفرص ودقة الإنفاذ. وكل ذلك مرهون بوقته.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] »[3].

---

(١) نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدا .

(٢) شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر،المستشار سالم البهنساوى،ص٢٣٧،ط.دار الوفاء.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٧ .

(٤) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٦٩.

(٥) رسالة : التعاليم،ص٣٦٣.

« وغاية بعيدة لابد فيها من ترقب الفرص وانتظار الزمن وحسن الإعداد وسبق التكوين »[1].

« إنها الساعات الفاصلة في تاريخكم.. ففكروا وقرروا واعملوا واثبتوا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »[2].

ويوصيهم الإمام الشهيد باللجوء الدائم إلى الله، والتوكل عليه، ويذكرهم بأهمية دعاء السحر « .. وسنستعدى على الباغين سهام القدر ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره »[3].

■ **حول كيفية انحياز السلطة التنفيذية للدعوة:**

إنه بعد الدعاية، وكثرة الأنصار، ومتانة التكوين، وانتشار الركائز، وتغلغل الدعوة، وتأثيرها في مؤسسات المجتمع الاجتماعية والتنفيذية بمستوياتها المختلفة.

وبعد تهيئة الشعب، وصبغه بالصبغة الإسلامية في شتى المظاهر، ووقوف غالبيته خلف الجماعة مؤيداً لها.. يكون كنتيجة مترتبة على ذلك انحياز السلطة التنفيذية.

ولم يحدد الإمام الشهيد صورة تنفيذية تفصيلية لهذا الانحياز ؛ لأنه مرهون وقتها بالظروف والأحداث.

لكنه وضع له ضوابط وقواعد عامة أشار إليها في رسالة المؤتمر الخامس، وهذه الكيفية لها عدة احتمالات:

إما أن يتم بانحياز السلطة التنفيذية في محاورها الرئيسية ومراكز الثقل تحت ضغوط جماهير الشعب، فتقدم الجماعة للسيطرة على آليات التوجيه وقتها (أى بآلية ضغط الجماهير السلمى، وتأثير ركائز الدعوة في المؤسسات التنفيذية وانحيازها وقبولها قيادة الجماعة).

---

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢٠٥ .

(٢) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٧٠ .

(٣) من رسالة الإمام الشهيد للنحاس باشا بمناسبة تصريحات أدلى بها إلى بعض الصحف الأجنبية أبدى فيها إعجابه بلا تحفظ بكمال أتاتورك .وهو خطاب نشرته صحيفة الإخوان آنذاك تتجلى فيه الموضوعية وأدب الخطاب والتنبيه إلى خطورة ما صرح به النحاس .

أو يتم انحياز مرحلي بوصول المتعاطفين والأنصار إلى المؤسسات المؤثرة، ومنها البرلمان، ينتهي في النهاية إلى انحياز كامل وتسليم كامل للسلطة التنفيذية.

وقد يحدث كاحتمال أن ترفض القلة من بقايا السلطة القائمة الانحياز للدعوة ولمطالب الجماهير، فتقف في خندق معزول ضد الجماهير وضغطها، والجماعة كما أشار الإمام الشهيد تحرص على مواجهة هذا الرفض والمقاومة لانحياز السلطة، بأسلوب النضال السلمي والدستوري في إزالة هذا المعوق.

وإذا استخدمت هذه القلة العنف والإيذاء ضد قوى الشعب، فيحدد الإمام الشهيد أن الجماعة لن تكون هي البادئة في استخدام القوة، وستحافظ على قطرة الدم المسلم وستحرص كل الحرص على الانحياز السلمي للسلطة ولن تلجأ في مثل هذا الحال وذلك الظرف إلى رد الاعتداء، إلا بعد استنفاد كل الوسائل والسبل، «آخر الدواء الكي».

ويقول الإمام: «إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة.. وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً، وينتظرون بعد ذلك، ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويتحملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح»[1].

■ **الموقف من قوى الحكم التي تريد الإصلاح:**

وحول القوى أو الأفراد التي تصل للحكم وترغب في الإصلاح، فإنه إذا ما تقدم أحد لحكم بلد وأعلن رغبته في الإصلاح وتطبيق شريعة الإسلام، فالإخوان يساعدونه ويؤيدون هذه الدعوة طالما التزم بها، ويتقدمون له بالنصيحة ويعتبرونها خطوة على طريق الإصلاح. لكن مع علمهم ويقينهم أن الطريق الصحيح لبناء الأمة الإسلامية طريق طويل وهو الطريق الذي اختطوه وحددوا مراحله وخطواته وكيفية إقامة وبناء دولة الإسلام.

ولهذا يأتى هذا الدعم، من باب الإصلاح والتعاون على الخير، مع عدم تنازل الجماعة عن دعوتها أو طريقها أو أهدافها العليا.

---

(١) راجع رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٣٥ .

وهى أيضاً مع حرصها على الإصلاح ومساعدة كل من يعمل له، لا تخدعها الشعارات أو المواقف الكاذبة والدعايات المغرضة والأحداث المفتعلة، بل تغوص وراء حقيقة الأمور وتزنها بميزان الشرع وتنظر للأمر من جميع جوانبه، والتاريخ القريب مليء بمناذج مختلفة تدل على ذلك.

وفى تأييد أو مساعدة من يسعى إلى تغيير جزئى لإزالة فساد، وإرساء إصلاح جزئى وفق تصوره وأسلوبه، فإن هذا له شروطه، ويذكر ابن القيم قاعدة شرعية في ذلك: (فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده..

الثانية: أن يقل، وإن لم يزل بجملته..

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله..

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه..

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة)[1].

والتقدير لهذه الدرجات ونتائجها قد يكون بغلبة الظن إن لم يتوفر اليقين، مع شرط ألا يصطدم ذلك مع مبادئ الدعوة وضوابطها، ومع مصلحة الوطن، مع خضوع الوسائل المستخدمة في الإنكار لميزان الشرع وأحكامه.

كما أن هذا التأييد وموقف الجماعة المساند من الآخرين له درجات تبدأ من السكوت أو الإعراض إلى التأييد المعنوى وإعلان الموقف إلى المساندة المحدودة ووفق شروط، إلى الدعم المباشر وغير المباشر، أو التأييد العام والمناصرة.

لا يستهدف الإخوان إقامة الحكم الإسلامي عن طريق الانقلاب أو الثورة؛ فهذا ضد منهاجهم، أو بقرار فوقى من السلطة، أو حتى عن طريق المشاركة بعدد من الوزراء مع غيرهم أو بتواجد كثيف في البرلمان.. فهذا الأمر لا يشكل سوى مسار للوصول إلى الهيئات

(١) إعلام الموقعين،ابن القيم،٣/ ٤ .

التنفيذية لنشر الدعوة من خلالها، والتأثير فيها ويمثل وسيلة للإصلاح الجزئى ومحاصرة الفساد المستشرى، مما يساعد على التمهيد في برنامج الإعداد لإقامة الحكم الإسلامي بتصوره الشامل الكامل.

فهذه الإقامة لدولة الإسلام وتحقيق هدف الحكومة المسلمة يحتاج إلى تمهيد وإعداد طويل وتهيئة وتربية للشعب المسلم، وتكوين وتربية للقاعدة الصلبة، وللركائز التي يقوم عليها هذا الحكم وذلك البناء الراسخ، وعموم للدعاية، وانتشار للركائز والأنصار في كل مراكز التأثير وكل الشرائح الاجتماعية، ومساندة ودعم من الرأى العام الشعبى والإسلامي، وتحين الظرف المناسب، وإعداد خاص للصف بحيث يصبح قادرا على إقامة هذا البناء وقيادته وحمايته.

وبدون هذا الطريق وتلك الخطوات والدقة في إتمامها لا نصل إلى الهدف المنشود، وأى بديل أو مسار آخر لن يؤدى إليه، وسيصبح مجرد شعارات ولافتات دون بناء حقيقى يتحمل مسار الدعوة في تحقيق باقى الأهداف العليا.

■ **قواعد النظام الاجتماعى في الإسلام:**

- وعن أسلوب الإصلاح الاجتماعى في الإسلام، يقول الإمام الشهيد: «والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعى الشامل، وأصول الإصلاح الاجتماعى الكامل الذي جاء به - القرآن - تكاد تنحصر في هذه الأصول:

١- الربانية.

٢- التسامى بالنفس الإنسانية.

٣- تقرير عقيدة الجزاء.

٤- إعلان الأخوة بين الناس.

٥- النهوض بالرجل والمرأة جميعا وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وعن تحديد مهمة كل منهما تحديدا دقيقا.

٦- تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد، وتحديد موارد الكسب.

٧- ضبط الغريزتين، غريزة حفظ النفس، وغريزة حفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

٨- الشدة في محاربة الجرائم الأصلية.

٩- تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها.

١٠- إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادئ الحق التي جاء بها هذا النظام.

١١- اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع خاصة، وإبلاغها إلى الناس جميعا »[1].

« ١٢- واجتماعيا تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية »[2].

- ولم يكتف الإسلام بالمبادئ والنظريات، وإنما وضع لها إطارا عمليا ومظاهر محددة، تمارسها وتحرص عليها الأمة.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: «.. وألزم الأمة التي تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال، وجعلها فرائض عليها.. وأهم هذه الفرائض، التي جعلها الإسلام سياجا لتركيز مبادئه (في المجتمع)، هي:

١- الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار... إلخ.

٢- الصيام والعفة والتحذير من الترف.

٣- الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الخير.

٤- الحج والسياحة والرحلة، والكشف والنظر في ملكوت الله.

٥- الكسب والعمل وتحريم السؤال.

---

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص٩٤.

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء الإسلام،رسالة قضيتنا الوطنية،ص٣١٠ .

٦- الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم.

٧- الأمر بالمعروف وبذل النصيحة .

٨- النهى عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه.

٩- التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة في فنون الحياة المختلفة، كل فيما يليق به.

١٠- حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة.

١١- الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس.

١٢- التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معا »[١].

« فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات والنهوض بها، ويضع المجتمع من البرامج والمناهج والإجراءات ما يدعمها ويقويها في بساطة ووضوح »[٢]، وإفادة الناس بنتائجها وآثارها، إذ إن هذه الواجبات تركز وتقوى المبادئ الأساسية التي سبق ذكرها في بناء وإصلاح المجتمع.

■ **قواعد النظام الاقتصادي في الإسلام:**

تكلم الإمام الشهيد عن الألوان الاقتصادية السائدة في العصر الحديث من رأسمالية واشتراكية وشيوعية.. إلخ، وأشار إلى أصالة وتميز النظام الإسلامي، قائلا: «..وأن من الخير كل الخير أن تبرأ - أى الأمة - من هذه الألوان كلها، وأن تركز حياتها الاقتصادية على قواعد الإسلام وتوجهاته العليا، وتستمد منه وتعتمد عليه ».

ويقول أيضا: « ويتلخص نظام الإسلام الاقتصادي في أهمها:

١- اعتبار المال الصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه، وحسن تدبيره وتثميره.

٢- إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

---

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

٣- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد.

٤- تحريم موارد الكسب الخبيث .

٥- تقريب الشقة بين مختلف الطبقات - تقريبا - يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع.

٦- الضمان الاجتماعى لكل مواطن، وتأمين حياته، والعمل على راحته وإسعاده.

٧- الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وافتراض التكافل بين المواطنين، ووجوب التعاون على البر والتقوى.

٨- تقرير حرمة المال واحترام الملكية الخاصة، ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

٩- تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، والتدقيق في شئون النقد.

١٠- تقرير مسئولية الدولة في حماية هذا النظام »[١].

- وأكد الإمام الشهيد على أهمية استقلال الوطن، وسيطرته على مقومات اقتصاده، وعارض بشدة سيطرة الأجانب على مقدرات الوطن، فيقول في ذلك: «.. وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه، شركات أو أفرادا، فالصناعة والتجارة والمنافع العامة، والمرافق الرئيسية، كلها بيد هؤلاء الأجانب حقيقة، أو الأجانب الذين اتخذوا من الجنسية المصرية شعارا، وما زالوا يحنون إلى أوطانهم، ويؤثرونها بأكبر أرباحهم »[٢].

- ويشير إلى وفرة موارد هذا البلد إذا أحسن استغلالها قائلا: « إن هذا البلد ليس فقيرا، بل لعله أغنى بلاد الله تبارك وتعالى بخيراته الطبيعية وثرواته المختلفة، من زراعية ومائية وحيوانية ومعدنية، ونيله العجيب ووديه الخصيب، وما شئت من فضل الله تبارك وتعالى على مصر وأهل مصر منذ القدم ».

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٤٠ .

(٢) رسالة النظام الاقتصادي،ص٣٣٨ .

ويحذر إلى خطورة الأزمات المالية والاقتصادية، فيقول: « ولا يحرك النفوس ويؤلم المشاعر شيء كالضائقة المالية، تأخذ بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة، فضلا عن كمالياتها.. ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف، ولا عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة، وطالب القوت ما تعدى »[1].

- وبيَّن الإمام ضرورة وأهمية الضمان الاجتماعى لكل مواطن قائلا: «وقرر - أى الإسلام - الضمان الاجتماعى لكل مواطن، وتأمين راحته ومعيشته كائنا من كان، مادام مؤديا لواجبه، أو عاجزا عن هذا الأداء بسبب قهرى لا يستطيع أن يتغلب عليه... وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعا ».

- وكذلك مسئولية الدولة عن بناء هذا النظام الاقتصادي الإسلامي، فيقول في هذا: « وأعلن - أى الإسلام - مسئولية الدولة عن حماية هذا النظام، وعن حسن التصرف في المال العام، تأخذه بحقه، وتصرفه بحقه، وتعدل في جباته، ولقد قال عمر ﷺ ما معناه: إن هذا المال مال الله، وأنتم عباده، وليصلنّ الراعى بأقصى الأرض قسمه من هذا المال، وإنه ليرعى في غنمه، ومن غلّ غلّ في النار».

- وأكد الإمام على أهمية استقلال النقد، وتنظيم المعاملات المالية، فيقول الإمام: « وشرع - أى الإسلام - تنظيم المعاملات المالية في حدود مصلحة الأفراد والمجتمع، واحترام العقود والالتزامات، والدقة في شئون النقد والتعامل به، وتحريم التلاعب فيه كالصرف ونحوه ».

ويقول أيضا: « ومن أفظع التغرير بهذا الشعب أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الإنجليزى ».

ويقول: « فهي توجب استقلال نقدنا واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا، لا على أذونات الخزانة البريطانية ».

---

(١) المرجع السابق،ص٣٣٧ .

ويقول: «وإن مصر إذا حزمت أمرها، وأحكمت تصرفاتها ستصل - ولا شك - إلى هذا الاستقلال ».

ويقول: «.. وأن ننفصل عن الكتلة الإسترلينية وفكرنا في تأميم البنك الأهلى، وكل هذا ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصرى »[1].

ويقول أيضا: «كما توجب هذه الأصول الاهتمام الكامل بتمصير الشركات وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك، وتخليص المرافق العامة - وهى أهم شيء للأمة - من يد غير أبنائها فلا يصح بحال أن تكون الأرض والبناء والنقل والماء والنور والمواصلات الداخلية والنقل الخارجي حتى الملح والصودا في يد شركات أجنبية، تبلغ رؤوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات، ولا يصيب الجمهور الوطنى ولا العامل الوطنى منها إلا البؤس والشقاء والحرمان»[2].

- وكذلك تفضيل وتشجيع الصناعات الوطنية والإسلامية، يقول الإمام في ذلك: «الاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا العرب والمسلمين والدول الصديقة، إن كانت، وأهمية التحول للصناعة والتفوق فيها، وتحقيق التقدم التكنولوچى »[3].

- وكذلك محاربة الفساد بكل صوره: « كما حظر الإسلام استخدام السلطة والنفوذ، ولعن الراشى والمرتشى والرائش، وحرّم الهدية على الحكام والأمراء، وكان عمر ﷺ يقاسم عماله ما يزيد عن ثرواتهم، ويقول لأحدهم: من أين لك هذا ؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار، وليس للوالى من مال الأمة إلا ما يكفيه » .

- ووضح أهمية البناء الاجتماعى القوى في نمو الاقتصاد، وكذلك تحقق الأمن والأمان لكل مواطن، فيقول: « ولا عجب في هذا، فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ، والقوة قوة فيها جميعا، والضعف ضعف فيها جميعا كذلك »[4].

---

(١) رسالة : النظام الاقتصادي،ص٣٤٥،ولقد استبدل الدولار الأمريكى بالإسترلينى في عصرنا هذا .

(٢) المرجع السابق،ص٣٤٦.

(٣) رسالة : مشكلاتنا في ضوء الإسلام،رسالة قضيتنا الوطنية،ص٣٤٧ .

(٤) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٦.

واهتم الإمام بقضية تمصير الشركات ودعا إليها، وكذلك تشجيع الصناعات المنزلية، والعناية بالمشروعات الوطنية وبناء قاعدة صناعية قوية، والاهتمام بصناعة السلاح وتحقيق الاستقلال في ذلك، فيقول: «.. وتشجيع الصناعات المنزلية وتقليل الكماليات» .

ويقول أيضا: «.. استغلال منابع الثروة الطبيعية.. العناية بالمشروعات الوطنية الكبرى.. التحول إلى الصناعة فورا ؛ فهذا من روح الإسلام.. وإنشاء مصانع السلاح، والاستقلال في ذلك » (١).

ونادى بتنظيم الملكية الزراعية وتنظيم الضرائب، بما يحقق العدل والأمان في المجتمع ، فيقول : « فنحصر الملكيات الكبيرة، ونعوض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع ونشجع الملكيات الصغيرة.. ».

ويقول أيضا: «.. وتنظيم الضرائب الاجتماعية، وأولها الزكاة ومحاربة الربا » (٢).

– وفى النهاية يقول الإمام: « تلك هي روح النظام الاقتصادي في الإسلام وخلاصة قواعده، أوجزناها منتهى الإيجاز، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخاما، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا في ذلك الخير الكثير ».

كما نشير – أيضا – إلى قوله: « ولهذا كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضا كان الإسلام لا يأبى أبدا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة » (٣).

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء الإسلام،ص٣٤٧ـ ٣٤٩.

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢١ .

الباب العاشر

حول أهداف

(تحرير باقي الأوطان.. استعادة الكيان
الدولي.. الخلافة.. أستاذية العالم)

حول أهداف
(تحرير باقي الأوطان.. استعادة الكيان الدولي..
الخلافة.. أستاذية العالم)

■ **حول أهمية الخلافة وضرورة العمل لإعادتها:**

يقول الإمام الشهيد: «وإن كل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هو جزء عزيز من وطننا..نطلب له الحرية، والتخلص من نير الاستعمار الأجنبي الظالم، ونكافح في سبيل ذلك بكل ما أوتينا من قوة، وإن هذا الوطن - من حدود أندونيسيا شرقا إلى حدود الدار البيضاء غربا - يجب أن ينعم بـ: الحرية، والوحدة، والسلام، في ظل الروابط والنظم والأوضاع التي قررها القرآن الكريم، وهداه إليها الإسلام دينه، وعقيدته، ونظامه، وشريعته ».

« إن الإخوان يعتقدون الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها، والاهتمام بشأنها ».

« والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة، لا تدع مجالا للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ أن حورت عن مناهجها ثم ألغيت بتاتاً إلى الآن ».

« الإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة، والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم»[1].

كما أنهم يبذلون جهدهم في خطوات حثيثة لإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية والسعى لتحقيق تقدمها ورقيها وسط الأمم، وأن يكون لها دورها الإيجابى في العالم كله، وتتخذ هذه الخطوات صورا مختلفة متنوعة ومراحل متدرجة، وإن كانت النتائج الأولية

(١) رسالة : المؤتمر الخامس، ص١٤٤، ١٤٥ .

لهذه الخطوات ليست ظاهرة ؛ فإن ذلك لارتفاع هذا الهدف الكبير، وأن هناك أهدافا تسبقه وإعدادا طويلا يستلزمه، ومهما كانت المعوقات فإن ذلك لا يؤثر في إيمانهم وسعيهم لتحقيق هذا الهدف والعمل من أجله.

■ **مراحل أساسية لتحقيق الهدف:**

ويرسم الإمام الشهيد، مراحل الطريق لتحقيق ذلك، فبعد أن تقوم في أوطان المسلمين عدة دول إسلامية يتحقق فيها الحكم الإسلامي والمجتمع الإسلامي، وفق المنهج والضوابط التي أوضحها الإمام الشهيد، تلتئم وحدتها بالتفافها حول الدولة «الأم» أو «الرائدة»، والتى يشير الإمام الشهيد أنها مصر.

فيقول: « نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الإسلام، وتجمع كلمة العرب، وتعمل لخيرهم، وتحمى المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذى عدوان، وتنشر كلمة الله، وتبلغ رسالته ؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »[1].

« فإننا جميعاً آمنا بهذا الإسلام الحنيف ديناً ودولة، واعتبرنا مصر ـ دولة إسلامية بل هي زعيمة دول الإسلام»[2].

« وانتهت إليها – أى مصر – زعامة شعوبه الأدبية والاجتماعية، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم »[3].

يقول الإمام الشهيد حول الخطوات التمهيدية لذلك:

« وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لابد منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات:

– لابد من تعاون تام: ثقافى، واجتماعى، واقتصادى بين الشعوب الإسلامية كلها.

– يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات، وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد.

---

(١) رسالة: دعوتنا في طور جديد، ص٢٣٢ .

(٢) رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٠٢ .

(٣) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٧ .

- ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على الإمام »[1].

« ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي..».

« ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية، ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ».

« ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها، فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض مسلم يقول: لا إله إلا الله كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض »[2].

ويمثل هذا « إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية » حيث يشكل ذلك مرحلة تمهيدية وضرورية قبل إعلان الخلافة وإقامتها، ثم أستاذية العالم.

وتعتمد هذه المرحلة على التقريب بين الشعوب الإسلامية، وتحقيق وحدتها العملية في جميع الجوانب: الثقافية والاجتماعية، وتحقيق التواصل والتعاون الاقتصادي والشعبى والمؤسسى، مع استكمال تحرير باقى أوطان شعوب الإسلام، والأخذ بأسباب النهضة ومصادر القوة فتستعيد وضعها الدولى العالمى وهيبتها وفعاليتها على مستوى العالم، وفى مواجهة الأحداث.

يقول الإمام ملخصا ذلك: « وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها وإحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها ؛ حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة »[3].

وبهذا تتشكل نواة الخلافة الإسلامية التي تساعد وتعمل على تقوية الوحدة بين

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٥ .

(٢) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٧ .

(٣) رسالة : التعاليم،ص٣٦١ .

شعوب الأمة وتعمل على رقيها وتقدمها وعلى استكمال تحرير أوطان المسلمين وقيام الحكم الإسلامي فيها..وبهذا تتسع الدائرة ويزداد التعاون وتتحقق مظاهر الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي ليكون في نهاية هذه المرحلة إعلان الخلافة الإسلامية الراشدة.

ليبقى عليها العمل لتحقيق استرداد الأمة الإسلامية لكل أرض سليبة، سعدت يوماً ما براية الإسلام، وارتفع فوقها صوت المؤذن.

يقول الإمام الشهيد حول استرداد هذه الديار: « فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل »[1].

وكذلك الأمر لباقى الأرض السليبة ثم على أمة الإسلام في - كل مراحلها - وعلى دولة الخلافة، أن تعمل على نشر الدعوة وتبيان عظمة الإسلام وروعة منهجه في بقاع الأرض كلها آخذة بكل الأسباب، متبوئة مرتبة الأستاذية للعالم كله﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥].

يقول الإمام الشهيد حول هذا الهدف، وذلك الدور العالمى: « والإسلام مع هذا يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله في أرضه، ولها في العالم مرتبة الأستاذية»[2].

«قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها في آيات كثيرة من القرآن».

«.. ثم أوجب على الأمة المحافظة على هذه السيادة. وأمرها بإعداد العدة واستكمال القوة حتى يسير الحق محفوفاً بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار الهداية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولم يغفل التحذير من سَوْرَة النصر والاغترار وما تجلبه من مجانبة للعدالة وهضم للحقوق »[3].

(١) المرجع السابق،ص١٧٨.

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٨٣ .

(٣) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص٣١٦،ط.دار الدعوة - الإسكندرية .

ومع تكتل الدول الإسلامية واتحادها أشار الإمام الشهيد إلى دائرة أوسع من التجمع تشمل الأمم الشرقية في مواجهة دول الاستعمار الغربي، وبذلك تنشأ دائرة أوسع من التأثير والتعاون والتنسيق والتجمع من بلدان العالم المختلفة، جوهر هذا التكتل وقيادته للأمة الإسلامية، ترسى فيه دعائم الحق والمساواة وتعمل قيم الإنسانية والتعارف والتعاون، وتواجه أطماع الدول الاستعمارية.

وكان الإمام الشهيد أول من نادى بسياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابى، وقد توجه بهذا في خطاباته للملوك والرؤساء العرب.

وهذا التكتل العالمى الدولى لا يهدف الصراع أو إذكاء الحروب، وإنما هدفه السلام العالمى القائم على الحق والعدل، ومواجهة العدوان والظلم والأطماع المختلفة من الدول العظمى، وحماية الدول الضعيفة والنمو بها وبناء الحضارة الإنسانية العالمية التي أرسى الإسلام معالمها ومبادئها في الأرض؛لينعم بها كل البشر.

كما يستهدف الإخوان المسلمون في هذه المرحلة العالمية تقويم وإصلاح المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة ومجلس الأمن وما شابهها من مؤسسات ؛ لتخرج من سيطرة قوى الاستعمار والإمبريالية واليهودية، والتي أفرغتها من مضمونها وجعلتها خادمة لمصالح هذه القوى وألعوبة في يد أمريكا واليهود.

ولنكون بحق مؤسسات تعبر عن قيم الحق والعدل، وحينها سيكون لتكتل الدول الإسلامية والشرقية من الآليات ما يمكنها من إحداث هذا التغيير الدولى المنشود، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وهذه الرابطة الشرقية ليست تحزبا ضد الغرب، وإنما هي عاطفة وتعاون وتكتل دولى يشمل كل الدول التي تقبل التعاون، وتقيم علاقتها على أساس العدل والمساواة.

يقول الإمام الشهيد – موضحا ذلك ومبينا موقف الدعوة من الصراع بين الشرق والغرب: « يهتف بعض الناس بعد هذا بالوحدة الشرقية، وأظن أنه لم يثر هذه النعرة في نفوس الهاتفين بها إلا تعصب الغربيين لغربهم وسوء عقيدتهم في الشرق وأبنائه، وهم

في ذلك مخطئون، وإذا استمر الغربيون على عقيدتهم هذه فستجر عليهم الوبال والنكال، والإخوان المسلمون لا ينظرون إلى الوحدة الشرقية إلا من خلال هذه العاطفة فقط، والشرق والغرب عندهم سيان إذا استوى موقفهما من الإسلام، وهم لا يزنون الناس إلا بهذا الميزان »[1].

ويقول أيضا: « والشرقية لها في دعوتنا مكانها، وإن كان المعنى الذي يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتيا طارئا، إنما ولده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتعاليه بمدنيته، وانعزاله عن هذه الأمم التي سماها الأمم الشرقية وتقسيمه العالم إلى شرقي وغربي...هذا المعنى الطارئ هو الذي جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفا يقابل الصف الغربي، أما حين يعود الغرب إلى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والإجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل بمحلها الفكرة الناشئة، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها»[2].

كما يعيد الإمام الشهيد التأكيد على أن: تكتل الدول العربية ليس تكتلا عدوانيا، إنما هو لصالح البشرية، ويخدم أيضا التكتل الدولى الإسلامي، فيقول: «...ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة، نعمل للإسلام ولخير العالم كله »[3].

ويعرِّف العربية فيقول: « ومن أروع المعانى في هذا السبيل ما حدد به الرسول ﷺ معنى العربية، إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام، فقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن مالك قول النبي ﷺ: [يا أيها الناس، إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربى] »[4].

ويقول أيضا: « روى ابن كثير عن معاذ بن جبل ﷺ: [ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان] »[5].

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٣ .

(٢) رسالة: دعوتنا في طور جديد،ص٢٣١ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) المرجع السابق نفسه .

(٥) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٢.

ويقول: « ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه »[1].

■ **نماذج وأمثلة في هذا المجال:**

ويتخذ العمل في ذلك مستويات مختلفة تشمل:

١- العمل على مستوى الدولة.

٢- العمل على مستوى المجتمع ومؤسساته المدنية.

٣- العمل على مستوى الدعاة والجمعيات الإسلامية.

ويأخذ ذلك عدة مسارات أساسية، منها:

١- العمل على الأوعية الحالية والمسارات الموجودة بين الدول الإسلامية، سواء على مستوى الشعوب أو الحكومات، بحيث يتم تفعيلها، وتنشيطها، ودعمها، ومعالجة نقاط الخلل أو الضعف فيها، وكذلك مواجهة المستهدفات الغربية التي تريد توظيف هذه الأطر لصالح الغرب وليس لصالح هذه الدول الإسلامية.

٢- تشجيع ودعم صور التكافل المختلفة بين الشعوب والدول الإسلامية، وخاصة في المجال الاقتصادي والتعاون العلمي، سواء على المستوى الأهلي، أو مستوى الحكومات.

٣- إقامة الروابط، وإنشاء التجمعات المشتركة التي تعمل على التواصل والتعاون والتنسيق، وخاصة المؤسسات الاجتماعية والأهلية.

٤- إحياء الفكرة في النفوس، وإزالة ما يُثار حولها من شبهات واتهامات.

٥- الدعم الإعلامي، والتوجيه الفكري لتعاون هذه الشعوب، وترسيخ معاني الوحدة والترابط فيما بينها.

وتتخذ تلك المسارات أشكالا وصورا مختلفة، مثل:

---

(١) المرجع السابق نفسه .

١- التنسيق بين: النقابات، والاتحادات، والجامعات، والهيئات، والجمعيات الخيرية بين دول العالم الإسلامي، والرقى بها إلى مستوى عالى من التعاون والترابط والتوحد، وكذلك المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من الأحزاب والبرلمانات ورجال الأعمال... الخ.

٢- دفع الحكومات إلى إزالة المعوقات، وتنشيط هذا التواصل، والعمل على تفعيله قدر الإمكان، وتغطيته إعلاميا.

٣- الاهتمام بدور الأزهر ودعمه لشعوب العالم الإسلامي والتوسع في ذلك.

٤- التواصل والتنسيق بين الجماعات الإسلامية، التي تعمل في مجال الدعوة ولا تنحرف عن المبادئ والأصول الإسلامية، والسعى لعمل شكل تنسيقى، أو مؤتمر دورى، يرتقى بعد ذلك إلى مستوى الرابطة والمؤسسة الجامعة.

٥- تشجيع المنتجات الوطنية لهذه الدول، وكذلك السياحة والتواصل الإعلامى فيما بينها.

٦- تشجيع الحكومات على تشكيل روابط وتكتلات اقتصادية وسياسية مع دول العالم الإسلامي في عالم أصبح يحتاج إلى التكتل، وتفعيل الزشكال القائمة حالية، وإن كانت ضعيفة أو فارغة المضمون، وتقويتها، بدءا من جامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي ومنظمة الدول الإسلامية...الخ.

٧- تعريف الشعوب بعضها ببعض، وتبنى مشاكلها وقضاياها، ومعرفة زعمائها ورموزها وتتبع أخبارها، وتبنى قضايا العالم الإسلامي، واتخاذ مواقف إيجابية معها.

٨- الاهتمام بالوافدين والمبعوثين من بلاد العالم الإسلامي.

٩- الاهتمام بتاريخ انتشار الإسلام في هذه البقاع وما قدموه من حضارة وإنجازات عبر التاريخ.

.. كل هذه الوسائل وغيرها تصب أساسا في تحقيق هذا الهدف، الذي يحتاج إلى صبر

دءوب، وعمل متدرج هادئ متواصل، وإلى الالتفاف على المعوقات، وإلى الواقعية في التحرك في ذلك المجال، وإن هذا الأمر يحتاج إلى سنوات طويلة، وإلى أجيال متوالية، لكنه لا يغيب لحظة واحدة عن مشروعنا الإسلامي المتكامل، ولا نغفل عن دعمه والتخطيط الحثيث له.

■ **الرد على دعوى تكتل الغرب حولنا:**

ويرد الإمام على الدعاوى التي تزعم أن التكتل الإسلامي وإحياء دولة الإسلام سوف يخيف الدول الأجنبية الغربية، ويجعلها تتآلب علينا وتتجمع ضدنا، وكذلك أوضح الإمام حقيقة هذه الدول، فيقول: « وقد يقال: إن الجهر بالعودة إلى نظام الإسلام مما يخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية فتتآلب علينا وتتجمع ضدنا، ولا طاقة لنا بها.. وهذا منتهى الوهن وغاية الفساد في التقدير وقصر النظر، وها نحن أولاء نرى هذه الدول، وقد سايرناها في نظمها وأخذنا بألوان حياتها واتبعناها في تقاليدها، فهل أغنى ذلك عنا شيئا؟ وهل دفع عنا من كيدها ؟ وهل منعها من أن تحتل أرضنا وتسلب استقلالنا وتستأثر بخيرات بلادنا، ثم تتجمع في كل مؤتمر أو مجتمع دولى ضد حقوقنا، وتثير المشكلات والصعاب والعقبات في وجوهنا، ولا تتأثر إلا بشيء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط، ولا يعنيها بعد ذلك أنها نصرانية، فقد رأيناها في الحرب الماضية يحطم بعضها بعضا وكلها مسيحية..

وهاهم أولاء جميعا يناصرون الصهيونية اليهودية وهى أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة..»[1].

ويقول: «.. ولكن خطر التنصل من الإسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه، فسنظل حائرين فتتحطم معنوياتنا، متفرقين فتضعف قوتنا »[2].

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣٠٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

■ **كيفية تحقق أستاذية العالم:**

وقد أشار الإمام الشهيد لهذه المرحلة النهائية من الأهداف إشارات عامة وليست تفصيلية؛لأنها مرحلة متقدمة جدا، الواقع فيها متغير حسب زمانها ولا يمكن التقدير التفصيلى فيها.

- والبداية لهذا الهدف النهائى تكون بظهور (الدولة النموذج)، التي تقدم المنهج الإسلامي عمليا في الحكم، في أكثر من دولة، وأن تلتف وتلتقى حول (الدولة النواة) أو (الأم) التي تمثل واسطة العقد، وبذلك تتشكل النواة التأسيسية لدولة الخلافة الإسلامية.

- ثم إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، ورقيها وتقدمها في مختلف المجالات.

- ثم يلتئم شمل باقى الدول الإسلامية تحت هذه الراية - راية الخلافة - ويتم ذلك بالأسلوب الدعوى وتربية الشعوب، وبالوسائل السلمية المختلفة التي تحقق الوحدة والاندماج على كافة المستويات، كما أنه تحت طلب وضغط الجماهير المسلمة الواعية تزول المعوقات وتُحسم الترددات.

- وتقوم دولة الخلافة بالاهتمام بالشعوب والأقليات الإسلامية المضطهدة، فتوفر لها الدعم والحماية، وترفع عنها الظلم وتساعدها في التحرر واسترداد كامل حقوقها.

- وبذلك تتحقق الوحدة الإسلامية بين الأقطار والشعوب الإسلامية في كل بقاع الأرض، تحت قيادة واحدة هي راية الخلافة الإسلامية الراشدة والتواصل مع كل المسلمين في العالم تواصلا يحقق الوحدة المنشودة، والتعاون على نشر دعوة الإسلام وبيان محاسنه.

- وتحوز هذه الأمة الإسلامية الموحدة سبل التقدم العلمى، والرقى الحضارى، وامتلاك كل وسائل القوة في مختلف الجوانب: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية.. إلخ.

- وبذلك تصبح باتساعها وامتدادها وقوتها: مركز الثقل في العالم كله، فتقوم بأداء دورها الدعوى على وجه كامل، وإظهار محاسن الإسلام ومنهجه، ودعوة كل البشرية إليه، مع تقديم الواقع العملى التطبيقى له ونتائجه في حياة البشر.

- وتتبنى أمة الإسلام قيم: العدل والمساواة والحرية، فتقف مع المظلوم، وتأخذ على يد الظالم.

- ويكون نتيجة عملية لذلك انتشار الإسلام ودخول الكثيرين فيه من دول العالم المختلفة، ولن تصمد الحضارة الغربية المتهالكة - والتي أنتجت الشقاء والفساد في الأرض أمام نور الإسلام وهديه القويم.

- وتوفر دولة الخلافة لمن شاء من البشر الحرية أن يعتنق دين الإسلام ويهتدى بهديه، وتحمى هذا الحق في أى بقعة من العالم، فإذا كان هناك اعتداء من أى سلطة أو دولة على هذا الحق وعلى حرية المسلمين هناك في التمسك بدينهم تدخلت للحماية ورد هذا الاعتداء وذلك الظلم.

وبهذا تتحقق أستاذية العالم، ويعم الإسلام بهديه ومنهاجه ربوع العالم كله، يستظلون بظله، ويتمتع فيه بالحرية والعدل والمساواة كل البشر، سواء من آمن به ومن لم يؤمن، كما كان هدى الإسلام في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين مع أهالى البلاد.

- يجب أن يكون واضحا لدينا، أن قيم الإسلام ومبادئه ومنهجه الذي أنزله رب العالمين ليمثل قمة الحضارة وكمال الإنسانية وذروة الرقى الذي تنشده البشرية، لا يماثلها فيه أيّ منهج أو يشترك معها فيه أيّ دعوة أرضية أخرى، ويمثل نتاج التطبيق العملى لأمة الإسلام لهذا المنهج الربانى وما أخذت نفسها به: واقع «الحضارة الإسلامية » عبر التاريخ، فبمقدار تطبيقها والتزامها بهذا الدين فهما وعملا ودعوة وحركة، يكون اقترابها من هذا النموذج الكامل.

ولهذا يمثل تاريخ الحضارة الإسلامية عبر عصوره المختلفة الجهد البشرى الذي تم في هذا الميدان، وتفاوته بين الضعف والقوة، كما يمثل النموذج العملى للتطبيق في عهد رسول الله ﷺ الصحابة الكرام، النموذج القدوة في هذا الأمر.

والتقدم العلمى بما يناسب حال كل عصر، والرخاء والرفاهية للبشرية، هي ثمرة من الثمار المتعددة لتطبيق المنهج، وهى ثمار متاحة لمن أخذ بأسبابها وقوانينها، لكنها لا تحقق السعادة والفلاح للبشرية إلا في ظل المنهج الإسلامي.

- ويشير الإمام الشهيد إلى عوامل نجاح الأمة الإسلامية، فى دعوتها لأمم الأرض إلى حضارة الإسلام، فيقول: «أيها المسلمون اذكروا أن الدنيا لن تصغى لكم ولن تسمع منكم ولن تجيبكم إلى ما تطلبون إليها، إلا إن كنتم أنتم نماذج صالحة للتمسك بما تدعون الناس إليه، والعمل بهذا المنهاج الكريم القويم، كتاب الله الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكنتم مع هذا يدا واحدة وقلبا واحدا واتجاها واحدا ؛ لأن الإسلام وحدة وتوحيد ولا شيء بعد هذا .

إن الوحدة، واجتماع الكلمة، وائتلاف القلوب هي لب الإسلام ولا شك، والأمة الإسلامية أمة واحدة ؛ بحكم إخوة الإسلام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقول الرسول ﷺ: «.. ولن تؤمنوا حتى تحابوا ».

وفى هذا يؤكد الإمام الشهيد أهمية وحدة الأمة واجتماع الكلمة، والحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية في أنفسنا قبل أن ندعو الآخرين إليها، ونكتفى بذكريات التاريخ المجيد لحضارة الإسلام.

■ **الأمة الإسلامية وصراع الحضارات:**

- إذا تحدثنا عن الحضارة الإسلامية، فإنه بمقدار امتثال التطبيق العملى أو الحضارة الإسلامية لمنهج الله والعمل به، بمقدار بلوغها أوج وذروة الحضارة، كما أن للحضارات وللدول ميزانٌ ربانى وسنن كونية قدرها الله، إذا أخذت بها الأمم تقدمت وازدهرت إلى حين، وإذا خالفتها وأهملتها انحدرت وانهارت، والحضارة الحقيقية الكاملة هي التي تقوم على مبادئ الإسلام وشريعته، ومنطلقها الإيمان، وغايتها الله عز وجل، وهى بذلك تمثل الحضارة النموذج والكاملة، والتي تكون لها العاقبة والاستخلاف الكامل والتمكين في الأرض.

- ونظرة الإسلام في التعامل مع الدول والحضارات الأخرى تقوم أساسا على: الدعوة وإبلاغ رسالة الإسلام للجميع، وتشجيع التعاون والتعارف، والتنسيق بين شعوب العالم المختلفة وفق قيم العدل ومعانى الإنسانية النبيلة، وهى تعطى لكل ذى حق حقه.

- والحضارة الإسلامية يتسع صدرها لكل شعوب العالم وحضارته وقيمه الخاصة به، وحقه في أن يعتز كل منها بقوميته، دون اعتداء على الآخرين، وهى تزن رصيد وتراث وحضارات هذه الأمم بميزان الإسلام وقيمه، فما وافق منها مبادئ الإسلام أقرته، وما خالفها أوضحت رأيها فيه، وهى تأخذ بالنافع المفيد مما فيه عمران الأرض والكون، وتصبغه بصبغتها الإسلامية، وتوجهه التوجيه النافع الصالح لها وللبشرية.

وأمة الإسلام تدرك سنة التدافع في الكون، وأنه لابد للحق من دعاة يحملونه، وأمة تتبناه، وتقرّ مبادئه، وتؤمّن له الحرية والحماية، وتدفع الاعتداء والظلم في الأرض.

وموقفها من صراع الحضارات أنه صراع مصطنع من حملة الباطل وقوى الظلم والاستبداد، وهى تدعو إلى استبداله بالاتفاق على القيم والمثل الإنسانية، وأن تكون حضارة الإنسان منطلقها الإيمان والأخلاق وألا نعبد إلا الله، وأن تقوم حضارة الإسلام - التي تحمل نموذج الهداية المستمد من الشريعة الربانية - بدورها في الدعوة والهداية البشر والوصول بالإنسانية إلى الرقى الحضارى الإيمانى.

- وأمة الإسلام تضع ميزان التعامل بالمثل مع الآخرين، وتحفظ لأمتها العزة والكرامة، فمن سالمها سالمته، ومن عاداها واعتدى عليها ردَّت عليه الاعتداء، وأوقفت تجاوزه وظلمه.

- وهى تعى دروس التاريخ وتعلم جيدا القوى التي تواجه الدعوة وطبيعتها منذ أول يوم، وقد فصل لنا القرآن وأحاديث الرسول ﷺ طبيعة هذا الصراع ومراحله، وأنه محاولة من الباطل والشيطان وجنده لمواجهة نور الحق ومنهج الإسلام ومن يحمله، وأنه لا محالة سيكون الباطل مهزوما بوعد الله وقدره، إذا أخذنا نحن بأسباب الثبات والنصر- التي قدرها الله، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

- لكن هذا الصراع العنيف لا يجعل أمة الإسلام تشتط أو تتجاوز أو تظلم وتعتدى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

ويأتى هذا الصراع فيميز الله به الخبيث من الطيب، ومن خلاله تترسخ قيم الحق والعدل في مواجهة قيم الباطل في الأرض.. يبدأ الصراع وأهل الحق قلة مستضعفة، قليلة في الوسائل والإمكانيات، وتتحمل الكثير من الجهد والتضحيات، وتجد أمامها أهل الباطل كثرة متفوقة في كل الوسائل المادية، ويبذلون أقصى الجهد عندهم، ورغم هذا لا ينجحون أو ينتصرون في النهاية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

ونوجز المفاهيم الواردة في هذا المجال وواقعها التاريخى في النقاط الآتية:

١- الحضارة الإسلامية هي الحضارة الحقيقية الشاملة للمادة والروح معا، والتي تتسق وتنسجم مع ناموس الكون وفطرة الإنسان وترتقى به الرقى الحقيقي في كل جوانبه.

٢- وتقوم تلك الحضارات على منهج ربانى هو الإسلام، يؤهلها لقيادة الإنسانية وأستاذية الأمم والعالم كله.

وهذه الخيرية لأمة الإسلام - ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] - مشروطة باتباع منهج الله وأداء رسالة الإسلام، فهي خيرية دعوة ومنهج، وليست خيرية جنس أو قوم أو عصبية.

يقول الإمام الشهيد: « قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها للأمم في آيات كثيرة من القرآن.. ثم أوجب على الأمة المحافظة على هذه السيادة وأمرها بإعداد العدة واستكمال القوة حتى يسير الحق محفوفا بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار الهداية ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] »(١).

ويقول أيضا: « ومعنى هذا أن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصايا النبيلة، وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب، ولمدنية الإسلام، لا مدنية المادة.. »(٢).

(١) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص١٦٣ .

(٢) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٣٥ .

ويحذر الإمام من الانحراف في أداء هذه الأستاذية: « ولم يغفل التحذير من سورة النصر، ونشوة الاغترار، وما تجلبه من مجانبة للعدالة وهضم للحقوق، فحذر المسلمين العدوان على أية حال »[1].

٣- هذه هي الرسالة والمهمة التي صارت إليها أمة الإسلام، بعد رسول الله ﷺ، وسادت بحضارتها الإسلامية الدنيا كلها، ثم يوضح الإمام أنه نتيجة للبعد عن الدين وجوهره، وعدم الأخذ بأسباب القوة، تسللت عوامل الضعف والتحلل في كيان الأمة الإسلامية: من انتشار الخلاقات السياسية والعصبية، وتنازع الرياسة والجاه، والخلافات المذهبية والدينية، والانصراف عن الدين كعقائد وروح وحياة، وكذلك الانغماس في الترف والنعيم والشهوات وغرور الحكام واستبدادهم، والانخداع بوسائل الخصوم والمنافقين وإهمال العلوم العملية والمعارف الكونية » [2].

٤- ثم جاءت - وحال الأمة هكذا - محاولات الأعداء للقضاء على الأمة الإسلامية، ويوضح الإمام أيضا جذور هذا العداء وتلك الحرب على أمة الإسلام: «..أخذت هذه العوامل تعمل في كيان الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عملها، وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة ؛ لتأخذ بثأرها وتقضى على هذه الدولة الإسلامية التي فتحت بلادها من قبل، وغيرت معالم أوضاعها في كل شئون الحياة » [3].

ويقول أيضا: «.. وإنهم إن تفرقوا في مطامعهم واختلفوا في منازعهم، فهناك سبيل واحد اتفقوا عليه وأقسموا لَيُنَفِذُنَّهْ، هو القضاء على الإسلام والمسلمين، وهى إحن صليبية وسياسة رجعية تدفعهم إلى أعمال هي إلى الوحشية والجنون أقرب.

لا تخدعوا أنفسكم أيها المسلمون وحسبكم غفلة وحسن ظن بالأيام، فقد وصف الله لكم القوم في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال لنبيه ﷺ ما هو أصرح من ذلك.

(١) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص١٦٣ .

(٢) راجع رسالة : بين الأمس واليوم،ص٩٦ - ٩٨ .

(٣) المرجع السابق،ص٩٨ .

وهم لا يرضيهم منكم إلا الردة وإلا الاستعباد، وبعد كل هذا لهم معكم حقد قديم ينتقمون منكم به » [1].

٥- ونجحت الأمم الأوروبية في هذه المرحلة، ونشرت حضارتها المادية، يقول الإمام الشهيد: « وقد عمل الأوروبيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التي امتدت إليها أيديهم... مع حرصهم الشديد على أن يحتجزون دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف الصناعية والنظم النافعة، وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى إحكاما شديدا، واستعانوا بدهائهم السياسي، وسلطانهم العسكرى، حتى تم لهم ما أرادوا..

وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم، وأن يصبغوا النظم: السياسية.. والتشريعية.. والثقافية بصبغتهم الخالصة في أقوى بلاد الإسلام » [2].

ويقول أيضا: «ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزوا قويا عنيفا بـ: العلم، والمال، وبالسياسة، والترف، والمتعة، واللهو، وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية.. واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب، وفصلنا عنه شؤون الحياة العملية..

وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن، وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقى لنا من شؤوننا الحيوية»[3].

ويقول أيضا: « ونستطيع بعد ذلك أن نقول: إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معا في أرض الإسلام نفسه، وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكرى، ولا عجب

(١) مقالة الإمام الشهيد،عام ١٩٣١م : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به .

(٢) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٤ .

(٣) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٨ .

في هذا ؛ فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ، والقوة قوة فيها جميعا، والضعف ضعف فيها جميعا كذلك ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] »[١].

٦- ورغم شدة الهجمة فإن مبادئ الإسلام مازالت قائمة، « وإن كانت مبادئ الإسلام وتعاليمه ظلت قوية في ذاتها، فياضة بالخصب والحياة، جذابة أخاذة بروعتها وجمالها، وستظل كذلك ؛ لأنها الحق، ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها، ولأنها من صنع الله وفى حياطته ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] »[٢].

٧- وأصبح واجبا علينا استرداد دورنا، وإقامة نهضتنا وحضارتنا، يقول الإمام الشهيد: «.. وهكذا أيها الإخوان، أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذا الظلام، وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته، وإظهار شريعته، وإقامة دولته من جديد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] »[٣].

ويقول أيضا: « وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه نتائج أغاليط الماضى، ونتجرع مرارتها، وأن يكون علينا رأب الصدع، وجبر الكسر، وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا، واسترداد عزتنا ومجدنا، وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا »[٤].

٨- « لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا: توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة على أساس الإسلام وقواعده»[٥].

وأن على الأمة طريقا طويلا من الجهاد لتحقيق هذه الغاية: « وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف، وصراع قوى شديد بين الحق والباطل، بين النافع والضار، وبين

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١٠٦ .

(٢) رسالة: دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٢ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٦٩ .

(٥) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٩ .

صاحب الحق وغاصبه، وسالك الطريق وناكبه، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين، وأن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد، والجهد هو التعب والعناء.

وليس للأمة عدة في هذه السبيل الموحشة إلا: النفس المؤمنة، والعزيمة القوية الصادقة، والسخاء بالتضحيات، والإقدام عند الملمات، وبغير ذلك تُغلب على أمرها ويكون الفشل حليف أبنائها »[1].

٩- « ثم بين الله تبارك وتعالى أن المؤمن في سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله، فليس له فيها شيء، وإنما هي وقف على نجاح هذه الدعوة، وإيصالها إلى قلوب الناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفا على دعوته ؛ ليكسب آخرته جزاء تضحيته، ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من: نور وهداية ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامي فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربي الآن ؟ !! »[2].

■ **أسس قيام الوحدة العالمية:**

يقول الإمام الشهيد: « ومن هنا أيها الأخوة رأينا أخلاء المسجد.. وأنصاء العبادة.. وحفظة الكتاب الكريم.. بل وأبناء الربط والزوايا من السلف رضوان الله عليهم لا يقنعون باستقلال بلادهم.. ولا بعزة قومهم.. ولا بتحرر شعوبهم، ولكنهم ينسابون في الأرض يسيحون في آفاق البلاد فاتحين معلمين، يحررون الأمم كما تحرروا، ويهدونها بنور الله الذي اهتدوا، ويرشدونها إلى سعادة الدنيا والآخرة، لا يغلون.. ولا يغدرون.. ولا يظلمون.. ولا يعتدون.. ولا يستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »[3].

« وهذه الوحدة العالمية تقوم على منهج الإسلام ومبادئه وعلى ريادة الأمة الإسلامية

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٦٩ .

(٢) رسالة إلى أى شيء ندعو الناس،ص٣٥ .

(٣) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص٣١٦،ط.دار الدعوة - الإسكندرية .

المتمسكة بتعاليم دينها وأستاذيتها للعالم كله، لقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك »[1].

« أحب أن أؤكد لحضراتكم تأكيدا قاطعا أن سياسة الإسلام داخلية أو خارجية تكفل تمام الكفالة حقوق غير المسلمين، سواء أكانت حقوقا دولية أم كانت حقوقا وطنية للأقليات غير المسلمة، وذلك لأن شرف الإسلام الدولى أقدس شرف عرفه التاريخ، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]، ويقول: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٤] »[2].

« وقد كفل الإسلام حقوق الأقليات بنص قرآنى هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] »[3].

ويشير الإمام إلى أن العلاقة مع الشعوب والدول الأخرى تقوم أساسا على: (الدعوة)، والتعاون لخير الإنسانية، فيقول عن ذلك: «.. وقوم ليسوا كذلك [أى ليسوا مسلمين] لم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط [أى الإسلام]، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة، هي رابطة (الدعوة)، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه ؛ لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما يحدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يُرد به عدوان المعتدين ».

ويقول: « وأما العالمية أو الإنسانية فهي هدفنا الأسمى، وغايتنا العظمى، وختام الحلقات في سلسلة الإصلاح ».

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣١ .

(٢) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص٣١٦،٣١٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

ويقول أيضا: « إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله »[1].

ويقول: « نريد السلام للعالم كله »[2].

ويقول: « نحب ونتعاون مع الغير »[3].

ويشير فضيلته إلى أن تطور الشعوب والزمن سوف يؤدى إلى التمهيد لهذه الفكرة العالمية: « كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية».

■ **وحول الدور الذي يمكن أن نؤديه في مرحلتنا هذه نحو هذا الهدف الأسمى:**

يقول الإمام: «وحسبنا أن نتخذ منها هدفاً وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم في هذا البناء الإنسانى لبنة وليس علينا أن يتم البناء فلكل أجل كتاب »[4].

« ومن هنا كانت ذات مراحل، نرجو أن تتحقق تباعاً وأن نقطعها جميعاً وأن نصل بعدها إلى الغاية »[5].

«فمن دعوتكم أيها الأخوة الأحبة، أن تساهموا في السلام العالمى وفى بناء الحياة الجديدة للناس، بإظهارهم على محاسن دينكم وتجلية مبادئه وتعاليمه لهم وتقديمها»[6].

ومع اكتمال التصور حول الأهداف كلها، فإن بناء المراحل والأهداف السابقة وإحكامها يشكل الخطوات الأساسية للوصول إلى هذا الهدف الأخير وتحقيقه.

وما نحتاجه في مراحلنا الأولى في البناء، نحو هذا الهدف السامى، يتمثل فى:

١- وضوح الرؤية حول هذا الهدف وأهميته.

٢- الإيمان واليقين بتحققه، وأنه سيكون كما بشر بذلك الرسول ﷺ.

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس .

(٢) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق .

(٣) رسالة : المؤتمر السادس .

(٤) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣١ .

(٥) المرجع السابق،ص٢٣٢.

(٦) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥١ .

٣- عدم نسيانه أو إغفاله، وتعميق الإيمان به والحرص عليه وربط العاطفة به وإحيائه دوما في النفوس.

٤- اتخاذ الوسائل الابتدائية والتمهيدية التي تخدمه، من: تكامل الشعوب الإسلامية وتعاونها، وزيادة ارتباطها بكل السبل والوسائل وعلى كل المستويات: الأفراد أو المؤسسات والجمعيات أو الشعوب والأقطار، والسعى إلى إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية والعمل على رقيها وتقدمها.

وأن ذلك أمر يحتاج إلى سنوات طويلة ومراحل كثيرة، والتدرج بهذه الصور إلى مستويات أعلى من الترابط والتناصر تمهيدا لترسيخ هذا المبدأ داخل الشعوب، وتمهيدا لوحدة الأمة في كل مظاهرها، وقيام دولة الخلافة.

٥- دقة إحكام الخطوات، وتحقيق الأهداف المرحلية، وعدم التسرع بالتجاوز والقفز فوقها.

ولهذا يؤيد الإخوان كل عمل تجميعى، وكل صور وأشكال التعاون والتكافل بين شعوب ودول العالم الإسلامي، حتى ولو لم تكن هذه الأشكال مستكملة أو عميقة التأثير، فإنها مرحلة متدرجة ؛ لنصل بها إلى ما نريد من وحدة وارتباط.

الباب الحادي عشر

تبيان

حول مواقف الدعوة

وسياسة الجماعة

تبيان حول
مواقف الدعوة وسياسة الجماعة

■ **حول موضوع الدعاية وإعلان الأعمال والاسم:**

مع أن الأصل هو عدم الإعلان إلا أن واقع الدعوة ووجوب توضيحها لكثير من الناس، ولرد الاتهامات الموجهة إليها.. أصبح الأمر يستلزم الاهتمام بهذه الدعاية ولكن بشروط وضوابط شرعية.

يقول الإمام الشهيد حول إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات، فإن ذلك بسبب:

١- مخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء، فيسرع إليها التلف والفساد.

٢- نفور الإخوان الطبيعى من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج الذي ليس من ورائه عمل.

٣- ما يخشاه الإخوان من معاجلة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة ينتج عن كليهما تعويق في السير أو تعطيل عن الغاية.

لكن هذا الأمر في توازن دقيق مع التعريف بالدعوة وأعمالها، وما قد يتطلبه ذلك من فرض لشرعية الجماعة الاجتماعية حين تواجه بالتضييق، وللرد على الحملات التي تشوه صورتها:

« والموازنة بين هذه، وبين ما ورد في إذاعة الخير والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفسه، أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق »[1].

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٨،١٢٩ .

« ولكن لاحظوا أنكم الآن وقد أرغمتكم الدعوة على أن تتخطوا الحواجز الخاصة إلى الميادين الواسعة...

فقد وجب عليكم أن تبينوا للناس غايتكم ووسيلتكم وحدود فكرتكم، ومنهاج أعمالكم، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد إلى ما فيها من نفع للأمة وخير لأبنائها...

واحرصوا على: أن تكونوا صادقين لا تتجاوزون الحقيقة، وأن تكون دعايتكم في حدود الأدب الكامل والخلق الفاضل، والحرص التام على جمع القلوب وتأليف الأرواح.

واستشعروا كلما ظهرت دعوتكم أن الفضل في ذلك كله لله. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] »[1].

فهذا الإعلان وذلك الإبراز للأفراد ودورهم في المجتمع، إنما هو أيضا في سبيل الله وسبيل الدعوة وخدمة لها، دون أن يتطرق حب الظهور والتمسك بالمناصب والتعلق بالمديح والثناء إلى قلوبهم.

كما أن الدعوة في حاجة إليه في ظل الظروف التي تتعرض فيها للتضييق والمحاربة بشتى الوسائل وإطلاق الشائعات عليها لمحاولة تنفير الناس منها ومن أفرادها، فهذا الإعلان لمجهوداتهم رد عملى على ذلك، وتأليف لقلوب الناس نحو الإسلام ومنهجه، ولنا في يوسف عليه السلام أسوة حسنة.

وهذه الرموز من الجماعة التي تعلن عن نفسها تمارس حقها القانونى والدستورى لا تأخذ حقا ليس لها ولا تدعى زورا أو كذبا، ولو أرادت الوصول إلى المناصب والاستمتاع بها لتركت طريق الدعوة الشاق والتحقت بالأحزاب الأرضية وأصحاب السلطان لتصل من أسرع طريق بدلا من طريق أصحاب الدعوات المملوء بالجهاد والتضحيات.

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٨،١٢٩ .

■ **موقف الجماعة من الأفراد والهيئات العاملة للإصلاح والإسلام:**

وينقسم هذا المجال إلى أنواع ثلاثة:

١- من يختلفون معها في الفرعيات والوسائل.

٢- من يختلفون معها في الأصول .

٣- من يهاجمونها ويتحاملون عليها، أو يحاربون دعوتها .

١- من يختلفون معها في الفرعيات والوسائل:

يقول الإمام الشهيد: « ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لابد منه، ولا يمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب؛ لأسباب عدة »[1].

«... كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشى الأزمان ، وهو لهذا سهل مرن هين، لين لا جمود فيه ولا تشديد.

نعتقد هذا، فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً دون ارتباط القلوب، وتبادل الحب، والتعاون على الخير، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته ؛ ألسنا مسلمين وهم كذلك ؟ وألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا ؟ ففيم الخلاف إذن ؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالا للنظر عندهم كرأيهم عندنا ؟ ولماذا لا نتفاهم في جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم ؟ »[2].

«يعلم الإخوان المسلمون كل هذه الحيثيات، فهم لهذا أوسع الناس صدراً مع مخالفيهم.ويرون أن مع كل قوم علماً، وفى كل دعوة حقاً وباطلاً، فهم يتحرون الحق

(١) رسالة : دعوتنا،ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق،ص٢٦ .

ويأخذون به، ويحاولون في هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم، فإن اقتنعوا فذاك، وإن لم يقتنعوا فإخوان في الدين، نسأل الله لنا ولهم الهداية »[1].

ويقول أيضاً: « ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله ».

« الإخوان يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأى ويحاولون الوصول إلى الحق ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب »[2].

ويقول كذلك: « موقفنا من الدعوات في هذه البلد: دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية – بناء على طبيعة دعوتنا – موقف واحد على ما أعتقد: نتمنى لها جميعا الخير وندعو لها بالتوفيق، وأن خير طريق نسلكها ألا يشغلنا الالتفات إلى غيرنا عن الالتفات إلى أنفسنا، إننا في حاجة إلى عدة وإلى تعبئة، وإن أمتنا والميادين الخالية فيها محتاجة إلى جنود وإلى جهاد والوقت لا يتسع لنتطلع إلى غيرنا ونشتغل به، كل في ميدانه والله مع المحسنين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق »[3].

ويقول: « وستسمعون أن هيئة من الهيئات تتحدث عنكم، فإن كان الحديث خيرا فاشكروا لها في أنفسكم ولا يخدعنكم ذلك عن حقيقتكم، وإن كان غير ذلك فالتمسوا لها المعاذير، وانتظروا حتى يكشف الزمن الحقائق، ولا تقابلوا هذا الذنب بذنب مثله، ولا يشغلنكم الرد عليه عن الجد فيما أخذتم أنفسكم بسبيله.. » [4].

ويحرص الإمام الشهيد على وجود تلك الهيئات التي تعمل لنصرة الإسلام وإصلاح المجتمع من شتى القوى والتيارات المختلفة، ويتمنى لها التوفيق والنجاح، ويدعوها إلى التعاون والتنسيق فيما بينها، يقول الإمام في ذلك: «والإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات

(١) رسالة : دعوتنا،ص٢٧ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٢،(من مقالة فضيلته في السنة الخامسة لمجلة «الإخوان المسلمون ») .

(٤) المرجع السابق،ص٢٦٤.

- على اختلاف ميادينها - تعمل لنصرة الإسلام، وهم يتمنون لها جميعا النجاح، ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاجهم التقرب منها والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة»[1].

فالإخوان ليس من منهاجهم احتكار الساحة العامة أو الانفراد بها، بل منهجهم - الذي يحرصون عليه - هو منهج: المشاركة، والتعاون، وعدم الإقصاء، والاحترام المتبادل، رغم أن الواقع التاريخى منذ نشأتهم أظهر مدى ضيق الآخرين بها، وحربهم لها، والتضييق عليها، والتشهير بها، والحسد لما تحققه من نجاحات.

ويدعو الإمام الشهيد إلى الوحدة ونبذ الفرقة:

« فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون وهى مع الحق أينما كان تحب الإجماع وتكره الشذوذ، وإن أعظم ما منى به المسلمون الفرقة والخلاف وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة »[2].

« وإنها دعوة بريئة نزيهة قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية واحتقرت المنافع المادية وخلفت وراءها الأهواء والأغراض »[3].

ويقول في رسالة المؤتمر السادس:

« وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعاً على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء، وتعاون وولاء، نحبها ونعاونها، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب، ولا يباعد بيننا وبينها رأى فقهى أو خلاف مذهبى، فدين الله يسر ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه...

ونعتقد أنه سيأتى اليوم الذي تزول فيه الأسماء، والألقاب، والفوارق الشكلية، والحواجز النظرية، وتحل محلها وحدة عملية تجمع صفوف الكتيبة المحمدية، حيث لا يكون هناك إلا إخوان مسلمون.. للدين عاملون.. وفى سبيل الله مجاهدون »[4].

---

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٥ .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٥ .

(٣) المرجع السابق،ص١٣ .

(٤) رسالة : المؤتمر السادس،ص ٢١٦.

« وإن الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موحدة غير بعيد على ما أعتقد... والزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله »[1].

« فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه، وهو خير كفيل بالصقل والتمييز »[2].

وبهذا يحدد الإمام منهاج التعامل مع الهيئات والأفراد التي تعمل للإسلام، أو حتى لصالح الوطن في جانب من الجوانب، وتختلف مع الجماعة في الفروع، لكنها لا تخرج على أصول الشرع ومبادئه الأساسية وقد أشار فضيلته إلى:

١- الحب والإخاء والتعاون فيما فيه صالح الدعوة والمجتمع .

٢- نحاول جاهدين أن نقرب ونوفق بين وجهات النظر توفيقاً ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب .

٣- ألا يباعد بيننا وبينها رأى فقهى - في فروع الدين - أو خلاف مذهبى .

٤- أن نتحرى الحق في أسلوب لين في مناقشاتنا معهم، والرد على تساؤلاتهم.

٥- يحرص الإخوان على التنسيق بين مختلف الجهود في مجال الدعوة وأعمال البر، حتى لا تأتى متضاربة تعاكس بعضها بعضاً. وقد وضع الإمام الشهيد قاعدة للتعاون والتنسيق فيما يتفق عليه من أمور الإسلام، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون فيه من الفرعيات والمسائل الاجتهادية.

٦- ويرقى الإخوان إلى خطوة أكبر من مجرد التنسيق، إلى التعاون والتكامل والتوظيف للطاقات.. وهذا التوظيف يأتى من خلال المعايشة والتفاهم وعلاقات الود، ويأتى من خلال الاقتناع والتوجيه لكل عناصر الخير في المجتمع ما دامت هذه المجموعات أو هؤلاء الأفراد في إطار العمل للإسلام بوسائله ملتزمة بالشرع ولا تسلك مساراً يضر بالدعوة.حيث إن الصلة بهم والتنسيق معهم مع بقائهم على هذا الخلل يحدث بلبلة

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٦.

(٢) المرجع السابق،ص١٤٨.

وتشويشاً عند أفراد المجتمع ويسمح للخصوم والأعداء بتشويه الدعوة، وهؤلاء ليس لنا معهم إلا النصح والإرشاد لعلهم يهتدون.

٧- كما تتعامل الجماعة بحذر وحكمة مع بعض الشخصيات التي تجرى وراء الشهرة وعلو الصيت لتجعل لها أنصاراً وأشياعاً يلتفون حولها لتنافس بهم الآخرين وتحقق بهم مطامعها ورغباتها.

وتترك الجماعة للزمن وللمواقف والأحداث مما يظهر معه التمييز بين الغث والسمين، ويكشف عن مثل هذه النوعيات التي تتوهج فترة ثم لا تلبث أن تنطفئ.

٨- أن تصبر الجماعة وأن تدع للزمن وأحداثه الوقت حتى يأتى اليوم الذي يتبين للجميع فيه صواب المنهج والطريق..

ويأتى اليوم الذي تزول فيه الفوارق الشكلية والحواجز النظرية ليحل محلها الوحدة العملية تحت راية « الإخوان المسلمين ».

٩- وهى في ذات الوقت على وعى كامل من الاستدراج الذي يقوم به أعداء الإسلام لبعض هذه التجمعات، لضرب الجماعات العاملة للإسلام بعضها ببعض.

ومع هذا التعاون والتنسيق، يجب أن يكون واضحاً تميز منهاج الدعوة واستقلالها الكامل.

يقول الإمام: « يجب أن يكون واضحاً أن الإخوان المسلمين متمسكون بدعوتهم، قائمين عليها، لا يعملون لدعوة غير دعوتهم، ولا منهاج غير منهاجهم » .

«... ولا يصطبغون بلون غير الإسلام ».

« ومعاذ الله أن نكون في يوم من الأيام لغير دعوة القرآن وتعاليم الإسلام»[1].

« على أن التجارب في الماضى والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون »[2].

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص ٢١٣.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٧.

ويقول فضيلته مزيدا الأمر إيضاحا وتفصيلا في ذلك: « وستسمعون أن قوما يريدون أن يتصلوا بكم وأن تتصلوا بهم من أهل العمل إما صادقين أو غير صادقين، فأحب أن أقول لكم هنا بكل وضوح: إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة رسول الله ﷺ وخلفاؤه على قرآن ربه وأمناؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيء على إحياء الإسلام في وقت تصرفت فيه الأهواء والشبهات وضعفت عن هذا العبء الكواهل، وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتى هي أحدا وتستغنى عن غيرها إذ هي جماع كل خير، وما عداها لا يسلم من النقص. إذن فاقبلوا على شأنكم ولا تساوموا على منهاجكم واعرضوه على الناس في عزة وقوة، فمن مد لكم يده على أساسه فأهلا ومرحبا في وضح الصبح وفلق الفجر وضوء النهار، أخٌ لكم يعمل معكم ويؤمن إيمانكم وينفذ تعاليمكم، ومن أبى ذلك فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه.

أيها الإخوان لا تستعجلوا ؛ فلا يزال الوقت أمامكم فسيحا وستكونون من المطلوبين لا من الطالبين، فإن العزة لله جميعا ولتعلمن نبأه بعد حين، ذلك فيما أرى ما يجب أن يكون من موقفنا أمام الهيئات جميعا: نريد لها الخير، ونلتمس لها العذر، ولا نطلب، ولا نرد، ولا تقولوا لمن ألقى لكم السلام، لست مؤمنا»[1].

وهذا الصنف من الهيئات والأفراد إن تجاوزوا معنا في الحوار، فإن سبيلنا معهم أن ندعوهم إن قبلوا النداء، ونحاورهم دون الجدال، ولا نتهم إخلاصهم ولا نرد على خصومتهم ولا نترك منهج دعوتنا، وندعو الله لنا ولهم بالهداية.

« بل إنه ليسرنا أن يوفق كل عامل للخير وإلى الخير، ولا يحب الإخوان أن يخلطوا البناء بهدم وفى ميدان الجهاد متسع للجميع »[2].

٢- الهيئات التي تخرج في منهاجها على أصول الشرع:

وأما الهيئات التي تخرج في منهاجها على أصول الشرع، كانحراف في التصور والاعتقاد

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٣،(من مقالة الإمام في مجلة «الإخوان المسلمون»،فاتحة السنة الخامسة).

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٩.

– حتى ولو رفعت شعارات إسلامية – أو في الوسائل والأساليب، كتكفير الناس واستباحة الدماء واللجوء للعنف.فليس لنا معها تعاون على هذا الأساس وإنما مفاصلة في مجال الدعوة، وتوجيه النصح لهم والإرشاد لعلهم يرجعون.

نواجه الفكرة بالفكرة والدعوة بالدعوة ولا نسارع في تكفيرهم أو ننادى باستئصالهم أو نعين ظالماً، فليس هذا أسلوب الدعوة، بل ننضبط بأوامر الشرع في ذلك، وأننا دعاة ولسنا قضاة.

وفى التعامل مع هذه النوعيات لا نتهم الأشخاص بالظنة، ولا نلقى بأوصاف التآمر والعداء لكل من خالفنا أو هاجمنا، وإنما نأخذ الناس بالظاهر وحسب أقوالهم وأعمالهم، وأن يكون ميزان الشرع وضوابطه هو الأساس، وأن نواجه المبادئ والأفكار المنحرفة بجدية، ولا نهبط إلى مستوى الإسفاف، حتى وإن لجؤوا هم إليه، وأن نترك ذوات الأشخاص والحكم عليهم.

وهذا يحتاج من الجماعة إلى «علم الرجال» وإلى البصيرة بالأفكار والمخططات المعادية وكيفية التصدى لها.

وإذا كانوا يحاربون دعوة الإسلام ويشوهون صورته، ويتبنون الأفكار الموبوءة التي تضعف أمتنا، فهؤلاء خصومنا، ونتصدى لهذه الدعوات بالفكر والاقتناع وتوعية الشعوب حتى لا تخدع.

يقول الإمام: « فذكروا أنفسكم أيها الإخوان دائما أن ملاحدة المسلمين في مقدمة خصومكم، وأن على رؤوسهم قسطا كبيراً من تبعة ما يقع الآن في مختلف بلاد الإسلام ».

«ومن الواجب أن نحول دون تفشى أفكارهم الموبوءة بيننا، وأن نضرب على يد من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا ومن يخدر أعصابنا بنظريات مزيفة وألفاظ خلابة..»[1].

(١) مقالة : واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به،الإمام الشهيد ١٩٣١م (من كتاب: الإمام الشهيد للأستاذ/ فؤاد الهجرسى) .

٣- وإلى الذين يتوجهون بالاتهامات الظالمة ويسيؤون للدعوة:

فإننا نقول لهم: «.. اتقوا الله أيها الناس ولا تقولوا ما لا تعملون »[١].

ونوضح الحقيقة إذا اقتضى الأمر دون الدخول في خصومة وجدال، .. لا نهاجمهم أو نشغل أنفسنا بذلك: « ونحن لا نهاجمهم لأننا في حاجة إلى الجهد الذي يبذل في الخصومة..»[٢].

وسمى الإمام تضييع الجهد في المصادمة معهم « الكفاح السلبى ».

ونستبدل ذلك بأن توجه لهم الدعوة عسى أن يستجيبوا ويرجعوا إلى منهج الإسلام القويم.

ويحرص الإخوان في تعاملهم، مع الجميع، على الابتعاد الواضح عن التجريح الشخصى للهيئات والأفراد مهما بلغت درجة الخلاف معهم، فهذا الأسلوب ليس من منهاجنا ولا يتفق مع آداب الدعوة وسموها.

- **جماعة الإخوان تؤيد أية دعوة للإصلاح :**

فجماعة الإخوان لا ترفض أو تعارض أى إصلاح جزئى بحجة أنه ليس إصلاحا شاملا أو أنه من آخرين غيرها يسيرون على غير منهاجها..بل إنها تعتبر هذا خطوة إيجابية في ميدان الإصلاح، وهو ميدان يتسع لجميع الجهود.. وهى - أى الجماعة - تؤيد هذه الجهود، وقد تساعدها فعليا، وتنسق معها إذا توافرت الظروف المناسبة، مع مراعاة الضوابط التي تحكم المساعدة والتعاون مع الآخرين. وهذا لا يعيق استمرارها وعملها في الإصلاح الشامل، والإعداد والتجهيز له.

والإخوان لا يقفون متفرجين على الأحداث التي تنزل بالأمة الإسلامية ولا الواقع الصعب الذي تمر به بحجة انشغالهم بالإعداد الشامل وبتربية أفرادهم، بل إن التجاوب والتحرك والدعم لقضايا الأمة والتقدم بسبل العلاج ومبادرات الإصلاح جزء أصيل

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص ٢١٦.

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص ٢١٥.

من منهاجهم وحركتهم وتربيتهم، وهذه كلمات المرشد العام الأستاذ مصطفى مشهور فتؤكد هذا النهج الذي وضعه الإمام الشهيد.

يقول الأستاذ مصطفى – رحمه الله: « إن الأمة الإسلامية أمة كبيرة، تملك مقومات النهوض والسيادة، وتملك من: الطاقات، والإمكانات البشرية والجغرافية ومصادر الثروات، بالإضافة إلى التراث الحضارى والرسالة الخالدة – التي لم يكن العالم في أى وقت من الأوقات أكثر حاجة وتعطشا إليها من حاجته في هذا الزمان..

كل هذه الأمور تفرض علينا أن نملك قرارنا، ولكى يتحقق هذا لابد لنا من سبيلين:

الأول: هو القضاء على أسباب الضعف والهوان التي تتمثل في:

١ – الاختلاف والتناحر إلى حد التفاعل والاستعانة بالأعداء لحماية بعضنا من بعض.

٢ – الحكم الديكتاتورى السائد في كل البلاد الإسلامية، والذي يزرع العداوة والتربص بين الشعوب والحكومات، أو يدفع الشعوب إلى السلبية واللامبالاة.

٣– الظلم الاجتماعى الذي يسم الشعوب إلى طبقات متعادية، يسود بينها الحقد والكراهية.

٤ – الفساد المالى والأخلاقى والإعلامى الذي ينخر في الدول، ويؤخر نموها، ويدفعها إلى الاعتماد على أعدائها وطلب المعونة منهم.

٥ – التأخر في مجال التعليم والبحث العلمى والتقنى الذي يجعل العالم الإسلامي عالة على غيره من الأمم.

٦ – نسيان الرسالة، وحب الدنيا والإخلاد إلى الأرض، والتوسع في الشهوات، واقتفاء أثر الغرب في أنماط المعيشة الاستهلاكية.

الثانى: هو الأخذ بأسباب القوة:

١ – القوة المعنوية بالتربية الإيمانية، التى تجعل المؤمن يضحى في سبيل الله بكل شيء، ويؤثر الآخرة على الدنيا، ويتمنى الشهادة في سبيل الله.

٢- تكوين الأسرة المسلمة، بعد الفرد المسلم، لإقامة المجتمع المسلم الحق، الذي يحيا لهدف هو إقامة الحق والعدل بتطبيق شريعة الإسلام، ويحمل رسالة هي: نشر الدعوة في العالمين.

٣- تطبيع العلاقة بين الحكومات والشعوب بـ: إطلاق الحريات، واحترام الحقوق، والنزول على إرادة الشعوب، وتحقيق الشفافية في القرارت.

٤- تطبيع العلاقة بين الحكومات وكذلك بين الشعوب الإسلامية، والتعاون فيما بينها في كل المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية والإعلامية ؛ تمهيدا لإقامة نوع من الوحدة بينها.

٥- اعتماد منهج التنمية الذاتية والاعتماد على النفس داخل العالم الإسلامي، والتعامل مع العالم الخارجي على أساس التعاون على قدم المساواة، لا طلب المعونات والقروض.

٦- التركيز على صناعة السلاح، بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل، بغرض الدفاع عن النفس؛حيث نعيش الآن في غابة، القوة فيها فوق الحق، وما يحدث الآن من عدوان الصهاينة على الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين وغيرهم، واستخفاف وتهديد للعرب جميعا، إنما مرجعه إلى ملكيتهم لأسلحة الدمار الشامل، وعدم امتلاك العرب لها، ولو امتلكت دولة أو دول عربية هذه الأسلحة لتغيرت اللهجة، وتغير السلوك، وأمكن استرجاع الحقوق »[1].

وتؤكد رؤية الإخوان الإصلاحية لحال الأمة على أهمية بناء الإنسان، وأهمية توفر الحرية السياسية والاقتصادية له؛لتحقيق الأمن والأمان، « إننا نؤمن أن الإنسان هو محور هذا الكون، وهو وسيلة تحقيق كل تنمية وتقدم ورقى، لذلك كان لابد من تزكية كل ما يسمو بإنسانية الإنسان، ويرتفع بخصائصه التي يتميز بها عن غيره من المخلوقات، ولما كان الإيمان بأركانه وقواعده، والأخلاق بمكارمها ومحاسنها أسمى ما يتصف به الإنسان،

(١) رسالة الإخوان،العدد ٢٢٨،المحرم١٤٢٢هـ ـ ٢٠ أبريل ٢٠٠١م،مقالة : (الحق لابد أن تحميه القوة) لفضيلة المرشد العام الأستاذ مصطفى مشهور .

ومن ثم كان لا مناص لمن يريد الإصلاح أن يسعى إلى تطهير جوهر هذه الشخصية، وإعادة بنائها على أساس من: الإيمان، والاستقامة، والأخلاق، وإلا كان الإصلاح كمن يحرث في الماء، أو يبنى في الهواء »[1].

والجماعة تحرص على استمرار كيانها وثباته في كل تعامل لها مع الآخرين أو الأحداث.. فلا تقبل الذوبان في أى كيان آخر، أو أن تعمل لغير أهدافها الكاملة المحددة، أو تحت أى راية غير راية الدعوة التي أعلنتها ورفعتها، ولا تقبل أن تكون مطية لأى جهة أو تتأثر بأى هوى.

يقول الإمام الشهيد: « يجب أن يكون واضحا أن الإخوان المسلمين متمسكون بدعوتهم، قائمون عليها، لا يعملون لدعوة غير دعوتهم، ولا لمنهاج غير منهاجهم، ولا يصطبغون بلون غير الإسلام.. ومعاذ الله أن نكون في يوم من الأيام لغير دعوة القرآن وتعاليم الإسلام »[2].

■ **الجماعة تقرأ الواقع السياسي جيدا :**

إن الواقع التاريخى لمسار حركة الإخوان وتعاملها ومواقفها من الأحداث ليظهر بوضوح بُعد نظرها وعدم انخداعها بالظواهر البراقة أو استدراجها بشعارات زائفة أو إلهائها في مشاريع فاشلة، وهى تدرك بوعى وعمق موازين القوى وأهدافها وقواعد اللعبة وأبعادها، وأطرافها الظاهرة والخفية، المحلية والدولية.

ونحن ندرك أن من يملك السماح لنا بالمشاركة في الأعمال التنفيذية والمجتمع يملك أيضا أن يمنعنا من ذلك، فلا يخدعنا هدوء الأحوال ولا نفجأ بتقلباتها، ولا تكون هذه الاستفادة وتلك المشاركة مرحلة إيجابية بالنسبة لنا إلا إذا كانت بإرادتنا وضمن منظومة عمل متكامل يشارك فيه كل أبناء الجماعة، ويحقق الأهداف المرجوة.

---

(١) من مبادرة الإخوان للإصلاح .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص ٢١٣.

إن التصورات الخاطئة في هذا المجال بأننا: يمكن أن نختصر الزمن، ونقفز على الواقع، ونتجاهل أهداف وخطط الآخرين، ونفترض صدقهم فيما يعلنون بغير برهان ودليل، ثم نزعم بعد ذلك أن هناك فرصا تضيع على الجماعة.. هذه التصورات تعطل الخطة وتستهلك الوقت، ويجب أن ندرك جميعا أن الجماعة بما تمتلك من طاقات فكرية ومؤسسية، وبما لديها من رصيد خبرة معتبرة، وبما تستطيعه بتكامل جهود المعنيين فيها من بحث وتدقيق واستيعاب لكل متطلبات المرحلة - أى مرحلة - يمكنها فضل الله أن تتحرك مع الأحداث، وتتفاعل مع المتغيرات دونما مساس بثوابتها.. ثوابت الإسلام، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ولجماعة - بفضل الله وتوفيقه - طوال تاريخها لم يستطع أحد أن يوجهها طبقا لتصور فردى أو تبعا لهوى، ولله في ذلك الفضل والمنة.

نحن لا نبنى مواقفنا أو أفكارنا أو تصوراتنا على هوى النفس أو النزعات الفردية المرفوضة.. إنما مواقفنا كانت وما زالت - بعون الله - تظل تُبنى على أساس من شريعتنا وضمن ثوابتنا، وذلك بالضرورة ليس فيه عدوان على أحد، ولا إضاعة لحقوق أحد، وشريعة الإسلام تضمن حقوق الناس جميعا، المسلمين منهم وغير المسلمين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

ويجب علينا ألا ننسى - أو نتناسى - حقائق التاريخ وكيف كان كيد الأعداء ومكرهم وزيف دعواتهم.. ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

ويجب ألا ننسى أيضا حقيقة الواقع الصهيونى والأمريكى والمؤيدين لهم والخائفين منهم والمنتفعين من وجودهم وغير هؤلاء الكثير من حولنا.

إننا - بفضل الله - دعاة سلام، وأصحاب دعوة ربانية، تعمل في دنيا الناس حسبة لله،

وعلى هدى رسولنا ﷺ.. ولذلك فنحن لا نرضى بالظلم، ولا نسكت عليه، وندافع عن الحق، ونقف مع من يدافع عن حقه، نعاونه ونسانده بكل ما نملك.

فنحن من دعاة الحق، وجماعة من المسلمين، نحمل لواء الإسلام وندافع عنه، ونسأل الله في ذلك الصدق والإخلاص في القول والعمل.

وإننا نعتبر أن كل من يهاجم الإسلام ويعتدى على مقدساته ويسعى لتشويه صورته، معتديا علينا وأن سهامه موجهة لنا.. ونحن في ذلك لا نقر إرهابا ولا نوافق على إراقة دماء البشر بغير وجه حق.

ونعلى قيمة الإنسان كما قرر ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]..إننا أصحاب مشروع إسلامي للإصلاح له أهدافه وغاياته، وله وسائله وخططه، وله بالطبع أعداؤه ومن يحاولون تعويقه، وسيأخذ من الزمن ما شاء الله له ليبلغ مداه، ولسنا دعاة حرب ولا سفاكى دماء، ومستعدون دائما للحوار مع الشعوب، وللتعامل مع دعاة السلام الجادين.

ولن نقبل الاحتواء، ولن نستسلم للعدوان ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].. فنحن أصحاب مشروع ينشد الخير للبشرية كافة، ولن نكون ضمن مشروع آخر.

■ **وحول الاعتداء على الدعوة ومؤسساتها أو أفرادها :**

أما اندفاع بعض الأفراد أو بعض الهيئات الاجتماعية والفكرية للاعتداء على الدعوة وأنشطها والتضييق عليها أو الاحتكاك بها فهذا توقعه الإمام الشهيد وقال: « سنلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية ».

وفى حق الدفاع، فإنهم يدفعون عن أنفسهم في حالة الاعتداء فقط في إطار الحق القانونى – مع تقدير الأمور ووزن النتائج، وعدم الاستدراج للصدام مع مراعاة:

١ – عدم الدخول في صدام معها أو الانشغال في معركة جانبية.

٢- الحرص على تأمين مسار الدعوة ومنافذها وأنشطتها والمحافظة عليها .

٣- الدفاع ورد الاعتداء من الأفراد، عند حدوث الإيذاء في حينه، وذلك لتجنب الضرر، ويكون في إطار الحق القانونى الشرعى ولا يتجاوزه وفى إطار مصلحة الدعوة.

٤- الحرص على عدم استخدام العنف في منهجهم أو أسلوبهم وتربية الأفراد على التحمل والصبر، وعدم التهور، والانضباط دون تفلت.

٥- اتخاذ الوسائل السلمية والقانونية لتفادى ذلك وتجنبه.

وإذا كان الاعتداء من الحكومة أو هيئاتها، فإن الجماعة لا تستدرج إلى صدام ولا تسير وراء استفزاز وتواجه كل تضييق وأذى بالصبر والثبات ومواصلة الدعوة رغم كل ذلك مع النضال الدستورى والكفاح السياسي والقانونى.. مدركة أن هذه هي طبيعة الدعوات وسمات الطريق.. مستعينة في مواجهة كل ذلك بالله عز وجل وبدعاء السَّحَر، وبتماسك الصف ووحدته وثباته والتفافه حول قيادته. ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته أسوة حسنة، وقد رفض الإمام الشهيد أسلوب العنف في مواجهة تعنت الحكومة وتضييقها على الجماعة واعتقالها لأفرادها، ورفض بوضوح أسلوب تصفية الخصوم أو الاعتداء عليهم، وسمى من خرج على خط الجماعة في ذلك بأنهم: « ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين » وذلك في بيانه المعلن على الأمة بهذا الشأن إزاء بعض التصرفات الفردية الخارجة عن خط الجماعة ومنهاجها.

ولأن الجماعة لا تقتصر في تقديراتها على مصلحتها الذاتية فقط، بل تدخل في اعتبارها أيضاً مصلحة الوطن ومصلحة الدعوة عامة... حتى وإن كانت الحكومة تخاصمها وتضيق عليها، فإنها - أى الجماعة - تؤيد الخير والإصلاح وتساعد فيه حسب ظروفها.رغم أنها تختلف معها وتنافسها وتضيق عليها.

« وقد تدفع هيئات لعمل أنشطة مشابهة أو بديلة لأنشطة الدعوة تحت رايات مختلفة بهدف صرف الناس عن الدعوة ومنافستها، وهذه الأنشطة نوعان:

أولهما: منافسة محمودة بأنشطة بديلة مفيدة ومطلوبة، حتى وإن كانت نيتهم فيها منافستنا وتحجيم دورنا، فلا بأس من المشاركة فيها مثل صلاة العيد ومشروعات التكافل وغيرها.

وثانيها: أعمال تصرف الناس عن أنشطتنا دون أن يكون فيها نفع لشعبنا، مثل بعض الأسر الطلابية والاتحادات المعينة.. وغيرها في محاولة لطمس الهوية الإسلامية. وهذه يجب علينا مقاطعتها وصرف الناس عنها بالحكمة والموعظة الحسنة »[1].

ويقول أيضاً الإمام الشهيد في «مذكرات الدعوة والداعية»: «.. وأنا لا أعلم قاعدة أفادتنى كثيراً في سير الدعوة والعمل، وهى أن الإشاعة والأكاذيب لا يقضى عليها بالرد ولا بإشاعة مثلها. ولكن يقضى عليها بعمل إيجابى نافع يستلفت الأنظار ويستنطق الألسنة بالقول فتحل الإشاعة الجديدة وهى حق مكان الإشاعة القديمة وهى باطل »[2].

■ **الآخر في ميزان الإخوان :**

- والإخوان يعتمدون موازين الإسلام وأحكامه في التعامل مع الناس بكل أنواعهم، مع حسن الفقه، والحكمة في التطبيق.

يقول الإمام الشهيد- مشيرا إلى الميزان الذي يتعامل به الأخ مع الآخرين: «والناس عند الأخ الصادق ستة أصناف: مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمى معاهد، أو محايد، أو محارب..

ولكل حكمه في ميزان الإسلام، وفى حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات ويكون الولاء أو العداء » [3].

فالمسلم المجاهد: يشمل أيضا من اجتهد فأخطأ الطريق أو الأسلوب لكنه لم يخرجه هذا الاجتهاد إلى معصية أو إثم، سواء في الاعتقاد أو العمل، كأن يستحل دماء وأعراض المسلمين، فهذا ينقله إلى المسلم الآثم.

والمسلم القاعد: هو الذي يتقاعد عن نصرة الإسلام وواجب الإصلاح مع توفر القدرة وانتفاء العذر، وشمل أيضا عموم المسلمين الذين لا يعرفون عن دينهم شيئا ولا يسعون لذلك.

---

(١) أ.مصطفى مشهور،رسالة الرؤية الواضحة،ص٢١.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص ٩٥ .

(٣) رسالة التعاليم،ص٣٦٩.

والمسلم الآثم: يشمل أنواعا عدة حسب نوع ودرجة الإثم، بدءا من ارتكابه للمعاصى والكبائر، إلى فساد الاعتقاد، إلى الظلم والتجاوز والاعتداء على حقوق الناس، إلى موالاة الظالمين والتآمر على الإسلام والمسلمين.

- ومع هذه المرجعية لأحكام الإسلام وموازينه في رؤية الأخ في تعامله مع الناس، إلا أنه لا يجعل من نفسه قاضيا وحكما على أشخاصهم، إنما هو فقط ينظر للظاهر والمواقف ليحدد ميزان التعامل معهم، وذلك حتى لا تختلط الأمور، كما أن ميزان الحب والكره في الله يقوم على أنه يكره الفعل والخطأ بصرف النظر عن ذات الشخص.

- ومع هذا التحديد الواضح والميزان القاطع في النظرة للأشخاص، فإن الإسلام لا يمنع من التعامل مع هذه الطوائف من منطلق الدعوة، فهو صاحب دعوة يوجهها للجميع ويتعامل بها مع الجميع، كلٌ حسب ما يناسبه.

يقول الإمام: « فاعلم - أيدك الله - أن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين:

قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن به، وآمن ببعثة رسوله، وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط رابطة العقيدة، وهى عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون، الذين نحن إليهم، ونعمل في سبيلهم، ونذود عن حماهم، ونفتديهم بالنفس والمال، في أى أرض كانوا، ومن أية سلالة انحدروا.

وقوم ليسوا كذلك، ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه؛ لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يُرد به عدوان المعتدين »[1].

(١) رسالة : دعوتنا،ص٢٤.

فإذا استثنينا المحاربين للإسلام، المعتدين على بلاد المسلمين وشعوبهم، المغتصبين لحقوقهم، فإن باقى الفئات مهما اختلفت مع الإخوان فهم مُطالبون بحسن التعامل معها بالحوار والحكمة والموعظة الحسنة.

- ويلزم هذا من كل أخ أن يتحلى بآداب الدعوة والداعية من: حسن الاستماع للآخرين، وحسن الرد والتحاور معهم، وكظم الغيظ وسعة الصدر، والدفع بالتى هي أحسن، وعدم رد الإساءة بمثلها، والتجاوز عن الهفوات، والحرص على المساحة المشتركة من التفاهم، وعدم جعل الخلاف والاختلاف هو قاعدة التعامل، وعدم تقديم إساءة الظن، مع دقة الوعى والبصيرة بمجريات الأمور وطبائع الأشخاص، والتعاون فيما نتفق عليه، والتزام آداب وأخلاق الإسلام السامية العالية في الأقوال والأعمال عند التعامل معهم، وعدم التعالى عليهم، كل ذلك مطلوب مع عدم التفريط في القواعد والمبادئ الخاصة بالدعوة، أو التراجع عنها، أو التحلل منها، وأن نكون صادقين أمناء عند كلمتنا، نفى بالوعد، ونتحلى بلين الجانب فنكسب القلوب، ونحوز الاحترام، ونبلغ دعوتنا بأبلغ بيان وأحسنه، ونكون قدوة عملية لما يجب أن يكون عليه المسلم.

ولنا في توجيه القرآن في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وكذلك في هدى الرسول ﷺ في الدعوة الأسوة الحسنة والمنهج الكامل في ذلك.

ولا يتعارض هذا مع الاعتزاز بالدعوة واليقين بصوابها، بل هو جزء منه وداعم له؛ لأنه اعتزاز ينشأ معه حب الخير للناس، والحرص على وصول هذا الخير لهم، وإحساس بسمو الدعوة فتسمو معها أخلاقهم وتصرفاتهم، ولا يتأثرون بردود أفعال الناس نحوهم، أو يشغلهم ذلك عن التمسك بالدعوة وأخذ أنفسهم بها.

يقول الإمام الشهيد في ذلك: « أحب أن أقول لكم هنا بكل وضوح: إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة رسول الله ﷺ وخلفاؤه على قرآن ربه، وأمناؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيء على إحياء الإسلام في وقت تصرفت فيه الأهواء والشهوات، وضعفت عن هذا العبء الكواهل، وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق

أن يأتيها الناس ولا تأتى هي أحدا، وتستغنى عن غيرها ؛ إذ هي جماع كل خير، وما عداها لا يسلم من النقص.

إذن فاقبلوا على شأنكم، ولا تساوموا على منهاجكم، واعرضوه على الناس في عزة وقوة، فمن مد لكم يده على أساسه فأهلا ومرحبا في وضح الصبح وفلق الفجر وضوء النهار، أخ لكم، يعمل معكم، ويؤمن إيمانكم، وينفذ تعاليمكم، ومن أبى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه »[1].

- وهذا الأمر في بناء الفرد وتكوينه يشمل ثلاثة محاور أو جوانب: محور الفهم والاعتقاد، ومحور المشاعر والعواطف، ومحور السلوك والتعامل.

ففى محور الفهم والاعتقاد - انطلاقا من عقيدة الإسلام وثوابته ومن إيمانه بالدعوة ومبادئها وأهدافها - يكون الأخ على يقين راسخ أنها هي: الحق والصواب، وأنها أسمى الدعوات، وأنه لا نجاح ولا صواب إلا في هذا الطريق وتلك الأهداف وذلك المنهج، وأن ما خالف هذه الثوابت وتلك المبادئ خطأ قد جانبه الصواب، كما أن هناك أيضا مساحة للاختلاف والاجتهاد الشخصى والتجارب المتفاوتة بين الجماعات، فالحكمة ضالة المؤمن هو أحق بها متى وجدها، وفى هذه المساحة من الاختلاف والاجتهاد لا يدعى أحد العصمة.

بالنسبة للحق المطلق والنسبى، فقد يكون هذا في الفرعيات والمسائل التي تحتمل عدة أوجه في مجال الاجتهاد في الفروع وليس في الثوابت.

أما الأهداف والأصول والمبادئ الأساسية في الإسلام ودعوة الإخوان، فلابد أن يكون الأخ على يقين منها ووضوح وثبات في الفهم لا يحتمل الخطأ أو الشك والتردد.

وفى مجال العواطف والمشاعر: يجب أن يتحقق في مشاعره الاعتزاز بالدعوة وسموها وتميزها دون فخر أو مباهاة، وأن يمتلئ بالثقة في نصر الله وتأييده لها مهما طال الزمن، وأن يتمثل مشاعر الداعية في حبه لدعوته وحرصه على فتح القلوب لها بأحسن وأفضل

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٣.

السبل، وأن يكون دقيق التأثر بالحسن والقبيح في اتزان وفقه، وتكون مشاعر الكره لذات المعصية، ولما خالف حدود الإسلام المتفق عليها، لا يمالئ في ذلك أو يتهاون، وأن يكون القبول لما وافق الإسلام وظهر فيه الحق حتى لو كان من غيرنا وممن يختلف معنا، وأن يضبط مشاعره وهواه وفق ضوابط الإسلام، وآداب الداعية، ويتسع صدره ويكظم غيظه ويلين جانبه في غير ضعف.

أما محور التعامل والسلوك: فهو يشتمل على الآداب الإسلامية التي يجب أن يتحلى بها الداعية في تعامله مع الآخرين، وفى أقواله وأعماله وعلاقاته، كما أشرنا إلى بعضها في السطور السابقة.

فهذه محاور مترابطة لما يجب أن يكون عليه الأخ المسلم، الخلل في إحداها يؤثر على تكوينه وحسن أدائه لدوره وتعامله مع الآخرين.

- وبالنسبة لنقطة أخرى تختص بالدعوات الباطلة، في عقيدتها أو مبادئها وأهدافها، إذا قطع بذلك الإسلام، وحُكم به باتفاق، فإن لأصحابها الحرية في أن يعتقدوا ما يشاؤون، ويوضحوا ما اعتقدوه، فقد كفل الله لهم ذلك ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩]، لكن لا أقول: إن لهم الحق في ذلك أو في اعتقاد هذا أو أن يكون عندى القبول القلبى بذلك الكفر، فهناك فرق بين الحق والحرية، وبين حسن التعامل والقبول والرضا، فلا يوجد إكراه في الدين أو إرغام على دخول الإسلام، فهناك حرية كاملة لكل إنسان أن يعتقد ما شاء ثم يتحمل نتيجة هذا الاعتقاد، وتأتى أحكام الإسلام التي بينها الفقهاء لتحديد مستوى المسئولية ومداه في طبيعة هذا الاعتقاد والإعلان عنه.

- والناس عندما تبلغهم دعوة الإخوان يكونون أحد أربعة أصناف: (مؤمن - متردد - نفعى - متحامل)، ويحدثنا الإمام كيف نتعامل معهم: «وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحدا من أربعة:

مؤمن: إما شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا ورأى فيها خيرا اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده..

فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا..

متردد: وهذا شخص لم يستبن له وجه الحق ولم يتعرف في قولنا معنى الإخلاص والفائدة فهو متوقف متردد..

فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب، ويتعرف إلى إخواننا فسيطمئن بعد ذلك إن شاء الله..

نفعي: وهذا شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البذل له من مغنم..

فنقول له: حنانيك.. ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت.. فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى وسينضم إلى كتيبة الله..وإن كانت الأخرى فالله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى: نفسه، وماله، ودنياه، وآخرته، وموته، وحياته..

متحامل: وهذا شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم..

فهذا: ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.. ندعوه إن قبل الدعاء وناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو سبحانه أصل الرجاء.. وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل: « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » [1].

ويقول أيضا: « ورأينا منهم ضروبا وألوانا وأصنافا وأشكالا جعلت النفس لا تركن إليهم ولا تعتمد في شأن من الشئون مهما كان صغيرا عليهم»[2].

---

(١) رسالة : دعوتنا،ص١٤، ١٥ . باختصار.

(٢) هل نحن قوم عمليون،ص٦٠ .

■ أصحاب التساؤلات والنقد للدعوة:

وصنّف الإمام الشهيد أصحاب التساؤلات والاتهامات الظالمة للدعوة من الناس إلى أنواع خمسة:

١- شخص متهكم مستهتر لا يعنيه إلا أمر نفسه وإلا أن يهزأ بالجماعات والدعوات والمبادئ والمصلحين.

٢- أو شخص غافل عن نفسه وعن الناس جميعاً فلا غاية ولا وسيلة ولا فكرة ولا عقيدة.

٣- أو شخص مغرم بتشقيق الكلام وتنميق الجمل..ليقول السامعون: إنه عالم.. ليظن الناس أنه على شيء.. وهو يعلم كذب نفسه وإنما يتخذها ستاراً يغطى به قصوره وأنانيته.

٤- وإما شخص يحاول تعجيز من يدعوه ليتخذ من عجزه عن الإجابة عذراً للقعود وسبباً للانصراف.

[ويضاف أيضاً إلى هذه الأصناف: الذين يهاجمون الدعوة لقاء ثمن بخس من متاع الدنيا، ويتقربون بهذا الهجوم إلى ذوى السلطان والنفوذ].

وليس لنا مع هذه الألوان من الناس قولٌ وليس لهم عندنا جواب إلا أن نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين.

٥- وهناك صنف آخر من الناس قليل بعدده يسأل إذا دعوته إلى المشاركة بغيرة وإخلاص، إنه غيور تملأ الغيرة قلبه، عامل يودّ لو علم طريقة العمل... هذا الصنف هو الحلقة المفقودة، والضالة المنشودة، وإنا على ثقة إن وقع في أذنه هذا النداء لن يكون إلا أحد رجلين: إما عامل مع المجدين وإما عاطف من المحبين..فهو إن لم يكن للفكرة فلن يكون عليها، فعليهم أن يجربوا ولا يتواكلوا، ويندمجوا..فإن وجدوا صالحاً شجعوه، وإن وجدوا معوجاً أقاموه، ولا تكن تجربتهم حائلاً بينهم وبين التقدم »[1].

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون،ص٥٩ ـ ٦١،باختصار .

■ **خداع الألفاظ والمصطلحات:**

والإخوان يرفضون المصطلحات الغامضة، والتعبيرات الخاطئة التي يحاول البعض اتهامهم بها عند طرح أهدافهم ومبادئهم، فالإخوان لا يدعون إلى إقامة دولة دينية كهنوتية، فالإسلام الذي ندعو إليه ليس كهنوتيا، أو جمودا وتطرفا، بل هو منهج شامل تجتمع عليه الأمة.

أما مفهوم أن يكون الإسلام مجرد مرجعية، نرجع إليه في بعض الأمور وبكيفية معينة..فنقول: إن الإسلام أوسع من ذلك وأشمل وأعمق، إنه منهج حياة متكامل، ليس بديلا عن المجتمع المدنى؛فالمجتمع المدنى والحضارة والدولة جزء منه، فهو دولة ووطن، وحكومة وأمة، وهو يصبغ كل شيء بصبغته الربانية، فنعيش حياتنا ونقيم مجتمعنا وفق منهج الإسلام وصبغته، لنكون مجتمعا إسلاميا نبلغ فيه قمة المدنية والحضارة بكل معانيها، وليس مجرد مجتمع مدنى مرجعيته العامة للإسلام.

ويستهدفون أيضا تقدم الأمة ورقيها ورفعها إلى مستوى العالمية لتقوم بدورها الحقيقي الإصلاحى في العالم كله كما حددتها رسالة الإسلام.

ولهذا نرفض أيضا مصطلح «رجال الدين» ؛ فكل المسلمين رجال دين.

وكذلك المصطلحات والألفاظ التي تُقسِّم الأفكار والقوى والتجمعات، من مثل: القوى التقدمية والرجعية، أهل اليمين واليسار.. إلخ. فكل هذه ألفاظ لا قيمة لها في ميزان الأمور ؛ حيث إن ميزان الشرع هو الأساس وأن المضمون والجوهر هو المحدد لحقيقة الأمر دون الحاجة لهذه الألفاظ المطاطة أو الاتهامات المتبادلة.

وقد حذر الإمام الشهيد أن تخدعنا الألفاظ عن حقيقة الأمور.

■ **الرد على اتهامات الاحتكار، وما هي الضمانات:**

– والإخوان كذلك يرفضون أن يحتكر أحدٌ الإسلام أو ينزعه عن الآخرين أو يجعل من نفسه وصيا عليه، وكذلك أن يُمنع أحدٌ أن ينتسب إليه أو يستدلّ به بحجة عدم إغضاب

الآخرين، فهذا قيد على الحرية لا يجوز، ولا يعنى أن من ينادى بـه - أى بمبـادئ الإسـلام - شعارا أو يطالب ببرنامج مستمد منه حسب فهمه أنه قد احتكره أو منعه عن غيره، والفيصـل فيما يطرحه البعض منتسبا إلى الإسلام أو يعرضه من برامج تدعى الأخـذ مـن الإسـلام هـو الدليل والبرهان من الكتاب والسنة ومما جاءت به مصادر التشريع دون غلو أو تفريط.

وأن الحوار والنقاش وظهور الحجة والدليل هي ميدان التمحيص وإظهـار الصـواب والخطأ، ولا يدعى أحد العصمة بعد رسول الله ﷺ، وأن هذا المجال مفتوح لكل صـاحب رأى أو برنامج، مع إيمانهم أن الاختلاف وتباين الآراء موجود في الفقـه الإسـلامي، وهـى سمة إنسانية يستوعبها الإسلام ويحافظ عليها ويضـع لهـا الضـوابط المناسـبة التـي تضـمن وتحـافظ عـلى حريـة الـرأى وحريـة الاعتقـاد، ولا يـدعون - أى الإخـوان - لأنفسـهم أى حصانة دينية أو قدسية خاصة لأشخاصهم؛ فالإسلام حجة عليهم وعلى غيرهم.

- وتتوالى الاتهامـات الزائفـة والادعـاءات الباطلـة عـلى الإخـوان مـن ذوى النفـوذ والسلطان ومن يدورون في فلكهم ومن غيرهم.. ولن يتوقف هذا الأمر، وذلـك لا يـزعج الإخوان، ولا يلقون له بالا؛ فـدعوتهم واضـحة ناصـعة، وحـركتهم بالـدعوة ومـنهجهم العملى للإصلاح أبلغ رد على ذلك.

ومن هذه الاتهامات الزائفة: أنهم إذا تمكنوا مـن السـيطرة فسـينقلبون عـلى الشـعب، ولا يوجد ما يضمن دعواهم بتطبيق الشورى وإعلان الحريات.

ومرددوا هذه الاتهام الباطل لا يعرفون دعوة الإخوان؛فالإخوان في مـنهجهم للتغيـير يرفضون أسلوب الانقلاب والقفز على السلطة، وتغطية ذلك ببعض الشعارات البراقة، ثم ينكشف الأمر عن دكتاتورية مقيتة، ولقد رأينا ذلك عند أصحاب هذا الادعاء من حركات انقلابية متعددة، أما في دعوة الإخوان فإنهم يهدفون أولا إلى تربية الشعب وتوعيته وتبصيره بحقوقه وكيف يتمسك بها ولا يفرط فيهـا، ويكـون ذلـك هـو الضـمان الحقيقـي والرقابـة الفاعلة على الإخوان وغيرهم وعلى أى حاكم يتولى قيادتـه، وبـدون هـذه التربيـة للشـعب والأمة ولأفراد الجماعة -الذين هم جزء من الشعب- لا تتحقق أهـداف الإخـوان في بنـاء الأمة الإسلامية.

ويرفض الإخوان التقدم للحكم دون استكمال هذه التربية وتحقق هذا النضوج عند الشعب، وبناء هذه الضمانات الرقابية، وليراجع من يشاء برامجهم وأهدافهم في تربية الفرد والمجتمع، فالبناء عند الإخوان يبدأ أساسا من أسفل، وليس مفروضا من أعلى.

■ **موقفنا من الخصوم والمنافسين السياسيين:**

أ - ألا نتعصب لرأى، وألا نحول الاختلاف الفكرى والسياسى إلى خصومة وصراع، وأن ندعو إلى التعاون لصالح المجتمع والوطن.

ب - وأن يكون أفرادنا في المنافسات الانتخابية نموذجاً للخلق الإسلامي، وأصحاب المبادئ القويمة ونربأ بالصراع الشخصى أو الأسلوب الحزبى أن يكون من وسائلنا أو سمتنا، يقول الإمام: « لستم طلاب حكم، ولكنكم طلاب منهاج وإصلاح ومبدأ »[1].

« ونحن لا نهاجمهم ؛ لأننا في حاجة إلى الجهد الذي يبذل في الخصومة والكفاح السلبى، لننفقه في عمل نافع وكفاح إيجابى وندع حسابهم للزمن معتقدين أن البقاء دائماً للأصلح »[2].

جـ - وكذلك نكون عادلين في نظرتنا للأمور، فلا نبخس هؤلاء الرجال من الساسة الوطنيين - الذين يختلفون معنا - حقهم، وما يقدمونه في إصلاح المجتمع.

«..فنحن في هذه الناحية لا نبخس هؤلاء الرجال حقهم..»[3].

د - ونوجه لهم جميعاً الدعوة، وندعوهم للعمل على منهج الإسلام:

« وأما موقفنا من الأحزاب السياسية فلسنا نفاضل بينها ولا ننحاز إلى واحد منها.. بل ندعوهم جميعاً إلى منهج الإسلام ».

«ولهذا فهم - أى الإخوان - ينظرون إلى هذه الأحزاب جميعاً نظرة واحدة، يرفعون

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٦ .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس ص٢١٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

دعوتهم - وهى ميراث رسول الله ﷺ - فوق هذا المستوى الحزبى كله، ويوجهونها واضحة مستنيرة إلى كل رجال هذه الأحزاب على السواء ويودّون أن لو أدرك حضراتهم هذه الحقيقة، فتوحدت كلمتهم واجتمعوا على منهاج واحد تصلح به الأحوال وتتحقق به الآمال، وليس أمامهم إلا منهاج الإخوان المسلمين بل هدى رب العالمين»[1].

ويقول الإمام الشهيد: « وليست الخصومة بينكم وبين الناس خصومة أشخاص ولا ذوات، ولكنها خصومة عقائد ومناهج، ويوم يعتنق أشد الناس خصومة لكم مبادئكم، نغسل نحن جميعا عن قدميه ونسلمه الراية سعداء مغتبطين فرحين؛لأننا نعلم أن الخفى في هذه السبيل خير من الظاهر، ونقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١] »[2].

ويرد على اتهامات الأحزاب فيقول: « يظن رجال بعض الأحزاب أننا نقصد بهذه التعاليم هدم حزبهم، وخدمة لغيره من الأحزاب، وجريا وراء منفعة خاصة، وليس أدلّ على خطأ هذه النظرة من أن هذا الوهم قد سرى إلى نفوس الأحزاب جميعا.. أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها: إن اليوم الذي يُستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجئ بعد، ولن يجئ أبدا، وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب - أيا كان - خصومة خاصة به»[3].

■ **مع تاريخ الإخوان في مبادرات الإصلاح:**

١- في سنة ١٩٣٦م، قدم الإمام الشهيد مبادرته الإصلاحية إلى الملك فاروق ملك مصر والسودان - وقتها - وإلى مصطفى النحاس رئيس الحكومة المصرية حينئذاك، وإلى ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة.

---

(١) رسالة : المؤتمر السادس ص٢١٥ .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٦٦،(من كلمة ألقاها في حفل من أحفال الطلاب).

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس.

وقد مثّل الخطاب رؤية إصلاحية شاملة، شملت تذكير المخاطبين بثقل تبعة الراعى، ومسئولية الأمانة، وكشف عورة الحضارة المادية الغربية وزيفها، ثم بين مزايا التوجه الإسلامي والحل الإسلامي لمشكلات الأمة، كما رد على الشبهات المثارة.

وشملت هذه المبادرة الإصلاحية ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: في الناحية السياسية والقضائية والإدارية، وقد شملت عشرة نقاط.

المحور الثانى: فى الناحية الاجتماعية والعملية، وقد شملت ثلاثين نقطة.

المحور الثالث: في الناحية الاقتصادية، وقد شملت عشر نقاط.

وختم الإمام الشهيد مبادرته الإصلاحية بقوله: «وبعد.. فهذه رسالة الإخوان المسلمين نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أيّ هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بالأمة الإسلامية نحو الرقى والتقدم، نجيب النداء ونكون الفداء... »[1].

٢- وكذلك في أوائل الأربعينيات، ومع تتابع الحكومات، تقدم الإمام الشهيد بأكثر من مبادرة، منها ما ذكره في رسالته: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، وقد وجهها إلى رئيس الحكومة باعتباره المسئول الأول وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية، وإلى أعضاء الهيئات النيابية، وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بنى الإنسان ».

٣- وفى رسالة المؤتمر الخامس، يحدد الإمام الشهيد رسالة الإصلاح التي تنادى بها الإخوان في إيجاز، لتشمل كل الأنظمة والمجالات: نظام الحكم - والعلاقات الدولية - والقضاء والقانون - والدفاع والجندية - والنظام الاقتصادي - ونظام الثقافة والتعليم والأسرة والبيت... إلخ.

وبذلك يتميز الفكر الإصلاحى عند الإخوان بالشمول والإحاطة كما أنه لا يكتفى بمجرد الدعوة والوعظ والإرشاد، وإنما يعتمد على التنفيذ وامتلاك آلياته حسب الوسع والقدرة، ويشهد بذلك أثرهم الإصلاحى في المجتمع، يقول الإمام في ذلك: «كان من نتيجة

(١) راجع رسالة : نحو النور.

هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحى، وأصبح كل مصلح غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها محبى الإصلاح الذين عرفوا وفهموا مراميها »[1].

٤- وفى رسالة المؤتمر السادس ١٩٤١، توجه بدعوة إصلاحية إلى الحكومة المصرية، فيقول: «لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيرا منه مناهج الإصلاح، وتقدمنا لكثير منها بمذكرات ضافية في كثير من الشئون التي تمسّ صميم الحياة المصرية، لقد لفتنا نظرها إلى:

أ - وجوب العناية بإصلاح الأداة الحكومية نفسها، بـ: اختيار الرجال، وتركيز الأعمال، وتبسيط الإجراءات، ومراعاة الكفايات، والقضاء على الاستثناءات .

ب - وإلى إصلاح منابع الثقافة بإعادة النظر فى: سياسة التعليم ومراقبة الصحف والكتب والسينما والمسارح والإذاعة، واستدراك نواحى النقص فيها وتوجيهها الوجهة الصالحة ».

جـ - وإصلاح القانون واستمداده من شرائع الإسلام ».

واستمر هذا هو سمت دعوة الإخوان إلى أن منعهم النظام الناصرى الإعلام وغيبهم داخل السجون والمعتقلات، وحتى وهم داخل السجون أرسلوا يساندونه ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦، وأنهم على استعداد للتطوع للقتال ثم يعودون للسجون بعد دحر العدوان.

٥- وفى مارس ١٩٥٢ توجه الأستاذ الهضيبى المرشد العام بمبادرة للإصلاح جاء فيها: «... من أجل ذلك يا صاحب الدولة رأينا أن نتقدم إلى دولتكم بالمشورة الصادقة في علاج الموقف الخارجي والداخلى... ».

وتضمنت الرسالة: رؤية الإخوان للقضايا الخارجية، وأهمية حسم القضية مع الإنجليز، وحشد القوى الوطنية للمقاطعة والمناجزة، وحددت السبيل لذلك.

يقول الأستاذ الهضيبى: «إن الكفاح وحده هو سبيل الجلاء والوحدة والكفاح الذي ينظم الحاكم والمحكوم، ويتلاقى تحت ألويته الكبير والصغير...».

---

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون ؟

ثم تناول القضايا الداخلية، وكان في أولوياتها حينئذ إلغاء الأحكام العرفية، وإطلاق سراح المعتقلين، ثم بين وجهة نظر الإخوان في أساسيات التطهير الذي كانت الحكومة تنادى به حينها [1].

٦- وعقب قيام حركة الجيش - الثورة - تقدم الإخوان برؤية ومبادرة لإصلاح الفرد والأمة في ٢/ ٨/ ١٩٥٢م، وقد نشرت في الصحف وقتها.

ومما جاء في مقدمتها: «...الآن ينبغى أن ننظر إلى الأمام، وألا يأخذنا الزهو بهذه الانتصارات عما يجب من استئناف العمل في المرافق، الإصلاح الشامل، حتى تشعر الأمة بأنها انتقلت نقلة كلية من عهد إلى عهد، وإلا نفعل فقد ضاعت ثمرة هذه الحركة.. ».

وقدم الإخوان مبادرتهم الإصلاحية تلك على سبع محاور جامعة إلى:

أ - التطهير الشامل.

ب - الإصلاح الخلقى.

جـ - الإصلاح الدستورى.

د - الإصلاح الاجتماعى.

هـ - الإصلاح الاقتصادي.

و - التربية العسكرية.

ز - البوليس.

واختتم الإخوان هذه المبادرة بثلاثة نصائح، تقدموا بها ؛ لكى يستقيم أمر الأمة، وهى:

الأول: أن ترد المظالم إلى أهلها، وأن يُعاد إلى كل ذى حق حقه، فترد إلى المسجونين السياسيين حريتهم.. كما ترد الأموال والأرض المغصوبة إلى أهلها، وأن تتوفر للمواطنين حياة يتحررون فيها من أغلال الفقر وطغيان الطبقة الحاكمة وتجار السياسة.

(١) راجع : جريدة الإخوان المسلمون،العدد الخامس،٢٧ مارس ١٩٥٢م .

الثانى: أن يقتص من الظالمين، وأن يحاكم أمام القضاء الذين: استباحوا الحرمات، واعتدوا على الحريات، وداسوا على مقدسات الأمة، وجعلوا البلاد مزرعة لشهواتهم، واتخذوا العبث بمصالحها مادة للكسب الحرام لأنفسهم وأهلهم وأنصارهم.

الثالث: أن تتغير الأوضاع التي مكنت الظالم من أن يظلم، وأن يكون التغيير شاملا لكل مرافق الحياة التي استطاع الطغاة أن ينفذوا منها إلى مآربهم [1].

٧- وفى ٤/ ٥/ ١٩٥٤م أرسل المرشد العام الأستاذ الهضيبى رسالة إلى جمال عبد الناصر بمطالب إصلاحية، منها:

أ - إعداد جيش قوى لمحاربة اليهود الذين احتلوا أرض فلسطين.

ب - أن تعمل على تحقيق الاستقرار.

وحددت الرسالة وسائل ذلك في:

أ - الحياة النيابية.

ب - إلغاء الإجراءات الاستثنائية والأحكام العرفية.

جـ - إطلاق الحريات [2].

٨ - وفى عهد الأستاذ المرشد عمر التلمسانى، تقدم الإخوان للسادات بأكثر من مبادرة للإصلاح وإطلاق الحريات [3].

وقد عارض الإخوان زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧م، وكذلك اتفاقية السلام مع إسرائيل عام ١٩٧٩م، ودفعوا ثمن ذلك من الاعتقالات ومصادرة مجلة الدعوة.

٩- وفى يناير١٩٧٩م وجه الأستاذ عمر التلمسانى رسالة إلى السادات وباقى حكام العالم الإسلامي بعنوان: (يا حكام المسلمين..منهج الله أو الدمار)[4].

---

(١) راجع: الإخوان المسلمون .. أحداث صنعت التاريخ،ج٣،ص١٠٧.

(٢) المرجع السابق،ج٣ .

(٣) ليرجع القارئ إلى مجلة الدعوة عامى ١٩٧٦،١٩٧٧م.

(٤) نشرت الرسالة بمجلة الدعوة،العدد ٣٢.

١٠- وكتب الأستاذ مصطفى مشهور المرشد العام، يواجه التزوير واستبداد السلطة: «..وسن القوانين الجائرة التي تفرض على الشعب باسم الشعب المفترى عليه، عن طريق الاستفتاءات الشعبية المئوية(٩٩.٩٩٪) المزورة أو عن طريق ما يسمى بمجالس الشعب المصنوعة أو المختارة بالانتخابات المزورة إلى آخر هذه الصور من الظلم »[٢].

١١- وقد تقدم الإخوان بمطالب وطنية اتفق عليها الإخوان مع القوى الوطنية الأخرى عام ١٩٨٧م.

١٢- وكذلك رسالة المرشد العام الأستاذ مصطفى مشهور في كيفية القضاء على أسباب الضعف والأخذ بأسباب القوة، والمنشورة في رسالة الإخوان، العدد ٢٢٨، المحرم ١٤٢٢هـ ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١م، وقد سبق الإشارة إليها.

١٣- واستمرت مطالب الإخوان وطرح رؤياهم للإصلاح لا تنقطع، فى كل موقف وحدث، إلى أن تقدموا بمبادرة الإصلاح الشامل عام٢٠٠٤م، والتى أعلنها المرشد العام الأستاذ محمد مهدى عاكف وذلك في مؤتمر صحفى، ومما جاء في مقدمتها:

أولا: أن الإخوان المسلمين يرفضون كل صور الهيمنة الوطنية، ويدينون كافة أشكال التدخل الأجنبي في شئون مصر والمنطقة العربية والإسلامية.

ثانيا: إن الإصلاح الشامل هو مطلب وطنى قومى وإسلامي، وأن الشعوب هي المعنية أساسا بأخذ المبادرة لتحقيق الإصلاح الذي يهدف إلى إنجاز آمالها في حياة حرة كريمة، ونهضة شاملة، وحرية وعدل ومساواة وشورى.

ثالثا: إن البداية يجب أن تكون من الإصلاح السياسي، الذي هو نقطة الانطلاق لإصلاح بقية مجالات الحياة كلها.

رابعا: إن القيام بريادة هذا الإصلاح لا تقوم عليه حكومة، ولا أى قوة سياسية منفردة، بل هو عبء يجب أن يحمله الجميع، وأن المصالحة الوطنية العامة التي تؤدى إلى تضافر الجهود جميعا هي فريضة الوقت.

(٢) مجلة البشير،العدد الأول .

ويرى الإخوان المسلمون أن واجب الوقت يقتضى من كل القوى السياسية والنخب الفكرية والثقافية، وكافة المهتمين بالشأن العام أن يلتفوا حول إطار عريض ينطلق من المقومات الأساسية لهذا المجتمع، وأن يتعاونوا في المتفق عليه – وهو كثير – وأن يتحاوروا حول المختلف فيه – وهو قليل – من أجل الصالح العام لهذه الأمة.

إن الثالوث المدمر لهذه الأمة من: جمود سياسى، وفساد وظلم اجتماعى، وتخلف علمى وتقنى، يهدد مصر الآن في: أمنها الوطنى، ومكانتها القومية، وريادتها الإسلامية، ودورها العالمى.

١٤- وفى عام ٢٠٠٥م قاد الإخوان مؤتمرات ومظاهرات الإصلاح، وقدموا ثلاثة آلاف معتقل سياسى، وشهيدا، وعشرات المصابين ؛ نتيجة موقفهم ورأيهم في الإصلاح، والتقوا مع القوى الوطنية، وأسسوا التحالف الوطنى من أجل الإصلاح.

■ **من ملامح برنامج الإصلاح:**

- إن دعوة الإخوان دعوة شاملة، وهيئة جامعة لكل المجالات سواء السياسية أو الاجتماعية أو الأدبية أو الفنية أو العلمية أو الثقافية أو الرياضية أو لأعمال البر والخدمة العامة... إلخ.

وهى لهذا لا تقتصر أو تنحصر في مجال دون آخر، ولا يُنظر إليها أو تُفهم دعوتها من خلال زاوية ضيقة أو مجال محدود من هذه المجالات، وهى بالتالى لا يمكن أن تنحصر بدعوتها الشاملة في مجال واحد.

وهى تتخذ من الوسائل والآليات ما تتحرك به في هذه المجالات وتطور في وسائلها وحركتها حسب إمكانياتها والظروف المتاحة، فهي تقدم: الحزب السياسى، والجمعية الأهلية، ولجان الخدمة العامة، والنوادى والفرق الرياضية، وجمعيات الفن والأدب، ومراكز البحث والفكر، ومنتديات الحوار والدعوة، والمؤسسات: التعليمية، والصحية، والمؤسسات: الاقتصادية، والصناعية، إلى غير ذلك من واجهات ومؤسسات وهيئات تعبر عن مفهوم الدعوة ورؤيتها الشاملة، وتسعى للنهوض بالمجتمع في كل مجالاته و محاوره.

وقد تأتى ظروف على الدعوة فيتقدم مجال على آخر، أو يرتقى العمل ليشمل مجالات أكثر اتساعا، لكن كل ذلك داخل إطار الدعوة الشاملة والرؤية الكاملة، والهيئة الجامعة.

- ويركز مفهوم الإصلاح على:

١- يقظة الروح والرجوع للدين.

٢- إصلاح الفرد، وتأمين حياته، وإطلاق طاقاته.

وأى دعوة إصلاحية لا تراعى ذلك أو تنطلق منه تصبح دعوة مبتوتة لا تؤتى الثمرة المرجوة منها.

ويشير الإمام الشهيد إلى ذلك فيقول: « فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح، حياة القلوب صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح في النواحى العملية المختلفة، بقدر ما يعنينا أن نركز في النفوس هذه الفكرة »[١].

ويقول: « فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تعالى، والتي نسوها، فأنساهم الله أنفسهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية، التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشرية جميعا، فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلا، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح »[٢].

- كما أن الجدية والاعتبار في الدعوة للإصلاح تقوم على:

١- وضوح الرؤية والأهداف من عملية الإصلاح، والاتفاق على ذلك.

٢- الجدية المتوفرة عند الأفراد القائمين في مجال الإصلاح، والروح العالية في ذلك.

٣- توفر المناخ المناسب لعملية الإصلاح.

٤- تضافر القوى والجهود كلها وعدم احتكار أحد لها.

---

(١) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٣.

(٢) المرجع السابق،ص٢٢٦.

٥- وجود الإجراءات العملية التي يستلزمها مشروع الإصلاح.

٦- العمل على إزالة المعوقات التي تعترض الإصلاح أو تؤثر سلبا على المناخ.

٧- مدى تفاعل القاعدة الشعبية وثقتها في دعاة الإصلاح والمسئولين القائمين على ذلك.

وقد رأينا عبر تاريخ الوطن دعوات للإصلاح، وهى للاستهلاك المحلى، أو للمناورة السياسية، أو مجرد شعارات براقة لا جدوى من ورائها، ولا واقع فيها.

أو هي مجرد ضجيج وصخب يوظف لمصلحة حزب أو حاكم يخدع الجماهير به ويزيف فيه الحقائق والبيانات.

والإخوان أمام هذا الضجيج والصخب يتميزون بمنهاجهم ويتقدمون بمشروعهم الإصلاحى، ويدعون كل القوى إلى العمل الحقيقي والتنسيق والتعاون في ذلك.

- ومن جوانب الإصلاح التي يدعو إليها الإخوان: أن يكون هناك دستور مكتوب، تتفق عليه الأمة، ويتماشى مع عقيدتها وتاريخها، ويحتوى على القواعد الأساسية، ويكون شاملا واضحا ؛ فالدساتير الحالية فيها القصور والإبهام وعدم الوضوح، وفيها تضخيم لصلاحيات الحاكم وتركيز السلطات له.. فالإصلاح الدستورى من مطالب الإخوان في الإصلاح، وقدم الإمام الشهيد نموذجا لذلك [راجع الرسائل].

- وكذلك بالنسبة للقوانين وما تحتاجه من إصلاح وتعديل، فنبدأ بالمطالبة به كجزء من إصلاح المجتمع والنهوض به، ونتعاون مع الآخرين في ذلك، ولا ننتظر مرحلة قيام الحكومة المسلمة، والإصلاح لن يتم فجأة.

وقد تقدم الإمام الشهيد طوال مسار الدعوة أكثر من مرة بمطالب متعددة لإصلاح القوانين وجوانب الحياة المختلفة والاقتراحات اللازمة لذلك.

- وأيضا المساهمة في البنيان الاقتصادي، وتكوين صناعات وطنية، وتعديل الأنماط الاستهلاكية، والاهتمام بالمجالات الإنتاجية، مما يشجعه الإخوان ويدعون إليه أنفسهم وغيرهم، وقدموا نماذج عدة من هذه الشركات الصناعية، والتي استولت عليها حكومة الثورة بعد ذلك، وقضت على دورها الإيجابى في بناء اقتصاد قوى مستقل.

- كما يراعى الإمام الشهيد أن نكون إيجابيين تجاه الأحداث وتجاه أى خطوة أو تغيير في المجتمع، ولا يُواجه ذلك بمجرد الرفض إذا جاء من الآخرين ناقصا، وإنما بالاقتراح والاستكمال، وبذلك تكون الدعوة إيجابية ومؤثرة وفاعلة.

وكان موقفه في قمة الإيجابية والدعم من إنشاء جامعة الدول العربية وتقديم الاقتراحات الخاصة بميثاقها - والتي أخذوا معظمها - رغم ما أحاط من ظروف نشأتها، وأنها لم تكن تلبى كل تطلعات الإخوان.

- ويوضح الإمام الشهيد دعامة تلك النهضة الإصلاحية المنشودة بالمجتمع، وأهمية توفر المنهاج التربوى والقيادة الحقيقية، وتحول ذلك إلى تربية عملية وواقع تطبيقى ليؤتى ثماره في النهاية.

فيقول في ذلك: « يجب أن تكون دعامة تلك النهضة: (التربية) فتُرَبى الأمة أولا، وتفهم حقوقها تماما، وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق، وتربى على الإيمان بها، ويُبث في نفسها هذا الإيمان بقوة، أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درسا نظريا وعمليا وروحيا، وذلك يستدعى وقتا طويلا ؛ لأنه منهج دراسة يُدرس لأمة، فلابد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل.. ومن أجل ذلك أيضا يجب أن ينظم أمران، هما: المنهج والزعامة.

فأما المنهج: فيجب أن تكون موارده قليلة بقدر الإمكان، عملية بحتة، ملموسة النتائج مهما قلّت.

وأما الزعامة: فيجب أن تُختار وتُنتقد حتى إذا وصلت إلى درجة الثقة أُطيعت وأُوزرت، ويجب أن يكون الزعيم زعيما، تربى ليكون كذلك، لا زعيما خلقته الضرورة وزعمته الحوادث فحسب، أو زعيما حيث لا زعيم»[1].

ويقول أيضا: « لهذا يدعو الإخوان إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا هو: توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة، على أساس الإسلام وقواعده»[2].

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٥٨،١٥٩،باختصار.

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٩.

- كما يؤكد الإخوان أهمية بناء الفرد وإعداده الصحيح، في مسار الإصلاح بالمجتمع والنهوض بالأمة.

كما يعتبرون أن الحرية السياسية مطلب ضرورى ومنطلق أساسى لأى إصلاح وتقدم في الإمة، وضمانة من ضمانات قوة المجتمع، ولا يجوز تأخيرها أو انتقاصها بأى حجة.

ويحرص الإخوان على إصلاح المجتمع في مجالات: الثقافة، والاجتماع، والتعليم، وقد قدَّم الإخوان في السنوات الأخيرة مبادرة متكاملة للإصلاح في جميع جوانبه، قدموها للحاكم والقوى السياسية المختلفة لمناقشاتها والاستفادة منها والاجتماع عليها.

- ويهتم الإخوان بالإصلاح الاقتصادي وهو يسير متوازيا ومكملا للإصلاح السياسي والحرية السياسية.

ويحرص الإخوان على تحقيق الاستقلال الاقتصادي في كل جوانبه، وإلى أهمية تكامل الأمة العربية والدول الإسلامية في تحقيق هذا الارتقاء الاقتصادي والأخذ بكل أسباب القوة، والتعاون فيما بينهم في ذلك.

- وكما أشرنا قدم الإمام الشهيد أطروحات متعددة للإصلاح الاقتصادي، وأسس شركات مستقلة وطنية تواجه السيطرة الإنجليزية وغير الوطنية في هذا الميدان، وقد صادرتها بعد ذلك حكومة الثورة.

واهتم فضيلته بالقضايا الاقتصادية الهامة والأمن القومى لمصر، والذي تمثل في مستهدفات هامة أشار إليها، مثل: قضية المياه وتأمين منابع نهر النيل، ووحدة وتكامل وادى النيل (مصر والسودان)، وتأمين البحر الأحمر وأن يكون بحرا عربيا خاضعا للسيطرة العربية بمنافذه ومداخله، وأمن مصر الشرقى: سيناء وفلسطين، واستقلال النقد، واستكمال الاستقلال الحقيقي لمصر في كل المجالات، وريادة الأمة العربية وتلبية متطلباتها، والحرص على وحدة الأمة واجتماع الكلمة، وصناعة السلاح، إلى آخر هذه القضايا الهامة، والتي تناولها في رسائل: نحو النور، ومشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، ومذكرات الدعوة والداعية، وغيرها والتي تمثل النظرة العميقة والرؤية الشاملة، والتي ترد على من يدعى ويتساءل: أين برامج الإخوان ومشروعهم في الإصلاح ؟ وأنها غامضة وغير محددة!.

لقد قامت حركات وانقلابات في بلادنا ادعت أن لها برنامجا وأهدافا، ولم يكن لديها إلا سطورا قليلة ونقاط بسيطة، لا تُقاس أبدا بما لدى الإخوان من رؤية ومشروع متكامل للنهضة.

يقول الإمام حول بعضما أشرنا إليه: « إن النيل الذي تتوقف عليه حياة مصر – أرضا ونباتا وحيوانا وناسا – إنما ينحدر إليها من السودان، ومن مائه وطميه تكونت أرض الجنوب، كما نشأت أرض الشمال.

فإن مصر إذا كانت تحتاج السودان لتطمئن على ماء النيل – وهو حياتها – فإن السودان أحوج ما يكون إلى مصر في كل مقومات الحياة كذلك، وكلاهما جزء يتمم الآخر.

ونريد بعد ذلك أن نؤمن حدودنا الجنوبية بأن نحفظ حقوقنا في أريتريا ثم زيلع ومصوع وهرر وأعمال النيل، تلك المناطق التي اختلط بتربتها دم الفاتح المصرى، وعمرتها اليد المصرية، ورفرف في سمائها العلم المصرى الخفاق، ثم اغتصبت من جسم الوطن ظلما وعدوانا »[1].

كما نحيل إلى رسائل: نحوالنور، ومشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، وكذلك: مذكرات الدعوة والداعية ؛ لمزيد من التفصيل.

– وكل هذه المجالات الإصلاحية – التي أشرنا إلى بعضها – تمثل روافد مصاحبة لمحور الإصلاح الأساسى الذي يتناول بعمق جميع أجزاء المجتمع، ويأخذ بتربية الجماهير، وتكوين الركائز، ولكل أمر وزنه النسبى في مشروع الجماعة للنهضة وخطتها العامة.

– والخطاب الدعوى في أصوله والأهداف التي يعمل لها الإخوان ثابتة ومتفق عليها منذ عهد الإمام الشهيد، لكن الوسائل والآليات المعبرة عنها تتغير وتتطور وتتسع من زمن لآخر، ومن مرحلة لأخرى، حسب إمكانيات الجماعة وقدراتها، وحسب الظروف المحيطة بها والمناخ السائد حولها.

– والدعوة إلى الحرية ليست رجوعا عن الدعوة للإسلام، أو تقديم ذلك عليه، فنحن ندعو إلى الإسلام والحرية فريضة من فرائضه، فشعارنا: (الإسلام هو الحل)، وهو الأصل

(١) مؤتمر رؤساء المناطق،ص٢٦١،٢٦٤.

الشامل، وشعار الحرية جزء منه وتفصيل وشرح له، وليس بديلا أو تقديما عليه، فنحن متمسكون بالدعوة للإسلام بكل جوانبه ومجالاته.

والخطوات العملية تتم حسب الإمكانيات والمتاح تحقيقه، كجزء من المطالبة بشريعة الإسلام.

كما أن تقديمنا لبرامج الإصلاح مستمدة من الشريعة الإسلامية والمطالبة بها ورفع شعارات إسلامية، لا تمثل احتكارا أو متاجرة، فنحن لا نحتكر الإسلام أو الحديث عنه ومن حق أى فرد أو تيار أن يفعل وينادى بما نقول، وكلنا مسلمون ولا ننفى الإسلام عن أحد، أو أن من يختلف معنا يكون قد هاجم الإسلام أو خرج عليه.

وقيامنا بالدعوة إلى شريعة الإسلام وشعارات الإسلام نعتبره تكليفا شرعيا لكل مسلم ومسلمة، ونحن قد ألزمنا أنفسنا به من هذا المنطلق، وليسالأمر تكتيكا حزبيا نناور به أو نتراجع عنه ونساوم عليه.

ولو شئنا المتاجرة والوصول للمناصب والمكاسب لكان لنا سلوكا آخر، ولتركنا هذه الشعارات وذلك المنهج والتحقنا بركب أحزاب السلطة، وحزنا المكاسب والمناصب بدلا من السجون والمعتقلات وصور الاضهاد المختلفة جيلا بعد جيل، فنحن أصحاب دعوة شاملة نضحى في سبيلها ونثبت عليها بإذن الله، وندعو قومنا إليها بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجالات الحياة: اجتماعية.. وسياسية.. واقتصادية، وعبر كل الوسائل التي كفلها الدستور وأجازها القانون.

ولا يكتفى الإخوان بالمشاركة في القضايا الوطنية والقومية، وإنما يتبنى هذه القضايا والأهداف، والعمل الجاد لها، وريادة الأمة في ذلك المجال، وتقديم التضحيات إذا احتاجت ذلك، وهى تعمل وتتحرك باتزان وشمول وتوازن، ولا تنحصر في مجال واحد، أو تعمل لهدف دون هدف، أو تسلك أسلوبا نظريا حالما أو غوغائيا بل تتحرك من خلال بصيرة بالظروف وإحاطة جيدة بالواقع وتقدير حكيم للخطوات والإمكانيات وللمستهدفات، وهى تعمل أكثر مما تتكلم، وتتحمل التضحيات والنتائج في صبر وثبات.

ونشاهد – كمثال – هذه الريادة والفاعلية في قضية فلسطين، وتفعيل الأمة بشأنها وما دار على أرضها من معارك، وكذلك معارك قناة السويس ضد الاحتلال الإنجليزى، وفى قضية الحريات والإصلاح السياسي، وكذلك في قضايا العالم الإسلامي المختلفة.

فهذا هو ثقلها في الأمة ومكانتها، وهذا هو قدرها، رغم كمّ المحن والمؤامرات والاضطهادات التي تعرضت لها طوال تاريخها، فهي أصبحت – بفضل الله – أمل الأمة، ليس في مصر وحدها وإنما في العالم الإسلامي أجمع.

■ **نموذج للإصلاح الدستورى والقانونى:**

يقول الإمام الشهيد: « الواقع أيها الإخوان أن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستورى، التي تتلخص في: المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من هذه السلطات، هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم، ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظاما آخر ».

ويقول أيضا: « بقى بعد ذلك أمران، أولهما: النصوص التي تُصاغ في قالبها هذه المبادئ، ثانيهما: طريقة التطبيق التي تفسر بها عمليا هذه النصوص..

وإذا تقرر هذا، فإن من نصوص الدستور المصرى ما يراه الإخوان المسلمين مبهما غامضا، يدع مجالا واسعا للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء، فهي في حاجة إلى وضوح، وإلى تحديد وبيان، هذه واحدة. والثانية هي: أن طريقة التنفيذ التي يطبق بها الدستور ويتوصل بها إلى جنى ثمار الحكم الدستورى في مصر، طريقة أثبتت التجارب فشلها، وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع، فهي في حاجة شديدة إلى تحديد وإلى تعديل يحقق المقصود ويفى بالغاية..».

ويقول: «..فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستورى؛باعتبارها متفقة بل مستمدة من نظام الإسلام، وإنما ننقد الإبهام وطرائق الإنفاذ.. »[1].

ويقول أيضا: « فإننا نصرح بأن هناك قصورا في عبارات الدستور، وسوءا في التطبيق، وتقصيرا في حماية القواعد الأساسية التي جاء بها الإسلام وقام عليها الدستور، أدت جميعا إلى ما نشكو منه من فساد، وما وقعنا فيه من اضطراب في كل هذه الحياة النيابية »[2].

وأشار الإمام الشهيد إلى الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي: «الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم ثلاث:

أ - مسئولية الحاكم.

ب - ووحدة الأمة.

جـ - واحترام إرادتها ».

ويقول أيضا: «.. هذه هي قواعد النظام الإسلامي والنيابى معا في «مسئولية الحاكم »، فماذا فعلنا نحن في مصر ؟ وقفنا في منتصف الطريق نصا وتطبيقا، وجاء دستورنا في هذا المعنى غامضا مقتضبا غير واضح ولا مفصل، مع أنها أهم نقطة في تحديد لون الحياة النيابية والإسلامية التي نحياها»[3].

ويقول الإمام الشهيد أيضا: «قدمت أن الدستور شيء والقانون شيء آخر، وقد أبنت موقف الإخوان من الدستور، وأبين لحضراتكم الآن موقفهم من القانون.

إن الإسلام لم يجيء خلوا من القوانين، بل هو قد أوضح كثيرا من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مادية أم جنائية، تجارية أم دولية...

---

(١) من رسالة : المؤتمر الخامس .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ـ رسالة نظام الحكم .

(٣) رسالة : نظام الحكم .

يتكلم الإمام الشهيد على دستور ١٩٣٦م،أما الدستور الحالى فأصبح أكثر سوءا في هذه النقطة بالذات،وأصبح يرسخ السلطات المطلقة لرئيس الجمهورية،مما أخل بمبدأ الفصل بين السلطات،وقد انتقد الإخوان ذلك وغيره من مواد الدستور،وطالبوا بدستور جديد تُراعى فيه هذه القواعد والضوابط ..

فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضا مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها، مصطدما كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله».

ويقول: « على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه، تصطدم بالدستور الوضعى نفسه، الذي يقرر أن دين الدولة هو الإسلام ».

ويقول: «وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا، وحظر الربا، ومنع الخمور، وحارب الميسر، وجاء القانون يحمى الزانية والزانى، ويلزم بالربا، ويبيح الخمر، وينظم القمار، فكيف يكون موقف اتلمسلم بينهما ؟...

أما الإخوان المسلمون، فهم لا يوافقون على هذا القانون أبدا ولا يرضونه بحال، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريع الإسلامي العادل الفاضل في نواحى القانون...

ولقد تقدم الإخوان المسلمون إلى معالى وزير العدل بمذكرة ضافية في هذا الموضوع، ولقد حذروا الحكومة في نهايتها من إحراج الناس هذا الإحراج، فالعقيدة أثمن ما في الوجود، وسوف يعاودون الكرة، وسوف لا يكون ذلك آخر مجهودهم»[1].

ويقول أيضا: « وأحب أن أنبه هنا إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التي تسير عليها المحاكم، إذ أن كثيرا من هذه القوانين يتنافى صراحة مع ما جاء به الإسلام»[2].

ويقول: «وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل، ففصلنا الدين عن السياسة عمليا، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريا، فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا الذوق الإسلامي في الرؤوس، والنظرة الإسلامية في النفوس، والجمال الإسلامي في الأوضاع، باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائما بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة، وهذا أول الوهن وأصل الفساد» [3].

(١) رسالة : المؤتمر الخامس .

(٢) رسالة : نظام الحكم.

(٣) المرجع السابق .

■ **المطالبة بإصلاح قانون الانتخابات:**

- وانتقد الإمام الشهيد قانون الانتخابات، ودعا إلى إصلاحه قائلا: «..ولقد شعر الجميع بقصور قانون الانتخابات الحالى عن الوفاء بالغرض الذي وضع من أجله، وهو الوصول إلى اختيار الصالحين للنيابة عن الأمة »[1].

ويقول أيضا: « لابد من تعديل وإصلاح لقانون الانتخاب، ومن وجوه هذا الإصلاح الضرورية:

١-... أن يكون هناك برامج واضحة، وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح.

٢- وضع حدود للدعاية الانتخابية، وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود، بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعانى الشخصية البحتة، التى لا دخل لها في أهمية المرشح وإنما تدور حول المناهج والخطط الإصلاحية.

٣- إصلاح جداول الانتخاب، وتعميم تحقيق الشخصية، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمرا عجبا بعد أن لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طوال هذه الفترات المتعاقبة، وفرض التصويت إجباريا.

٤- وضع عقوبة قاسية للتزوير، من أى نوع كان، وللرشوة الانتخابية كذلك.

٥- وإذا عدل إلى الانتخاب بالقائمة، لا الانتخاب الفردى كان ذلك أولى وأفضل ؛ حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية في تقدير النواب والاتصال بهم...

وعلى كل حال فأبواب الإصلاح والتعديل كثيرة، هذه نماذج منها، وإذا صدق العزم وضح السبيل، والخطأ كل الخطأ في البقاء على هذا الحال والرضا به، والانصراف عن محاولة الإصلاح » [2].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) رسالة : نظام الحكم،ص٣٢٩،٣٣٠.

■ **المطالبة ببناء الأمة القوية:**

بالإضافة إلى اهتمام الإمام الشهيد بالتصنيع والزراعة وتنمية الثروات الطبيعية، وبالجوانب الاقتصادية والاجتماعية كما سبق أن أشرنا، فإنه ركز أيضا في برنامجه الإصلاحى على جوانب القوة في بناء المجتمع، مثل:

١- أهمية الروح الوطنية والعزة القومية، وأنها واضحة كل الوضوح في روح الإسلام ومنهاجه للأمة.

٢- وكذلك امتلاك كل أسباب القوة وطابع الجندية، دون تشدد أو تطرف.

٣- الاهتمام بالصحة العامة لكل فئات الشعب بدءا من الطفولة، وأهمية تشجيع الرياضة وصحة الأبدان وقوة الأجسام ومواجهة الأمراض والأوبئة، وتوفير تلك الرعاية الصحية المناسبة لكل أفراد الأمة دون تمييز.

يقول الإمام البنا: « كل هذا ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة، وتشديده في المحافظة عليها، واتساع صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام» [١].

٤- الاهتمام بالعلم وإصلاح التعليم، وأنه ضرورة لتأسيس الأمة القوية.

ويقول الإمام في ذلك: «.. والإسلام لا يأبى العلم، بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره.. ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعا... »[٢]، وأشار أيضا إلى أهمية العلوم جميعا.

٥- أهمية ترسيخ الأخلاق الفاضلة وتربية الأمة عليها.

يقول الإمام: «.. والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق.. الخلق الفاضل القوى والنفس الكبيرة العالية الطموح... » [٣].

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٨١.

(٢) المرجع السابق،ص٢٨٢،٢٨٣.

(٣) رسالة : نحو النور،ص٢٨٣.

■ **حول التنسيق والتحالف:**

والجماعة ترحب بالحوار مع أيّ قوى سياسية ووطنية، وأن يكون لهذا الحوار ضوابط واضحة مثل أن يكون الحوار شفافا وعلنيا [1]، وأن يكون أساسه المصلحة العليا للوطن، وأن يكون له هدف إيجابي، وليس تآمرا مع فريق ضد آخر، وقد يرتقى هذا الحوار إلى تحقيق التوافق الوطنى أو درجة من درجاته، بدأ من التوافق في التأييد في المواقف، ثم التنسيق في الأعمال والآليات، ثم التحالف بمستوياته المختلفة.

والتوافق الوطنى ليرقى لمستوى التنسيق ثم التحالف حول موضوع معين وقضية قومية مثلا يتطلب توضيح أو تحديد ثلاثة أمور:

الأول: تحديد المطالب المتفق عليها ؛ لأن التوافق الوطنى يعنى أن هناك حدودا دنيا للمطالب الكل متفق عليها.

والثانى: تحديد الأولويات.

والثالث: تحديد الآليات للوصول إليها، ونصيب كل فريق من هذه الآليات وتلك الأعباء.

ثم هناك المناخ الذي يحيط ذلك التحالف أو التنسيق، من: المحافظة على خصوصية كل فريق، وأجندته التي يعمل لها، والتزام كل فريق بما يتفق عليه، والوزن النسبى والثقل لكل طرف، وتجاوز الاختلافات؛فليس المناخ مرحلة خلافات وتصفيتها، أو فرض رؤية أحادية على الجميع، أو مجرد ركوب موجة تتسلقها بعض الفئات.

والجماعة تتعامل مع الجميع بوضوح وشفافية وسعة صدر وحكمة، لكن ليس على أن يُبخس حقها، أو يخدعها، أو يتسلق على أكتافها أحد، أو يناور بها أحد لمصلحته الخاصة.

ولا يعنى التنسيق أن تتخلى الجماعة عن شعاراتها أو هويتها ومبادئها، ولكن في الأمور المشتركة يجوز الاتفاق على الآليات والشعارات بما لا يتعارض مع أصول ومبادئ الدعوة.

---

(١) لكل حزب الحق في إجراء الاتصالات مع القوى الوطنية الأخرى،والحق في إعلانها أو عدم إعلانها. وإنما الحديث هنا عن الحوار حول قضية من قضايا الوطن والتنسيق بشأنها.

ومن المناخ المطلوب أيضا: الالتزام بأدبيات الحوار، وترك الاتهامات وأساليب المناورة والخداع، ثم الرجوع للشعب والأمة لتؤيد وتختار أو تفاضل بين الدعوات أو الأحزاب والقوى السياسية الأخرى وما تطرحه من برامج، والجماعة في مواقفها وحركتها السياسية تتعامل مع الجميع بميزان واحد، وتبتعد عن تجريح الأشخاص، ولا تتهم أحدا في وطنيته وإخلاصه لأهدافه، ولا تتعالى أو تتكبر على أحد، وتتقبل النقد الموضوعى والملاحظات برحابة صدر، وتعتبر أنها تحمل دعوة سامية، تخاطب بها الجميع، وتدعوهم إليها ؛ ليقتنعوا بها ويصبحوا من قادتها.

لكنها لا تحبذ الحوار، وترفض التحالف والتنسيق مع:

١- أى طرف مصرى، أو غير مصرى، يعتمد العنف وإراقة الدماء كأسلوب للتغيير، بل تدعوه أولا للرجوع عن هذا المنهج المخالف لشريعة الإسلام ومبادئه.

٢- أو مع أى سلطة مستبدة تعتبر أنها صاحبة الحق الأوحد في الانفراد بالوطن وتواجه الآراء بالسجون والمعتقلات، بل توجه لها النصيحة وتدعوها إلى مبادئ العدل والحرية.

٣- وكذلك مع من يرتبط بالقوى الأجنبية والصهاينة، ويدعو للارتباط بهم والتواصل معهم، فهذا نحذر منه ونكشف أهدافه ومخططاته.

والجماعة في حركتها ومواقفها السياسية تحرص على استراتيچيتها العامة ومبادئها التي تعمل لها، ومنها مصلحة الوطن العليا واستقلاله وتماسكه، وهى في سبيل ذلك قد تضحى ببعض المكاسب الخاصة، أو تتحمل بعض التضحيات والأعباء، أو تختار من الوسائل والآليات ما لا يؤثر على هذه المصلحة العليا للوطن وعلى استراتيچية الجماعة في الحركة والدعوة.

■ **تقاطع المسارات:**

قد يكون هناك تقاطع مؤقت في المسارات بين الجماعة وغيرها من القوى والتيارات غير الإسلامية، أو حتى التي تعارض الفكرة الإسلامية وتحاربها، ولكنه يكون في الوسائل والأهداف الفرعية والتنفيذية، وليس في الأهداف الأساسية ؛ حيث إن أهدافنا إسلامية

صميمة ومتكاملة ومترابطة، أما الوسائل فقد نشترك فيها نحن والآخرون[1]، وقد يستفيد منها أكثر من طرف.

لكن الوسائل بالنسبة لنا تخضع لضوابط الإسلام وتأتى متسقة مع الأهداف، والغاية عندنا لا تبرر الوسيلة، إنما الغاية والوسيلة منضبطة بقواعد الشريعة وأحكامها، والتقاطع لا يعنى حتما التعاون والتنسيق.

وإذا كان هناك تعاون في هذا التقاطع فيكون وفق أحكام الإسلام وقواعده من: النبذ، والهدنة، والتحالف، والاستعانة المشروطة، أو المشاركة في فعاليات، والتوافق حول أولويات، أو السكوت عن أمر لمصلحة أمر أكثر أهمية، إلى غير ذلك من سياسات الإسلام وفقه الشريعة في هذه الأمور.

ونشير هنا – كمثال – إلى منع ابن تيمية من إيقاظ وزجر التتار السكارى النائمين في شوارع بغداد ؛ لأنهم إذا أفاقوا آذوا العباد ونهبوا الممتلكات.

وكذلك احتمال ظلم أو السكوت عن خلل، في سبيل تحقيق مصلحة كبرى أو إقامة فريضة أساسية تحتاجها الأمة، ويقوم بها وقتها حاكم جائر، أو تجنب ضرر ومفسدة أكبر، وإن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، وقد أوضح ابن تيمية هذه الضوابط كلها.

■ **أهمية تأمين الدعوة وسلامتها:**

تأمين الدعوة والمحافظة على سلامتها ومتانة أركانها، هدف أصيل لا يجوز المغامرة فيه، أو التنازل عنه، أو إهماله والتفريط فيه، ولو جزئيا، مما يتطلب من القيادة حنكة وخبرة، مع توفيق من الله، فى مواجهة الضغوط والأخطار والأحداث الجسيمة.

وإن تاريخ الجماعة ومسارها الطويل، وما تعرضت له من أحداث وفتن، ليوضح مدى توفيق الله للقيادة في حماية الدعوة وتأمينها والانتقال بها من مرحلة إلى مرحلة، ولا يتعارض

(١) نقصد بالآخرين : الذين لا يعملون لصالح الإسلام أو لصالح الوطن من القوى والتيارات والدول والحكومات . أما هؤلاء الإسلاميون والوطنيون،فقد يشتركون في بعض الأهداف أو جزء منها مع الدعوة،وإن كانت أهداف دعوة الإخوان أكثر شمولا واتساعا وأعمق،وتشكل منظومة مترابطة مستمرة على مدار الزمن.

هذا مع اقتناص الفرص والمرونة في مواجهة الأحداث، وعدم مغالبة نواميس الكون أو التيار الجارف، وإنما استيعابه وتحويل مجراه والاستفادة منه، فكل هذا يدعم مبدأ تأمين الدعوة والمحافظة على أصولها وأركانها:

١- التفاف الصف حول قيادته وثقته بها،

٢- وقوة رابطة الأخوة والحب بين أفراد الصف،

٣- والتمسك دائما بأصولها وثوابتها التي أرشدنا إليها الإمام الشهيد،

٤- وحسن الالتجاء لله، والانكسار على بابه،

٥- والفقه والبصيرة بسبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين.

كل ذلك من العوامل التي تساعد على تأمين الدعوة وسلامتها، وكان الإمام الشهيد نموذجا لذلك الفقه، فقد نجح في العبور بالدعوة في أدق الأزمات وأحلك الظروف، وكذلك المرشدون الذين جاؤوا من بعده رضى الله عنهم جميعا.

لقد استطاع الإمام الشهيد أن يؤسس الدعوة - بوضوح منهجها وشمول أهدافها - بهدوء، وأن يقوى هذا الأساس دون أن يسبب ضجيجا، أو يلفت إليه المتربصين[1].

وعندما أحس الإنجليز بخطر دعوته كانت الحرب العالمية الثانية قد بدأت لتشغلهم عن ذلك إلى حين، واستفاد الإمام الشهيد من الوقت، فنقل الدعوة إلى مرحلة من القوة والانتشار بهدوء وحكمة، ثم تعرض لضغط الإنجليز مرة أخرى في عام ١٩٤١م، فأمروا رئيس الوزراء وقتها حسين سرى باشا أن ينقل الإمام الشهيد إلى صعيد مصر، وأن يغلق مجلات الإخوان (المنار - والتعارف)، فتم نقله إلى قنا في ٩/ ٥/ ١٩٤١م، ونُقل كذلك وكيل الجماعة إلى دمياط، فواجه الإمام ذلك بكل هدوء وحنكة، واستغل وجوده في الصعيد في نشر الدعوة هناك وتصاعدت الشكاوى من بعض التيارات والقوى هناك، وضغط الإمام بطريقة هادئة عن طريق بعض الوزراء من الأحرار الدستوريين الموجودين بالحكومة، وعن طريق استجواب في البرلمان من الأستاذ محمد نصير عن سبب نقل الإمام للصعيد، فتم إعادته بعد قليل للقاهرة.

(١) راجع : مذكرات الدعوة والداعية .

ثم استغلوا حركة الإمام الشهيد بشأن قضية فلسطين، وقيامه بطبع وتوزيع كتاب (الدمار والنار) في فلسطين، والذي يفضح ما يفعله الإنجليز واليهود هناك وطلبوا اعتقاله، فتم اعتقال الإمام الشهيد ووكيل الجماعة وسكرتير الجماعة في معتقل الزيتون، ثم اضطروا تحت الضغط السياسي عبر القنوات التي أشرنا إليها ولتهدئة رد الفعل في هذه الظروف من الحرب العالمية إلى الإفراج عنه.

وفى عام ١٩٤٢م رتب الإنجليز تشكيل جماعة موازية لتستقطب الشباب وتنافس الإخوان وتهاجمهم، سموها: (إخوان الحرية) لكن الإمام الشهيد لم يشغل نفسه بذلك أو يدخل في صراع معها، بل ركز على نشر الدعوة والحركة مستفيدا من الظروف الموجودة وقتها.

ثم أراد أن يستفيد من الأحداث في دخول البرلمان بهدوء، فرشح نفسه في دائرة الإسماعيلية عام١٩٤٢م لكن الإنجليز واجهوا ذلك بشدة وضغطوا عن طريق النحاس باشا رئيس الوزراء وقتها ليهدده ويضغط عليه للتنازل، فوافق الإمام بعد وزن الأمر وتقدير المكاسب والخسائر، ولم يصعّد الأمر بالمواجهة، ثم أعاد ترشيح نفسه عام١٩٤٥م في نفس الدائرة، لكن زوّر الإنجليز الانتخابات ضده بصورة واضحة وفجة، واستفاد الإمام الشهيد من هذا الحدث دون الاستدراك إلى المواجهة.

ثم جاءت أحداث فلسطين الدامية ـ وهى هدف استراتيچى في دعوة الإخوان لا يمكن أن تتخلى عنه، وكان الإمام يدرك أبعاد المؤامرة [1].

ثم أصدر النقراشى قرارا بحل الجماعة في ٨/ ١٢/ ١٩٤٨م، ثم اعتقال كل الإخوان، ثم اغتيال الإمام الشهيد في ١٢/ ٢/ ١٩٤٩م، لكنه – رحمه الله – قد أمَّن الدعوة ووضع أركانها وأساسها فاستعصت على الأعداء.

وقاد الأستاذ الهضيبى الجماعة بعدها ليواجه المحن تلو الأخرى في ثبات وقوة، محافظا على أركان الجماعة والدعوة لتصل إلينا في هذا العصر قوية شامخة ثابتة، بفضل الله وتوفيقه، لم تستدرك أو تنحرف أو تمكن الأعداء منها أو ينجحوا في ضربها والقضاء عليها.

(١) راجع ص٢٥٥ ـ ٢٥٧ من هذا الكتاب،وكذلك مقالة: « محنة الإسلام » .

إن تأمين الدعوة يبدأ أساسا من بنائها الداخلى وقوته وترابطه، هذا البناء الذي تتكسر عليه كل معاول الهدم وسهام الأعداء ومحاولات البطش أو الخلخلة والاختراق أو الاستيعاب والاحتواء.

والعوامل التي تؤمن بنيان الجماعة – بعد توفيق الله عز وجل، وتأييده – تتمثل في:

١ – قوة الرابطة والترابط بين وحدات الصف وأفراده.

٢ – الثقة في القيادة والالتفاف حولها.

٣– مدى وضوح الرؤية وثبات الفهم لدى الأفراد حول الأهداف والوسائل، ومدى قناعتهم بحاجتهم للجماعة والدعوة وإشباعها لهم، وكذلك حاجة البشرية إليها.

٤ – المناخ الصحيح داخل الجماعة والذي يتمثل في الوضوح والشفافية والحب والاحترام والانضباط باللوائح والتمسك بالآداب والأخلاق.

٥ – التواصل بين القيادة والقاعدة وكذلك بين الأجيال المختلفة.

وبتوفر هذه العوامل معا، يصعب جدا اختراق الصف، أو خلخلته، أو إحداث انشقاق، أو جيوب فيه، فإن الاختراق لا ينشأ إلا في الأجواء المضطربة، وغير السوية، وفى المساحات المظلمة، والتفكك النفسى والروحى والتنظيمى.

ولا نقول: إن صف الإخوان بكل ما فيه من مستويات وشرائح هو صف ملائكى ومثالى، وإنما نشير إلى أنه في مجمله يسعى ويتربى ليصل لهذا المستوى الإيمانى، كما أن وجود بعض التصرفات الفردية أو المواقف المحدودة، لا يخل بهذا المستوى الربانى أو يفقده صفات الثبات والقوة.

■ **الإمام الشهيد وتكوين الأحزاب:**

١ – كان الإمام الشهيد يواجه واقعا فاسدا في نشأة الأحزاب المصرية، وممارستها التي أدت إلى تدهور حال الأمة، فهي أحزاب ليس لها برامج واضحة، إنما العصبية لأشخاص وزعماء، وممارستها تقوم على البغضاء والتناحر وتزكية الصراع المقيت بين أفراد الأمة، ثم أصبحت بابا للتدخل الأجنبي والتلاعب بالأمة.

يقول الإمام في ذلك: «.. والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعا قد وُجدت في ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصى لا مصلحى.. وأن هذه الأحزاب لم تحدد برامجها ومنهاجها إلى الآن..

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم.. » [1].

ويقول أيضا: «وأعتقد كذلك أن هذه الأحزاب المصرية- الحالية - أحزاب مصنوعة أكثر منها حقيقية، وأن العامل في وجودها شخصى أكثر منه وطنى، وأن المهمة والحوادث التي كونت هذه الأحزاب قد انتهت » [2].

ويقول: « وأعتقد أيها السادة أن التدخل الأجنبي في شئون الأمة ليس له من باب إلا التدابر والخلاف وهذا النظام الحزبى البغيض، وأنه مهما انتصر أحد الفريقين فإن الخصوم بالمرصاد يلوحون له بخصمه الآخر، ويقفون منهما موقف القرد من القطتين، ولا يجنى الشعب من وراء ذلك إلا الخسارة من كرامته واستقلاله.. » [3].

٢- ويرى الإمام الشهيد أن فساد هذه الأحزاب بلغ درجة يستعصى معها الترقيع أو مجرد الإصلاح السطحى.

فيقول في ذلك: « إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مُسكن لا علاج، وسرعان ما ينقضّ المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف، والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة؛فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها » [4].

ويقول أيضا: « إن كل ما يستتبعه هذا النظام الحزبى من تنابز وتقاطع وتدابر وبغضاء

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٦.

(٢) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٧.

(٣) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٧.

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٨ .

يمقته الإسلام أشد المقت.. أيها الإخوان لقد آن أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية في مصر » [1].

خاصة وأن النظام النيابى البرلمانى - وهو مقارب في أسسه وقواعده للنظام الإسلامي - لا يشترط قيام الأحزاب، فيقول الإمام: « لأنه يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية، وبدون إخلال بقواعده الأصلية » [2].

ويقول أيضا: « إن النظام النيابى - بل حتى البرلمانى - في غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر... » [3].

٣- لكن الإمام الشهيد يؤكد على أهمية حرية الآراء، وعلى الحزبية السياسية الصحيحة، فيقول: «كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقا بين حرية الرأى والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة، وهو ما يوجبه الإسلام، وبين التعصب للرأى والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام » [4].

ويقول: « وفرق أيها الإخوان بين الحزبية التي شعارها الخلاف والانقسام في الرأى والوجهة العامة، وفى كل ما يتفرع منها، وبين حرية الآراء التي يبيحها الإسلام ويحضّ عليها، وبين تمحيص الأمور وبحث الشؤون والاختلاف فيما يُعرض تحريا للحق، حتى إذا وضح نزل على حكمه الجميع سواء أكان ذلك اتباعا للأغلبية أو للإجماع » [5].

٤- ويوضح الإمام الشهيد أن حال الأمة المصرية، وهى لم تستكمل استقلالها استكمالا تاما، وأنها في بداية نشأتها تحتاج إلى كل جهد ووحدة، وأن الأحزاب قد أصبحت فاسدة بأدائها ورجالها مما أدى إلى تمزيق الأمة، لهذا يرى إلغاء هذه الحزبية الفاسدة في هذه المرحلة الحرجة من نضال الأمة.

---

(١) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٨.

(٢) رسالة : نظام الحكم،ص٣٢٢.

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٦.

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٦.

(٥) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٨.

فيقول الإمام: « إننا يا إخوان أمة لم نستكمل استقلالنا بعد استكمالا تاما، ولازلنا في الميزان، ولا زالت المطامع تحيط بنا من كل مكان، ولا سياج لحماية هذا الاستقلال والقضاء على تلك المطامع إلا الوحدة والتكاتف، وإذا جاز لبعض الأمم التي استكملت استقلالها وفرغت من تكوين نفسها أن تختلف وتتحزب في فرعيات الأمور، فإن ذلك لا يجوز في الأمم الناشئة أبدا »[1].

ويقول أيضا: « أعتقد أيها السادة أن الحزبية السياسية إن جازت في بعض البلدان، فهي لا تجوز في كلها »[2].

٥- يؤكد الإمام الشهيد أن هذا هو رأيه الخاص في مواجهة هذه الظروف وتلك الأحوال في هذه المرحلة، وقد يتغير هذا الرأى في المستقبل.

فيقول الإمام: « وإن لى في الحزبية السياسية آراء هي لى خاصة ولا أحب أن أفرضها على الناس، فإن ذلك ليس لى ولا لأحد، ولكنى كذلك لا أحب أن أكتمها عنهم، وأرى أن واجب النصيحة للأمة - وخصوصا في مثل هذه الظروف - يدعونى إلى المجاهرة بها وعرضها على الناس »[3].

ويقول أيضا: « وأحب كذلك أن يُفهم جيدا أنى حينما أتحدث عن الحزبية السياسية فليس معنى هذا أنى أعرض لحزب دون حزب، أو أرجح أحد الأحزاب على غيره، أو أنتقص أحدها وأزكى الآخر، ليس ذلك من مهمتى، ولكنى سأتناول المبدأ من حيث هو.. وأدع الحكم على الأحزاب للتاريخ وللرأى العام، والجزاء الحق لله وحده.. »[4].

٦- ومع هذه الرؤية الخاصة للإمام، والتي جعلها مؤقتة خاصة بالظروف التي كانت تواجهها الأمة في حينها والواقع الذي كانت تعيشه، حدّد الإخوان رؤيتهم الشاملة التي تقوم على الأصل الذي أكده الإمام الشهيد في نظام الحكم وأهمية الحرية والشورى واحترام

(١) المرجع السابق،ص١٦٧.

(٢) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٦.

(٣) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٦.

(٤) المرجع السابق نفسه .

حقوق الأمة.. فيطالب الإخوان بحرية تكوين الأحزاب والتجمعات وإعلان الآراء والمواقف، وأن يكون القضاء المستقل العادل هو الجهة التي تضبط الأداء والممارسة.

■ **حول العمل السياسي:**

١- أولاً يؤكد الإمام الشهيد على عقيدة راسخة: أن السياسة من منهج الإسلام، فهو ينظم حال الفرد والمجتمع والدولة والعالم كله.. ولابد أن تبنى سياستنا ومنهاجنا ونظم حياتنا على شريعة الإسلام.

يقول الإمام الشهيد: « ولكنهم آمنوا به: عقيدة وعبادة، ووطناً وجنسية، وخلقاً ومادة، وثقافة وقانوناً، وسماحة وقوة ».

ويقول: «واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة، اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً فهو عندهم دين ودولة، ومصحف وسيف »[١].

« إن السياسة والحرية والعزة من أوامر القرآن...»[٢].

« وعلم الله أيها السادة أن الإخوان ما كانوا يوماً من الأيام غير سياسيين، ولن يكونوا يوماً من الأيام غير مسلمين. وما فرقت دعوتهم أبداً بين السياسة والدين، ولن يراهم الناس في ساعة من نهار حزبيين »[٣].

« وفرق أيها الإخوان بين الحزبية التي شعارها الخلاف والانقسام في الرأى والوجهه العامة وفى كل ما يتفرع منها، وبين حرية الآراء التي يبيحها الإسلام ويحض عليها »[٤].

« فالعالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية، والحرب، وتوزيع الثروة، والصلة بين المنتج والمستهلك، وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى هذه البحوث التي تشغل

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٠٤ .

(٢) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق .

(٣) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٠ .

(٤) المرجع السابق،ص١٦٨ .

بال ساسة الأمم وفلاسفة الاجتماع، كل هذه نعتقد أن الإسلام خاض في لبها ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات »[1].

ويقول: « لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا هو: توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة على أساس الإسلام وقواعده »[2].

٢- ويفارق الإمام الشهيد بين من يفرق بين الدين والسياسة، فيقول: «ونجد أن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف، ولا يعرفه المسلمون الصادقون في دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين»[3].

٣- ولهذا فإن العمل السياسي جزء من دعوة الإخوان الشاملة، ويتخذ أشكالاً متعددة تتدرج حسب قوة الجماعة والظروف حولها، وله مراحله ومجالاته بدءاً من توضيح موقف الإسلام والدعوة من الأحداث والقضايا، إلى نشر مبادئ الإسلام في السياسة والحكم، وإلى التقدم ببرامج الإصلاح على هدى القرآن، والمطالبة بالحرية السياسية والعزة القومية، واستكمال كل صور الحرية والاستقلال للوطن، وإصلاح الأداة التنفيذية، وتوعية الشعب بحقوقه، وإرشاد الجماهير وتربيتها وقيادتها.

ويقول الإمام الشهيد: «وأما أننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشؤون أمتنا ونعتقد أن القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام، وتدخل في نطاقه وتندرج تحت أحكامه، وأن الحرية السياسية والعزة القومية ركن من أركانه وفريضة من فرائضه، وأننا نعمل جاهدين لاستكمال الحرية ولإصلاح الأداة التنفيذية، فنحن كذلك، ونعتقد أننا لم نأت فيه بشيء جديد، فهذا هو المعروف عند كل مسلم درس الإسلام دراسة صحيحة.

ونحن لا نعلم دعوتنا ولا نتصور معنى لوجودنا إلا تحقيق هذه الأهداف، ولم نخرج

(١) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٥٦.

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣٩.

(٣) رسالة : إلى الشباب،ص١٧٩ .

بذلك قيد شعرة عن الدعوة إلى الإسلام، والإسلام لا يكتفى من المسلم بالوعظ والإرشاد ولكنه يحدوه دائماً إلى الكفاح والجهاد »[1].

٤- وقد رد الإمام الشهيد في مؤتمر رؤساء المناطق على الدعوى التي ترى أن ترك العمل السياسي واقتصارها على الجانب الاجتماعى الأخلاقى سيجنبها العقبات والتضييق.

فيقول الإمام بذلك: « كل ذلك يا أخى جعلنا وقد قضينا سبعة عشر عاماً في الإعداد والاستعداد وأفهمنا الناس فيها الأمر على حقيقته من أن السياسة والحرية والعزة من أوامر القرآن وأن حب الأوطان من الإيمان، ولم يتبق بعد هيئة من الهيئات على وحدتها وثقة الناس بها وأملهم فيها، إلا الإخوان، كل ذلك يا أخى جعلنى أشعر شعوراً قد ارتقى إلى مرتبة الاعتقاد أننا لم يعد لنا الخيار، وإن من واجبنا الآن أن نقود هذه النفوس الحائرة، ونرشد هذه المشاعر الثائرة، ونخطو هذه الخطوة، والله المستعان ».

ويقول أيضاً في هذا المجال وأعبائه: «وأنه لا دعوة بغير جهاد، ولا جهاد بغير اضطهاد»[2].

ويقول - مشيرا إلى مراحل الدعوة والتدرج في العمل السياسى: «..ولسنا في ذلك نخالف خطتنا، أو ننحرف عن طريقنا، أو نغير مسلكنا بالتدخل في السياسة - كما يقول الذين لا يعلمون - ولكنا بذلك ننتقل خطوة ثانية في طريقتنا الإسلامية، وخطتنا المحمدية، ومنهاجنا القرآنى، ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءا من الدين، وأن يشمل الإسلام الحكام والمحكومين، فليس في تعاليمه: (اعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، ولكن في تعاليمه: (قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار) » [3].

٥- وخطابنا الدعوى والسياسى له منطلقه وثوابته، وهو الإسلام وتطبيق شريعة الله، وكل هدف إصلاحى فإنه ينبع من ذلك المنطلق ويصطبغ بصبغته، ولا يجوز أن تأتى مطالب الإصلاح الجزئى السياسي أو الاجتماعى كبديل لهذا الهدف الأساسى، أو تجعل

(١) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٣ .

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٣ .

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٦٥.

البعض منا يرى تأجيل هذا الملف « الشريعة » والدعوة إليه، وتقديم ملف إصلاح جزئى عليه، إنما يكون ذلك جزءا منه ومصاحبا له وليس بديلا عنه.

يقول الإمام: «إذا قيل لكم: إلاما تدعون ؟ فقولوا: ندعو إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، والحكومة جزء منه، والحرية فريضة من فرائضه »[1].

ويقول أيضا عن دعوتنا: «ولن يكونوا يوما من الأيام غير مسلمين»[2].

فالدعوة للإصلاح السياسي أو الاجتماعى هي جزء من دعوتنا للإسلام، وليس بديلا عنه أو لها الأولوية عليه.

إن الثبات الحقيقي للجماعة يقوم على: تماسكها، والحفاظ على ثوابتها، وقوة تنظيمها، وثبات أفرادها الذي يعتمد على قوة العقيدة والرابطة، ومدى الثقة والسمع والطاعة في المنشط والمكره، والتجرد، وهذه أمور لا يظهر مستواها ومدى رسوخها في الأحداث العادية أو بالاستيعاب النظرى، وإنما تُختبر وتُمحص وتظهر في الظروف الضاغطة، والأحداث المزلزلة، وفى مواجهة العواصف العاتية.

وعلينا أن نأخذ بالأسباب المناسبة والجدية في التربية والتكوين، والرجوع إلى المصدر الحقيقي الربانى، والزاد الإيمانى، وطلب العون والتثبت دائما من الله، والرجاء فيه، وحسن التوكل عليه، فبمقدار عبوديتنا لله والرجوع إليه والتبرؤ من كل حول وقوة، بمقدار ثباتنا ونجاحنا.

٦- والجماعة في حركتها السياسية وعلاقتها بالأحزاب الأخرى لا تناصر أو تنحاز لحزب على حزب، وتدعوهم جميعاً إلى منهج الإسلام ودعوته (كما أشرنا إلى ذلك في الصفحات السابقة).

يقول الإمام: «.. أما إننا سياسيون حزبيون نناصر حزباً ونناهض آخر فلسنا كذلك ولن نكونه »[3].

---

(١) رسالة : بين الأمس واليوم،ص١١٠ .

(٢) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان،ص١٦٠ .

(٣) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٣ .

« ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات، أو يعتمدون على جماعة من الجماعات »[1].

والجماعة مع تميز منهجها وعدم اتباعها الأسلوب الحزبي، لكنها لا تلغي وجود الآخرين، وتنسق وتتعاون مع الآخرين فيما يحقق مصلحة الدعوة والوطن، على أسس واضحة تحكمها ضوابط الشرع تقول للمحسن: أحسنت، وللمسيء: أخطأت، ولا تحالف أو تتعاون مع أحد على حساب دعوتها أو مبادئ الإسلام، وتفي بكلمتها وتثبت عند موقفها، لكن لا تخدعنا المناورات الحزبية أو الوعود البراقة.

فهي تتعامل مع الجميع وتوجه دعوتها للجميع، وتعطى كل فرد حقه حسب ما أعطاه الإسلام، وتتنوع بعد ذلك مستويات التعامل ؛ فقد تقف عند مستوى التعامل العام، أو ترقى إلى التنسيق في المواقف وبعض الأعمال، أو التعاون أو المشاركة والتحالف إلى غير ذلك من صور العلاقات، لكن يكون ذلك وفق ضوابط الإخوان وحدود الشرع كما أشرنا.

فنحن نرحب بالمشاركة على قدم المساواة في التعاون والتنسيق لإصلاح الأمة وعلاج مشاكلها، أما المشاركة منا ضمن منظومة الآخر لتحقيق أهدافه حتى ولو تسترت بأهداف إصلاحية أو أن يكون على غير قدم المساواة فهذا نرفضه؛لأنه انتقاص من قدر الجماعة، وزحزحة لها عن خطها وأهدافها وكيانها.

٧- ويضع الإمام الشهيد ميزانا لهذه الأمور، وتصدر قرارات مجلس الشورى العام في الانعقاد الثالث له في ١١ ذى الحجة سنة ١٣٥٣هـ ليحدد موقف الإخوان المسلمين من غيرهم وفق هذه الأسس والضوابط:

أ - على الأخ المسلم أن يتعرف غايته تماما وأن يجعلها المقياس الوحيد فيما بينه وبين الهيئات الأخرى.

ب - كل منهاج لا يؤيد الإسلام ولا يرتكز على أصوله العامة لا يؤدى إلى نجاح.

جـ - كل هيئة تحقق بعملها ناحية من نواحى منهاج الإخوان المسلمين يؤيدها الأخ المسلم في هذه الناحية.

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٠٦ .

د - يجب على الإخوان المسلمين إذا أيدوا هيئة ما من الهيئات أن يستوثقوا أنها لا تتنكر لغايتهم في وقت من الأوقات.

هـ - الهيئات النافعة توجه إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها.

و - يرحب الإخوان بكل فكرة ترمى إلى توحيد جهود المسلمين في سائر بقاع الأرض، وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية ؛ كأثر من آثار اليقظة الشرقية.

ز - الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائط، ويعتقدون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم.

ح - وهم يناوئون كل هيئة تشوه معنى الإسلام مثل البهائية والقاديانية [1].

٨ - وتتعدد صور العمل السياسي، وتتدرج حسب قدرة الجماعة ونموها والظروف المتاحة لها بدءا من إعلان الموقف إلى المشاركة السياسية وتقديم البرامج إلى الدعم والتأييد والتحالفات، وكذلك تقديم الكوادر السياسية ودخول المعترك الانتخابى، ثم الوصول إلى التوجيه والتأثير والقيادة للعمل السياسي الجماهيرى وللرأى العام.

يقول الإمام: « وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجيء الوقت المناسب إلى الأمة، ليمثلوها في الهيئات النيابية. ونحن واثقون بعون الله من النجاح ما دمنا نبتغى بذلك وجه الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] »[2].

٩- وفى الموقف من الأحداث والقضايا، تفرق الجماعة بين الخيال والشعارات والكلمات، وبين العمل الجاد والجهاد الحكيم:

« إن ميدان القول غير ميدان الخيال.. وميدان العمل غير ميدان القول.. وميدان الجهاد غير ميدان العمل.. وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ »[3].

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢١٩،٢٢٠.

(٢) رسالة : المؤتمر السادس،ص٢١٢.

(٣) المرجع السابق،ص١٨١ .

وهى تتريث ولا تنساق وراء الأحداث دون تبين أو سبر لغورها، ولا تخدعها ظواهر الأمور. وهى تدرك «علم الرجال» ولا تخدعها الزعامات التي تتاجر بالشعارات والخطب والكلمات.

وتدرك الجماعة أنها مستهدفة على المستوى المحلى والعالمى، فتدير الصراع برؤية شاملة وليست محلية، وتضع نصب عينها المحافظة على كيان الدعوة وقوة الصف.

« فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم..»[1].

فالجماعة لا تغيب عن الأحداث، وفى نفس الوقت لها خطابها السياسي المستقل ذو الرؤية العميقة فلا تغيب عنها مصلحة الدعوة أو ظروفها من مكان لآخر ومن ظرف لآخر، وهى تدرك طبيعة المرحلة – مرحلة التكوين – والظروف التي تمر بها الأمة وطبيعة الأعداء الذين تواجههم، لهذا فهي تنهج الأسلوب العملى، وأن يكون مخبرها أقوى من مظهرها، وأن تتمسك بثباتها الدعوى رغم كل وسائل الترهيب والترغيب.

وقد أثبتت أحداث التاريخ نجاح الجماعة وأسلوبها، فقد استعصت على كل محاولات الاستقطاب أو الاستدراج، وبفضل الله نجت من كل الحيل والمؤامرات والمناورات التي استهدفت إضعافها أو تذويبها أو صرفها عن منهجها وأسلوبها.

١٠- في ميدان العمل السياسي وما يستلزمه ذلك من إعلان المواقف والتحالفات والموادعات والإعانة لغيرنا والتصريحات...إلخ، فإن الدعوة منوط بها أن تراعى أثر ذلك في المستقبل القريب والبعيد على الحركة.

وللقيادة حق المفاضلة النسبية بين السياسات الجائزة، وتحكمها في ذلك المؤسسية والشورى وضوابط الدعوة.

وهى تأخذ في ذلك بفقه الحركة والسياسات الشرعية في هذا المجال: من تقديم دفع المضرة على تحصيل المصلحة، أو احتمال أخف الضررين وتفويت أدنى المصلحتين، وكذلك ضوابط المداراة والتخذيل والنبذ، ووضوح الفرق بين مراتب الفعل من جائز ومندوب

(١) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٢٧ .

وفرض ومكروه وحرام، وانقسام مقاصد الشرع إلى حاجات ضرورية وتحسينية وكمالية، وتقدير حالة الضرورة بأحكامها الشرعية، وحالة الإكراه، والترجيح عند تعارض المصالح... إلى غير ذلك من ضوابط وموازين شرعية لسياسات العمل والحركة، مستهدين في ذلك – أى القيادة – برسول الله ﷺ وسيرته الشريفة العطرة.

والمراجع لسيرة الإمام الشهيد وأقواله ومواقفه يجد أنه كان ثاقب النظر عميق الفقه في هذا المجال.

وعندما كان الصراع الحزبى والتنافس على الوزارة على أشده، وقف الإخوان بعيدا عن هذه المهاترات وقدموا النصح للجميع، لا يطمعون في وزارة ولا ينظرون إلى مغنم.

يقول الإمام الشهيد في رسالته الموجهة لرئيس الحكومة المصرية وقتها: «.. ولقد وقف الإخوان المسلمون من كل وزارة سابقة – ومنها وزارتكم الماضية – موقف الحياد التام، ولم يتقدموا إلى واحدة منها بالمساعدة، كما أنهم لم ولن يطلبوا ولم ولن يقبلوا من واحدة منها مساعدة؛ لأن الإخوان يعلمون أن ما أخذوا أنفسهم به من تربية الشعب وبث الأفكار الصالحة القوية في نفسه أجدى عليهم وعلى الأمة وأنفع من الاتصال بالحكومات التي لا يشغلها الآن إلا التهاتر الحزبى، ولقد كان لهذه النقطة القويمة أثرها في إبعاد الإخوان عن عواصف التقلبات الحزبية والحكومية »[1].

فالإخوان ليسوا طرفا في صراعات الأحزاب، ولا يدخلون هذا المجال، ويبتعدون عن المهاترات، يتقدمون بالنصح والإرشاد للجميع، والتأييد لمن أصلح، والمعارضة والإيضاح لمن أساء، ولا يشغلهم الميدان السياسي والصراع بين الأحزاب والزعماء عن العمل الجاد مع الشعب وتربيته وتوعيته.

١١- والإخوان المسلمون لا يريدون أو يستهدفون احتكار الساحة الاجتماعية أو السياسية أو غيرها من الساحات، بل يرحبون بمشاركة الآخرين ويدعونهم للنزول في الميدان وبذل الجهد المخلص في الإصلاح، والتاريخ يسجل لنا جهد الإمام الشهيد

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٩٧ .

وهو في مقتبل عمره في تحفيز العلماء وأهل الصلاح إلى تكوين جمعية الشبان المسلمين، ويكون هو من بين أعضائها، ويحرص على تشجيعها والتعاون معها، مع أنه يحمل مشروعا متكاملا لنهضة الأمة باسم « الإخوان المسلمون ».

ومع وضوح عقيدة الإخوان، وثباتهم عليها، وشمول نظرتهم ومنهاجهم لكل جوانب الإصلاح، واتساع أهدافهم وسموها، إلا أنهم يسعون إلى التعاون مع كل القوى الأخرى، ويقدمون مساحات الاتفاق لهذا التعاون على نقاط الخلاف أو الاختلاف..«فنتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»، طالما أن المرجعية العامة للجميع هي احترام ثوابت الشريعة الإسلامية، والعمل لصالح الوطن واستقلاله وتقدمه.

ويعتقدون أن ميدان الجهاد فيه متسع للجميع، ويوجهون دعوتهم خالصة نقية واضحة للجميع دون تعالى أو تكبر أو غرور، واضحين في مواقفهم، أوفياء بكلمتهم وعهدهم، يجمعون بين فقه الشريعة وفقه البصيرة بالواقع.

١٢- وحول مرحلة المشاركة في « الكفاح السياسي »، فإنها تعلن أهدافها ومواقفها واضحة، وتواجه الجميع بميزان الإسلام ودعوته.

ففى افتتاحية العدد الأول من مجلة «النذير» ١٩٣٨م (ربيع أول ١٣٥٧هـ - مايو ١٩٣٨م) أشار الإمام الشهيد إلى مرحلة الكفاح السياسي الذي تدخله الجماعة وتشارك فيه وتواجه بالدعوة القوى السياسية والتيارات المختلفة:

« سننقل من خير دعوة العامة، إلى خير دعوة الخاصة. ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال، وسنتوجه بدعوتنا إلى المسؤولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه وأحزابه، وسندعوهم إلى مناهجنا ونضع بين أيديهم برنامجنا وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم - بل زعيم الأقطار الإسلامية - في طريق الإسلام في جرأة لا تردد معها وفى وضوح لا لبس فيه، ومن غير مواربة أو مداورة، فإن الوقت لا يتسع للمداورات، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجؤوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة،

فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين »[1].

ويشير الإمام الشهيد إلى أسلوب الكفاح السياسي في هذه المواجهة والمفاصلة الواضحة حول الأهداف والمواقف والبرامج: « ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة، إن لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الإسلام منهاجاً يسيرون عليه ويعملون له..» [2].

« ولسنا في ذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقتنا أو نغير مسلكنا بالتدخل في « السياسة » كما يقول الذين لا يعلمون، ولكنا بذلك ننتقل خطوة ثانية في طريقتنا الإسلامية وخطتنا المحمدية ومنهاجنا القرآنى »[3].

ويقول أيضاً عن هذه المرحلة التي أشار إليها في مجلة « النذير »:

« وقد ظهر منها واضحاً اتجاه الإخوان الوطنى وابتداء اشتراكهم في «الكفاح السياسى» في الداخل والخارج إذ كانت الدعوة قد أتمت عشر سنين»[4].

وفى نهاية مقالته يقول حول أعباء هذا الكفاح: « أيها الإخوان.. أعلن لكم هذه الخطوة على صفحات جريدتكم هذه لأول عدد منها وأدعوكم إلى «الجهاد العملى » بعد الدعوة القولية، والجهاد بثمن وفيه تضحيات، وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام: أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد، وما فوق الاضطهاد، وأن يتعرض الأحرار منكم للمعاكسة وأكثر من المعاكسة، وأن يدعى المترفون المترفهون منكم إلى السجون وما هو أشق من السجون، ولتبلون في أموالكم وأنفسكم، فمن كان معنا في هذه الخطوة فليتجهز وليستعد لها، ومن قعدت به ظروفه أو صعبت عليه تكاليف الجهاد سواء

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص ١٦٣،١٦٤ .

(٢) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٦٤.

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) المرجع السابق نفسه .

أكان شعبة من شعب الإخوان أم فرداً من أعضاء الجماعة فليبتعد عن الصف قليلاً، وليدع كتيبة الله تسير ثم فليلقنا بعد ذلك في ميدان النصر إن شاء الله، ولينصرن الله من ينصره. ولا أقول لكم إلا كما قال إبراهيم من قبل: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] »[1].

١٣- وفى خطابها الإعلامى، ومواقفها السياسية تحدد الجماعة أن منطلقها إسلامي، ولها رؤية واضحة بناء على هذا، وترفض أن تصنف هذه المواقف وتلك الرؤية بموازين الآخرين أو في إطار تكتلاتهم ومواقفهم حتى وإن اتفقت في بعض جوانبها مع بعض مواقف الآخرين. فمثلا هي ترفض أن تصنف أنها من القوى اليمينية، أو اليسارية أو أنها مثلاً ضد الانفتاح أو مع الانفتاح...إلخ، هذه الاستقلالية في الرؤية والمواقف والموازين، يجعل التميز للجماعة واضحاً في الساحة ويرسخ الخطاب الإسلامي والرؤية الإسلامية والموازين والقيم الإسلامية بديلاً عن القيم والموازين والرؤية الغربية.

« إننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون، ولا ديمقراطيون، ولا شيء من هذا الذي يزعمون، ولكننا بحمد الله مسلمون »[2].

« كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى في كل نواحى الدنيا، والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء »[3].

١٤- والجماعة في ساحة العمل السياسي ليست معزولة عن الواقع وأحداثه، تتفرج عليه، أو معزولة عن القوى والهيئات العاملة على الساحة. وهى تحدد مواقفها بناء على الرؤية الإسلامية والضوابط الشرعية، وهى تسعى للاتصال بالجميع وإيصال الدعوة لهم، وهى تصدر في مواقفها سواء بالمساندة أو التزكية أو التحالف مع أى من القوى السياسية أو التأييد لموقف من المواقف، فإنها تصدر وفق رؤية شرعية، ويحكمها في ذلك ضوابط أشار إليها الإمام الشهيد في رسائله منها:

(١) مذكرات الدعوة والداعية،ص١٦٥ .

(٢) من رسائل : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي .

(٣) رسالة : التعاليم .

أ – تميز الدعوة، وعدم التنازل عن مبادئها وأهدافها، أو تمييع مواقفها الأساسية.

ب – أنها لا تعمل لحساب أحد أو لهوى تيار معين أو لتنصر فريقاً على آخر كأسلوب حزبى.

جـ – أن تكون هذه المواقف وفق الضوابط الشرعية ومن خلال الفقه الكامل بالواقع ومصلحة الدعوة والوطن.

د – أن تتميز الدعوة بالمصداقية في كلمتها ومواقفها.

هـ – اليقظة والحذر، فلا تخدع أو تنساق، بل هي توجه وتؤثر.

و – أن تتوكل على الله عز وجل معتمدة عليه في كل خطواتها.

١٥– وحتى لا يتصور أحد أن الدعوة بمثابة حزب سياسى، مع أهمية الجانب السياسي، فإن الإمام الشهيد حدد طبيعة الدعوة وشموليتها تحديدا واضحا قاطعا، فهي ليست حزبا سياسيا له مرجعية أو هوية إسلامية، أو هي جمعية خيرية تعنى بأعمال البر ومجالاته، أو مؤسسة اجتماعية تعنى بجوانب الإصلاح في المجتمع، أو أية هيئة لأغراض موضعية، فالدعوة ليست أى شكل من هذه الأشكال، إنما هي الإسلام الشامل بكل مجالاته وأبعاده الذي يشمل كل تلك المجالات وغيرها، وأن تستفيد من كل تلك الوسائل والمنافذ وتعمل فيها.

والجماعة – في انبعاثها ومسارها – تنطلق من هذا الأصل وذلك الفهم، وتعمل في كل هذه المجالات ؛ لتحقيق أهداف الإسلام كلها، وفق مشروع إسلامي ورؤية متكاملة ؛ لإحياء ونهضة الأمة الإسلامية، وإن كانت تشكل الجمعيات للعمل الاجتماعى أو المؤسسات أو الشركات، أو تتقدم لتشكيل حزب سياسى أو غير ذلك من الهيئات، فإن ذلك يمثل وسيلة من الوسائل وواجهة من الواجهات التي تساعدها على العمل والحركة والنشاط في كل المجالات، لكنها لا تنحصر في هذه الواجهات، أو تكون هي أصل انطلاقها. وإنما الجماعة أعمق وأشمل من ذلك.

يقول الإمام الشهيد: «أيها الإخوان المسلمون..بل أيها الناس أجمعون: لسنا حزبا سياسيا، وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا، ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا، ولسنا فرقا رياضية، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا.. لسنا شيئا من هذه التشكيلات ؛ فإنها جميعا تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة.

ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحده موضع، ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافى، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك لأنه نظام رب العالمين ومنهاج رسوله الأمين »[1].

■ **موقف الجماعة من المذاهب والتيارات:**

واجه الإمام الشهيد الشعارات والتيارات والمذاهب الفكرية، فلم يتجاهلها، أو ينساق وراءها، وإنما واجهها بوضوح تام، مستنداً إلى موازين الإسلام، فحدد موقف الجماعة على هذا الأساس، ولم تخدعه الألفاظ والمصطلحات بل أدرك الجوهر والمضمون، وأبان الجانب الإيجابى فيها والجانب السلبى، وعمد إلى توجيهها الوجهة النافعة، وحذر من جوانب الخطر التي قد تحملها.. وصولاً بذلك إلى توعية الصف والأمة كلها لكل ما تتعرض له ويوجه إليها.. وكذلك للرد على أصحاب هذه التيارات ومحاولة إقناعهم بالفهم والمنهج الإسلامي فهو الأساس والمنطلق لكل أمر وفكر:

أ - بالنسبة للوطنية والقومية:

الإخوان هم من أحرص الناس على أوطانهم، واعتزازاً بقوميتهم، وذلك كله في إطار الإسلام. وقد حدد الإمام ووسع من مفهوم الوطنية ومعنى الوطن. وكذلك عرض للجوانب الخاطئة المخالفة للإسلام في هذا المجال وحذر منها ورفضها بوضوح:

١- يقول الإمام الشهيد: « وتحتاج الأمم الناهضة إلى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة

(١) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١٩٧.

مجيدة، لها مزاياها وتاريخها ؛ حتى تنطبع الصورة في نفوس الأبناء، فيفدون ذلك المجد والشرف بدمائهم وأرواحهم، ويعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسعاده.

هذا المعنى لن نراه واضحاً في نظام كما هو في الإسلام الحنيف، فإن الأمة التي تعلم أن كرامتها وشرفها قد قدسه الله في سابق علمه، وسجله في محكم كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].. لهي أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها »[1].

٢- وعن الفرق بين الوطنية الإسلامية وغيرها يوضح الإمام: «ولقد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى في نفوس شبابها ورجالها جميعاً، ولكن الفارق بين الشعور الذي يمليه المبدأ وبين الشعور الذي أملته هذه الكلمات والمبادئ: أن شعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول فقط من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام حدد الغاية من خلق هذا الشعور، وشدد في التزامها، وبين أنها ليست العصبية الجنسية والفخر الطارب، بل قيادة العالم إلى الخير، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] »[2].

« ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة ومقارعة الرذيلة واحترام المثل الأعلى وملاحظته عند كل عمل »[3].

« ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة في السلف المسلم منتهى ما أثر عن الأمم من عدالة ورحمة. أما مبدأ السيادة في نفس الأمم الغربية، فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة؛ ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة »[4].

---

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق،ص٢٧٤ .

(٣) رسالة : نحو النور،ص٢٧٨ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

٣- يقول الإمام: « وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا »(١).

وعلينا « إفهام الناس أن السياسة والحرية والعزة من أوامر القرآن وأن حب الأوطان من الإيمان »(٢).

وهم يفدون وطنهم بأموالهم وأنفسهم، ويحافظون على حريته واستقلاله.

يقول الإمام: « فإن اعتدت علينا أية دولة - ونحن في أرضنا - فكل شبر من مصر الغالية فداؤه الدماء والأرواح والأموال والأبناء، والإخوان المسلمون حينئذ على أتم استعداد لأن يذودوا عن حياض هذا الوطن بكل ما يملكون من نفس ومال.. » (٣).

٤- ويقول أيضاً الإمام الشهيد: « إن الإخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود، ولا يرون بأساً أن يعمل كل إنسان لوطنه وأن يقدمه في الوطن على سواه »(٤).

« ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشدّ الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً في خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً.

وها قد علمت إلى أى حد يذهبون - أى الإخوان - في وطنيتهم، وإلى أى عزة يبغون بأمتهم، ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة: أن أساس وطنية المسلمين: العقيدة الإسلامية، فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون في سبيله ويفنون في هذا الجهاد ؛ لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه.

كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامي، على حين يقف كل وطنى مجرد عند حدود أمته، ولا يشعر بفرضية

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٨.

(٢) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٧٥.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية،ص٢٩٨.

(٤) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٩٨ .

العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده »[1].

وبهذا يؤكد الإمام الشهيد على أن العقيدة الإسلامية هي أساس الوطنية والقومية، ويوضح ذلك مراراً وتكراراً، فيقول أيضاً: «.. فلا يجوز في عرف الإسلام أن يكون العامل العنصرى أقوى في الرابطة من العامل الإيمانى»[2].

« رابطة العقيدة، وهى عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض»[3].

« اتسع أفق الوطن الإسلامي وسما عن حدود الوطنية الجغرافية، إلى وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة »[4].

«.. كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض فيه أخ يدين بدين القرآن، قطعة من الأرض الإسلامية العامة التي يفرض الإسلام على أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها »[5].

٥- ويقول الإمام الشهيد في مزيد من التوضيح: « ولقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامي وأوصى بالعمل لخيره والتضحية في سبيل حريته وعزته، فالوطن في عرف الإسلام يشمل:

أ - القطر الخاص أولاً.

ب - ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، فكلها للمسلم وطن ودار.

جـ - ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة، فرفعوا عليها راية الله ولاتزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجد.

فكل هذه الأقاليم يسأل المسلم بين يدى الله تبارك وتعالى: لماذا لم يعمل على استعادتها؟

د - ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعاً.

---

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٨٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) رسالة : دعوتنا،ص٢٤.

(٤) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٥٢.

(٥) المرجع السابق نفسه .

ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] ؟!

وبذلك يكون الإسلام قد وفق شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعاً، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾ [الحجرات: ١٣] »[1].

ب - وحول الوحدة العربية والإسلامية - وكذلك الموقف من الجامعة العربية:

يقول الإمام الشهيد: « إن الإخوان يحترمون قوميتهم الخاصة ؛ باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود، ولا يرون بأساً بأن يعمل كل إنسان لوطنه، ثم هم بعد يؤيدون الوحدة العربية ؛ باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض، ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية ؛ باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامي العام ».

« وأن لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، وأن كلاً منها يشد أزر الأخرى ويحقق الغاية منها »[2].

ويقول الإمام أيضا: « ولهذا نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله » [3].

« ومن أروع المعانى في هذا السبيل ما حدد به الرسول ﷺ معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » [4].

فالإسلام يجمع ويؤلف بين الوطنية والقومية العربية والإسلامية كدرجات متتالية مترابطة في سلم الانتماء لعقيدة الإسلام.

---

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٧٨.

(٢) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٤ .

(٣) رسالة : دعوتنا في طور جديد ،ص٢٣١.

(٤) المرجع السابق،ص٢٣٠.

ويؤيد الإمام الشهيد الوحدة بكل صورها، ويؤيد جامعة الدول العربية، ويرى تفعيلها، وجعلها نواة ومنطلقاً للوحدة الإسلامية الشاملة، فيقول: « نحن أمام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة، وأمام تشابه قضايانا وتشاكلها، فهي كلها قضية واحدة، معناها استكمال الحرية والاستقلال، وتكسير قيود الاستغلال والاستعمار، لابد أن نلجأ من جديد إلى ما فرضه الإسلام على أبنائه منذ أول يوم حين جعل الوحدة معنى من معانى الإيمان..

يجب أن نتكتل ونتوحد وقد بدأنا بالجامعة العربية وهى إن كانت لم تستقر بعد الاستقرار الكامل إلا أنها نواة طيبة مباركة على كل حال، فعلينا أن ندعمها ونقويها ونخلصها من كل ما يحيط بها من عوامل الضعف والتخلخل، وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى تتحقق رابطة أمم الإسلام - عربية وغير عربية - فتكون نواة لهيئة الأمم الإسلامية بإذن الله »[1].

ويحدد الرابطة التي تجمع أمم الإسلام، فهي الإسلام فقط ولا غير: «إننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شيء من هذا الذي يزعمون ولكننا بحمد الله مسلمون »[2].

جـ- التحذير من آثار هذه الدعوات الضارة، ومن تفتيت الأمة الإسلامية:

يرفض الإمام الشهيد أن تتخذ هذه الدعوات وسيلة لتفتيت الأمة الإسلامية، أو لإضعاف الرابطة الإسلامية بينها، وإبعادها عن منهج الإسلام، فيقول: «فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحاً يميت الشعور بما عداها، فالإخوان المسلمون ليسوا معهم، ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس »[1].

« أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية ، فهذا نرفضه ».

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣١٤ .

(٢) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣١٤ .

(٣) رسالة : المؤتمر الخامس،ص١٤٤.

« أو يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدى إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها، فهذا لا حقيقة له ولا خير فيه ».

« والإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعانى وبأشباهها ولا يقولون: فرعونية، وعربية، وفينيقية، وسورية، ولا شيئاً من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس»[1].

ويقول أيضاً: « أما إن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة الإسلامية والعربية إلى طوائف تتناحر وتتضاغن أو الوقوف بها عند حدود جغرافية ضيقة فهذا نرفضه »[2].

«.. وكانت الدسيسة الكبرى التي اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً، ثم أرضهم وبلادهم ثانياً هي تأثرهم بالعنصرية والشعوبية واعتداد كل أمة منهم بجنسها وتناسى ما جاء به الإسلام من القضاء على عصبية الجاهلية والتفاخر بالأجناس والألوان والأنساب »[3].

ويقول حول الفرعونية: « فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه علم ومعرفة، ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملى يراد صبغ مصر به ودعوتنا إليه بعد أن هداها الله بتعاليم الإسلام وشرح له صدرها وأنار به بصيرتها وزادها به شرفاً ومجداً فوق مجدها، وخلصها بذلك مما لاحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية »[4].

ويرد الإمام الشهيد على من يتخذون الوطنية والقومية كمبرر لتحويل الأمة عن دينها: «ومن المبررات التي اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين: أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية، وتجنيهم على الوطنيين، ومما لأتهم للغاصبين، وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على مصلحة البلد والأمة.

وذلك إن صح فهو ضعف من رجال الدين أنفسهم لا في الدين ذاته.وهل يأمر الدين بهذا ؟ وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون

(١) رسالة : دعوتنا،ص٢٣.

(٢) المرجع السابق،ص٢٠.

(٣) رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٣١٣ .

(٤) رسالة : دعوتنا في طور جديد ص٢٣٠.

على الملوك والأمراء أبوابهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم، ويبينون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة، بل ويحملون السلاح في وجوه الجور والظلم »[1].

ويقول: « فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة، أو ليس الأنفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلاً من أن تقف منهم موقف المبيد. على أن هذه التعبيرات التي سرت إلينا تقليداً ومنها (رجال الدين) لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا، فإنها إن كانت في الغرب خاصة (بالأكليروس) فإنها في العرف الإسلامي تشمل كل مسلم، فالمسلمون جميعاً من أصغرهم لأكبرهم (رجال دين)...»[2].

وحول بعض المفاهيم التي تتفق مع الإسلام يشير الإمام إليها: « إذا كانوا يريدون بها قومية المجد وأن الخلف يجب أن ينهج منهج السلف في مراقى المجد والعظمة، أو أن يراد بها قومية الأمة، أى أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره، وأحقهم بإحسانه، فهو حق كذلك ومعنى جميل لا يأباه الإسلام »[3].

ويقول أيضا: « وإن كانوا يريدون من الوطنية أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه فنحن معهم في ذلك».

ويقول: « وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضاً ويراه الإسلام فريضة لازمة..»[1].

د - موقف الإمام الشهيد من الحركات الانفصالية لبعض القوميات الإسلامية:

وحول موقف الإمام الشهيد من الحركات الانفصالية لبعض القوميات الإسلامية بحجة أنها تتعرض لظلم حكومى وتعامل كدرجة ثانية في الدولة الواحدة، وقد تلجأ هذه

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٨٨.

(٢) رسالة : نحو النور،ص٢٨٩.

(٣) رسالة : دعوتنا،ص٢٢،٢٣.

(٤) انظر: مقالة الأستاذ محمد أحمد الراشد: دراسة شرعية وسياسية للقضية العراقية ٢٠٠٢م.

الحركات للسلاح أو تتعرض للقمع الشديد من هذه الحكومات، فإن الإمام الشهيد كان له رؤية سياسية عميقة، فهو يدعو إلى وحدة العالم الإسلامي والحرص عليها، ولكن في نفس الوقت لابد من إعطاء الحقوق وردها لأصحابها، ويرفض أن يتم ذلك عبر السلاح والقمع، أو يؤدى إلى إراقة الدم المسلم.

ففى أثناء عام ١٩٤٥م أثناء الثورة البارزانية الكردية، ضد الحكومة العراقية، أرسل فضيلته برقية إلى الحكومة العراقية (نشرت في مجلة الإخوان المسلمين في حينها) يناشدها أن تحل القضية الكردية عبر الحوار، وتحقيق المساواة، ورفع الظلم، لا عبر السلاح والقمع.

وذلك انطلاقاً من المفهوم الشرعى في وجوب وحدة الأمة، مع الإقرار بوجوب منح الحقوق: السياسية.. واللغوية.. والإدارية.. والتراثية لكردستان، وتقرير حصة في الميزانية مناسبة [1].

إنه مع اعتبار أهمية القوميات الخاصة، والتطلعات للتجمعات النوعية، والحرص على ذاتيتها وهويتها، إنما يتم ذلك في إطار الوحدة الإسلامية والإخاء الإسلامي، وموازين العدل والمساواة ليصب في مصلحة الأعداء ويؤثر على دورها العالمى.

هـ - الموقف من السلام العالمى والإنسانية العامة:

وحول الموقف من السلام العالمى والإنسانية العامة، فلها أيضاً مجالها في دعوة الإخوان.

يقول الإمام: « الإنسانية لها دعامتان قويمتان، لو بنيت عليهما الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السموات:

١- الناس لآدم، فهم إخوان، فعليهم أن يتعاونوا وأن يسالم بعضهم بعضاً ويدل بعضهم بعضاً على الخير.

٢- والتفاضل بالأعمال، فعليهم أن يجتهدوا كُلٌّ من ناحيته حتى ترقى الإنسانية »[2].

(١) انظر : مقالة الأستاذ محمد أحمد الراشد : دراسة شرعية وسياسية للقضية العراقية ٢٠٠٢م،ص٢٠ .

(٢) رسالة : دعوتنا،ص٢٤.

« فمن دعوتكم أيها الإخوان الأحبة أن تساهموا في السلام العالمى وفى بناء الحياة الجديدة للناس بإظهارهم على محاسن دينكم وتجلية مبادئه وتعاليمه لهم وتقديمها إليهم »[1].

« إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله فهم ينادون بالوحدة العالمية ؛ لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

ويقول: «ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعاً»[2].

فالإخوان ينادون بالسلام العالمى القائم على الأسس والمبادئ التي جاء بها الإسلام، وأن الأرض كلها ميدان لدعوته، دعوة الخير والنور، ينشرها بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول الإمام الشهيد: « مهمتنا إجمالاً أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات.. التي جرفت الشعوب الإسلامية.. ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ »[3].

ويقول أيضاً: «.. ونعتقد أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن، هو تجربة فاسدة فاشلة »[4].

« ونعتقد أن في المنهج الإسلامي كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها للفرد والأسرة والمجتمع والدول ؛ ولهذا لابد أن تبنى نهضة الشرق الحديث على قواعد الإسلام وأصوله في كل شؤون الحياة »[5].

« على أن الإسلام قد وضع من القواعد الكلية ما يترك للمسلم باباً واسعاً في الانتفاع بكل تشريع نافع مفيد لا يتعارض مع أصول الإسلام ومقاصده، وأثاب على الاجتهاد

(١) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٥١ .

(٢) رسالة : نحو النور،ص٧٥ .

(٣) رسالة : الإخوان تحت راية القرآن،ص١١٤ .

(٤) رسالة : إلى أى شيء ندعو الناس،ص٥٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه .

بشروطه وقرر قاعدة المصالح المرسلة، واعتبر العرف واحترام رأى الإمام... كل هذه القواعد تجعل التشريع الإسلامي في الذروة السامية بين الشرائع والقوانين والأحكام »[1].

ويرى الإمام الشهيد أن السلام العالمى لن يتحقق في صورته الصحيحة وبميزان العدل الحكيم إلا بقيام أمة الإسلام، وأستاذيتها للعالم كله.

« وإذا لم تقم في الدنيا أمة الدعوة الجديدة (أى أمة الإسلام) تحمل رسالة الحق والسلام، فعلى الدنيا العفاء، وعلى الإنسانية السلام، وإن من واجبنا وفى يدنا شعلة النور وقارورة الدواء أن نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا »[2].

« فالإخوان يعلنون في كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون إماماً في كل شيء ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق في كل شيء ».

«والتأخر في أية ناحية من النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا »[3].

وحول الصراع العالمى في زمنه:

يحدد الإمام طريقه بين هذه القوى: «فالشيوعية جادة في فرض تعاليمها على أبناء هذا المجتمع، والديمقراطية الاستعمارية الهزيلة تحاول من جانبها أن تقاوم هذا التيار، ويتوسطهم قوم داعون للاشتراكية.. ويقف بين هؤلاء جميعاً دين أمتنا الإسلام العتيد المستقر في هذه القلوب أربعة عشر قرنا »[4].

ويقول أيضا: « إن العالم اليوم تتجاذبه شيوعية روسيا وديمقراطية أمريكا، وهو بينهما مذبذب حائر لن يصل عن طريق إحداهما إلى ما يريد من استقرار وسلام، وفى أيديكم قارورة الدواء من وحى السماء، فمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيقة في وضوح، ندعو إلى منهاجنا الإسلامي في قوة، ولن يضيرنا أن ليس لنا دولة ولا صولة »[5].

(١) رسالة: مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص٣١٨.

(٢) رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص٢٩٩.

(٣) رسالة : إلى الشباب،ص١٨٠.

(٤) المرجع السابق،ص٣٠١ .

(٥) من آخر ما كتبه الإمام الشهيد في رسالة وجهها إلى الإخوان،ونشرتها مجلة المباحث،١٦ يناير سنة ١٩٥١م.

و - ويحدد أسس التعاون الدولى، والموقف من هيئاته:

فيقول: « ولسنا من الغفلة وضعف الإدراك بحيث نعتقد أن في وسعنا أن نعيش بمعزل عن الناس، وبمنأى عن الوحدة العالمية.. التي انطلق من حناجرنا - نحن المسلمين - أول صوت يهتف بها ويدعو إليها، ويتلو آيات الرحمة والسلام: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولكننا ندرك أن الدنيا في حاجة إلى التعاون وتبادل المصالح والمنافع... ونحن على استعداد لمناصرة هذا التعاون وتحقيقه في ظل مثل عليا فاضلة تضمن الحقوق وتصون الحريات ويأخذ معها القوى بيد الضعيف حتى ينهض »[1].

ويقول أيضا: « أما حين يعود الغرب إلى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والإجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة، وتحل محلها الفكرة الناشئة، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها » [2].

وحول الهيئات الدولية وفعاليتها في السلام العالمى:

يدرك الإمام طبيعة نشأتها، وأصحاب المصالح الحقيقية وراءها وتسترهم بالشعارات والدعوات البراقة. وأن هذه القوى العالمية تعمل لمصلحتها فقط وتتجمع ضد حقوقنا الوطنية وتخذلنا في كل قضايانا الجوهرية.

لكن مع هذا الإدراك وتلك البصيرة، يتم التعامل معها والاستفادة منها بقدر المستطاع، مع عدم الانخداع بها أو الاعتماد عليها بل الاعتماد على أنفسنا وإمكانياتنا: «..فرأينا بعدها (أى بعد الحرب العالمية الثانية) الدول الأوروبية الكبرى تسعى سعياً حثيثاً إلى التجمع والتكتل باسم العنصريات تارة، والمصالح تارة أخرى.. فروسيا تحاول أن تجمع العنصر الصقلبى بكل شعوبه تحت لواء الاتحاد السوفيتى، وإنجلترا وأمريكا تتجمعان باسم الجنس واللغة ثم تتقاسمان بعد ذلك أمم العالم ومناطق النفوذ في الأرض باسم

(١) رسالة : اجتماع رؤساء المناطق،ص٢٦٠ .

(٢) رسالة : دعوتنا في طور جديد،ص٢٣١.

المصالح والضرورات الحيوية. وتستر هذا التنافس بينها بتكوين هيئة الأمم المتحدة، لتوهم الناس أنها تزكى العالمية وتعمل لخير بنى الإنسان.

كما رأينا هذه الدول تتجمع ضد حقوقنا الوطنية وتخذلنا في كل قضية من قضايانا الجوهرية سواء عرضت على مجلس الأمن أو في هيئة الأمم المتحدة، كما حدث في قضية مصر، وفى قضية فلسطين، وفى قضية أندونيسيا »[1].

«بل قد تكتفى بالقرارات، ولا تنفذ إلا ما ترغب فيه، ويحقق لها مصلحتها».

وكذلك في بيان الإمام موضحاً موقف هذه الهيئات من القضية الفلسطينية:

« لقد كان عندنا بقية أمل في الضمير العالمى، أما الآن فقد فجعنا في كل هذه الآمال وكفرنا بهذا الإيمان، وبهذه الحكومات الجاحدة المضللة.. حكومات الغرب ودوله. فإننا بحمد الله نملك من القوة المادية والمعنوية ما نصل به إلى النصر إن شاء الله»[2].

■ **شركاء الوطن والموقف من الأجانب:**

أولاً: شركاء الوطن:

يحدد الإمام الشهيد هذه العلاقات بوضوح مرتكزاً على شريعة الإسلام ومنهج رسول الله ﷺ، فهؤلاء المواطنون من غير المسلمين هم شركاء لنا في الوطن لهم ما لنا وعليهم ما علينا..وهذه الوحدة الوطنية يرفعها الإسلام إلى مرتبة القداسة الدينية، فهي عبادة يحاسب الله عز وجل عليها، يقول الإمام في ذلك: «... وأن الإسلام الذي قدس الوحدة الإنسانية العامة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعاً، ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف

(١) رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي،ص ٣١٣،٣١٤.

(٢) من بيان الإمام في المؤتمر الشعبى لنصرة فلسطين بالجامع الأزهر عام ١٩٤٧م.

ولا عدوان فقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

هذا الإسلام الذي بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سبباً في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كان تستمد قوتها من نص مدنى فقط »[1].

ويقول: « يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة وينافى الوحدة بين عناصر الأمة، ولكن الحق غير ذلك تماماً... »[2].

« إن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير.. لم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات. وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط بل أوصى بالبر والإحسان إليهم »[3].

« فإن الإسلام، وهو دين الوحدة والمساواة كفل هذه الروابط بين الجميع ماداموا متعاونين على الخير »[1].

ويقول أيضاً: « ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقات الأمة، فنحن نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بنى الإنسان...

---

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق،٢٨٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) رسالة : دعوتنا،ص٢٢ .

كما أنه جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين. ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور.. وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم ».

«.. كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» نعلم كل هذا فلا ندعو إلى حركة عنصرية ولا إلى عصبية طائفية»(١).

« والأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة في كل تعاليمه وأحكامه.. وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعاً - مسلمين وغير مسلمين - يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف، فإن من الجميل حقاً أنهم يقدرون هذه المعانى في كل المناسبات، ويعتبرون الإسلام معنى من معانى قوميتهم وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم »(٢).

«ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة واضح، لا غموض فيه ولا ظلم معه»(٣).

لكن يوضح الإمام الشهيد ويحذر أن تتخذ هذه الدعوة الوحدة الوطنية، ذريعة لغير حقيقتها ووسيلة لمنع دعوة الإسلام ونشر مبادئه وإقامة المجتمع المسلم.. فهذا هو الانحراف والاعتداء على الإسلام.

يقول الإمام: « ولكننا - إلى جانب هذا - لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا، ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا، ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف وكفى، فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنّا له خطأ ما ذهب إليه ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين..»(٤).

(١) رسالة : إلى الشباب،ص١٠٥ .

(٢) رسالة : مشكلاتنا،ص٣٠٢ .

(٣) رسالة : نحو النور،ص٢٨٦ .

(٤) رسالة : إلى الشباب،ص١٠٥ .

ويشير الأستاذ مصطفى مشهور إلى أن هذه الوحدة الوطنية تشملها وتؤصلها الهوية الإسلامية، فيقول: «... اندمجت مصر بكليتها في الإسلام: عقيدته ولغته وحضارته، ودافعت عنه، وذادت عن حياضه، وردت عنه عادية المعتدين، وجاهدت في سبيله ما وسعها الجهاد بمالها ودم أبنائها...

هذه الهوية الإسلامية لا تقف عند حدود المتدينين بالإسلام في العالم الإسلامي، وإنما تشمل كذلك الأقليات غير المسلمة التي انصهرت قوميا وحضاريا ووطنيا مع الأغلبيات المسلمة.. فإذا كانت الهوية الإسلامية تمثل بالنسبة للمسلم: عقيدة، وشريعة، وقيما، وحضارة، وقومية، ووطنية، وثقافة، وتاريخا، وتراثا في الفكر وفى القانون بنفس القدر الذي تمثله بالنسبة للمواطنين المسلمين في هذه الجوانب سواء بسواء »[1].

ثانياً: موقف الإسلام من الأجانب:

ويوضح أيضاً الإمام الشهيد هذا الأمر فيقول: «وأحب أن أؤكد لحضراتكم تأكيداً قاطعاً أن سياسة الإسلام داخلية أو خارجية تكفل تمام الكفالة حقوق غير المسلمين سواء كانت حقوقاً دولية أو كانت حقوقاً وطنية للأقليات غير المسلمة؛وذلك لأن شرف الإسلام الدولى أقدس شرف عرفه التاريخ »[1].

« وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩] »[2].

وقد حدد الإسلام تحديداً دقيقاً من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم:

---

(٢) رسالة : الرؤية الواضحة،للأستاذ مصطفى مشهور،ص٢٥.

(٣) رسالة : مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين،ص٣١٦ .

(١) رسالة : نحو النور،ص٢٨٦ .

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩].

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضاً لنظام شؤونها »[1].

لسنا في عداء مع الإنسان الغربي في أى قطر كان، فالإنسان من حيث هو إنسان تجمعنا به آصرة الإنسانية، أما موقفنا وحسابنا فإنه مع الإدارة والحكومة الغربية التي تستعبد بلاد المسلمين وتغتصب حقوقهم أو تساند الظالمين المعتدين على ذلك.

ويرد الإمام على الذين يتخذون من الأجانب حجة وعقبة في سبيل تطبيق شريعة الإسلام بالمجتمع: « الزعم بأن نظم الإسلام في حياتنا الجديدة، تباعد بيننا وبين الدول الغربية وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر، وهو أيضاً ظن عريق في الوهم، فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون، فهي لا ترضى عنا سواء تبعنا الإسلام أو غيره، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا فقد صرح خطباؤها وساستها بأن كل دولة حرة في النظام الذي تسلكه في داخل أرضها ما دام لا يمسّ حقوق الآخرين.. فعلى ساسة هذه الدول جميعاً أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولى هو أقدس شرف عرفه التاريخ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام الدولى لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها »[2].

■ **حول موضوع الجزية وأهل الكتاب:**

نشير باختصار إلى بعض النقاط الهامة في هذا الموضوع:

• أهل الكتاب المتواجدون في الدولة الإسلامية والتابعون لها، يشكلون أمة واحدة مع المسلمين، وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة ووجد بها اليهود، وأرسى العقد السياسي الذي تقوم عليه هذه العلاقة.

(١) المرجع السابق،٢٨٧.

(٢) رسالة : نحو النور،٢٨٧.

- أن لهم حق المواطنة والمعاملة بالمثل: فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، كما نص على ذلك الفقهاء.

- والأصل في علاقتهم بالسلطة والحكومة الإسلامية، هو الرعاية والحماية، وحسن التعامل والنصح لهم والعدل والإنصاف والبر، فهم في ذمة وعهد رسول الله ﷺ: " من آذى ذمياً أو معاهداً أو انتقص منه فأنا حجيجه يوم القيامة "، وهذه العلاقة أصبح لها قدسية خاصة عند الأمة الإسلامية، فهي جزء من رسالتها.

- ولهم حق تنظيم طوائفهم الدينية واختيار رؤسائهم الدينيين – ومن يمثلهم دون تدخل من السلطات.

- ولهم حرية ممارسة شعائر العبادة الخاصة بهم، وأغلب الكنائس في بلاد المسلمين لم تجدد أو تُبن إلا في ظل الحكام والخلفاء المسلمين وكما قال الليث بن سعد: أن الكنائس الحالية – وقتها – في مصر كلها بنيت في عهد الإسلام.

- ولهم قانون الأحوال الشخصية الخاص بهم، ولا تقام عليهم الحدود في الأمور الشخصية الخاصة بدينهم مثل شرب الخمر واكل لحم الخنزير.. الخ أما إذا احتكموا إلينا في مثل هذه الأمور فنلتزم بحكم الشرع فيها.

- كما لهم نفس الحقوق السياسية، ما عدا أمور قليلة خاصة بتكاليف شرعية إسلامية لا يقوم بها إلا المسلم، مثل: رئاسة الدولة ومناصب الولاية العامة (وفق التعريف الفقهى لها)، حيث أن عليه واجبات دينية تشترط الإسلام للقيام بها، ومنها إمامة المسلمين في الصلاة وحراسة الدين والدعوة إلى نشره، وفى غير ذلك كانت لهم المساواة مع المسلمين في تولى المناصب.

- ومفهوم المواطنة يأتى وفق قواعد الدستور الإسلامي وليس ضدها.

- ومع حق المواطنة والمساواة مع المسلمين، فإنه لا تؤخذ منهم الزكاة، ولكنهم يتساوون مع المسلمين في باقى الضرائب والمعاملات، ولهم نفس حقوق الرعاية المطلوبة من الدولة تجاه مواطنيها.

• أما بالنسبة لموضوع الجزية، فإن آية سورة التوبة التي ذكرت الهدف من هذا الجهاد لأهل الكتاب وغيرهم من الطوائف، فهو الخضوع والتسليم لحكم وسلطان الدولة الإسلامية فإذا قبلوا ذلك وتم، أصبح لهم حق المواطنة في هذا البلد مع المسلمين، يعتبرون شركاء مع المسلمين، وأصبحوا في ذمة رسول الله وذمة المسلمين كما أوضحنا في السطور السابقة، وتاريخياً تم هذا في مصر دون إكراه.. ومن مظاهر هذا التسليم والقبول هو دفع هذه الضريبة الخاصة، مقابل الدفاع عنهم وحمايتهم، وهى ضريبة صغيرة رمزية تؤخذ من القادرين على القتال من الذكور.

• فإذا عجزت الدولة عن الدفاع عنهم، ردت لهم هذه المبالغ، وإذا رأت الحكومة الإسلامية لتحقيق المصلحة أن تستعين بهم في أمور الدفاع وتشركهم في تلك المنظومة، ورضوا هم بذلك دون إكراه، لم تؤخذ منهم والأمر في تطبيقه في عصرنا هذا فيه هذه السعة، فمن شاء منهم ألا يدخل التجنيد الإجبارى على المسلمين، فعليه دفع هذه الضريبة الصغيرة ليعفى منه، ويجوز دفعها إجمالاً مقدماً أو مقسطة عند الإعفاء من التجنيد، وإذا كان غير قادر مالياً على دفعها أعفى منها لعدم القدرة.

• أما اشتراط البعض – أو نجد من يطالب – أن نترك أحكام الإسلام وشريعته والحديث عن ديننا، ونتخذ منهجاً وشريعة علمانية حتى لا نسيء إليهم وحتى تتحقق الوحدة الوطنية حسب فهمهم المزعوم، فهذه الزعم تعدى وافتئات على دين أغلبية الشعب واختياره، وظلم لا يرضى به أى عاقل أو منصف وتضييع لأصل الدين.

• وإذا كانت بعض الآراء الفردية الفقهية، تميل للتشدد في مجال العلاقة مع غير المسلمين، فإن الرأى الغالب في الفقه الإسلامي على غير هذا التشدد، وتتضح روح الشريعة ومنهاجها القويم في هذا المجال من خلال سيرة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين في التعامل مع أهل الذمة والحرص عليهم وحسن رعايتهم.

• والانتماء والانتساب للدولة والمجتمع الذي تنظمه شريعة الإسلام يكون بالنسبة للمسلم ديانة وعبادة بالإضافة إلى أنه وطن وجنسية، وبالنسبة لغير المسلم، يكون أيضاً

وطناً وجنسية، وبذلك يندمجون في نسيج وطنى واحد دون الإكراه على الدين أو الإساءة إليه أو الانتقاص منه، فهم في ذلك سواء مع المسلمين.

- إن قيمة الإنسان في الدولة الإسلامية واحدة، وله كرامته وحقوقه، ويتم التعامل معه بميزان واحد، وإن اختلفت مناهجهم ودياناتهم، والقاعدة العامة هي المساواة أمام القانون.

- لكن في بعض مظاهر الممارسة الاجتماعية والسياسية، هناك بعض الخصوصيات التي ترتبط بالدين وأصوله، ولا يجوز إلغاؤها، فلهم تشريعات خاصة بأحوالهم الشخصية وإباحة لأشياء تحرمها الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي، ولهذا يجب أن تراعى وأن تترك لهم الحرية في ذلك ولا يرغمون على مخالفة ما يمسّ ويخص عقيدتهم بحجة المساواة والوطنية، وكذلك للمسلمين بالمجتمع أصول وواجبات مستمدة من شريعة الإسلام، تحدد واجبات للإمام والحاكم وآليات للتشريع، لا يجوز تركها أو التغاضى عنها بأى حجة وإلا اعتبروا مقصرين ومتجاوزين في حق دينهم..وهذه المراعاة للدين وأصوله، ميزانها واحد وتساوى في اعتبارها والأخذ بها بين المسلمين وغير المسلمين.

- وكذلك المنهج الذي يختاره أغلبية الشعب ويدينون به، فإنه يسرى على الجميع وفق منطق الديمقراطية الحديثة.

- والإسلام في هذا المجال ليس في حاجة للدفاع عنه، فأحكامه واضحة عادلة، أما إحساس البعض بالضعف أو الخلل في الفهم أو الحرج من أحكام الإسلام أو عدم استيعابها وفهمها بشمولها، فهذا ليس حجة على الإسلام، ولا يشعرنا بالحرج أو الضيق أو يجعلنا نتنازل عن شريعة الإسلام، بل نعتز به ونباهى العالمين بسموه وكماله.

- وقد **وضح الإمام الشهيد رأيه** في هذه المسألة تماماً، فيقول: " ولسنا نحب أن تمر هذه الكلمات عن موقف الإسلام من الحرب قبل أن نتناول أمر الجزية بكلمة توضح معناها والمقصود منها وتكشف عن حكمتها وكيف أنها أبلغ معانى الإنصاف والرحمة التي جاء بها الإسلام، فنقول: "الجزية" ضريبة كالخراج، تجبى على الأشخاص لا على الأرض، والكلمة عربية مشتقة من الجزاء لأنها تدفع نظير شيء، هو الحماية والمنعة أو الإعفاء من ضريبة الدم والجندية.

ولقد قرر الإسلام ضريبة الجزية على غير المسلمين في البلاد التي يفتحها نظير قيام الجند الإسلامي بحمايتهم وحراسة أوطانهم والدفاع عنها في الوقت الذي قرر فيه إعفاءهم من الجندية فهي "بدل نقدى" لضريبة الدم، وإنما سلك الإسلام هذا السبيل ولجأ إليها مع غير المسلمين من باب التخفيف عليهم والرحمة بهم وعدم الإحراج لهم حتى لا يلزمهم أن يقاتلوا في صفوف المسلمين فيُتهم بأنه إنما يريد لهم الموت والاستئصال والفناء والتعريض لمخاطر الحرب والقتال، فهي في الحقيقة "امتياز في صورة ضريبة."..

ومقتضى هذا أن غير المسلمين إذا دخلوا في الجند أو تكلفوا أمر الدفاع أسقط الإمام عنهم الجزية، وقد جرى العمل على هذا فعلاً في كثير من البلاد التي فتحها خلفاء الإسلام، وسجل ذلك قواد الجيوش الإسلامية في كتب ومعاهدات لا زالت مقروءة في كتب التاريخ الإسلامي" [1].

■ **الإمام البنا واستخدام القوة:**

• رفض الإمام الشهيد بوضوح استخدام القوة والعنف ضد الحاكم أو الحكومة، وبذلك أخذ بمذهب السلف بعدم الخروج على الحاكم المسلم عند انحرافه، بالسيف كما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ فقد سأله الصحابة أفلا نقاتلهم، فأجابهم رسول الله ﷺ: "لا ما صلوا "، وفى رواية "..ما أقاموا فيكم الصلاة" وفى رواية".. إلا أن تروا كفراً بواحاً.. " هذا مع القيام بواجب النصح للحاكم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بضوابطه الشرعية والصبر عند ذلك عما قد يصيبهم والعمل للإصلاح الشامل في المجتمع وامتلاك آلياته حتى يتم التغيير بالأسلوب السلمى، متذكرين قول رسول الله ﷺ: "..سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله " وكذلك القاعدة الشرعية لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ".. وأكدّ هذا النهج تاريخ الإخوان ورسائلهم وصبرهم إزاء ما حل بهم من قتل وتشريد ومصادرة وسجن وتعذيب.

(١) من مقال للإمام الشهيد في مجلة الشهاب ١٩٤٧ ضمن سلسلة مقالات تحت عنوان "أصول الإسلام كنظام اجتماعى" .. أعيد طبعها في كتيب بعنوان "أصول الإسلام والنظام الاجتماعى" –ص ٦٦،ص٦٧،دار التوزيع والنشر الإسلامية .

- إن ألفاظ الإمام الشهيد واضحة في هذه المسألة، خاصة في رسالة المؤتمر الخامس، رغم أن البعض حاول أن يحملها غير ذلك، فهو يرفض تماماً استخدام القوة داخل المجتمع أو في مواجهة الحاكم، ويقول عن الثورة – وهى أقوى مظاهر القوة – أنها ليست من وسائل الجماعة، ولن تكون، ولا تفكر حتى فيها، وإذا حدثت في المجتمع فستكون من غيرهم وليست منهم.

- وهو يتحدث في رسالة المؤتمر الخامس عندما أشار إلى قوة الساعد – عن بيان قاعدة عامة وحقيقية اجتماعية، وليس توجيهاً باستخدام العنف داخل المجتمع.

يقول الإمام الشهيد: "فهم– أى الإخوان المسلمون– يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة – والإيمان، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعانى جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك " [1].

ويقول: " وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها "[2].

كما يحدد بوضوح أن انحياز السلطة التنفيذية لمنهج الجماعة، سوف يكون انحيازاً سلمياً واضحاً لا عنف فيه، وإنما عن فهم واقتناع وعن تأييد ومناصرة سواء تم ذلك بمظهره في الصندوق الانتخابى أو في الرأى العام أو انحياز المؤسسات ومراكز التأثير والتوجيه في المجتمع.

ولم يتحدث الإمام عن شكل الانحياز، لأنه سيكون حسب الواقع الموجود وقتها، وإنما حدد قواعده وآلياته وضوابطه وأنه يتم عبر اقتناع وإيمان الشعب ومؤسساته ورأيه العام بهذه الدعوة وليس عن طريق الجبر والإكراه أو العنف والقوة.

(١) رسالة المؤتمر الخامس ص ١٣٥ .

(٢) رسالة المؤتمر الخامس ص١٣٦.

يقول الإمام الشهيد موضحاً ذلك: "إن غاية الإخوان تنحصر في تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح، يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة"، وأن وسيلتهم في ذلك تنحصر في تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها" (١)..

ويقول أيضاً: "ولهذا كان هدف الإخوان المسلمين يتلخص في كلمتين: العودة إلى النظام الإسلامي الاجتماعى، والتحرر الكامل من كل سلطان أجنبي " (٢)..

"أما وسائلنا العامة فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الراى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان، ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هي الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح، ثم **النضال الدستورى** حتى يرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية، **وتناصرها وتنحاز إليها** القوة التنفيذية.. " (١).

"أما غاية الإخوان الأساسية أما هدف الإخوان الأسمى أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم فهو إصلاح شامل كامل **تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً** وتتجه نحوه الأمة جميعاً ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل" (٢).

"ولكن لاشك في أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين " (٣).

- أما الاستعداد وامتلاك وسائل القوة – وأبرز مظاهره تشكيل النظام الخاص في حينها – فكان ذلك لمواجهة الاحتلال الأجنبي، حيث كان الوطن محتلاً من الإنجليز، والأمة بكل طوائفها في حالة جهاد ومقاومة لهذا الاحتلال.

(١) المرجع السابق ص١٣٤.

(٢) رسالة المؤتمر السادس ص٢١٢ .

(٣) رسالة المؤتمر السادس ص٢١٢- ٢١٣ .

(٤) رسالة المؤتمر السادس ص٢٠٥ .

(٥) المؤتمر الخامس ص١٢٦ .

• وعن خروج أى فئة من المجتمع وتمردها بالقوة على رأى غالبية الشعب وانحيازه لمنهج الإسلام وعلى السلطة الشرعية الممثلة له بعد هذا الانحياز السلمى، يتحدث الإمام الشهيد عن هذا الموقف، خاصة إذا خرجت هذه الفئة بالقوة عن تلك السلطة الشرعية أو حاولت إيقاف صلاحياتها عند انحياز الأمة إليها، فيقرر عدم استخدام القوة في مواجهتها ابتداء – رغم كونها المعتدية – وإنما يكون فقط في حالة الضرورة لرد الاعتداء وبعد استنفاد كل الوسائل السلمية أولاً، ودراسة النتائج والآثار والإمكانيات، ويكون ذلك وفق القانون والضوابط الشرعية ومن خلال المؤسسات، وذلك لاستيعاب وعلاج هذا التمرد على الأمة أو وقوفه في طريقها بأسلوب العنف والقوة.

يقول الإمام في ذلك: ".... ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها، وما يقصد منها وما يراد بها.

هذه نظرة، ونظرة أخرى هل أوصى الإسلام – والقوة شعاره – باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدوداً ؟.

ونظرة ثالثة: هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكى ؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟.

هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة، قبل أن يقدموا عليه."[1].

"أما ما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجأ إليه إلا مكرهين ولن نستخدمه إلا مضطرين وسنكون حينئذ صرحاء وشرفاء "[2]. ".. أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم

(١) رسالة المؤتمر الخامس ص١٣٥ .

(٢) المؤتمر السادس ص٢١٣ .

قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً وينتظرون بعد ذلك.." [1].

- والتاريخ يشهد بهذا السلوك السلمى للإخوان في دعوتهم، فعندما شنت الحكومة السعدية حملة الاعتقالات والتعذيب لأفراد الجماعة، وكان الإخوان من العدد والإمكانيات ما يؤهلهم لإيقاف هذا الأمر ومنعه، رفض الإمام الشهيد اللجوء للقوة وقال لهم: "سلموا أكتافكم للسعديين" حرصاً على تجنب الصراع الداخلى وإراقة دماء أبناء الوطن، وفضل أسلوب الصبر وتحمل الإيذاء.

وعندما تطور الأمر إلى حل الجماعة في ديسمبر١٩٤٨، أرسل إلى مجاهدى الإخوان في فلسطين أن مهمتكم هناك على أرض فلسطين ما زالت قائمة، وألا يلتفتوا إلى ما يحدث في مصر.

وعندما اعتقلوا هؤلاء المجاهدين لم يوجه الإخوان سلاحهم إلى من اعتقلهم من أفراد الجيش، بل وساعدوا الجيش وحموا مؤخرته بعد ذلك.

وبعد أن تم اغتيال الإمام الشهيد، وسقطت حكومة حزب السعديين كان الإخوان يعرفون جيداً جميع من قام بمؤامرة الاغتيال، ورغم تطور الأحداث السياسية وقيام الثورة ضد النظام الملكى، كان الإخوان يستطيعون الانتقام من قتلة الإمام دون الانتظار لأى محاكمة لكنهم كما رباهم الإمام الشهيد رفضوا ذلك ولم يفكروا فيه لحظة واحدة، وكذلك بعد انقضاء العهد الناصرى وخروج الإخوان من السجون كانوا يلتقون بالأفراد الذين مارسوا أشد أنواع التعذيب ضدهم بل وقتلوا العشرات منهم، كانوا يلتقون بهم في الشارع والمجتمع، وقد زال عنهم سلطانهم والحماية السياسية لهم، ولم يفكر أى من الإخوان في إيذاء أحد منهم حتى بالقول أو التشفى.

مما يؤكد ان المنهج السلمى من ثوابت دعوة الإخوان، وفيه الرفض بوضوح لاستخدام العنف والقوة ضد أبناء الوطن أو إحداث صراع دموى أو فوضى وتخريب في الوطن.

---

(١) المؤتمر الخامس ص،١٣٦ .

• كما أن تأييد الجماعة لحركة الجيش التصحيحية في مصر عام ١٩٥٢ (والتى عُرفت بعد ذلك بثورة يوليو)، ليس انحرافاً عن خط دعوتها أو تعديلاً في المسار والمنهج، خاصة لمن عرف الظروف المحيطة والملابسات القائمة وقتها، فقد كان التغيير يُشكل مطلباً شعبياً ووطنياً.

• إنما جاء هذا التأييد من منطلق تأييد أى حركة إصلاحية في ظل تلك الظروف وقتها، خاصة أن أصحابها كانوا معروفين للجماعة وموثوق فيهم، ووعدوا بالإصلاح وكانت المطالب عادلة، فهو ليس تأييداً مفتوحاً (ولم يكن الإخوان يعلمون الغيب) وحدود هذا التأييد كانت خاضعة لضوابط الجماعة وفق منهجها وشمل ذلك: تأمين استقرار الوطن وحماية المؤسسات من أى تخريب أو اعتداء، والتصدى لاحتمال عودة القوات الإنجليزية للقاهرة، والسماح لضباط الإخوان بالجيش بالمشاركة بصفتهم كضباط لهم مطالب عادلة وليس بصفتهم كإخوان.

• وعندما خالف قادة الحركة الشروط وانحرفوا عن منهج الإصلاح، واجهتهم الجماعة بالنصح والإرشاد وتحملت أذى كثيراً في سبيل الله.

• والإخوان يفرقون بين الدولة والوطن من جهة.. وبين الحكومة والنظام من جهة أخرى، فهم حريصون على استقرار الدولة وقوة مؤسساتها وتقدمها ويعملون على تحقيق ذلك بالتعاون مع الآخرين.

• لكنهم يعارضون النظام والحكومة إذا انحرفت أو تجاوزت بكل صور النضال الدستورى السلمى.

• وهم يقفون كذلك مع فئات الشعب وشرائحه المختلفة في مطالبهم العادلة بحقوقهم وإصلاح أوضاعهم بالوسائل السلمية بما فيها حق الإضراب والاحتجاج، بالشروط والضوابط التي لا تؤدى إلى تخريب وفوضى، أو إضرار بمصالح الوطن العليا، وبالتالى فإن الإخوان يقدمون مصلحة الوطن على المكسب الزائل في صراعهم مع النظام، ويعملون على أن يكون الشعب إيجابياً يعرف حقوقه ويعرف كيف يطالب بها وكيف يحافظ عليها.

■ **وقفة مع نموذج مواجهة الإمام الشهيد للغزو الأجنبي:**

عند اعتداء الأجانب على بلاد المسلمين يهب الإخوان للدفاع عن أوطانهم وحرياتهم ودينهم، ويكونون في مقدمة الصفوف ويقدمون الشهداء والتضحيات، ويحكم حركتهم في ذلك:

التخطيط الجيد، استيعاب الواقع الذي يواجهونه، والحرص على استمرار المواجهة، وتفويت الفرصة على الأعداء أن يتمكنوا من محاصرة الجهاد وتصفيته، كما أنهم يتعاونون مع كل المخلصين من أبناء الوطن لدفع المعتدين، ويحرصون على وحدة الصف ويدعون لذلك، ويهتمون بتأييد الشعب للجهاد ومساندته له.

وقد واجه الإمام الشهيد نموذجين للاحتلال الأجنبي:

١ - **النموذج الأول**: وفيه جاء المحتل الغاصب للبلاد واستولى عليها وثبت أقدامه فيها قبل ظهور دعوة الإخوان أو اشتداد ساعدها فيها، مثلما حدث مع الاحتلال الإنجليزى لمصر، والذي سيطر فيه الإنجليز على أوجه الحياة فيها، وتحكموا في مجالات المجتمع وساحته السياسية، وترسخت أقدامهم وأصبح هناك طبقة وفئة منتفعة ومؤيدة لهم، وخضعت الأمة في ظاهرها تقريباً لسلطانهم.

والإخوان في مواجهة هذا الواقع الممتد الجذور وتلك الغفلة من عموم الشعب، يواجهون ذلك بخطة طويلة المدى، وعلى كل المسارات والمجالات. يستهدفون تكوين أفراد الأمة التي ستواجه وتقاتل هذا المحتل من خلال برنامج تربوى جهادى، مع إيقاظ الأمة وتحريك روحها، وربطها بدينها وعقيدتها، والسير بخطوات متوازنة مدروسة لتحقيق هذا الهدف.

وقد اتضح هذا تماماً فيما فعله وقام به الإمام الشهيد، رجع صفة ٢٤٤ من هذا الكتاب وما بعدها.

وقد رفض الإمام أن تكون مواجهته للإنجليز مجرد مغامرة محدودة يسهل سحقها وضربها، وإنما أعد خطة وبرنامجاً متكاملاً لهذه المواجهة كما أوضحنا سابقاً.

٢- النموذج الثانى: وهو نموذج الغزو المتزامن في وجود الجماعة، مثلما حدث في اغتصاب اليهود لفلسطين، وهنا أصبح على الأمة أن تواجه الغزو وأن تستمر في المعركة مهما كانت إمكاناتها وأن تستبسل في الدفاع عن نفسها وأرضها، مع مراعاة ضوابط محددة:

١. أن المعركة ضد المحتل قد تكون طويلة ولا يمكن حسمها في الوقت الحالى، نظراً لقوة المحتل وتمكنه من السيطرة.

٢. أن معركة التحرير والمقاومة، هي هدف وجزء من منظومة الأهداف التي تعمل لها الجماعة، ولابد أن يسير العمل والتخطيط متوازياً وشاملاً لكل الأهداف.

٣. أن كيان الجماعة وجهادها وحركتها، وسعيها لامتلاك وسائل التأثير والتوجيه لا تتوقف أو تنتهى بنهاية معارك التحرير، وجلاء المحتل، فهي تواصل العمل لتحقيق باقى أهدافها وبرنامجها المتكامل.

٤. أن المواجهة والجهاد للأجانب لا يقتصر على الجانب العسكرى، وإنما لابد أن يشمل كافة الميادين والأطر السياسية والاجتماعية والإعلامية والإدارية.

٥. أن الجماعة لابد لها من دعم الجماهير، وإيقاظها لتتفاعل مع هذه الحركة الجهادية وتكون سنداً لها وحماية لدورها، وأن تعمق تواجدها وريادتها للأمة في كافة مجالات العمل الاجتماعى والسياسى لتكون المعبر الحقيقي عن نبض الأمة وآمالها.

٦. لابد من حماية ظهر المجاهدين، وتأمين قاعدة انطلاقهم الجهادى، فلا يغدر بهم، أو يتم الضحك عليهم واستغلالهم لمصالح فئة أخرى، أو تنقطع أنفاسهم ولا يستطيعون استكمال مراحل الجهاد والعمل الدعوى، أو قد يعيشون في وهم وسراب ثم يجدون أنفسهم لقمة سائغة لأعداء الله، أو قد وقعوا في حبائله لأنهم وثقوا في وعود من لا عهد له، فكل هذه محاذير يجب أن تؤخذ في الاعتبار إذا أريد لمسيرة الجهاد أن تستمر.

٧. قراءة الواقع المحلى والدولى جيداً، والاستفادة من كل الفرص، مع التفريق بين مرحلية العمل الجهادى وتطويره من مستوى لآخر، ومواكبته للعمل وللضغط السياسى، وبين التنازل عن الثوابت أو التفريط في الحقوق، وأن تكون المستهدفات واضحة لتصل بنا في النهاية إلى تحقيق الغاية المنشودة.

٨. المحافظة على استقلالية القرار، وأن يكون التوجه والقرار بيدهم لا بيد الآخرين يستغلونه ويحركونه حسب هواهم.

٩. ألا يتسلق على أكتاف العمل الجهادى الآخرون، أو يسرقون ثمرة جهادهم كما أنهم لا يسمحون لأحد أن يخدعهم أو يخدع الأمة، وأن يميزوا بين المخلصين وبين اللصوص والنصابين من أصحاب الشعارات.

ونوضح هنا أن دفع المحتل ومواجهته في هذا البلد الذي نزل فيه بقواته، يصبح فرض عين على من كان بها حسب القدرة والوسع، وأن على الشعب أن يسعى لامتلاك هذه القدرة حتى ولو طال الزمن، ويصبح على شعوب العالم الإسلامي والحركات الإسلامية دعمه وتأييده بكل أوجه الدعم.

وإمداد هذا البلد بالرجال والمجاهدين يتوقف على تأمين ذلك المسار الذي يتم من خلاله هذا الدعم، وتحقيق الفائدة الحقيقية منه، حتى لا يتم ضربه أو إجهاضه أو يتسبب في خلل وإعاقة للدعوة، وألا ينتج عنه إضعاف أو إجهاض الحركات الإسلامية في بلادها على المدى القريب أو حتى البعيد، فليس مسوغاً أن تترك بلادها ودورها الدعوى فيه والأهداف التي تعمل لها، وهى بمثابة المرابطة على ثغرها، لتترك هذا الثغر وتنتقل هناك وتنتهى في ساحة ميدان المواجهة أمام العدو الغاصب المتفوق، فيجب أن يقدر الأمر من كافة جوانبه، وبالحجم والقدر المناسب: والمواجهة الحقيقية للعدو لها أسلوبها وخطتها، وكيفية إضعاف المحتل القوى وإيذائه وإرهاقه وإرغامه على الجلاء، ولا يقتصر ذلك على السلاح فقط بل يشمل كافة مجالات الضغط والعمل، فالعاطفة لها مجالها، والقدرة على تحقيق الأهداف في الواقع شيء آخر.

ومع هذه الضوابط فإن الدعم المالى والإعلامى والاقتصادى والسياسى والدولى والمقاطعة الفعالة، لهو من الأهمية بمكان كبير في ظل اختلال موازين القوى، وبسبب طول المعركة المتوقعة، والراصد لسياسة وأسلوب الأمام الشهيد في هذا الميدان، عندما دفع الإخوان إلى أرض فلسطين، ليرى بوضوح كيف أنه راعى هذه الضوابط، حتى عندما أقدم

النظام في مصر على حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨، أرسل إلى مجاهدى الإخوان في فلسطين أن مهمتهم هناك على أرض فلسطين ما زالت قائمة، وألا يلتفتوا إلى ما يحدث في مصر، وعندما اعتقلوا هؤلاء المجاهدين، لم يوجه الإخوان سلاحهم إلى من اعتقلهم من أفراد الجيش، بل ساعدوا الجيش وحموا مؤخرته بعد ذلك، وخرجت الجماعة بعد محنة ٤٨ أقوى مما كانت بفضل حكمة الإمام الشهيد ووزنه للأمور بدقة، وقد نال في أثنائها الشهادة، ليستمر دور الإخوان في قضية فلسطين ثابتاً متنامياً.

وقد يحاول المحتل الأجنبي، تغيير أسلوب وصورة سيطرته على البلاد، فيسحب قوات الاحتلال تحت ضغط المجاهدين والمقاومة، لكنه يسلم الأمر لفئة من أبناء هذا الوطن، لكنها ترتبط به وتعمل لاستمرار سيطرته في النواحى الأخرى، وعلى الحركة الإسلامية أن تقطع الطريق على هذا، وأن تتقدم لتكون مقاليد الأمور بيدها وبيد المخلصين، فإذا لم تتمكن من ذلك، فلتدرك أن التحرر والاستقلال الكامل معركة طويلة. فلتحافظ على كيانها وقوتها وتستمر في منهاجها وعملها المتكامل وتسلك سبيل النضال الدستورى والكفاح السياسي والعمل الدعوى، إلى أن تحقق كامل أهدافها.

كما يحدد الإخوان موقفهم بوضوح وهو الرفض لأى اتفاقية مع العدو المحتل، قد تقر له باحتلال أى شبر من الوطن الإسلامي، مهما كانت الظروف والأحوال ومهما كانت التضحيات في إعلان موقفهم وتوعية الجماهير به لأن الأمة تنتظر رأى الإسلام ورأى الجماعة ولا يجوز لها السكوت في هذا الموقف.

وهم كذلك لا يمكن أن يتنازلوا عن ثوابت الإسلام في هذا المجال، حتى لو تنازلت الحكومات والشعوب ولا يقرون لهم بذلك حتى ولو أجمعوا على تلك الاتفاقيات التي تقر للعدو باغتصاب الأرض، إنما يستمرون في دعوتهم والثبات على موقفهم حتى يثوب الجميع إلى أحكام الإسلام.

وموقفهم من اتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الغاصب خير دليل على ذلك، رغم ما تعرضوا له من تضييق وإيذاء.

وهذا المبدأ أعلنه الإخوان قديماً وعبر عنه الإمام الهضيبى رحمه الله عام ١٩٥٤، فقال في خطاب وجهه لجموع الإخوان المسلمين:

((.. وهذا الذي فعله الإخوان المسلمون من معارضة كل اتفاق مع المستعمرين ليس شهرة عندهم، وإنما هو أصل دينهم، فإن أحكام الإسلام تقتضى أنه إذا وطئت أقدام العدو أرض المسلمين وجب على واحد منهم صغيراً او كبيراً - الرجل والمرأة في ذلك سواء - أن ينهضوا لدفع العدو أياً كان حتى يعيدوه إلى عقر داره، وإذا كان ليست لنا قوة على ذلك حتى الآن، وإلى أن يمنحنا الله القوة لدفعهم أو يوجد من أسباب ضعفهم ما يمكننا من ذلك، فليس لنا أن نرضى بوجودهم على أرض الإسلام بمقتضى اتفاقات نعقدها معهم، ولا أن نرضى بأى ارتباط كان..فإذا جلوا عن أرض الإسلام فللمسلمين أن يرتبطوا بالاتفاقات التي تقتضيها مصلحة الإسلام، وإذا كانت بعض الحكومات تضطر إلى قبول مثل هذه الاتفاقات فمما يخالف هذا الأصل ان يرضى الإخوان المسلمون به أو يوافقوا عليه، ويجب على الإخوان المسلمين أن يحافظوا كل المحافظة على هذا الأصل حتى لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم مختارين أو مضطرين إلى مخالفة الأصل الذي قدمته لكم..)) [1]..

ويقول أيضاً:

((.. والإخوان المسلمون على ما أوصاهم به ربهم لا يؤيدون جزافاً ولا يعارضون جزافاً، وإنما هم تبع للحق أينما كان ولو كان من خصوصهم، وضد الباطل أينما كان ولو كان مع أصدقائهم..))..

وإذا كان الإخوان في بلد ما من الضعف أو في بداية الدعوة والتكوين، ولا يستطيعون الإعلان، فإن الجماعة بقيادتها العالمية تقوم بذلك وتعلن على الأمة كلها ليعرف الجميع رأى الإسلام.

وها هو الإمام الهضيبى رحمه الله يقول في نهاية خطابه الذي أشرنا إليه:

---

(١) من خطاب الإمام الهضيبى إلى الإخوان المسلمين في مايو١٩٥٤ بعد خروجه من السجن في مارس ١٩٥٤ وفيه توضيح لموقف الإخوان من بنود اتفاقية الجلاء التي عقدها عبد الناصر مع الإنجليز.

((أيها الإمام الإخوان إن من شأن الدعوات ألا تترخص في شيء من أصولها فكونوا مستعدين للموت في سبيل دعوتكم، فإن من مبادئنا" الموت في سبيل الله أسمى أمانينا" والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) [1].

■ **نموذج لمواجهة الإمام البنا للضغوط والأزمات:**

• إن الراصد لأسلوب الإمام البنا وطريقته في مواجهة الصعاب والضغوط، وفى التعامل مع الحكومات أو مختلف الأعداء، ليدرك مدى عمق رؤيته ومدى براعته وحكمته.. كان الإمام الشهيد يدرك تماماً أن الأنظمة والحكومات في عدائها للدعوة والجماعة لا تتحرك من دوافع ذاتية فقط، وإنما تخضع للتأثير والتوجيه الأجنبي الذي يستهدف السيطرة على هذه البلاد وإنفاذ مشروعها ومخططها، وأهدافها الحالية والمستقبلية.

وأن هذه القوى عندما تضغط أو تدفع وتحفز هذه الأنظمة التي تحولت إلى أدوات رخيصة في يد الأجنبي – لضرب الجماعة – فإنها لا تبالى برد فعل الشعب تجاهها أو بالأثر السلبى الذي يعود عليها أو على الوطن ككل.

ولهذا كان الإمام الشهيد يحرص على ألا يستعجل الصدام والمواجهة أو يلجأ إلى الاستفزاز، بل وعند المواجهة لا يوسع من مساحتها ولا يصعّد من مراحلها، ولا يمكنهم من تصفية الجماعة بردود أفعال غير متزنة أو مدروسة، بشرط ألا يؤثر ذلك على جوهر العمل والحركة.

وإذا فُرضت على الجماعة هذه المواجهة أو ذلك الصدام، واجهه الإمام بصبر وثبات وحرص على استمرار العمل بوسائل شتى، وتحقيق تماسك الجماعة والثبات على الأهداف والمبادئ مهما حدث.

• عندما خرجت المظاهرات من الأزهر بقيادة الإمام الشهيد تجاوبًا مع القضية الفلسطينية ارتفعت بعض الشعارات التي تندد بالملك وتهتف بسقوطه، فوجههم الإمام أن يهدف بعضهم بعدها بـ " يحيا الملك" وتمت المظاهرة وحققت أهدافها، وبذلك استطاع

(١) المصدر السابق .

أن يلطف من جو الاستفزاز الذي قد سببته بعض الشعارت، ليواصل بعدها العمل الجماهيرى وحشد الشعب لتأييد القضية الفلسطينية.

- كما كان الإمام يحرص على أن يبقى هناك باب مفتوح، مع القوة المعارضة والمنافسة، ومع الحكام، حتى مع ألد أعداء الدعوة ممن ينتسبون إلى الوطن..وذلك ليتمكن من إرسال الرسائل التي تحقق مصلحة الدعوة وتقلل من حدة العداء والاستعداء، كما يمكن عن طريقها نزع فتيل بعض الأزمات أو تأجيل حدوثها أو حتى تخفيفها إذا حدثت، مما يحقق مساحة أوسع للدعوة وتهدئة للأجواء حولها، فالدعوة تنمو تنطلق في الجو الهاديء المستقر، وجهود الإصلاح تكون ثمرتها أسرع في تلك الأحوال الهادئة.

- كان الإمام حريصاً على فتح قنوات اتصال عن طريق عناصر متعاطفة أو وسيطة تحب التفاهم مع الجماعة، أو قادرة على حمل رسالة محددة، لجميع القوى التي حكمت البلاد في هذه المرحلة.

وعندما ازداد الضغط على الجماعة في محنة١٩٤٨، وكان يعلم جيداً الضغط الخارجى، وأن النظام والملك يستهدف الجماعة ويستهدف قتله، استمر يحاول فتح قنوات الاتصال وتهدئة الأحوال وإرسال الرسائل حتى آخر لحظة، وذلك لتهدئة الضغط والرد على الأسباب الواهية التي افتعلوها لضرب الجماعة، وليس ذلك خوفاً أو جزعاً وإنما لصالح الدعوة والتفافاً حول المعوقات والضغوط.

والإخوان مع ذلك لا يهابون المعتقلات السجون أو يساومون بها على دعوتهم أو يجعلهم ذلك يحجمون ويتأخرون، وإنما ميزان الفصل في هذا هو متطلبات الخطة ومستهدفاتها، والحرص على مصلحة الدعوة ومراعاة الضوابط الحاكمة في تلك المرحلة، ويحتملون كل أذى في سبيل دعوتهم.

- والإمام الشهيد في حركته ودعوته لا ينطلق من مجرد رؤية محدودة أو رد فعل لأحداث، وإنما كانت له رؤيته الاستراتيجية وتخطيطه بعيد المدى وضوابطه وتوجهاته الحاكمة لخطواته وحركته ووسائله.

ففى الوقت الذي كانت الأحزاب والقوى الوطنية مفتونة بتشكيلاتها العسكرية المسماة بالقمصان الخضراء والزرقاء والحمراء.. الخ وتقوم باستعراضاتها وفرد عضلاتها وسطوتها، وتفرح بتهليل فئات من الشعب لها والحديث عن قوتها، رفض الإمام الشهيد أن يجاريها في ذلك رغم المغريات وحماس الأفراد، وكان أن أصر على تشكيل فرق الكشافة والجوالة بالشورت والقميص الكاكى وبالشارات المتعارف عليها في نظام الكشافة.

وقد كان رحمه الله موفقاً في ذلك، فبعد عدة سنوات تم حل تلك التشكيلات العسكرية بقرار نهائى، وبقيت جوالة وكشافة الإخوان في الميدان لأنه لم يكن ينطبق عليها ذلك، وهى أيضاً تشكيل رسمى معترف به دولياً.

- وعندما ضغطت عليه مجموعة من الأفراد بالجماعة بشأن اتخاذ مواقف عنيفة واللجوء إلى بعض مظاهر القوة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومجاراة بعض الأفعال التي صدرت من تجمعات وقوى أخرى مثل مصر الفتاة، رفض هذا النهج لأنه خروج على الاستراتيجية والضوابط الحاكمة، مما تسبب في خروج وانشقاق تلك المجموعة من الشباب التي عرفت بشباب محمد، ثم ما لبثت الأحداث أن احتوتها واستوعبتها، وأثبتت الأيام مدى عمق رؤية الإمام الشهيد.

- وفى مذكرات الدعوة والداعية يذكر الإمام الشهيد أول معركة مواجهة مع الإدارة الأجنبية بشأن المسجد الذي تم إنشاؤه في شركة الجباسات بالإسماعيلية وانتداب الشيخ محمد فرغلى رحمه الله لإدارة المسجد والتدريس فيه، فقامت تلك الإدارة بمحاولة إقصاء الشيخ فرغلى واستبداله بآخر من عندها حتى لو تطلب الأمر غلق المسجد، وذلك لمواجهة تأثيره الدعوى والإصلاحى على عمال الشركة.. ونرى في هذه الواقعة كيف أدار الإمام هذه المواجهة ببراعة واقتدار، فقد تمسك الشيخ فرغلى والإخوان معه بمكانه وعمله بالمسجد، وتصاعد الأمر حتى وصل إلى محافظ القنال الأجنبي ومأمور الإسماعيلية، وهددوا باستخدام القوة، فلم يتراجع الشيخ فرغلى وتجمهر عدد كبير من العمال، وأمسك الإمام الشهيد بجميع الخيوط، مع التأكيد على صلابة الموقف فاتصل بالعضو المصرى الوحيد في مجلس إدارة الشركة حيث سافر له الإمام لمقابلته بالقاهرة وناقشه في الأمر رغم عدم

تجاوبه معه وكذلك قابل مدير الشركة الأجنبي وأوضح له بأسلوب هادئ نواحى خطئه وأن المشكلة ليست في المسجد وإنما في أسلوب معاملتهم للعمال. وتعامل كذلك مع المأمور فأوضح له خطورة تصعيد الأمر وأن العواقب قد تسوء إذا حدث رد فعل من العمال الغاضبين، ثم طرح الإمام الشهيد حلاً للأزمة تفاوض معهم عليه، وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن يبقى الشيخ فرغلى شهرين حيث هو وتقوم الشركة بتكريمه عند انتهاء هذه المدة وأن تطلب رسمياً من الإخوان أن يحل محله واحد من المشايخ، وأن تضاعف للشيخ الجديد راتبه.. الخ.

وبذلك نجح الإمام في إدارة هذا الصراع وحقق كل أهدافه كاملة، مع بعض التنازلات البسيطة الشكلية التي لا تؤثر وأخذ مقابلها مكاسب كثيرة.

وهذا مجرد نموذج فحياة الإمام وجهاده مليئة بالكثير من تلك المواقف.

- كما كان الإمام الشهيد يراعى في حركته ونشاطه أن يكون مظهر الجماعة أقل من حقيقتها، وأن يكون تقدير الأعداء لمدى قوتها أقل من الحقيقة والواقع، وألا تنخدع الجماعة بالظواهر عن حقائق الأحداث، فللدعوة ميزان غير ميزان الآخرين ورؤيتهم، ليس ذلك تهويناً لشأن الدعوة وهيبتها، وإنما في هذه المرحلة من تربص الأعداء بها، يستهدف الإمام من ذلك أن يقلل من تحفز الأعداء ضدها ومسارعتهم إلى ضربها، أو يهدئ من شدة الضربات الموجهة إليها.

- لقد وافق الإمام على التنازل عن الدخول في الانتخابات عام ١٩٤٢ وركز على الحركة بهدوء والانتشار العملى بين الجماهير رغم توتر الإنجليز وتشديد قبضتهم على البلد وإعلان الأحكام العرفية، ولم يتراجع الإمام في ذلك الجو عن مبادئ دعوته أو أن يفصل بين الدعوة والسياسة، وليراجع من شاء رسالة المؤتمر السادس عام ١٩٤١ وهى تؤكد على نفس المبادئ والأهداف.

وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى كانت الجماعة قد وصلت لمرحلة جديدة من القوة والانتشار لم يكن يتصورها الآخرون.

• لكن يحدث في بعض الأحيان والمواقف، أن يظهر للآخرين مدى قوة الجماعة مثلما أدرك الأعداء في معارك فلسطين، ورأوا من بطولات الإخوان والنماذج العالية التي قدموها في الثبات والإقدام وحسن التخطيط ما أزعجهم بشدة، ورغم هذا لم يستخدم الإمام هذه القوة في مواجهة السعديين عندما حاربوا الجماعة وسجنوا الكثيرين من أفرادها.

• وهذا الأمر لا يجعل الإخوان يغترون بفضل الله عليهم أو يسارعون للتحدى قبل الأوان، أو يكون هذا مبرراً للتخاذل والقعود، بل يحرص الإخوان أن يطمئنوا المنزعجين والمتخوفين ولا يخرجهم الإنجاز وأقوال الناس، عن استراتيجيتهم وضوابط حركتهم وخطتهم الحكيمة.

• وإذا استحكم شيء في مواجهة الدعوة أو أظلمت الدنيا من حولهم لم يفقد الإخوان ثقتهم ولم تهتز خطواتهم، بل أحسنوا التوكل على الله ولجأوا إلى الدعاء والاستغفار وطلب العون من الله، وحرصوا على دعاء السحر وقيام الليل، فهذا هو باب النجاة والفلاح بعد استفراغ الجهد من الأخذ بالأسباب " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه".

■ **بين مفهوم المرونة ومنزلق التطويع:**

• إن مفهوم المرونة يكون في التعامل مع الواقع وليس في المبادئ والمفاهيم الأساسية، فالجماعة تقابل أى مرونة موجودة في الواقع المحيط بها بمرونة مثلها، وهى لا تحاول الصدام مع الواقع السياسى، لكن تحاول التكيف معه والاستفادة منه، دون أن تقدم تنازلات في مبادئها الأساسية.

• لكن عندما يصبح الواقع حولها مغلقاً بالكامل، وتتعرض للتضييق والحصار الشديد، فإن الجماعة لا تركز على تقديم المرونة لأنها لن تجد استجابة، وبالتالى لا يكون لتلك المرونة وظيفة، ولهذا تتجه الجماعة إلى عملية تأكيد ثوابتها ومنهجها، وتحدد الحدود الفاصلة بينها وبين المشاريع الأخرى، وبهذا تصبح مرحلة الحصار هي مرحلة التأكيد على الثوابت، ومهما طال أو قصر الحصار، فإن التمسك بالأهداف وعدم اهتزازها وتقوية البناء الداخلى يشكل حالة نجاح واضحة.

• وعندما تأتى مرحلة الانفتاح بدرجاته المختلفة سواء بعوامل مباشرة أو غير مباشرة من الجماعة، أو من فعل الآخرين وتطور الأحداث، فإنها من المرونة والقدرة على استيعاب الواقع المتغير لتحقيق إنجاز التكيف مع الواقع ما دام به مساحة لقبول الحركة الإسلامية، وبالتالى فإن أسلوب الخطاب الصادر يتغير واتخاذ خطوات في الحركة والمواقف تتناسب مع الواقع الجديد دون الخروج على المبادىء والأهداف أو إضعاف للصبغة والرسالة.

• وهذا التناوب والتغير الدورى من التضييق والحصار إلى الانفتاح والهدوء وتكراره ليس شيئاً جديداً في مسيرة الجماعة ولا تنزعج له، وإنما تحسن التعامل معه، ولا يؤثر على رؤيتها أو يحبط عزيمتها أو تتعلق بآمال وواقع متغير قد تفاجئ بعدم استمراره.

• هناك فرق بين المرونة في المواقف وردود الأفعال، وبين الخضوع لأسلوب التطويع والاحتواء، والذي يبدأ بتطويع الخطاب الدعوى تحت حجج ومبررات شتى منها التعلق بأوهام المكاسب الزائلة أو الاهتزاز من تهديد أو ضغط ما.

• وهذه البداية لا تقف عند هذا الحد، بل تنزلق تدريجياً بنفس الحجج الواهية نحو تطويع المواقف والأعمال لتصل في النهاية إلى تطويع المبادئ والأفكار.

• وتشير الآيات القرآنية إلى جانب من هذا الأمر، عندما تنفيه عن المجاهدين الربانيين أتباع الأنبياء: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

فهي تنفى عنهم هذه المراحل المتدرجة التي تؤدى في النهاية إلى الهزيمة، فالوهن يكون أولاً في القلب، ثم يمتد ويظهر أثره في الأعمال والجوارح ليحل بها الضعف والتباطؤ والتخاذل، ثم ينتهي الأمر إلى الاستكانة والاستسلام والتخلى عن المبادئ والأهداف.

• وحول دعوى البعض أن المرونة تقتضى تغيير الأهداف، ما دام المحيط الخارجي أو العوامل المؤثرة متغيرة، وبالتالى يجب مراجعة الرسالة وتعديلها بما يتلاءم مع الواقع، فإننا نرد على هذه الرؤية التي قد تصلح لحزب سياسى محدود أو دعوة أرضية: أن دعوة الإخوان دعوة إسلامية ربانية، وتحمل مشروعاً إسلامياً على منهاج رسول الله ﷺ وهو مشروع مستقل وليس رد فعل لأى مشروع أخر.

• وليس لها أو لأى كائن أن يغير في ثوابت ومبادئ وأهداف دعوة الإسلام وهدى القرآن، وإنما التطوير في الوسائل والإجراءات، وبالتالى فإننا على مدار السنين نرى نفس الأهداف العملية من تربية الصف الربانى القدوة الملتف حول قيادته المتمثل فيه الصفات الإسلامية التربوية في أعلى درجاتها، وكذلك في حمله رسالة الإسلام للمجتمع وإرشاده وتربيته وإنهاض الأمة الإسلامية لتؤدى دورها ورسالتها في إعلاء كلمة الله.

ولأن الجماعة صاحبة رسالة، تتعلق بها الأمة، فقد تأتى أحداث ومواقف أساسية تتطلب إعلان رأى الجماعة المستند لرأى الإسلام.

وقد يكلفها هذا الكثير من التضحيات أو يتسبب في التضييق عليها.

وإذا جاز لغير الجماعة أن يسكت أو يخضع مكرهاً مضطراً، فإن ذلك لا يجوز للجماعة التي تحمل لواء الدعوة وتقود الجماهير بل تعلن رأى الإسلام وموقفها في وضوح وحسم وفق الآداب والضوابط الإسلامية.

لقد طلب من الإخوان أن تسكت على اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع العدو الصهيونى مقابل السماح لهم بالحركة، فرفض الإخوان ذلك، وأعلنوا موقفهم الرافض لها على أساسٍ شرعى، ونزلوا للجماهير لتوعيتها وتبيان مخاطرها ونالهم من ذلك أذىً كثيراً من اعتقال وتضييق ومطاردة حتى يومنا هذا ونتذكر في هذا موقف الإمام أحمد بن حنبل في مواجهة بدعة "خلق القرآن" حيث أنه كان عالماً يتبعه العامة وجمهور الناس.

• كذلك فإن عوامل النجاح والفشل لمشروع الجماعة وفق الرؤية الإسلامية، يمتلكها الصف وتنبع من داخله، وأما المتغيرات الخارجية والضغوط والضربات مهما اشتدت فهي مجرد معوقات تؤثر على سرعة الإنجاز أو ترفع حجم التضحيات.

• يقول في ذلك القرآن الكريم: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١].. ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] وبالتالى فإن المخططات التي تواجهها الجماعة، وتصاعد المشروعات المعادية لها ولدعوتها، تواجه ذلك كله بالتمسك بعوامل النصر

والثبات وتماسك وتقوية الصف والبناء التربوى الإيمانى والاستمرار في حمل الدعوة وترسيخ أركان البيعة، واللجوء لله عز وجل أولاً وآخراً، فهذا هو طريق النصر ومعيار النجاح في التصدى لكل الضغوط والأزمات، ولا يعنى هذا ترك التدبير أو عدم استفراغ الجهد البشرى، فهذا واجب أساسى، لكن العامل الحاسم هو ما أشرنا إليه.

■ **حول التوازن بين التكوين والحركة أو بين الفرد والجماعة:**

تميزت دعوة الإمام الشهيد بتحقيق هذا التوازن والإحاطة الكاملة لمتطلبات الدعوة والحركة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعة ككل، فيقول موضحاً ذلك: "إن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها".

ومع اهتمام الإمام الشهيد بالتربية وتكوين الأفراد وإصلاح حالهم وتقدير متطلبات نموهم، فإنه لا يحولهم إلى رموز جامدة منغلقة، أو أن يتم تكوينهم في حجرات مغلقة، وإنما انطلق بهم في المجتمع لإبلاغ الدعوة وإرشاد الأمة إلى معالم الإسلام وأخلاقه، وجعل المسجد هو أصل الانطلاقة وعاد به إلى دوره الأول في الإسلام، مع عدم إهماله لوسائل الدعوة الأخرى ومؤسسات المجتمع المتنوعة كميدان للدعوة والإصلاح وجعلهم من واجبات الأخ في مراتب العمل أنه مع إصلاح نفسه وتكوين البيت المسلم، عليه في نفس الوقت التحرك داخل المجتمع وإرشاده وإصلاح المفاهيم والسلوكيات وكسب المتعاطفين ونشر الدعوة، ولم يجعل ذلك أمراً لاحقاً أو مرحلة مؤجلة لحين استكمال التكوين.

وأوضح الإمام في ذلك أن محاور الدعوة من التعريف بها والتكوين لأنصارها والتنفيذ لوسائلها وحركتها، لا تنفصل عن بعضها البعض بل تسير متعاونة متساندة، إن أى نشاط أو فعالية لاكتمال الفائدة منها يجب أن تتحقق فيها هذه الجوانب الثلاث "التعريف" فنحدد الرسالة الدعوية التي يحملها هذا النشاط.."والتكوين" فنحدد مستهدفاً في التكوين والتربية يتحقق بها الأفراد في حركتهم ونشاطهم ونعالج السلبيات التي تظهر عندهم.."وفى التنفيذ" اتقان العمل واكتساب الخبرة والمهارة في تنفيذ هذا النشاط.

ولهذا كان التركيز على الأفراد يسير متوازياً مع بناء الجماعة وحركتها في المجتمع،

ووجودها في ساحة التأثير والإصلاح والتغيير حتى تؤول لها الريادة وتقترب من تحقيق أهدافها الشاملة التي أشار لها ركن العمل في رسالة التعاليم.

ولم يكن هذا مجرد تصوراً نظرياً بل حوله الإمام الشهيد إلى برنامج عملى وخطة متكاملة متعددة المراحل تسير عليها الجماعة في توازن بين الداخل والخارج، بين متطلبات التربية وواجبات الإصلاح والحركة في المجتمع ومواجهة الأحداث وقيادة الأمة فيها.

وها هو الإمام منذ الأيام الأولى للدعوة – وهى في مهدها – يمارس الإصلاح والدعوة بالمجتمع في نفس وقت تربية وتكوين الأفراد، وتشهد بذلك دار التائبات بالإسماعيلية، والحركة الدعوية الواسعة بين عمال شركة قناة السويس، ثم كذلك نراه في حركة الجماعة بالمجتمع وإيقاظ الأمة ضد الاحتلال الإنجليزى وتجاه قضية فلسطين والخطر اليهودى، والمساهمة الفعالة في مواجهة هذا الخطر، وتقديم الشهداء والتضحيات في سبيل ذلك.

إن دعوة الإخوان ليست دعوة سرية أو دعوة انغلاقية أو دعوة محدودة التأثير والمكان أو محدودة المقاصد والأهداف، وإنما هي تحمل مشروعاً إسلامياً متكاملاً على منهج النبوة لنهضة الأمة الإسلامية في العالم أجمع.

- وتأتى أوقات وأحداث على الجماعة، فتشهد إقبالاً متزايداً من الناس أو فرصاً مواتية لنشر الدعوة والتحرك بها من مجال إلى آخر أرحب، أو من مستوى لمستوى أعلى، يحدث ذلك بغير ترتيب وإعداد داخلى كامل مسبق ويصبح مطلوبا تطوير الدعوة لمواجهتها، واستيعاب هذا الإقبال أو الاستفادة من تلك الفرص والمجالات، وليس القعود والتردد بحجة أن هذا لم يكن جاهزاً في التخطيط السابق، أو أن الأفراد لم يستكملوا الاستعداد الداخلى اللازم، ومواجهة المتغيرات والمستجدات.

فالفرصة لا تنتظر متردداً أو قاعداً، طالما أن ذلك يسير في الاتجاه العام للدعوة ويحقق لها المصلحة.

- وقد تأتى أحداث تفرض نفسها على الجماعة بحكم وجودها وقيادتها للمجتمع، مما يتطلب مواقف وفعاليات قد تكون أكبر من حجمها أو إمكاناتها الحقيقية، وفى هذه

الحالة تتحمل الجماعة مسئوليتها ولا تتخلى عن واجباتها تجاه الأحداث، لكن مع تحديد دقيق للمستهدفات والتكاليف والإجراءات المطلوبة، والتفرقة بين الممكن والمستحيل، وعدم خروج ذلك عن الخطة العامة ومسار الدعوة في أساسه.

أما التحجج بعدم الانشغال بذلك لحين استكمال تكوين الأفراد وتربيتهم، فهذا تصور ناقص للدعوة يخرجها من ساحة التأثير ويضعف دورها داخل المجتمع، وهو أيضاً لا يحقق التكوين التربوى الصحيح للأفراد بإبعادهم وانغلاقهم في هذه الأحوال، كما أنه تصور يخالف المسار الدعوى العملى في حياة الإمام الشهيد.

- ومن الخطأ أيضاً في هذا المجال أن ينغمس الأفراد في الحركة والنشاط ومواجهة الأحداث والمواقف دون وضوح رؤية عندهم، واستيعاب لأهداف دعوتهم وحركتهم، وقدرة على الاستفادة من الواقع المحيط ومن المستجدات لصالح خطتهم ومسيرتهم، أو أن تشغلنا الحركة والنشاط عن التركيز والتكوين التربوى للأفراد واكتساب العناصر الجديدة للصف، بل تستفيد من كل ذلك في تعميق وتحقيق هذا التكوين المنشود، ولا تصرفنا الحركة مع المستجدات عن خطتنا الرئيسية بل نحول نتائجها لصالح الدعوة.

وبالنسبة لتساؤل قد يطرحه البعض، هل تشكل الجماعة وسيلة أم غاية؟ فإن الرؤية الواضحة المنطلقة من الباعث للدعوة تؤكد أن الجماعة ليست وسيلة ولا غاية، وإنما هي فريضة واجبة لتحقيق التكليف الشرعى وهى تظل قائمة ما دام التكليف الشرعى الباعث على إنشائها لم ينتف، ويخطئ البعض حين يظن أن التكوين التربوى للأفراد مرحلة وأن العمل مع المجتمع مرحلة تالية قد دخلنا إطارها وفعالياتها، فالعمل مع النفس والمجتمع وحدة واحدة ووجهان لعملة واحدة لا ينفصلان، يسيران معاً ويتبادلان التأثير، فإيمان الفرد وإبلاغه الرسالة للناس واجب عليه حتى ولو فقه آية واحدة من كتاب الله، ومراتب العمل التي أشار إليها الإمام الشهيد من تكوين وإصلاح الفرد والبيت والمجتمع، هي مراتب متوازية مترابطة وليست مراحل تنتقل فيها الدعوة من مرحلة إلى أخرى، لكن الفعاليات والوسائل المستخدمة قد تشهد اتساعاً أو ضيقاً أو تطويراً حسب المناخ والأحوال والظروف التي تمر بها الجماعة في أى محور من المحاور.

ومن الأمور الهامة في الفهم والعمل وخاصة من يشارك بدرجة كبيرة في فعاليات إصلاح المجمع، ألا ينسى الجماعة وأهدافها والعمل على تقوية دعائمها وترسيخ أساسها والارتفاع ببنائها، فهي الركيزة الأساسية لأى إصلاح نريد منه أن يصب في تحقيق الأهداف الكبرى، وهى القاعدة الصلبة التي تقود وتوجه وتصمد في مواجهة الضغوط والمعوقات، وتضمن عدم الانحراف والزوغان عن الطريق المستقيم، ولا يجوز لمن يعمل في صفها أن يقول لقد تجاوزنا مرحلة الجماعة والتركيز عليها إلى مرحلة المجتمع.

إن أى ذوبان للجماعة أو إضعاف لبنائها أو إهمال لكيانها ونموها أو إضعاف لدورها القيادى في الدعوة بأى حجة من الحجج، لهو بمثابة ضربة موجهة إلى الأهداف الإسلامية الكبرى وإلى المشروع الإسلامي لنهضة الأمة واستعادة كيانها ودورها القيادى في العالم.

بهذا التوازن بين التكوين والحركة، بين الداخل والخارج- أو بين متطلبات الفرد ومتطلبات الجماعة في ساحة التأثير والحركة تشق الدعوة طريقها، وبهذه القدرة على استيعاب المتغيرات والمستجدات وترقب الأحداث واقتناص الفرص تسير الجماعة نحو تحقيق أهدافها دون خلل أو ضعف أو توقف أو انحراف عن الأصول والأهداف الأساسية للدعوة.

■ **توضيح حول ربانية الراية وإسلامية الدعوة:**

• دعوة الإسلام التي يعمل لها الإخوان في أى مكان من بلاد المسلمين وأقطارهم، لابد أن تنشأ منذ بدايتها إسلامية صحيحة، ترفع الراية الربانية وتهتف بالشريعة المحمدية، وتعمل للأهداف الإسلامية الشاملة، حتى وإن لم تستطع أن تسمى نفسها باسم الإخوان"[1]. ولكن المبادئ والأهداف وجوهر العمل هو الأصل، ويؤكد ويدعمه الارتباط العضوى بالجماعة الأم.

• ولا يجوز للدعوة وسط جماهير الشعب المسلم، أن تتخلى عن هذه المبادئ الشاملة أو عن ربانية الراية وإسلامية الدعوة بحجة أن هذا قد ينفر الناس منها أو يضع المزيد

(١) لكن اسم وراية الإخوان يعتبر من ثوابت الدعوة في القطر المصرى،أما في باقى الأقطار فقد تسمح به الظروف،أو تؤجل ذلك إلى حين .

من العراقيل أمامها أو يضيع منها الكثير من المكاسب الزائلة، وليس لها أن تستبدل ذلك الوضوح والشمول، بدعوات إصلاحية جزئية أو شعارات أخرى ليس فيها التميز الإسلامي والرسالة الخالدة، فهذا من التلبيس والخطأ، فشعوبنا الإسلامية حاجتها الأساسية هي إلى الإسلام بمفهومه الشامل وتطبيقه العملي الصحيح والبناء إن لم يكن على هذا الأساس الكامل الشامل وتحت هذه الراية الربانية فلن يكون مستقراً أو مستقيماً على الصراط وسيؤثر عليه هذا الخلط وتلك الشوائب في تكوينه إن عاجلاً أو آجلاً، فدعوتنا ليست دعوة أرضية أو مؤسسة حزبية تحكمها المصالح الحزبية لكنها تسير على هدى دعوة الأنبياء وتحكمها ضوابط الإسلام، حتى وإن كان وجودها الرسمي في بعض البلدان، تحت لافتة الحزب الذي تكونه حسب قوانين البلد، لكن تبقى الجماعة بمفهومها الشامل وأهدافها الكاملة ورايتها الربانية موجودة ومعلنة ومعروفة للناس، فهي أوسع وأعمق وأشمل من الحزب الموجود بأهدافه وأطروحاتها.

ولا يصح أن نقول أننا ندعو الناس تحت هذه الرايات الجزئية والفرعية، وبدون الشعارات الإسلامية، لكن عندما يدخلون الدعوة أو يرتقون فيها سيفهمون الإسلام ودعوتنا بشمولها وأن مناهجنا الداخلية ستعوض ذلك.

لأن الدعوة للإسلام ليست سرية في أهدافها ورسالتها، ولابد من إعلان ذلك للناس ورفع الراية التي يلتفون حولها سواء جاءوا من الحزب الموجود التابع أو من الأحزاب الأخرى.

كما أن هذا تفريغ وإضعاف للهوية والراية، والمبدأ الإسلامي، ولا يستقيم المسار بعد ذلك عملياً ويؤدى إلى انفصال حقيقى يؤثر في تكوين الشخصية وإذا قيل أن هذه أوعية وواجهات ومؤسسات فرعية تحكمها ضوابط الواجهات، فنقول: فأين الجماعة التي توجه هذه الواجهات وتستفيد منها، وأين صوتها وشعاراتها وخطابها للمجتمع من حولها ؟.

- إنه لابد للناس من راية الإسلام بمفهومه الصحيح الكامل، حيث تناديهم الدعوة وتدعوهم وتوضح لهم دينهم ورسالتهم، حتى وإن واجهت المعوقات وتعرضت للضغوط فهذه هي طبيعة الطريق وضريبة الدعوة.

وإذا كان هناك مكان أو قطر من أقطار العالم الإسلامي، لا يستطيع الدعاة فيه أن يعلنوا عن رايتهم ورسالتهم الإسلامية، ويقولون أن هذه الرايات الجزئية هي المتاح حالياً، وأن هذا تمهيد وتهيئة فليدركوا جيداً أنهم ما زالوا يبدأوا الدعوة حقاً مهما تعللوا بأنهم يربون أفرادهم على الفهم الشامل، وأن هذا التمهيد لا يمكن أن يستمر هكذا دون حدود، فلابد من إعلان الدعوة إسلامية ربانية توجه رسالتها للمجتمع والأمة، وتدعوهم ليلتفوا حول رايتها ويعملوا لها، فهذا هو النهج الذي بدأ به الإمام الشهيد دعوته وحرص عليه وأوصى الإخوان به.

- يقول الأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله في هذا المجال:

".. عرض علينا البعض أن نعمل للإسلام من خلال كيان لمبدأ أرضى: الاشتراكية مثلاً، لنستفيد بما فيه من وسائل ومنابر غير متوافرة، ووضعنا غير المعترف به رسمياً كي تتاح لنا فرصة أوسع بكثير للحركة بالدعوة والعمل لها، ولكننا رفضنا ذلك ورأينا أن ما يصدر عنا وتحت رايتنا وشخصيتنا الإسلامية المستقلة، أقوى أثراً وأكبر فعالية، ولو كان حجمه قليلاً مما لو كان من خلال تلك الراية الوضعية ولو كان حجمه كبيراً.

ومن جانب أخر كيف نرضى أن نعلن الراية الأرضية فوق الراية الربانية؟ لا شك أن ذلك انتكاسة في خط السير ومسخ لشخصيتنا الإسلامية الحرة، وفى نظر الناس أن ذلك الكيان الأرضى قد احتوانا وسنتحمل أوزاره رضينا أم لم نرض ولا مجال بعد ذلك لاستعادة مكانتنا وكرامتنا الإسلامية وثقة المسلمين بنا، خاصة وأننا نرى هذه اللافتات الأرضية تتبدل وتتغير ألفاظها ومدلولاتها" [1].

- وطرح الجماعة لشعارات إسلامية، لا تقصد بها المتاجرة أو الإساءة لأحد، وإنما ذلك تعبير عن بواعث مشروعها وتعريف به وتركيز للمعانى والأهداف التي يحملها، فهو يمثل تحديداً للهوية، ويمثل أيضاً خطاباً شرعياً موجه للأمة ليوقظها ويربطها بإسلامها، وهو أقدر شيء لإصلاح حالها وأن تنهض وتتقدم، خاصة وأن المسلمين يشكلون غالبية الشعب.

(١) مجلة الدعوة العدد ٦٢ – يوليو ١٩٨١ – شعبان ١٤٠١ هـ .

أما عن شركاء الوطن، فإن هذا لا يمثل حاجزاً، لأنهم يتعاملون مع ذلك من منطلق وطنى وإن كان الإسلام لا يمثل ديناً لهم، لكنه يعتبر انتماء حضارياً ووطنياً بالنسبة لهم، كما لا يمنع الإخوان التيارات الأخرى أن تتقدم برؤيتها التي تقتنع بها، وأن ترفع شعاراتها التي تمثلها.

- ودقة المصطلحات والشعارات التي تتحرك بها الدعوة، أمر له اعتباره، ويجب أن يتوفر فيه الضابط الشرعى، والتعبير الصحيح عن المشروع والأهداف، أما الجرى وراء بعض الشعارات التي يطرحها البعض في الساحة أو تحت الضغط، فإنه يؤدى إلى التشويش وعدم الثبات، فالبعض حاول إدخال مصطلحات اليمين واليسار والتقدمية للوصف الإسلامي، أو الاشتراكية والرأسمالية، وحاول أن يصنف الإسلام ودعوته تحت هذه المصطلحات كل حسب هواه متأثر بالمناخ السائد وقتها.

- وهذا كله لا يتمشى مع منهج الإسلام وتميزه، فهو فوق كل هذه المصطلحات والرؤى الأرضية، وقد يأخذ بعض هذه التيارات ببعض ما جاء في الإسلام لكن يبقى الإسلام هو الأصل والأعم والأشمل.

- وكذلك محاولة البعض أن يصف الإسلام بوصف إضافى، وكأن هناك أنواع من الإسلام أو أنه في حاجة لصفة إضافية، فسمعنا: الإسلام الوسطى، الإسلام المتحضر، الإسلام المعتدل.. الخ، إن الإسلام هو الوسطية وهو الاعتدال وهو الحضارة شاملاً لكل ذلك من معانى. وإذا كان جائز في الشرح لمفهوم الإسلام ومعانيه أن أشير إلى هذه الجوانب المتميزة فيه، لكن لا يتحول ذلك إلى شعار ومصطلح وتعريف يحدث هذا اللبس وذلك التشويش.

وإذا أخطأ أحد في فهم الإسلام، أوضحنا جانب الخطأ حيث مرجعية الجميع في فهمهم تكون وفق مبادئ وأصول وقواعد الإسلام.

- والجماعة تحمل مشروعاً إسلامياً متكاملاً، فهي صاحبة رسالة للأمة الإسلامية وللعالم أجمع، تعرضها عليها، وتقنعها بها لتنهض الأمة وتحملها معها، فإذا ما زالت الدعوة مجهولة عن الكثيرين، أو ما زال البعض يعارضها أو لم يتفاعل معها، فإن الجماعة لا تتخلى عن رسالتها بحجة أن هذا رأى غالبية الشعب، وإنما تواصل معهم الدعوة بالحكمة

والموعظة الحسنة مهتدية بأسلوب رسول الله ﷺ حين عارضه في بداية الدعوة الكثيرين، ثم لا يلبثوا حتى دخلوا في دين الله أفواجاً.

وللجماعة أمل كبير في توفيق الله وعونه وأن الأمور والمقادير بيده سبحانه، ولها تقدير للعاطفة الإسلامية الكامنة في نفوس أفراد الأمة، وأنهم سوف يستجيبون لدعوة الإسلام.

- والإخوان كما قال الإمام البنا أفسح الناس صدراً للآخرين، حتى ولو كانوا مخالفين، وهم في ذلك منضبطين بتوجيهات الشرع وميزان العدل والتقوى وتاريخياً كانت الشواهد تشير إلى أن الآخرين هم الذين كانوا يضيقون بالدعوة ويحاولون إقصاءها والهجوم عليها.

ومع تقديم الإخوان لمشروعهم الإسلامي المتكامل، فإنهم يسعون للتعاون والمشاركة مع الآخرين ويسعون للوحدة ويكرهون الفرقة والتنابذ، ويعلنون مبدأهم: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، في أطروحات الإصلاح ووسائل العمل.

لكن لا يظن أحد أن هذا التعاون مع الأحزاب والقوى السياسية والوطنية يجب أن يجعلنا نتنازل عن أجزاء من مشروعنا الإسلامي وأهدافنا ليرضى الآخرين بهذا التعاون معنا، فهذا التصور أبعد عن الفهم الصحيح لدعوتنا، لأن في منهجنا ومشروعنا مجالات ومساحات مشتركة مع الآخرين حتى وإن كان هذا الاشتراك في الآليات والوسائل وليس في البواعث والأولويات، وهذه المساحة المشتركة نتقدم للتعاون فيها مع القوى الأخرى لصالح الوطن ولإصلاح حاله، مع احتفاظ كل طرف بمشروعه الخاص.

وتستمر الجماعة في توجيه الدعوة لهم بالأسلوب المناسب لتزداد مساحة اقتناعهم ومشاركتهم، وليس وارداً أن تتنازل الجماعة عن أهدافها ورؤيتها التي لا يوافق عليها الآخرون..

والإخوان في تعاملهم حتى مع أشد المخالفين لهم، يتميزون بالأدب والاحترام للجميع وحسن الخلق وضبط الألفاظ وإعطاء كل ذى حق حقه.

وهم أبعد الناس عن المنابذة واتهام النوايا أو التعامل في كبر واستعلاء.

• وكذلك أهمية وضوح الصبغة الإسلامية في مشروع النهضة لحياة الإنسان في كل جوانبها، فنحن نستهدف تكوين الإنسان المسلم والبيت المسلم، وليس الإنسان بمرجعية إسلامية ونستهدف كذلك إقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة والأمة المسلمة، وليس من الدقة في صياغة الأهداف أن أقول إقامة المجتمع بمرجعية إسلامية، وإقامة دولة مدنية بمرجعية إسلامية فالإسلام يقيم دولة إسلامية في جميع أركانها ومجالاتها ويصبغها بصبغة الإسلام، ولها دور ورسالة تؤديها.

وإذا كان من الجائز في الشرح لمن لا يعرف ما هي الدولة الإسلامية أن أشرح وأوضح بما يمكن أن يفهمه أنها دولة مدنية وليست كهنوتية لكن صياغة الهدف والمصطلح يجب أن تكون دقيقة ومعبرة ومنضبطة بمفهومه الشرعى.

وكان الإمام الشهيد حريصاً على ضبط المصطلحات والشعارات ودقة صياغة الأهداف، وإن العدول عنها هو نوع من الانحراف والتغيير.

• وقد يتساءل البعض هل المشروع الإسلامي الذي يطرحه الإخوان يمثل مشروعاً جذرياً للتغيير لا شأن له بالإصلاح الجزئى، فهو ينتظر حتى يستكمل إمكانيات التغيير الكلى ثم يطرح مشروعه.. ؟

أم هو مشروع تغيير جزئى، وبالتالى يقبل بالواقع وينحصر في فرعيات وجزئيات للإصلاح.

نوضح ذلك فنقول: أن المنهج الإسلامي في التغيير والإصلاح هو منهج متميز له رؤيته وموازينه الخاصة به، فالمشروع الإسلامي الذي يحمله الإخوان يستهدف كلا الأمرين، فهو كما قال الإمام البنا نعمل في الإصلاح لغاية قريبة وغاية بعيدة، فهو إصلاح شامل يتناول كل الأوضاع القائمة بالتعديل والتقويم، وفى نفس الوقت يهتم بالنصيحة والإصلاح في المجالات المختلفة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً تطبيقاً للتكليف الشرعى بالإصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

* وعن تساؤل كيف يمثل الحزب السياسي موقعه من الجماعة ومن مشروعها الإسلامي، نوضح:

لقد سبق أن أشرنا أن الجماعة لا يمكن أن تنحصر في حزب أو في هيئة أو في واجهة محدودة، فهي أوسع وأشمل شمول الإسلام واتساعه.

وأن الجماعة تعمل بالمفهوم الشامل للإسلام، والعمل السياسي جزء من رسالة الدعوة في الجماعة، لا يمكن أن ينفصل عنها، وأن الحزب السياسي وسيلة من وسائل العمل السياسي وليس قاصراً عليه.

وهذا الحزب يحمل جزءاً من رسالة الدعوة يسعى لتحقيقه ويستفيد من الوسائل المتاحة له في ذلك، وهو لابد له من الصبغة والمرجعية الإسلامية لهذا الجزء الذي يحمله، وهو لا يسعى للسلطة وكراسى الحكم مثل باقى الأحزاب، ولا يسلك مسلك التنافس والصراع الحزبى الموجود على الساحة لكنه يعمل على مشروع الإصلاح الإسلامي بالمجتمع، ويصل بالدعوة إلى كل التيارات والمؤسسات.

والحزب لا يشكل خطاً موازياً للجماعة، وإنما وسيلة ضمن الوسائل، والواجهات التي تشكلها الجماعة.

ولا يتصور أحد أن الجماعة يمكن أن تنفصل إلى جزئين: حزب سياسى وجمعية أهلية خاصة بالمجتمع فقط.

فالجماعة بثباتها وصمودها على مبادئها وأهدافها أفشلت كل محاولات تجزئتها أو تغيير مشروعها.

ومشروعيتها تستمدها من المنهج الإسلامي الذي تحمله، ومن الإيمان الذي تنطلق منه ومن اللجوء لله والاعتصام به وبشريعته، وكذلك من مكانتها في قلوب الجماهير التي تواصلت معها.

- وقد يطرح بعض المتعجلين تساؤلاً هل أن منهج الإخوان السلمى وتمسكهم بشعاراتهم ومشروعهم حقق لهم نجاحاً، وماذا قدم الإخوان طوال هذه السنين، وهل هم محلك سر وفقط أم أن مشروعهم يتقدم ويحقق نجاحاً نحو الأهداف المنشودة.

نوضح ذلك ونقول:

أولاً: إن الباعث للجماعة وأفرادها هو باعث إيماني رباني، من منطلق العبودية والطاعة لله، وأن هذا إذا تحقق بثبات وجهاد الإخوان، فقد حققوا الغاية والهدف الأسمى.

ثانياً: أن سنن الله في التغيير كما وضحها القرآن ورسول الله ﷺ لا تقتصر على الجهد البشرى، رغم أنه عامل أساسى مطالبين به، وإنما هناك أيضاً فوق ذلك مشيئة الله وقدرته وعونه وتأييده لدعوته، فهو الذي يمكِّن لها في حقيقة الأمر وما نحن إلا ستار لقدرة الله عز وجل ومجريات الأمور اختبار لنا ولثباتنا وتمحيص لإيماننا.

وثالثاً: إن أى دعوة مهما امتلكت من وسائل أو رفعت من شعارات.. الخ، لابد لها من مرحلة ابتلاء طويل وتمحيص عميق، ليظهر ويتحقق مدى ثباتها وصمودها، وكثير من الدعوات انهارت أو تبدلت بعد سنوات، وعند أول محك للمحنة.

رابعاً: إن هذا الثبات على المبادئ والأهداف وتواصل الأجيال، وفعاليتها وانتشارها في كل بقاع الأرض، دليل على النجاح والتوفيق من الله، فهذا الثبات يعتبر إنجازاً ونجاحاً.

خامسا: إن أى منصف لأثر دعوة الإخوان ولمشروعهم الإسلامي، ليشهد بذلك كل من نظر إلى حال الأمة قبل ظهور الدعوة وإلى حالها الآن من إرساء للقيم والمفاهيم الصحيحة، ومن إقبال الشباب على الإسلام، ومن إيقاظ الأمة وتزايد المقاومة للمشروع الغربي الصهيونى، ومن إحراز نجاحات متعددة على صعيد الأنشطة وعلى أرض الواقع، ثم المحاصرة والتضييق ومحاولات الإقصاء أو الاستئصال، حتى أصبحت بفضل الله أمل شعوب العالم الإسلامي.

- إن أى دعوة أو جماعة تعرضت لما تعرضت له دعوة الإخوان لانهارت وانتهت منذ سنوات بعيدة، ولكنها باقية مستمرة بفضل الله.

وقد أشار بعض الراصدين ان الجماعة تتميز بالثبات، والقدرة على امتصاص الضربات، والعمل في كل الأحوال والظروف.

• ولا ندعى أن كل أثر إسلامي إيجابى في المجتمع هو من صنع الجماعة مباشرة، ولكن كان للجماعة الفضل في تثبيت الفكرة الإسلامية والمشروع الإسلامي ضد العواصف العاتية التي كانت تستهدف اقتلاعه، وفى تحفيز كل التيارات والأفراد في هذا الميدان، وفى قيادة التغيير والإصلاح والتوجه نحو الإسلام، وفى كونها خط الدفاع الإسلامي وقلب المقاومة للمشروعين الأمريكي والصهيونى.

• وتعلم الجماعة أن الطريق طويل متعدد المراحل، وكثير التضحيات، يحتاج إلى الصبر والعمل الجاد، وفى نفس الوقت هي على يقين من نصر الله لدعوته والتمكين لها.

■ **حول المشاركة مع الآخرين في حكومة:**

• تمشياً مع منهج الجماعة في التعاون مع الآخرين لتحقيق الإصلاح والعمل لصالح الوطن، فإنه من الجائز المشاركة في حكومة وطنية تسعى للإصلاح، وهذا الحكم بالجواز، لا يعنى أن الأمر أصبح ضمن الخيارات المطلوبة أو أنه مستهدف، ولكن يخضع لقواعد المصلحة وطبيعة المرحلة وشروط وضوابط أخرى خاصة أنه أمر لا نستهدفه لكن قد تفرضه الظروف.

• وهذا التعاون مع حكومة للإصلاح الوطنى، قد يبدأ بالمساندة والتأييد والدعم، أو يرتقى إلى المشاركة الفعلية بعدد من الوزراء، وفى هذه الحالة لابد من توافر شروط معينة أهمها:

١. أن يكون ذلك ضمن مشروع واضح ومحدد للإصلاح في جانب أو عدة جوانب للأمة. وأن يكون ذلك معلناً ومتفقاً عليه من جميع أطراف التحالف المشارك.

٢. ألا يكون في برنامج الحكومة أى جانب أو إجراء يخالف الشريعة الإسلامية خاصة في الأصول المتفق عليها، أو يضر بمصلحة الوطن.

٣. أن يكون لها موقف محدد تجاه الفساد وتجاه القوانين التي تخالف أصول الشريعة كاستحلال الخمر وغيره من الكبائر.

٤. أن يكون للوزير صلاحيات فعلية يتمكن بها من الإصلاح في مكانه، وليس مجرد واجهة سياسية أو ديكور في الوزارة.

٥. أن يكون الهدف الأساسى هو تحقيق الإصلاح ودعمه في المجتمع، حتى ولو كان جزئياً، وليس مجرد الحصول على المنصب الوزارى.

- فإذا لم يتوفر ذلك، أو اختل بعض هذه الشروط والضوابط، أثناء المشاركة، أصبح ضررها أكبر من نفعها وبالتالى غير جائزة.

وكما أنه قد يحدث في أى انتخابات برلمانية أن تحوز الجماعة على أغلبية المقاعد بفضل أدائها السياسي وفعالياتها وتحالفاتها المتنوعة وحب الجماهير لها، وبذلك يصبح من حقها تشكيل الحكومة.

فى حين أن مشروعها الإسلامي لإقامة المجتمع المسلم و الحكومة المسلمة لم يستكمل بعد، وما زال يحتاج إلى مراحل متعددة وإلى استكمال وإعداد للركائز المطلوبة.

وفى هذه الحالة يمثل تشكيلها للحكومة نقلة نوعية ووسيلة مساعدة في عملية الإصلاح وتهيئة المجتمع لإقامة الحكم الإسلامي وليست بديلاً عن المضى في استكمال خط التربية وإعداد الجيل وتربية المجتمع.

ولا تمثل هذه النقلة أو تلك الخطوة الحكومة الإسلامية المنشودة أو ندعى أننا بذلك قد أقمنا الحكم الإسلامي الذي ندعو إليه لأنه لا يتحقق إلا بتكوين الركائز وتحقق الشروط والضوابط.

- كما لا تعتبر الجماعة أن تشكيل الحكومة بأفرادها أو من خلال الحزب الذي يمثلها، بديل عن خطتها الرئيسية لإقامة المجتمع والحكم الإسلامي، أو أنه مسار استثنائى أو مواز للجماعة وكيانها أو يجعلها تقفز فوق المراحل وتلغى الضوابط، فنحن لسنا طلاب حكم أو منصب وإنما أصحاب دعوة ورسالة.

- وعلى هذه الحكومة:

١. أن تلتزم في أدائها بضوابط الإسلام في كل المجالات والأحوال.

٢. أن تكون خطواتها في الإصلاح حقيقية، وأن تكون مركزة وواضحة ومتتابعة ضمن

المشروع الإسلامي، حتى تمثل فعلياً نقلة نوعية مساعدة للمشروع الإسلامي الكامل، وأن يشمل ذلك أغلب المجالات سواء قانونية أو سياسية أو اقتصادية واجتماعية.. الخ

٣. أن تفى بوعودها وتحقيق برنامجها الانتخابى الذي طرحته على الجماهير.

٤. أن تواجه الفساد بكل حزم، وأن تغير القوانين الخارجة على شرع الله (وفق حديث رسول الله ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".

٥. أن تعرف الأمة طبيعة المرحلة، وأنها مرحلة إصلاح جزئى، وألا ترفع شعارات أكبر من واقعها، أو تطرح نفسها كنموذج متكامل ونهائى لإقامة الإسلام، أو تتاجر بالشعارات وأنها بذلك قدمت لهم الحكومة الإسلامية المنشودة والحكم الإسلامي الكامل.

٦. انضباط أفراد الحكومة بالسلوك الإسلامي ونظافة اليد واللسان.

٧. أن عليها أن توضح قولاً وعملاً محاسن الشريعة الإسلامية وتطمئن الخائفين من الإسلام.

٨. أن تشرك القوى الوطنية المختلفة في الإصلاح وتجتهد في جمع الكلمة، لتشكل بذلك حكومة وطنية مشتركة إذا أمكن.

٩. أن تلتزم بالشورى وإقرار الحرية السياسية والقواعد الديمقراطية مع احترام إرادة الأمة والشفافية مع الشعب.

١٠. أن تكون على مستوى التحديات التي ستواجهها داخلياً وخارجياً.

- من المهم أن نوضح أن الإخوان أعمق نظرة وأكثر حكمة ووزن للأمور، ومعرفة ما يترتب على هذه الخطوات داخلياً وخارجياً، فلا يستهويهم بريق هذه الخطوات أو يؤثر على حساباتهم ووزنهم للأمور، ولكننا هنا نتحدث عن أمر قد يحدث كاحتمال ولو قليل، أو تضطر إليه الجماعة.

- ولا تعتبر هذه الحكومة في هذا الوضع أنها هي الحكومة الإسلامية المستهدفة حيث أن ذلك له مواصفات خاصة وتحتاج إلى مراحل من الإعداد والتكوين والتهيئة فلا نرفع عليها شعارات وأوصاف أكبر من حقيقتها، أو ننس جدية العمل لتحقيقها.

والحكومة في هذا الوضع الـذي أشرنـا إليـه تعتـبر حكومـة وطنيـة يشـارك فيهـا مـع الإخوان القوى الوطنية الأخرى من المسلمين وغـير المسـلمين حسـب الواقـع والأحـوال وتعتبر خطوة متقدمة في مسار الإصلاح ودفعة له في هذا المستوى التنفيذى العالى.

الخاتمة

الخاتمة

ورغم أن المسافة بين الواقع أو نقطة الانطلاق، وبين هذه الأهداف السامية مسافة شاسعة كبيرة تحتاج إلى أجيال متتالية، إلا أن الإخوان يرونها أمامهم بيقين كامل ويؤمنون بتحقيقها إيماناً لا اهتزاز فيه ولاشك ولا ريبة ولا حرج، تصديقاً لوعد الرسول الكريم ﷺ وآيات الكتاب المبين، وأن الأمر بقدر الله، الذي يرعى دعوته ويقدر من الأحداث والأقدار ما فيه الخير والمصلحة وما يعين على التمكين لدينه حتى وإن لم ندرك في حينها ذلك.

وهم يعملون على إحياء هذه الأهداف في النفوس، وإرساء المفاهيم والقواعد القائمة عليها في القلوب.

■ **فيعملون على:**

- إحياء فكرة الخلافة، وبيان أهميتها، وضروريتها، وارتباطها بعقيدة الأمة ووحدتها.

- ويعملون على إيقاظ الروح الواحدة في جسد الأمة الإسلامية في جميع الأقطار، لا يقتصرون على قطر دون آخر.

- والاهتمام الشديد بقضايا الأوطان الإسلامية، وتعريف الجماهير بها وتوجيهها لدعمها والوقوف معها مستهدفين في النهاية تحقيق وحدة المفاهيم والمشاعر ووحدة الانتماء ووحدة التواصل والتفاعل والتساند في مواجهة كل الأخطار والنمو بقدراتهم وأوطانهم.

- وكذلك لا ينتظرون حتى تقوم الدولة الإسلامية لتحقيق وحدة الأوطان والأمم، ولكنهم يعملون على هذا المسار على المستوى الشعبى والجماعى، وعلى مستوى الهيئات للتقريب بين الشعوب وقيام التعاون الوثيق.

- إلى أن تنتقل الوحدة إلى الواقع الكامل في التنفيذ بقيام الحكومات المسلمة الملتزمة بشرع الله، وبالاتحاد بين دوله وفق منهج الإسلام وأهدافه.

- ونلحظ أيضاً من خلال كلمات الإمام الشهيد[1] في رسائله، أنه يعمل لكل الأهداف معاً في خطوات متدرجة حتى يصل إلى تمام الشوط، في رؤية شاملة واضحة، وتوكل على الله كامل وصبر ومصابرة وعدم انحراف عن الطريق والمنهج.. طريق رسول الله ﷺ ومنهج الإسلام وشريعته.

والله أكبر ولله الحمد

(١) نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدًا .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١- مجموعة الرسائل، للإمام الشهيد حسن البنا:

* رسالة: الإخوان تحت راية القرآن.
* رسالة: المؤتمر الخامس.
* رسالة: هل نحن قوم عمليون ؟
* رسالة: دعوتنا.
* رسالة: دعوتنا في طور جديد.
* رسالة: المؤتمر السادس.
* رسالة: إلى أى شيء ندعو الناس .
* رسالة: التعاليم.
* رسالة: بين الأمس واليوم.
* رسالة: العقائد.
* رسالة: مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين.
* رسالة: الجهاد.
* رسالة: نحو النور
* رسالة: إلى الشباب.
* رسالة: اجتماع رؤساء المناطق.
* رسالة: نظام الحكم.
* رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي.
* رسالة: الأُسرة.

٢- مذكرات الدعوة والداعية، للإمام الشهيد حسن البنا.

٣- من آخر ما كتبه الإمام الشهيد في رسالة وجهها إلى الإخوان، ونشرتها مجلة المباحث، ١٦ يناير سنة ١٩٥١م.

٤- مقال للإمام البنا بعنوان: (نصيحة من البنا إلى الإخوان) ـ أعيد نشره في مجلة الدعوة العدد (٨٢) شوال ١٤١٩ هـ ـ يناير فبراير ١٩٩٩ م .

٥- من بيان الإمام في المؤتمر الشعبى لنصرة فلسطين بالجامع الأزهر عام١٩٤٧م.

٦- من رسالة الإمام الشهيد للنحاس باشا بمناسبة تصريحات أدلى بها إلى بعض الصحف

الأجنبية أبدى فيها أعجابه بلا تحفظ بكمال أتاتورك. وهو خطاب نشرته صحيفة الإخوان آنذاك.

٧- دعاة لا قضاة، للإمام حسن الهضيبى.

٨- اللائحة العالمية للإخوان المسلمين.

٩- رؤية الإخوان حول: الشورى - وتعدد الأحزاب - المرأة، المركز الإسلامي للدراسات.

١٠- مبادرة الإخوان للإصلاح.

١١- رسالة الرؤية الواضحة، للأستاذ / مصطفى مشهور .

١٢- من مقالة للأستاذ / مصطفى مشهور في ذكرى استشهاد الإمام البنا.

١٣- مقال: (أين ضمير العالم من دماء المسلمين؟)، للأستاذ / مصطفى مشهور.

١٤- مقال: (كيد مفضوح للإسلام وأهله)، للأستاذ / مصطفى مشهور.

١٥- مقال: (الحق لابد أن تحميه القوة)، للأستاذ / مصطفى مشهور، رسالة الإخوان، العدد ٢٢٨، المحرم ١٤٢٢ هـ - ٢٠ أبريل ٢٠٠١م.

١٦- مقال: (الإخوان المسلمون..دعوة ورسالة)، للأستاذ / محمد مهدى عاكف.

١٧- مقال: (لماذا أعدمونى)، للأستاذ/ سيد قطب، جريدة المسلمون، أكتوبر ١٩٦٥م.

١٨- الإمام الشهيد حسن البنا حامل لواء الدعوة في القرن العشرين، للأستاذ/ فؤاد الهجرسى .

١٩- الإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية، للأستاذ / فؤاد الهجرسى.

٢٠- حسن البنا.. مواقف في الدعوة والتربية، للأستاذ / عباس السيسى.

٢١- مقالة الصحوة الإسلامية، للدكتور / يوسف القرضاوى، مجلة الرسالة رمضان ١٤٢٢هـ - ديسمبر ٢٠٠١م - العدد الأول.

٢٢- منهج الإمام البنا.. الثوابت والمتغيرات، للأستاذ / جمعة أمين.

٢٣- الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، للدكتور / توفيق الواعى، ط. دار الوفاء.

٢٤- دراسة شرعية وسياسية للقضية العراقية ٢٠٠٢م، مقالة للأستاذ / محمد أحمد الراشد.

٢٥- المسار، للأستاذ / محمد أحمد الراشد.

٢٦- شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر، للمستشار/ سالم البهنساوى، ط.دار الوفاء.

٢٧- المقاومة السرية في قناة السويس، للأستاذ / كامل الشريف.

٢٨- الإخوان المسلمون وحرب فلسطين، للأستاذ / كامل الشريف.

٢٩- الفقه السياسي عند الإمام الشهيد حسن البنا، للدكتور/ محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير - طنطا.

٣٠- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، للأستاذ/ محمود عبد الحليم، ج٣.

٣١- مقالة للدكتور/ محمد عمارة، بيوميات الأخبار، جريدة الأخبار عن الشورى الإسلامية ٢٠٠٤م.

٣٢- جريدة: « الإخوان المسلمون »، العدد الخامس، ٢٧ مارس ١٩٥٢م.

٣٣- مجلة: الدعوة، العدد ٣٢.

٣٤- مجلة: الدعوة، عامى ١٩٧٦، ١٩٧٧م.

٣٥- جريدة آفاق عربية، ١٩ نوفمبر ١٩٩٨م، العدد: (٢٨٤).

٣٦- جريدة آفاق عربية، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٥م.

٣٧- إعلام الموقعين، للإمام / ابن القيم.

٣٨- السيرة النبوية، للإمام / ابن هشام.

الفهرس

الفهرس

التقديم ٣
مقدمة الطبعة الأولى ١٣
مقدمة الطبعة الثانية ١٥

الباب: الأول
وضوح الرؤية حول دعوة الإخوان

أولا: المنطلق ١٩
الدعوة مشروع إسلامي للنهضة: ١٩
الباعث والرسالة والهدف: ٢١
ثانيا: الواقع ٢٥
طبيعة المرحلة وحقيقة المعركة: ٢٥
حول وجوب الدعوة: ٣١
ثالثا: المعوقات وعوامل النجاح ٣٣
تحديات وعقبات تواجه الدعوة: ٣٣
عدتنا في مواجهة المعوقات: ٣٥
من عوامل نجاح الدعوات: ٣٩
رابعا: خصائص الدعوة وسماتها ٤١
دعوتنا إسلامية صميمة: ٤١
من أنتم ؟ وما صفتكم ؟: ٤٤
من خصائص دعوة الإخوان: ٤٨
خصائص منهج تربية الجماهير: ٥٣

الباب الثاني
آلية التغيير

مقدمة: ٦٣

الواقع ومنهج التغيير: ٦٣
طبيعة التغيير وخصائصه: ٦٨
القيادة الحكيمة وضبط الحماس: ٧٣
موجز آلية التغيير: ٧٤
من آليات التكوين والتربية للفرد والمجتمع: ٨٠
مستهدفات تربية المجتمع في آلية إقامة الدولة: ٨٤
أهمية المراجعة والتخطيط: ٨٦
الإخوان والمناهج الأخرى: ٨٨
مفاهيم حول الوسائل: ٩١
الصندوق الانتخابى: ٩٥
حول الزمن المطلوب: ٩٦
الإخوان بعد قيام الدولة: ٩٨
الجهاد طريق الدعوة: ٩٩
مفهوم النصر وصوره المختلفة: ١٠٥

الباب: الثالث
مفاهيم تربوية حول التكوين

ملامح التكوين التربوى وخصائصه: ١٠٩
منهج الإمام في التربية على العقيدة: ١١٦
حتمية المحنة وضرورة الابتلاء: ١١٨
الأسر التربوية: ١١٩
مفهوم القوة الذي ينشده الصف: ١٢٣
ترتيب الصف والعلاقة بين وحداته: ١٢٤
استمرار التربية: ١٢٥
حول واقع الأفراد: ١٢٦
أهمية المردود التربوى: ١٣٠
تربية المسئول والهيكل الإدارى: ١٣٢
حول الكتمان والسرية: ١٣٦
حول الثابت والمتغير: ١٣٧

حول الاتهام باحتكار الإسلام:.....١٣٨
الحجية:.....١٣٩

الباب: الرابع
محاور التكوين الفردي

مقدمة:.....١٤٣
خصائص التكوين الفردى:.....١٤٥
الأهداف التربوية.....١٥٣
الهدف العام:.....١٥٣
أسس هذا المنهج:.....١٥٣
طبيعة الأهداف(خصائص الأهداف التربوية):.....١٥٥
من سمات الأهداف التربوية:.....١٥٥
درجات الهدف التربوى:.....١٥٦
أهمية التأسيس الصحيح والتواصل بين الأهداف:.....١٥٧
محاور الحزمة الرئيسية للأهداف التربوية:.....١٥٧
المحاور الرئيسية للتكوين التربوى للأفراد:.....١٥٩
توجيهات ووصايا:.....١٦٨

الباب: الخامس
تكوين البيت المسلم

أهمية بناء البيت:.....١٨٥
أهمية إصلاح الفرد:.....١٨٦
قواعد وأهداف تكوين البيت:.....١٨٧

الباب: السادس
العمل مع المجتمع

منهج الإسلام في بناء المجتمع:.....١٩٥
بيان أهميته ومداه:.....١٩٧

مستويات العمل الاجتماعى وانطلاقته: ٢٠٢
صفات وخصائص العمل مع المجتمع: ٢٠٣
تهيئة الأفراد للعمل مع المجتمع: ٢١٢

الباب: السابع
أهداف ومجالات العمل مع البيت والمجتمع

محاور وأهداف العمل مع المجتمع: ٢١٧
إيضاح: ٢٣٢

الباب: الثامن
حول هدف (تحرير الوطن واستقلاله)

مقدمة: ٢٣٧
خطوات إجلاء المحتل: ٢٤٠
مفهوم الوطن الإسلامي والموقف من قضية فلسطين: ٢٤٨
الإدراك العميق لطبيعة الأعداء: ٢٥٠

الباب: التاسع
حول هدف (الحكومة المسلمة)

مقدمة: ٢٥٥
الإخوان ليسوا طلاب حكم أو يستهدفون السلطة لذاتها: ٢٥٧
تقاعس الحكومات: ٢٥٨
وعن طبيعة الحكام تجاه الإسلام يقول: ٢٦٠
شمولية إصلاح الحكومة وضرورة التمهيد له: ٢٦١
الموقف من الحكومات القائمة: ٢٦٢
أسس قيام الدولة: ٢٦٩
من آدب الإخوان في المواجهة السياسية: ٢٧٠
مواصفات الحكومة المسلمة المستهدفة: ٢٧٢
الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي والأخذ بالحكم الدستورى: ٢٧٤

من ملامح النظام السياسي الإسلامي: ٢٨١
رفض أسلوب العنف والثورة والانقلاب: ٢٨٩
حول كيفية انحياز السلطة التنفيذية للدعوة: ٢٩٢
الموقف من قوى الحكم التي تريد الإصلاح: ٢٩٣
قواعد النظام الاجتماعى في الإسلام: ٢٩٥
قواعد النظام الاقتصادي في الإسلام: ٢٩٧

الباب: العاشر
حول أهداف
(تحرير باقي الأوطان.. استعادة الكيان الدولي.. الخلافة.. استاذية العالم)

حول أهمية الخلافة وضرورة العمل لإعادتها: ٣٠٥
مراحل أساسية لتحقيق الهدف: ٣٠٦
نماذج وأمثلة في هذا المجال: ٣١١
الرد على دعوى تكتل الغرب حولنا: ٣١٣
كيفية تحقق أستاذية العالم: ٣١٤
الأمة الإسلامية وصراع الحضارات: ٣١٦
أسس قيام الوحدة العالمية: ٣٢٢
وحول الدور الذي يمكن أن نؤديه في مرحلتنا هذه نحو هذا الهدف الأسمى: ٣٢٤

الباب: الحادي عشر
تبيان حول مواقف الدعوة وسياسة الجماعة

حول موضوع الدعاية وإعلان الأعمال والاسم: ٣٢٩
موقف الجماعة من الأفراد والهيئات العاملة للإصلاح والإسلام: ٣٣١
الجماعة تقرأ الواقع السياسي جيدا : ٣٤١
وحول الاعتداء على الدعوة ومؤسساتها أو أفرادها : ٣٤٣
الآخر في ميزان الإخوان : ٣٤٥
أصحاب التساؤلات والنقد للدعوة: ٣٥١
خداع الألفاظ والمصطلحات: ٣٥٢
الرد على اتهامات الاحتكار، وما هي الضمانات: ٣٥٢

موقفنا من الخصوم والمنافسين السياسيين: ٣٥٤
مع تاريخ الإخوان في مبادرات الإصلاح: ٣٥٥
من ملامح برنامج الإصلاح: ٣٦١
نموذج للإصلاح الدستوري والقانوني: ٣٦٨
المطالبة بإصلاح قانون الانتخابات: ٣٧١
المطالبة ببناء الأمة القوية: ٣٧٢
حول التنسيق والتحالف: ٣٧٣
تقاطع المسارات: ٣٧٤
أهمية تأمين الدعوة وسلامتها: ٣٧٥
الإمام الشهيد وتكوين الأحزاب: ٣٧٨
حول العمل السياسي: ٣٨٢
موقف الجماعة من المذاهب والتيارات: ٣٩٤
شركاء الوطن والموقف من الأجانب: ٤٠٦
حول موضوع الجزية وأهل الكتاب: ٤١٠
الإمام البنا واستخدام القوة: ٤١٤
وقفة مع نموذج مواجهة الإمام الشهيد للغزو الأجنبي: ٤٢٠
نموذج لمواجهة الإمام البنا للضغوط والأزمات: ٤٢٥
بين مفهوم المرونة ومنزلق التطويع: ٤٢٩
حول التوازن بين التكوين والحركة أو بين الفرد والجماعة: ٤٣٢
توضيح حول ربانية الراية وإسلامية الدعوة: ٤٣٥
حول المشاركة مع الآخرين في حكومة: ٤٤٣
الخاتمة **٤٤٩**
المصادر والمراجع **٤٥٣**
الفهرس **٤٥٩**